دار الثقافة

چون ستوت

صليب المسيح



جون ستوت

صليب المسيح

ترجمة : نجيب جرجور   مراجعة : ابراهيم عبد المسيح



The Cross of Christ
By : John Stott
First Published in England by Inter - Varsity Press, in 1986
Translated by Permission and Published in Arabic, 1995

طبعة أولي

صليب المسيح

صدر عن دار الثقافة - ص. ب ١٢٩٨ - القاهرة

١٠ / ٦٥٥ ط١ / ٢ - ٢ /٩٥
رقم الإيداع بدار الكتاب: ٧٤٧٨ / ٩٥
I . S . B . N 977 - 213 - 286 - 9
جمع وطبع بسيويرس

الإهداء

إلى

فرنسيس هوايتهد

تعبيرا عن الامتنان القلبي

لخدمتها الأمينة والفعالة طوال ٣٠ سنة

١٩٥٦-١٩٨٦

مقدمة

تناول الكثيرون موضوع صليب المسيح من وجهات نظر متعددة، فلقد كتب الشعراء أشعاراً تناولت القصة الدرامية للصليب. وتناقش اللاهوتيون عبر سنوات طويلة عن حتمية الصليب وأثاره في حياة المسيحيين. ومع أن هذه الكتابات قد أثرت الفكر المسيحي عبر عدة قرون إلا أن هذا الكتاب يأتي جديداً ومتميزاً. فالكاتب بخبرته اللاهوتية ودراسته المتعمقة يقدم لنا رؤية للصليب مبنية علي فهم عميق لنعمة الله.

إن دار الثقافة يسعدها أن تقدم المفكر واللاهوتي المعاصر جون ستوت في رائعته الجديدة "صليب المسيح" حيث يجد القاريء رؤية جديدة للصليب.

دار الثقافة

مجتويات الكتاب

تمهيد

إنه لامتياز عظيم حظيت به عندما طلبت مني مطبعة الجامعيين Inter- Varsity Press أن أكتب كتابا عن صليب المسيح، أعظم المواضيع وأمجدها. إن سنوات عملي الكثيرة التي أغنتني روحيا جعلتني أخرج بقناعات واضحة وثابتة، وبعزم لا يلين على أن أقضي بقية عمري على هذه الأرض (وحسبما أعلم فإن جماعة المفديين ستقضي الأبدية في السماء) في خدمة المسيح المصلوب التي تحررني.

من الملائم أن يصدر كتاب عن الصليب كجزء من احتفالات اليوبيل الذهبي لمطبعة الجامعيين التي يدين لها جمهور القراء المسيحيين بالكثير من الانجازات التي حققتها(باشراف مديريها المكرسين رونالد إنشلي Ronald Inchly و فرانك انتويسل Frank Entwisle) لأن الصليب يشغل مركز الايمان الانجيلي. إنه بالحقيقة، كما أحاج في هذا الكتاب، يكمن في قلب الايمان الكتابي التاريخي ؛ و نظرا الى أنه لا يعترف دائما وفي كل مكان بهذه الحقيقة فهذا بحد ذاته سبب كاف لنحافظ على شهادة انجيلية مميزة. يعتقد المسيحيون الانجيليون بأن الله في المسيح المصلوب حل محلنا وحمل خطايانا، مائتا بدلنا الموت الذي نستحقه، لكي نُرَدَّ الى رضاه ونُتَبَنَّى في عائلته. لقد أصاب الدكتور جي. آ ي. باكرDr. J.I.Packer كبد الحقيقة حين كتب، ان هذا الاعتقاد هو "العلامة المميزة للأخوة الانجيلية في العالم بأسره" (مع أن"النقاد في كثير من الأحيان يسيئون فهمه أويغالون في تشويهه") ؛ إنه "ينقلنا الى قلب الانجيل المسيحي".[١]

لقد كانت مركزية الصليب، بالتأكيد، عاملا حياتيا في تاريخ ما يعرف اليوم بالرابطة المسيحية في الكليات والجامعات وكذلك في تاريخ الجماعة الأكبرالمنتسبة اليها وهي الرابطة الدولية للطلاب الإنجيليين International Fellowship of Evangelical students . ثمة حدثان هامان بخاصة وقعا في مطلع هذا القرن .

جرى أول الحدثين عام ١٩١٠ حيث انفصل الاتحاد المسيحي بين كليات جامعة كامبردج (الذي تأسس عام ١٨٧٧) عن الحركة المسيحية للطلبة (التي تأسست عام١٨٩٥). كان أعضاء ت م ك ك CICCU يدركون أنهم يسيرون في خطوات

---

[1] J. I. Packer, "What Did the Cross Achieve ? " , p. 3.

بيلني Bilney وتندال Tyndale ولاتيمر Latimer وردلي Ridley وكرانمر Cranmer زعماء حركة الاصلاح في كامبردج. كما كانوا يتطلعون باعتزاز وحب الى تشارلز سيمون Charles Simeon ، قس كنيسة الثالوث الأقدس طوال ٥٤ سنة (١٧٨٢ – ١٨٣٦)، الذي كان يقدم مواعظ تفسيرية للكتاب المقدس بأمانة، كما أنه، بحسب ما تشير لوحته التذكارية، " قد صمم ألا يعرف ، سواء من حيث أساس رجائه أو من حيث موضوع كل خدماته الرعوية ، سوى يسوع المسيح وإياه مصلوبا". لذلك لم يكن أمرا يدعو للدهشة، أن يزول شيئا فشيئا ما علق بأذهانهم من وهم وتتضح لهم اتجاهات ح م ط SCM اللليبرالية ولا سيما تعاليمهم الضعيفة المتعلقة بالكتاب المقدس وبالصليب وحتى بألوهة المسيح . وهكذا عندما اجتمع تيسنغتون تاتلو Tissington Tatlowالأمين العام لـ ح م ط بأعضاء ت م ك ك في آذار ١٩١٠ جرى التصويت لصالح انفصال الاتحاد . في العام التالي أصبح هوارد مول Howard Mowll (الذي صار فيما بعد رئيس أساقفة سيدني وكبير أساقفة استراليا) رئيسا لـ: ت م ك ك و ساعد في توطيده على أسس انجيلية راسخة لم يزح عنها أبدا.[٢]

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ التحق كثيرون من رجال الجيش المسرحين بجامعة كامبردج للدراسة. وفي هذا الوقت كان عدد أفراد ت م ك ك أقل بكثير من عدد أعضاء ح م ط . مع ذلك قدم قادة الـ : ح م ط (وعلى الخصوص تشارلز رافن Charles Raven عميد كلية عمانوئيل) عروضا لـ: ت م ك ك أملا في أن يعودوا وينضموا الى ح م ط فيمدوها بالدفء التعبدي والزخم التبشيري اللذين تفتقر اليهما. ورغبة في حل هذه المسألة اجتمع دانيال ديك Daniel Dick ونورمان غراب Norman Grubb (رئيس ت م ك ك وأمينه العام) مع لجنة ح م ط في غرف أمينهم العام رولو بيلي Rollo Pelly المحيطة بالفناء الكبير في جامعة ترينتي Trinity. وفيما يلي رواية نورمان غراب الشخصية للقضية الحرجة .

بعدما تحدثنا مدة ساعة، سألت رولو بصراحة، "هل تعتبر ح م ط أن دم المسيح المُكَفِّرَ يشغل المركز؟" فتردد قليلا ثم قال: "في الواقع إننا نعترف به، لكنه لا

[2] See *Archbishop Mowll* by Marcus L. Loane, especially pp. 43-61. See also *Whatever Happened to the Jesus Lane Lot ?* by O. R. Barclay, especially pp. 65-70.

يشغل المركز بالضرورة ". عندئذ قلنا له أنا ودانيال ديك، لقد حسم جوابك المسألة في نظرنا نحن أعضاء ت م ك ك. فلن نرضى مطلقا بأن ننضم الى أي جماعة لا تعتقد بأن دم المسيح المكفر مركزي ، وهكذا افترقنا.[٣]

لم يؤكد هذا القرار التصويت لصالح الانفصال الذي جرى قبل الحرب فحسب، لكنه "وضع أيضا في الواقع الأساس لقيام رابطة الجامعيين(IVF) لأنه لم تكد تمضي بضعة أشهر حتى تبين لنا بكل جلاء أنه ما دام ت م ك ك ضروريا لجامعة كامبرج ، فإن اتحادا من نفس النوع ضروري أيضا لكل جامعة من جامعات العالم".[٤] وفي كانون الأول من عام ١٩١٩ عقد في لندن أول مؤتمر لرابطة الجامعيين .

خلال هذه الحقبة اقتبس نورمان غرب Norman Grubb ١كورنثس١٥:٣-٤ ليكون نصا يتمحور عليه تفكيرهم : " فإنني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضا أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب. وأنه دفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب ". وإنه لمن الصعوبة بمكان أن يتفق مع هذا النص ما حددته ح م ط لنفسها عام ١٩١٩ كهدف وأساس، إذ تضمن بشأن الصليب البيان التالي : "حين نتطلع الى الجلجثة ونرى الله وهو يقوم بنفسه بالتألم لأجل خطية البشر يوما بعد يوم ، حينئذ فقط نستطيع أن ندخل في خبرة الندامة والغفران الحقيقيين ، وهي الخبرة التي تحررنا لننطلق في طريق للحياة جديدة تماما...هذا هومعنى الكفارة ".[٥] ولكن علينا أن نرد على هذا القول باحترام فنقول إن معنى الكفارة لا يكمن في ندامتنا التي يثيرها منظر الجلجثة. ولكنه يكمن بالأحرى فيما فعله الله في المسيح عندما أخذ مكاننا على الصليب وحمل خطايانا .

هذا التمييز، بين فهم الكفارة بطريقة "ذاتية " و فهمها بطريقة "موضوعية "، ينبغي أن يوضح لكل جيل . لقد كان هذا الاكتشاف ، حسب ما روى الدكتور دوغلاس جونسون Douglas Johnson أول أمين عام لرابطة الجامعيين (IVF) ، نقطة تحول في خدمة الدكتور مارتن لويد جونس Martyn Lloyd Jones الذي شغل

[3] Norman P. Grubb, *Once Carght , No Escape,* p. 56.

[4] F. Donald Coggan (ed.) , *Christ and the Colleges*, p. 17.

[5] Tissington Tatlow , *Story of the SCM* , p. 630.

مركزا منقطع النظير في القيادة الانجيلية خلال العقود التي اعقبت الحرب العالمية الثانية . ففي خلوة مع عدد من الأصدقاء صرح الدكتور مارتن بأن "تغيرا أساسيا جرى في نظرته ووعظه في عام ١٩٢٩". كان الدكتور مارتن قبل ذلك، و منذ بداية خدمته ، يؤكد طبعا على أن الولادة الجديدة ضرورة لا بد منها . لكنه بعدما وعظ ذات مساء في بريجند، ساوث ويلز تحداه خادم الكنيسة حين أشار الى أن "الصليب وعمل المسيح" لم يكن لهما في وعظه سوى ظهور ضعيف . فما كان منه الا أن "ذهب للتو الى مكتبته المفضلة التي تبيع كتبا مستعملة، وطلب من صاحبها أن يعطيه مرجعين لموضوع الكفارة . فجلب له البائع كتاب *الكفارة*(١٨٧٥) من تأليف ر. و. دال R.W.Dale وكتاب *موت المسيح* (١٩٠٣) من تأليف جيمس دنيJames Denny . وبعد عودته الى المنزل انصرف الىالدرس عازفا عن تناول الغداء والعشاء مما أقلق زوجته الى حد أنها اتصلت هاتفيا بأخيها لترى ما اذا كان ينبغي استدعاء طبيب. لكنه بعد أن خرج من عزلته ادعى بأنه اكتشف "اللب الحقيقي للانجيل ومفتاح المعنىالباطني للإيمان المسيحي". وهكذا تغير مضمون وعظه، وبالتالي تأثيره . وكما عبر هو نفسه ، لم يكن السؤال الأساسي هو سؤال أنسلم Anselm" لماذا صار الله انسانا ؟" بل " لماذا مات المسيح ؟".[٦]

نظرا الى الأهمية الحيوية للكفارة و لفهمها، بحيث تدرك مفاهيم " الإبدال substitution و"الإرضاء" satisfaction و"الاسترضاء" propitiation الكتابية الهامة و تحرر مما علق بها من وهم ـ نظرا الى كل ذلك فقد دهشت جدا من أمرين . أولهما القدر الكبير من عدم رضى عامة الناس الذي ما زالت هذه العقيدة تعاني منه. فبعض اللاهوتيين يظهرون بوضوح ممانعة غريبة في الاقرار بها ، حتى عندما يتضح لهم أساسها الكتابي . يخطر ببالي على سبيل المثال فنسنت تايلورVincent Taylor ، ذلك العالم الميثودستي المشهور المتخصص في العهد الجديد . وقد تجلى نهجه الأكاديمي الشامل والدقيق في ثلاثة كتب ألفها عن الصليب ـ *يسوع وذبيحته* *Jesus and His Sacrifice*(١٩٣٧)، *الكفارة في تعليم العهدالجديد* *The Atonement in New Testamensst Teaching*(١٩٤٠) *والغفران والمصالحة* *Forgiveness and Reconciliation* (١٩٤٦)، انه يستخدم عدة نعوت لوصف موت المسيح ، من قبيل " كهنوتي" و " فدائي" و "مصالح " و "مكفر" و " "بالنيابةعن" vicarious و بخاصة

---

[٦] أشعر بالامتنان للدكتور دوغلاس جونسون لتزويدي بهذه المعلومات ، التي تكمل الرواية التي قدمها إيان ه . موراي Iain H. Murray في كتابه *David Martyn Lloyd-Jones*, pp. 190-191.

"تمثيلي". لكنه لا يرضى لنفسه بأن يصفه بأنـه "بدلـي". و بعـد فحـص دقيـق للوعـظ والمعتقد المسيحيين الأوليين لبولس والعبرانيين ويوحنا كتب عن عمـل المسـيح: " لا يوصف في أي من المقاطع التي درسناها بأنه عمـل بديـل... لـم نجـد فـي أي مكـان دعما لآراء كهذه".[7] لا، إن عمل المسيح كان "خدمة أنجزت لحسـابنا ، ولكـن ليـس عوضـا عنـا" (ص٢٧٠). إلا أن فنسـنت تـايلور، حتـى عندمـا أدلـى بهـذه البيانــات المدهشة لم يكن ، كما هو واضح ، مرتاحـا بشـأنها، وتجعلنـا شـدتها غيـر مسـتعدين للتنازلات التي شعر فيما بعد بانه مضطر للقيام بها. كتب يقول: "ربما كان أكثر أمـر يلفت النظر في تعليم العهد الجديد المتعلق بعمـل المسـيح التمثيلـي ، هـو أنـه يقـترب كثيرا مـن حـدود عقيـدة مـوت المسـيح البديلـي ، دون أن يتخطـى هـذه الحـدود. إن البولسية بخاصة لا تبعد عن الإبـدال إلا قيـد شـعرة " (ص٢٨٨). و يعـترف كواحـد من لاهوتيي العهد الجديد: "إننا كثيرا ما نكتفي بانكـار الإبـدال دون أن نطـرح بديـلا له" (ص٢٨٩). وهوعقيدة "ربما كانت رغبتنا في رفضها أشد بكثير من رغبتنا في تقويمها" (ص٣٠١). ومهما يكن من أمر فان ما سأحاول إظهاره في هذا الكتاب هـو أن المفهوم الكتابي للكفارة بدلي من البداية الى النهاية. إن ما نفر منه فنسنت تـايلور لم يكن العقيدة نفسها، بل فظاظة التفكير والتعبير مـن قبـل المدافعيـن عـن الإبـدال الذين ارتكبوا هذا الخطأ في كثير من الأحيان .

ثمة مفاجأة ثانية أدهشتني ، اذا أخذنا مركزية صليب المسيح بعين الاعتبار، وهي أنه طوال مدة نصف قرن تقريبا (تنتهي قبل سنتين من الآن) لم يقم أي كاتب انجيلـي بتأليف كتاب عن هذا الموضـوع موجه الى القراء المفكرين . في الواقع كـانت هنـاك عدة كتيبات ورقية الغلاف، وكانت هناك بعض الأعمال كتبها علماء. وأود أن أعـبر عن تقدير خاص للأعما ل البارزة في هذا المجال التي قام بها الدكتور ليون موريس Leon Morris من ملبـورن باسـتراليا. اننـا جميعـا مدينـون لـه بفضـل كتابـه *الكـرازة الرسولية بالصليب* *Apostolic Preaching of the Cross* (١٩٥٥)، وأنـا سـعيد لأنـه جعل محتوياته في متناول القراء العلمانيين في كتـاب *الكفـارة* *Atonement* (١٩٨٣). لقد اطلع اطلاعا شـاملا ودقيقـا علـى كـل مـا كتـب حـول هـذا الموضـوع علـى مـر العصـور، كمـا أن كتابـه ، *الصليـب فـي العهـد الجديـد* *The Cross in the New Testament* (١٩٦٥) مازال على الأرجح أشمل دراسـة استطلاعية متاحـة. ومنـه

[7] Vincent Taylor , *Atonement* , p. 258

اقتبست قوله الذي أصادق عليه مصادقة قلبية "إن الصليب يهيمن على العهد الجديد" (ص٣٦٥) .

إلا أنني حتى عهد قريب، حين نشر كتاب *موت المسيح المكفر* *The Atoning Death of Christ*(١٩٨١) من تأليف رونالد والاس Ronald Wallace و كتاب *صليب المسيح الخالي* (*The Empty Cross of Christ* (1984 من تأليف مايكل غرين Michael Green لم أعرف أي كتاب انجيلي آخر يصلح لمجموع القراء الذين أفكر بهم منذ أصدر هـ . إ . غيلبود H.E. Guillbeaud كتابه *لماذا الصليب ؟ WhyThe Cross* (١٩٣٧)، الذي كان من أوائل الكتب التي نشرتها رابطة الجامعيين (IVF) . لقد كان عملا شجاعا يقف باعتزاز في وجه نقاد الكفارة البدلية و يطرح ثلاثة أسئلة: (١) "هل هي مسيحية ؟ " (أي هل تتفق مع تعاليم يسوع ورسله) ؛ (٢) "هل هي لا أخلاقية ؟ " (أي هل تتفق مع العدالة أم لا) ؛ (٣) "هل هي مسألة لا تصدق ؟ " (أي هل تتفق مع مشكلات كمشكلة الزمن ونقل الجرم أم لا).

إنني مهتم بنطاق أوسع من نطاق الكفارة لأن هذا الكتاب ليس حول موضوع الكفارة فقط ولكنه حول الصليب. فبعد الفصول التمهيدية الثلاثة التي تشكل الجزء الأول، أنتقل الى الجزء الثاني الذي دعوته "قلب الصليب" ، حيث أحاول أن أحاج من أجل فهم كتابي صحيح لعقيدتي "الارضاء" و"الإبدال". وفي الجزء الثالث انتقل الى إنجازات الصليب العظيمة الثلاثة، أي تخليص الخطاة ، واعلان الله، و الانتصار على الشر. لكن الجزء الرابع يتشبث بمجالات كثيرا ما تهمل في الكتب التي تبحث في الصليب ، أي ما معنى "الحياة تحت الصليب" بالنسبة للجماعة المسيحية . وإنني أحاول أن أبين أن الصليب يغير كل شيء . فهو يمنحنا علاقة تعبدية جديدة مع الله ، وفهما جديدا متوازنا لأنفسنا ، وحافزا جديدا لكي ننخرط في الارسالية ، ومحبة جديدة لأعدائنا ، وشجاعة جديدة لمواجهة ارتباكات الألم .

أثناء توسعي في الموضوع ظل ماثلا في ذهني المثلث المكون من الكتاب المقدس والتقليد والعالم العصري. كان تلهفي الأول أن أكون صادقا تجاه كلمة الله، وأن أسمح لها أن تقول لي ما تريد أن تقوله ، وألا أطلب منها أن تقول لي ما أريدها أن تقوله . فليس ثمة بديل للتفسير الدقيق للنص . ثانيا، لقد اجتهدت أن أشارك القراء في بعض ثمرات قراءتي . فلا يستطيع من يسعى الى فهم الصليب أن يتجاهل أعمال الماضي العظيمة . إن قلة احترامنا للتقليد واللاهوت التاريخي تعني قلة احترام للروح القدس الذي أخذ بزمام المبادرة في تنوير الكنيسة في القرون

الماضية وحتى هذا اليوم . ثالثا وأخيرا، لقد حاولت أن أفهم الكتاب المقدس، ليس في ضوئه هو وفي ضوء التقليد فحسب ، وإنما من حيث صلته بالعالم العصري أيضا. ثمة سؤال طرحته وهو ماذا يقول صليب المسيح لنا نحن الذين نعيش في آخر القرن العشرين .

إن التجرؤ على كتابة (وقراءة) كتاب عن الصليب، يعني بالطبع التعرض لخطر عظيم هو خطر الجرأة الزائدة . وهذا يعود جزئيا الى أن ما حدث بالفعل ، عندما " كان الله في المسيح مصالحا العالم لنفسه" ، سر سنقضي الأبدية في سبر أغواره ؛ ويعود جزئيا أيضا الى أن تصرفنا سيكون أبعد ما يمكن عن اللياقة، اذا تظاهرنا ببرود بأن الأمر لا يتعلق بنا عندما نتأمل صليب المسيح. فنحن متورطون شئنا أم أبينا. لأن خطايانا وضعته هناك . فالصليب ، الذي هو بعيد عن أن يقدم لنا أي إطراء ، يقوض برنا الذاتي. وكل ما نستطيع أن نفعله هو أن نقف أمامه برأس منكس وروح منكسرة . هناك نبقى الى أن يخاطب الرب يسوع قلوبنا بكلمة الغفران والقبول ، فيمسكنا بمحبته وتطفح قلوبنا بالشكر فننطلق الى العالم لنحيا في خدمته .

أتوجه بالشكر الى روجر بكوذ Rodger Beckwith و دافيد تورنر David Turner لأجل قراءتهما أقساما من المخطوطة ولأجل ملاحظاتهما المفيدة . وأشكر أحدث أربعة من مساعدي في البحث ، مارك لابرتون Mark Labberton وستيف انغراهام Steve Ingraham وبوب وايزمر Bob Wismer وستيف أندروز Steve Androws . لقد كان ستيف أندروز كعادته شديد التدقيق أثناء قراءة المخطوطة ، وتصنيف ثبت المراجع والفهارس والتحقق من الشواهد، وتصحيح التجارب الطباعية (بروفات).

لكنني احتفظ، الى الآخر بشكري القلبي لفرنسيس هوايتهد Francis Whitehead التي ستكمل في عام ١٩٨٦ ثلاثين سنة من العمل كسكرتيرة لي. وهذا آخر كتاب من بين كتب عديدة طبعتها على الآلة الكاتبة. ولن أبالغ أبدا اذا تحدثت عن كفاءتها وتعاونها ووفائها وحماستها لعمل الرب التي لم يعترها نقص، لذلك أهدي اليها هذا الكتاب بمزيد من الامتنان.

عيد الميلاد ١٩٨٥ — جون ستوت

الجزء الأول

اقتراب من الصليب

١

مركزية الصليب

هل تعرف الرسم الذي أبدعته ريشة هلمان هنت Holman Hunt زعيم أخوة ما قبل الرفائيلية Pre-Raphaelite-Brotherhood الذي موضوعه "ظل الموت" ؟ إنه يصور مشهدا داخل دكان نجار في الناصرة . ويقف يسوع معرى حتى الخصر، بجانب حامل خشبي ألقى منشاره فوقه. وهويرفع عينيه نحوالسماء، وعلى وجهه نظرة هي إما نظرة ألم أو نظرة نشوة أو كلاهما. كما أنه يتمطى رافعا ذراعيه الى ما فوق رأسه. وفيما هو يفعل ذلك يلقي ضوء الشمس الغاربة الداخل من فتحة الباب بظل داكن على هيئة صليب على الجدار خلف يسوع، فيبدو رف أدواته كعارضة أفقية صلبت عليها يداه . أما الأدوات ذاتها فتذكر بالمطرقة المشؤومة والمسامير.

وفي مقدمة الصورة والى اليسار تجثو امرأة بين رقاقات الخشب، وقد ألقت بيديها على الصندوق الذي حفظت فيه الهدايا الثمينة التي قدمها المجوس. ولا نستطيع أن نرى وجهها لأنها حولته . لكننا نعرف أنها مريم. وهي تنظر بذهول (أوهكذا تبدو) الى ظل ابنها الشبيه بالصليب المرتسم علىالجدار.

لقد اشتهر ما قبل ــ الرفائيون بالعاطفية ، الا أنهم كانوا رسامين جادين ومخلصين ، وكان هولمان هنت نفسه مصمما ، كما قال ، على أن يخوض معركة ضد الفن التافه السائد و معالجته السطحية للموضوعات المبتذلة . لذلك قضى ثلاث سنين ١٨٧٠-١٨٧٣ في الأرض المقدسة . ورسم لوحته "ظل الموت" في القدس، وهو جالس على سطح منزله.[١] ومع أن الفكرة خيالية من الوجهة التاريخية فإنها صحيحة من الوجهة اللاهوتية . لقد ألقى الصليب بظله أمام يسوع منذ حداثته ، في

---

[1] See *Pre-Raphaelite Paintings* from the Manchester City Art Gallery, where 'The Shadow of Death ' hangs, by Julian Treuherz.

الواقع ، بل وبالحقيقة منذ ولادته . كان موته أمرا مركزيا في بعثته . أضف الى ذلك أن الكنيسة أقرت بهذا دائما.

لنتخيل غريبا يزور كاتدرائية القديس بولس في لندن. ولكونه قد ربي على ثقافة غير مسيحية ، فهو يكاد لا يعرف شيئا عن المسيحية. الا أن الرجل أكثر من مجرد سائح ؛ إنه مهتم شخصيا وتواق الى المعرفة .

وبينما هو يسير في شارع فليت Fleet يتأثر جدا بضخامة أبعاد البناء ويتعجب من قدرة السير كريستوفر رن Sir Christopher Wren على تصميم مثل هذا الصرح بعد حريق لندن الكبير الذي وقع عام ١٦٦٦ . و بينما يحاول أن يستوعب البناء بنظرة ، لا يستطيع الا أن يلاحظ الصليب الذهبي الضخم الذي يتربع فوق القبة.

ها هو يدخل الكاتدرائية ويقف في وسطها تحت القبة. وإذ يحاول أن يفهم حجم البناء وشكله ، يدرك بأن تصميمه الأساسي يتكون من صحن رئيسي وأجنحة على شكل صليب . ويتجول فيلاحظ أن كل مصلى يحوي على ما يشبه طاولة، ينتصب صليب في مكان بارز منها. وينزل الى المدفن في الأسفل ليشاهد أضرحة المشاهير من أمثال السيركريستوفر رن نفسه واللورد نلسون Lord Nelson ودوق ويلنغتون Duke of Wellington : على كل ضريح نقش صليب أو ازدان بصليب نافر .

وإذ يصعد عائدا الى قاعة الكنيسة يقرر البقاء لحضورالخدمة التي توشك أن تبدأ. إن الرجل الواقف بجانبه يحمل صليبا على طية صدر سترته . بينما تلبس السيدة التي على الجانب الآخر قلادة يتدلى منها صليب . الآن يستثر نظره على النافذة الشرقية ذات الزجاج المصبغ الغني بالألوان ، ومع أنه لا يستطيع أن يفهم معاني كل التفاصيل من مكانه الذي يجلس فيه ، فلا يتعذر عليه أن يلاحظ أنها تتضمن صليبا.

فجأة تقف الجماعة. تدخل جوقة المرنمين مع الخادم يتقدمها شخص يحمل صليبا موكبيا. وينشدون ترنيمة. ينظر الزائر الى ورقة الخدمة فيقرأ كلماتها :

ها نحن نسبح ذاك الذي قضى
ذاك الذي مات على الصليب
هذا هو رجاء الخاطيء ، فليسخر الناس ما شاؤوا
لأجله نحسب العالم خسارة فحسب.

ويدرك مما يحدث بعد ذلك أنه يشهد خدمة العشاء الرباني، وأن هذه الخدمة تركزعلى موت يسوع . لأنه عندما يتقدم الناس من حوله ، ويقفون في صف المشتركين ليتناولوا الخبز والخمر، يحدثهم الخادم عن جسد المسيح ودمه . وتنتهي خدمة الاشتراك بترنيمة أخرى :

حين أرى الصليب العجيب
الذي مات عليه أمير المجد،
احسب كل ربحي خسارة
وازدري كل كبريائي .

يارب لا تسمح بأن أفخر
إلا بصليب المسيح إلهي ؛
وجميع الأشياء التي تفتنني إلى أبعد حد
أضحي بها لأجل دمه .

مع أن الجماعة الآن تتفرق، فان عائلة تتخلف وتبقى ، لقد جلبوا طفلهم لتعميده. ينضم الزائر اليهم ويقترب من جرن المعمودية، فيرى أن الخادم يصب الماء على الطفل ويرسم علامة الصليب على جبينه قائلا: "إنني أسمك بعلامة الصليب إشارة الى أنه يجب عليك الا تخجل من الاعتراف بإيمانك بالمسيح المصلوب...".

يغادر الغريب الكاتدرائية متأثرا، ولكن حائرا مما شاهده . لقد كان الالحاح المتكرر بالكلام وبالرمز على مركزية الصليب أمرا لافتا للنظر. علاوة على ذلك دارت في ذهنه أسئلة عديدة. إن بعضا من اللغة المستخدمة بدا مبالغا فيه.

فهل "يحسب" المسيحيون حقا، من أجل الصليب، " أن العالم ليس إلا خسارة ". ولا "يفتخرون" إلا به، و "يضحون" بكل شيء لأجله ؟ هل يمكن أن يلخص الإيمان المسيحي تلخيصا دقيقا بأنه " الإيمان بالمسيح المصلوب" ؟ ويسائل نفسه ، ما أسس هذا التركيز على صليب المسيح ؟

إشارة الصليب و رمزه

لكل ديانة وإيديولوجية * رمزها المنظور الذي يوضح معلما هاما من تاريخها أو معتقداتها. فزهرة اللوتس، مثلا، رغم أنها استخدمت من قبل الصينيين والمصريين والهنود القدماء ، فهي الآن ترتبط بخاصة بالبوذية. ويظن أنها تصف، بسبب شكلها الذي يشبه العجلة، إما دورة الولادة والموت أوانبثاق الجمال والتناسق من المياه الموحلة للفوضى الشاملة chaos. وفي بعض الأحيان يصورالبوذا متربعا في وسط زهرة لوتس تامة التفتح .

لقد تجنبت اليهودية القديمة اتخاذ علامات منظورة ورموز، خشية أن تنتهك الوصية الثانية التي تحظر صنع التماثيل. أما اليهودية العصرية فقد تبنت ما يسمى درع داود أو نجمة داود، وهي شكل يشبه نجمة سداسية، ناتج من دمج مثلثين متساويي الأضلاع. وهي تتحدث عن عهد الله لداود بأن عرشه سيوطد الى الأبد و أن المسيا سيكون سليله. أما الإسلام ، وهوالدين الموحد الآخر الذي نشأ في الشرق الأوسط ، فيرمز له بهلال في غرب آسيا على الأقل . ولما كان بالأصل يصور طورا من أطوار القمر، فقد كان يعتبر في بيزنطة رمزا للسيادة ، قبل الفتح الإسلامي .

إن للإيديولوحيات العلمانية في هذا القرن علاماتها أيضا المعترف بها عالميا. فالمطرقة والمنجل ، اللذان أخذتهما الحكومة السوفيتية عام ١٩١٧عن رسم بلجيكي يمثل الصناعة والزراعة ، جعلا متصالبين للدلالة على اتحاد العمال والفلاحين، واتحاد المصنع والحقل . من جهة أخرى يمكن تتبع أثر الصليب المعقوفswastika الى ما قبل ٦٠٠٠ سنة. فأذرع هذا الصليب معقوفة باتجاه عقارب الساعة، لتشير إما الى حركة الشمس في السماء ، أو الى دورة الفصول الأربعة ، أو الى عملية الخلق والازدهار (كلمة "svasti" كلمة سنسكريتية تشير الى"السلامة"). مهما يكن من أمر، فان مجموعات من الألمان تبنتها في مطلع هذا القرن كرمز للعرق الآري. ثم تبناها هتلر وأصبحت العلامة المشؤومة للتعصب العرقي النازي الأعمى .

فالمسيحية لا تستثنى من قاعدة اتخاذ رمز منظور. إلا أن الصليب لم يكن رمزها الباكر. وبسبب الاتهامات المتطرفة التي وجهت الى المسيحيين، والاضطهاد الذي تعرضوا له "وجب عليهم أن يكونوا حذرين جدا و يتجنبوا التباهي بديانتهم . وهكذا، في أول الأمر، تم تجنب الصليب، الذي يعد الآن الرمز العالمي للمسيحية، ليس

* الإيديولوجية: طريقة التفكير المميز لفرد أو جماعة أو ثقافة .(قاموس المورد) [المترجم].

بسبب ارتباطه المباشر بالمسيح فحسب، بل بسبب ارتباطه المشين بإعدام المجرمين العاديين أيضا".[٢] إن الرسوم التي رسمها المسيحيون الأولون على جدران وسقوف المدافن السردابية (وهي مقابر تحت الأرض واقعة خارج روما حيث كان المسيحيون المضطهدون يختبئون على الأرجح) ، كانت رسوما ليس فيها ما يؤدي إلى توريطهم ، كرسم طاووس (يفترض أنه يرمز الى الخلود)، أو حمامة أو غصن الغار الذي يعطى للرياضي المنتصر، أو على الخصوص رسم سمكة. فالشخص العضو في الجماعة فقط كان يعرف، وما من شخص غير عضو كان يمكن أن يخمن، أن *ichthys* (سمكة) كانت اللفظة الأوائلية acronym لعبارة *Christos Iesus Theou Huios Soter* (يسوع المسيح، ابن الله، مخلص). ولكنها من دون شك لم تبق الشارة المسيحية، لأن الارتباط بين يسوع وبين سمكة كان مجرد ارتباط يتعلق بأوائل الكلمات (ترتيب اتفاقي للحروف) ولم تكن له دلالة منظورة .

في فترة لاحقة، خلال القرن الثاني على الأرجح، يبدو أن المسيحيين المضطهدين فضلوا أن يرسموا موضوعات كتابية كفلك نوح، وابراهيم يقتل الكبش بدلا من اسحاق، ودانيال في جب الأسود، وأصدقاءه الثلاثة في أتون النار، ويونان يُقْذَفُ من فم الحوت، وبعض المعموديات، وراعيا يحمل خروفا، وشفاء المفلوج، وإقامة لعازر. كل هذه الرسوم كانت ترمز لفداء المسيح، بينما لم تكن بحد ذاتها مدعاة لاتهام أحد بجريمة لأنه كان بوسع العارف بها فقط أن يفسر معانيها. بالإضافة الى ذلك كان المونوغرام* Chi- Rho [XP] (أول حرفين من الكلمة اليونانية Christos) علامة معروفة على شكل صليب ومعه أحيانا حَمَلٌ يقف امامه او حمامة.

إن الشعار المسيحي المقبول عالميا سيتحدث بصورة واضحة عن يسوع المسيح. ولكن كان هناك مجال واسع من الإمكانات. كان بوسع المسيحيين أن يختاروا المهد أو المذود الذي وضع فيه يسوع، أو دكة النجار التي استخدمها وهو شاب في الناصرة ، مكرما العمل اليدوي، أو القارب الذي جلس عليه وهو يعلم الجموع في

---

[2] Michael Gough, *Origins of Christian Art*, p. 18. See also J. H. Miller, ' Cross' and 'Crucifix' ; *Christian World*, ed. Geoffrey Barraclough; and *Cross and Crucifix* by Cyril E. Pocknee.

* المونوغرام : علامة ترمز إلى شخص، و تتألف من أحرف اسمه الأولى مرقومة على نحو متشابك (قاموس المورد) [المترجم]

الجليل، أو المنشفة التي اتزر بها وهو يغسل أرجل التلاميذ، وستتحدث عن روح خدمته المتواضعة. كما كان هناك الحجر الذي، لكونه قد دحرج عن قبريوسف، سيعلن قيامة يسوع. وكانت هناك إمكانات أخرى، فهناك العرش الذي رآه يوحنا في رؤياه للسماء و رأى يسوع يشارك فيه ، ولذا فهو رمز السلطان الإلهي ، أو يمكن اتخاذ الحمامة رمز الروح القدس الذي أرسل من السماء في يوم الخمسين. فلو اختير أي من هذه الرموز السبعة لكان ملائما ليشكل مؤشرا يشير الى جانب من جوانب خدمة الرب. ولكن بدلا من ذلك وقع الاختيار على صليب بسيط . كانت خشبتاه قبل ذلك ، ومنذ أزمنة غابرة ، رمزا كونيا للمحور الممتد بين الأرض والسماء. لكن كان لاختيارالمسيحيين للصليب تفسيرأكثر تحديدا . فقد أرادوا أن يحيوا ذكرى يسوع باختيارأمر رئيس في حياته يشير الى فهمهم له، فلم يختاروا ولادته او شبابه ولا تعاليمه أو خدمته، ولا قيامته أو ملكه ولا هبة الروح القدس التي أعطاها بل موته، أي صلبه. أما الصليب الذي عليه تمثال يسوع فلم يستعمل على ما يبدو قبل القرن السادس.

يبدو مؤكدا أن المسيحيين، بدءا من القرن الثاني على الأقل وما بعده ، لم يكتفوا برسم الصليب وتصويره ونقشه كرمز تصويري لإيمانهم لكنهم أيضا رسموا شارة (علامة) الصليب على أنفسهم وعلى الآخرين. أول من شهد عن هذه الممارسة هو ترتوليان Tertullian، وهو محام و لاهوتي من شمالي أفريقيا، وكان في قمة نشاطه حوالى عام ٢٠٠ م . كتب يقول :

> في كل خطوة نخطوها و كل حركة نقوم بها في ذهابنا وإيابنا، وعندما نرتدي ملابسنا وأحذيتنا، وعندما نستحم، وعندما نجلس الى مائدة الطعام وعندما نضيء مصابيحنا، وعندما نجلس على كرسي أو نستلقي على السرير، وفي كل عمل عادي من أعمال الحياة اليومية، نرسم العلامة [الصليب] على جباهنا.[٣]

إن الشيخ ـ العالم هيبوليتوس Hippolytus من مواطني روما شاهد يثير الاهتمام بخاصة لأنه اشتهر بكونه "رجعيا معترفا به بين أبناء جيله لم يقف مدافعا عن المستقبل بل بالأحرى عن الماضي". فبحثه المشهور *التقليد الرسولي* *The Apostolic Teaching* (حوالى عام ٢١٥ م) "يدَّعي صراحة أنه يسجل أشكال وأنماط الطقس

---

[3] Tertullian, *De Corona*, Ch. III, p. 94.

التقليدية *من قبل* والعادات الراسخة *من قبل* منذ زمن طويل، و قد كتب بتعمد للاحتجاج على الابتداعات".[4] لذلك فإنه حين يصف بعض "الشعائر الكنسية" يمكننا أن نتأكد من أنها كانت تمارس لدى الجيل السابق أو قبله. وهو يذكر أن الأسقف كان يستخدم علامة الصليب عندما يمسح جبين المتقدم الى خدمة التثبيت. وينصح بها في الصلاة الخصوصية: " تمثلوا به (المسيح) دائما، برسم علامة الصليب على جبينكم بكل اخلاص: لأن هذه هي علامة آلامه". ثم يضيف، إنها أيضا حماية من الشر: "عندما تأتيك التجربة ارسم دائما وباحترام علامة الصليب على جبينك. لأنك تعرض علامة الآلام هذه وتجاهر بها ضد الشيطان ، اذا قمت برسمها بايمان ، لا لكي يراك الناس بل بمعرفتك انها ترس لك تدافع به عن نفسك".[5]

لا حاجة بنا الى نبذ هذه العادة باعتبارها تعويذية. لقد قصد في الأصل على الأقل أن تميز علامةُ الصليب كل عمل، وبالحقيقة تقدسه باعتباره يخص المسيح.

في منتصف القرن الثالث، عندما كان سيبريان Cyprian أسقف قرطاجة، وهو مواطن آخر من شمالي أفريقيا، أطلق الأمبراطور ديسيوس Decius (٢٥٠ – ٢٥١) العنان لاضطهاد فظيع مات خلاله آلاف المسيحيين مفضلين الموت على أن يقدموا ذبيحة لاسم الأمبراطور. ولما كان الأسقف تواقا الى تقوية معنويات شعبه وتشجيعهم على قبول الاستشهاد وتفضيله على تشويه إيمانهم المسيحي فقد ذكرهم باحتفال الصليب: "دعونا نأخذ أيضا خوذة الخلاص لحماية رؤوسنا... لكي تتحصن جباهنا بحيث نحافظ على علامة الله".[6] أما الأمناء الذين تحملوا السجن وتعرضوا للموت، فقد مدحهم سيبريان بهذه الكلمات: "إن جباهكم التي تقدست بختم الله ... حفظت نفسها لتتلقى الإكليل الذي سيمنحه لكم الرب".[7]

كذلك فإن ريتشارد هوكر Richard Hooker ، اللاهوتي الانكليكاني الذي عاش في القرن السادس عشر في لندن ، قد امتدح آباء الكنيسة الأولين الذين، بالرغم من هزء الوثنيين بآلام المسيح، "لم يختاروا أي علامة ظاهرة أخرى بل بالأحرى فضلوا علامة الصليب (أي أثناء المعمودية) التي بوساطتها يمكن أن يميز العالم

---

4 *Gregory Dix (ed.) , Apstolic Tradition of St Hippolytuuus, p. xi*

5 *Ibid., pp. 68-69.*

6 Cyprian , *Ad Thibaritanos* IX.

٧ Cyprian, *De Lapsis* 2.

بسهولة ماذا كانوا ".[8] كان يدرك الاعتراضات الصريحةالتي يقدمها المتطهرون Puritans إذ يقولون: "ينبغي ألا يستخدم رسم علامة الصليب ويدع بابوية أخرى لم تكن معروفة لدى كنيسة الله في أيام الرسل"، لأنه لا يجوز أن تضاف الاختراعات البشرية الى الأعراف الإلهية، وكان هناك دوما خطر الوقوع في خطأ استعمال الأشياء وكأنها تعاويذ . فكما دمر حزقيا الحية النحاسية، هكذا يجب التخلي عن رسم علامة الصليب. لكن هوكر ظل ثابتا في موقفه. فالمسيحيون أحرار تجاه "الأمور غير الهامة" التي لم تتعارض مع الكتاب المقدس. بالإضافة الى ذلك إن لعلامة الصليب فائدة إيجابية: إنها "تحثنا...على أن نفتخر بخدمة يسوع المسيح ، وألا ننكس رؤوسنا كأناس يخجلون بها ، مع أنها تسبب لنا الخزي والعار من قبل هذا العالم الحقير".[9]

كان قسطنطين ، أول أمبراطور يعترف بأنه مسيحي ، هو الذي أعطى زخما إضافيا لاستخدام الصليب كرمز. لأنه (حسبما روى يوسيبيوس)، في مساء معركة جسر ميليفان Milvian التي حققت له التفوق في الغرب (٣١٢-٣١٣)، رأى في السماء صليبا من نور الى جانب هذه الكلمات in hoc signo vinces ("بهذه العلامة تغلب"). ومن فوره تبنى الصليب شعارا له وأمر بتزيين رايات جيشه به.

أيا كانت فكرتنا عن قسطنطين وعن تطور "العالم المسيحي" بعد عصر قسطنطين ، فإن الكنيسة حافظت على الأقل على الصليب بأمانة باعتباره رمزها الرئيس . ما زالت علامة الصليب ، لدى بعض الكنائس ، ترسم على المتقدم إلى المعمودية ، كما أن أقرباء المسيحي ، الذي لا يرمد بعد موته بل بالحري يدفن، يريدون على الأرجح أن ينصبوا صليبا فوق قبره . ويمكننا القول إن الكنيسة ، منذ الولادة المسيحية حتى الموت المسيحي ، تسعى الى أن تميزنا بصليب وتحمينا بصليب أيضا.

ويغدو اختيار المسيحيين للصليب شعارا لإيمانهم أكثر مثارا للدهشة اذا تذكرنا نظرة الرعب التي كان ينظر بها الى الصليب في العالم القديم . ونستطيع أن نفهم لماذا كانت رسالة الصليب التي نادى بها بولس في نظر كثيرين من سامعيه "حماقة" بل "جنونا " (١كو ١:١٨، ٢٣) . فكيف يستطيع انسان عاقل أن يعبد انسانا ميتا ،

٨ Richard Hooker, *Ecclesiastical Polity,* Book V , Ch. lxv. 20, 'Of the Cross in Baptism'.

9 *Ibid.,* Book V, Ch. lxv.6.

كان قد أدين بعدل كمجرم ونفذ فيه أكثر أشكال الإعدام خزيا ، حاسبا أنه إله ؟ هذا الجمع بين الموت والجريمة والخزي يضعه وراء نطاق الاحترام ، بله العبادة.١٠

يبدو أن "البرابرة" الذين عاشوا على طرف العالم المعروف هم الذين اخترعوا الصلب ، وأخذه عنهم اليونان والرومان . إنه على الأرجح الطريقة الأكثر وحشية على الاطلاق ، من بين طرق الإعدام التي مارسها البشر، لأنه كان يتعمد تأخير موت المحكوم حتى يقاسي أشد أنواع العذاب . كان يمكن أن يتألم الضحية عدة أيام قبل أن يموت ، ولما تبناه الرومان احتفظوا به للمجرمين الذين أدينوا بارتكاب جريمة القتل ، أوالعصيان أوالسطو المسلح شريطة أن يكونوا أيضا من العبيد أو الغرباء أو النكرات الآخرين . لذلك استشاط اليهود غضبا عندما صلب اللواء فاروس Varus ٢٠٠٠ من مواطنيهم عام ٤ ق.م. وعندما أقدم اللواء تيطس Titus إبان حصاره لأورشليم ، على صلب عدد هائل من الهاربين من المدينة ، حتى لم يعد هناك "مكان للصلبان ولا صلبان للأجساد ".١١

كان المواطنون الرومان يستثنون من الصلب ، الا في حالات الخيانة العظمى . لقد أدان سيسرو الصلب في إحدى خطبه إذ حسبه *crudelissimum taeterrimumque supplicium* "العقاب الأشد وحشية وإثارة للاشمئزاز".١٢ وصرح بعد ذلك بقليل: "إن تقييد مواطن روماني جريمة ، وجلده بالسياط شيء بغيض ، وقتله يكاد يكون جريمة قتل ، أما صلبه...فبماذا يوصف ؟ ربما لا توجد كلمة ملائمة يمكن أن تصف فعلة رهيبة كهذه".١٣ بل إن سيسرو كان أكثر صراحة في دفاعه الناجح عن السناتور المسن غايس رابيريوس Gauis Rabirius الذي كان قد اتهم بالقتل: "إن كلمة ' صليب ' يجب أن تؤخذ بعيدا ، ليس فقط عن شخص المواطن الروماني ، بل عن أفكاره ، وعينيه وأذنيه . إن حدوث هذه الأشياء (إجراءات الصلب) ، أوتحملها أوالتعرض لها أو توقعها ، ليس فقط غير لائق به كمواطن روماني ورجل حر، بل بالحقيقة ان مجرد ذكرها غير لائق به".١٤

---

[10] See especially pp. 1-10 of *crucifixion* by Martin Hengel, whose original title was *Mors turpissima crucis,* 'the utterly vile death of the cross' , an expression first used by Origen.

[11] See the accounts given by Josephus in *Antiquities* xvii.10. 10 and *Jewish War* V.xi.1.

[12] Cicero, *Against Verres* II.v.64, para. 165.

[13] *Ibid.*, II.v.66, para. 170.

[14] Cicero, *In Defence of Rabirius* V.16, p. 467.

اذا كان الرومان قد نظروا الى الصلب [الشنق] برعب، فكذلك نظر اليه اليهود، مع أن ذلك كان لسبب آخر. إنهم لم يفرقوا بين "خشبة" و "صليب"، و بالتالي بين التعليق والصلب. لذلك أطلقوا على المجرمين المصلوبين ، وبصورة آلية قول الناموس"المعلق ملعون من الله" (تث٢١:٢٣) . فلم يستطيعوا أن يجبروا أنفسهم على تصديق أن مسيح الله سيموت تحت لعنته معلقا على خشبة. وهذا ما عبر عنه تريفوTrypho اليهودي في حواره مع جوستين المدافع المسيحي عن قضية الصليب: " إنني شكوكي الى أقصى حد بشأن هذه النقطة ".[١٥]

وهكذا فإن الأعداء الأولين للمسيحية ، سواء أكانت خلفيتهم يهودية أم رومانية، أم كلتيهما، لم يدعوا فرصة تفوتهم الا وهزأوا من الادعاء بأن مسيح الله ومخلص الانسان أنهى حياته على الصليب. لقد كانت فكرة حمقاء. وهذا موضح جدا في رسم جداري من القرن الثاني اكتشف على تلة بالاتين Palatin Hill في روما، على جدار بيت قدر بعض العلماء أنه كان يستخدم مدرسة لغلمان الفرسان الأمبراطوريين. إنه أول رسم للصلب أمكن العثور عليه، وهو رسم كاريكاتوري غير متقن، يصور رجلا برأس حمار معلقا على صليب. والى اليسار رجل واقف يرفع ذراعه تعبدا وفي أسفل الصورة كتبت بخط رديء وبحجوم متباينة ثلاث كلمات ALEXAMENOS CEBETE (*sc. sebete*) THEON "الكسامينوس يعبد الله". وتوجد هذه الصورة الكاريكاتورية الآن في متحف كيرتشيريان Kircherian في روما. مهما كان أصل الاتهام بعبادة حمار(التي نسبت الى اليهود والمسيحيين) فقد تعرض مفهوم عبادة انسان مصلوب للاستهزاء.

ويكتشف المرء نغمة السخرية نفسها لدى الشاعر الوثني الساخر لوسيان الساموساتي Lucian of Samosata ، الذي عاش في القرن الثاني. ففي كتابه *موت بريغرينوس* *The Passing of Peregrinus*(مسيحي مهتد خيالي يصوره كدجال) يهجوالمسحيين بوصفهم "يعبدون ذلك السفسطائي المغالط المصلوب عينه ويعيشون خاضعين لقوانينه" (ص١٥).

وجهة نظر يسوع

---

[15] Justin Martyr, *Dialogue with Trypho a Jew*, Ch. lxxxix.

اتخذ المسيحيون من الصليب شعارا لهم ، ورفضوا بعناد ، رغم السخرية ، أن ينبذوا الصليب مفضلين أمرا أقل إهانة ، وليس لهذه الحقيقة سوى تفسير واحد . إنها تعني أن مركزية الصليب نشأت في ذهن يسوع نفسه. وبدافع من ولائهم للمسيح تمسك أتباعه بصلابة بهذه العلامة . اذا ما الدليل على أن الصليب احتل مقام المركز من وجهة نظر يسوع ؟

ثمة إطلالة وحيدة ، ننفذ بها الى الذهن النامي الذي كان يملكه الصبي يسوع ، زودتنا بها القصة التي حدثت عندما كان عمره ١٢ سنة ، حيث أُخِذَ الى أورشليم بمناسبة عيد الفصح ثم ترك هناك بطريق الخطأ. وعندما وجده أبواه في الهيكل ، "جالسا في وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم" وبخاه. وقالا له إنهما كانا يبحثان عنه معذبين ، فأجابهما بدهشة بريئة: " لماذا كنتما تبحثان عني؟ ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون في بيت أبي؟ "(لو٢: ٤١-٥٠). يروي لوقا القصة لنا مقتصدا في التفاصيل وبذلك يشوقنا لكنه لا يروينا . لذلك ينبغي الا نُحمِّل الرواية من المعاني أكثر مما تسمح لنا به. الا أننا نستطيع أن نؤكد هذا القدر وهو أن يسوع ، ومنذ سن الثانية عشرة ، كان يتحدث عن الله بوصفه "أبي" وكان يشعر أيضا بدافع داخلي لا يقاوم يدفعه الى أن يشغل نفسه بشؤون أبيه. وكان يعرف أن لديه إرسالية. لقد أرسله أبوه الى العالم بقصد معين . فينبغي عليه أن ينفذ هذه الإرسالية وينبغي عليه أن يتمم هذا القصد. هذا القصد وتلك المهمة يبرزان تدريجا في رواية الأناجيل.

يلمح البشيرون الى أن معمودية يسوع وتجربته كلتيهما كانتا مناسبتين التزم خلالهما بألا يسير في طريق الشيطان بل بالأحرى في طريق الله ، وبألا يسير في طريق الشعبية والتصفيق بل بالأحرى في طريق الألم والموت . علاوة على ذلك يُبْرِزُ مرقس (ويتبعه في هذا متى ولوقا) حدثا لاحقا حينما بدأ يسوع يعلم هذا بوضوح . كان هذا الحدث الخط الفاصل في خدمته العامة . فبعد أن انسحب مع رسله الى المنطقة الشمالية المحيطة بقيصرية فيلبي في التلال الواقعة عند سفح جبل حرمون ، سألهم مباشرة من كانوا يظنون أنه هو. ولما قال بطرس من غير تفكير إنه مسيح الله [مَسيّا الله] ، ما كان من يسوع الا أن "انتهرهم لكي لا يقولوا لأحد عنه" (مر٨: ٢٩-٣٠). وجاء هذا الأمر منسجما مع تعليماته السابقة بشأن الاحتفاظ بما يسمى "السر المسياني". بالإضافة الى ذلك حدث الآن أمر جديد:

فإن يسوع ابتدأ يعلمهم أن ابن الانسان ينبغي أن يتألم كثيرا ويرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل . وبعد ثلاثة أيام يقوم. وقال القول علانية (مرقس٨:٣١-٣٢) .

إن كلمة "علانية" ترجمة لكلمة *باريسيا* وتعني "التكلم بحرية". فلن يكون هناك سر حول هذا. كانت حقيقة مسيانيته Messiahship سرا، لأن طبيعتها فهمت على نحو خاطيء. كان الشعب يتوقع أن يكون المسيا قائدا سياسيا ثوريا. ويخبرنا يوحنا أنه عندما وصلت شعبية يسوع في الجليل الى ذروتها بعد إشباع الخمسة آلاف "عزم أفراد الجمهور أن يأتوا ويختطفوه ويجعلوه ملكا" [أي ينصبوه بالقوة] (يو٦:١٥). أما وقد تعرف الرسل بهويته بوضوح واعترفوا به، فقد أمكنه أن يفسر طبيعة مسيانيته ويفعل ذلك علنا. لقد وبخه بطرس مرتعبا من المصير الذي تنبأ به لنفسه. لكن يسوع وبخ بطرس بلهجة قاسية . إن الرسول الذي اعترف بمسيانية يسوع الإلهية بموجب إعلان إلهي كان قد تلقاه من الآب (متى١٦:١٧) ، هو نفسه الذي خدعه الشيطان وجعله ينكر ضرورة الصليب. وقال له يسوع بعنف لا بد أن يكون أدهش سامعيه: "اغرب عن وجهي يا شيطان ! إنك لا تفكر بأمور الله بل بأمور الناس".[١٦]

يشار الى هذه الحادثة عادة على أنها أول " نبوءة عن آلام المسيح". وقد سبقتها تلميحات عابرة (مثلا، مرقس ٢: ١٩-٢٠) ؛ ولكن الحديث هنا كان خاليا من أي غموض. أما النبوءة الثانية فقد قيلت بعد فترة وجيزة ، بينما كان يسوع يجتاز الجليل متخفيا. قال للاثني عشر:

"إن ابن الانسان يسلم الى أيدي الناس. فيقتلونه، وبعد ثلاثة أيام يقوم"(مر ٩:٣١)

يقول مرقس أن التلاميذ لم يفهموا معنى كلامه، وخافوا أن يسألوه . ويضيف متى "فحزنوا جدا" (مرقس٩:٣٠-٣٢؛ قارن متى١٧:٢٢-٢٣). حدث هذا على الأرجح ، حسبما روى لوقا، حينما " ثبَّت (يسوع) وجهه لينطلق الى أورشليم"(٩: ٥١). كان مصمما على إتمام ما سبق أن كتب عنه.

---

[١٦] مر ٣١:٨ وما بعدها ؛ قارن مت ٢١:١٦و ما بعدها ؛ لو ٩: ٢٢ و ما بعدها .

" تنبأ يسوع" للمرة الثالثة "عن آلامه" عندما كانوا يتقدمون نحو المدينة المقدسة. ويقدم لنا مرقس النبوة مع وصف نابض بالحياة للرعب الذي ولده قرار الرب في قلوبهم .

وكانوا صاعدين في الطريق الى أورشليم ويسوع يتقدمهم . وكان التلاميذ يتحيرون ، وفيما هم يتبعون كانوا يخافون . فأخذ الاثني عشر أيضا وابتدأ يقول لهم عما سيحدث له . "ها نحن صاعدون الى أورشليم وابن الانسان يسلم الى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت ، ويسلمونه الى الأمم، فيهزأون به ويجلدونه ويتفلون عليه، ويقتلونه. وفي اليوم الثالث يقوم".

ويضيف لوقا تعليقه قائلا أنه "سيتم كل ما هو مكتوب بالأنبياء عن ابن الانسان".[١٧]

هذه الإعادة الثلاثية للتنبؤ عن آلام المسيح تضفي مسحة من الرزانة على رواية مرقس. وبهذه الطريقة يتعمد أن يُحَضِّرَ قراءه ، مثلما تعمد يسوع أن يحضر الاثني عشر، للاحداث المخيفة التي ستقع لامحالة. فاذا وضعنا التنبؤات الثلاثة معا نجد أن التأكيد الأكثر تأثيرا ليس على تسليم يسوع ، مرفوضا ومدانا من قبل شعبه وقادتهم ، ولاعلى تسليمهم إياه الى الأمم الذين سيهزأون به أولا ثم يقتلونه ، وليس أيضا على قيامته من الأموات بعد ثلاثة أيام. وليس حتى على وصف يسوع لنفسه كل مرة بأنه "ابن الانسان" (الشخصية السماوية التي رآها دانيال في رؤياه ، آتيا في سحب السماء وقد أعطي سلطانا ومجدا وقوة فائقة، وله تتعبد الأمم)، ولا حتى على قوله الظاهري التناقض بأن ابن الانسان سوف يتألم ويموت ، جامعا بأصالة جريئة بين شخصيتي العهد القديم المسيانيتين، العبد المتألم الذي يتحدث عنه أشعياء ٥٣ و ابن الانسان الملك الذي يتحدث عنه دانيال ٧. إن ما يثير الإعجاب حقا أكثر من كل ما عداه هو التصميم الذي عبر عنه ومثله. فقد قال لهم انه *ينبغي* أن يتألم و يرفض ويموت. و *لا بد* أن يتم جميع ما هو مكتوب عنه. لذلك ثبت وجهه قاصدا أورشليم، و سار في مقدمة التلاميذ. وحالما أبدى بطرس اعتراضه تعرف به يسوع أنه قول شيطاني ولذلك استنكره من فوره .

---

[١٧] مر ١٠ : ٣٢-٣٤ ؛ قارن مت ٢٠: ١٧ -١٩ ؛ لو ١٨: ٣١ - ٣٤

مـع أن هـذه التنبـؤات الثلاثـة تشـكل ثلاثيـة واضحـة، بسـبب بنيتهـا المتشـابهة و كلماتها، فإن الأناجيل تسجل ثماني مناسبات أخرى على الأقل لَّمح يسوع خلالها الى موته. فعقب نزول يسوع من الجبل الذي تجلى فيه ، أنذر تلاميذه بأنـه سـوف يتـألم على أيـدي أعدائـه مثلمـا تـألم يوحنـا المعمـدان.[١٨] وقـال ، ردا علـى طلـب يوحنـا و يعقوب الأناني الذي يثير السخط أن يمنحهما أفضل مركزين فـي الملكـوت ، أنـه لـم يأت لِيُخْدَم بل لِيَخْدُمَ و " ليبـذل نفسـه فديـة عـن كثـيرين".[١٩] أمـا التلميحـات السـتة الأخرى فقد جرت خلال الأسبوع الأخير من حياته بينما كـانت الأزمـة تقـترب. لقد نظر الى موته كتتويج لقرون من الرفض اليهـودي لرسـالة اللـه، وتنبـأ بـأن دينونـة الله سوف تنهي الامتياز اليهودي.[٢٠] ثم أنه يوم الثلاثاء، بينما كان يذكر الفصـح قـال أنه سوف " يُسلَّم ليصلب"؛ وعندما كان ضيفا في منزل في بيت عنيا وصـف سـكب الطيب على رأسه كإعداد له للدفن ؛ وألح في العلية على أن ابن الانسان ماض كمـا هو مكتوب عنه ، وقدم لهم الخبز والخمر كرمزين لجسده ودمه مؤذنا بموته وطالبـا الاحتفال بذكراه . وأخيرا رفض ، في بستان جثسـيماني ، أن يدافـع عنـه البشـر أو الملائكـة ، إذ لـو قبـل بذلـك " فكيـف تكمـل الكتـب التـي تقـول أنـه هكـذا ينبغـي أن يكون ؟ ".[٢١] وهكذا تشهد الأنـاجيل المتوازيـة معـا بـأن يسـوع أدرك بوضـوح موتـه العتيد قبل وقوعه وتنبأ عنه بوضوح بصورة متكررة .

يهمل يوحنا هذه التنبؤات الدقيقة. ومع ذلك يشـهد للحادثـة نفسـها بإشـاراته السـبع الى "ساعة " يسوع (عادة هورا *hora* ولكن مرة واحـدة كـيروس *kairos* "وقـت"). كانت هذه ساعة مصيره ، حيث سيترك هذا العالم و يرجع الى الآب. بالإضافة الى

---

[١٨] مت١٧: ٩-١٣ ؛ مر ٩: ٩ -١٣؛ قارن لو ٩: ٤٤

[١٩] مر ١٠: ٣٥ -٤٥ ؛ مت ٢٠: ٢٠-٢٨

[٢٠] مر ١٢: ١ -١٢ ؛ قارن مت ٢١ : ٣٣ -٤٦ ؛ لو ٢٠ : ٩- ١٩

[٢١] يمكن مراجعة الأقوال الخاصة بالفصح في مت ٢٦:٢؛ والشواهد المتعلقة بالدفن في مر ١٤: ٣-٩ و قارن مت ٢٦: ٦ -١٣ ؛ والويلات التي ستصيب يهوذا في مر ١٤: ١٠ وما بعدها . قارن أيضا مع مت ٢٦: ١٤ و ما بعدها و لو ٢٢:٢٢ ؛ و المقاطع الخاصة بتأسيس العشاء مر ١٤: ٢٢ - ٢٥ و قارن مت ٢٦: ٢٦-٢٩ ، لو ٢٢: ١٤-٢٠ و ١ كو ١١: ٢٣-٢٦ ؛ و المقاطع التي تصف القبض على يسوع مت ٢٦: ٤٧-٥٦ و قارن مر ١٤: ٤٣ -٥٠ ، لو٢٢: ٤٧ -٥٣ و يو ١٨: ١-١١ .

ذاك كانت ساعته تحت سلطان الآب، وهكذا في البداية " لم تأت بعد"، مع أنه في النهاية استطاع أن يقول بثقة " قد أتت الساعة ".

حينما قال يسوع لإمه إذ نفدت الخمر في عرس قانا الجليل " لم تأت ساعتي بعد"، وقال الشيء نفسه لإخوته عندما طلبوا منه أن يذهب الى أورشليم ليعلن نفسه للعالم ، كان المعنى السطحي لقوله واضحا . لكن يوحنا قصد أن يكتشف قراؤه معنى أعمق ، مع أن إخوة يسوع وأمه لم يكتشفوا هذا المعنى.[22] ويستمر يوحنا في مشاركة قرائه بهذا السر، ويستخدمه ليفسر لماذا لم تؤد أقوال يسوع التجديفية في الظاهر الى القبض عليه. يقول يوحنا "فطلبوا أن يمسكوه ، ولكن لم يلق عليه أحد الأيادي، لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد".[23] ولا يوضح يوحنا ما عناه يسوع بهذه العبارة الا بعد أن يصل يسوع الى أورشليم لآخر مرة . عندما طلب بعض اليونانيين أن يروه قال أولا : "قد أتت الساعة ليتمجد ابن الانسان" ، ثم بعد أن تكلم بوضوح عن موته ، مضى الى القول: "الآن نفسي قد اضطربت، وماذا أقول ؟ ' نجني أيها الآب من هذه الساعة ' ؟ كلا ، فلأجل هذا السبب عينه أتيت الى هذه الساعة. أيها الآب مجد اسمك ! ".[24] ثم أشار في العلية إشارتين أخيرتين إلى أنه قد حان الوقت ليغادر هذا العالم و يتمجد.[25]

مهما كان عدم اليقين الذي قد نشعر به تجاه التلميحات الباكرة الى "ساعته" أو "وقته"، فلا يمكننا أن نشك في التلميحات الثلاثة الأخيرة . لأن يسوع دعا "ساعته" بصورة محددة وقت " تمجيده"، الذي (كما سنرى فيما بعد) بدأ بموته، وأضاف أنه لم يستطع أن يطلب التخلص منها لأنه لهذا السبب قد جاء الى العالم. بالحقيقة ، إن التناقض الظاهري الذي سجله يوحنا يكاد يصعب أن يكون عرضيا ، أي أن تكون الساعة التي من أجلها جاء الى هذا العالم هي الساعة التي سيغادره فيها. غير ان مرقس يجعل الأمور أكثر وضوحا حين يسوي بين "ساعته" و "كأسه".[26]

فما الذي يحق لنا أن نقوله، استنادا الى هذه الحجة المستمدة من كتاب الأناجيل، عن نظرة يسوع الى موته ؟ مما لا ريب فيه أن يسوع عرف أن موته واقع بالتأكيد

---

[22] يو ٢: ٤ ؛ ٧: ٨

[23] يو ٧: ٢٥ ومابعدها وعلى الخصوص الآية ٣٠ ، و ٨: ١٢ وما بعدها وعلى الخصوص الآية ٢٠

[24] يو ١٢: ٢٠-٢٨ [25] يو ١٣: ١ ؛ ١٧: ١

[26] يو ١٢: ٢٧ ؛ ١٣: ١ ؛ مر ١٤: ٣٥، ٤١ قارن مت ٢٦: ١٨

ـ لا بمعنى الموت الذي نعلم جميعا أننا سنموته ذات يوم، ولكن بمعنى انه سيلاقي موتا عنيفا قبل الأوان، ولكنه موت هادف. علاوة عن ذلك يقدم ثلاثة أسباب منضفرة لحتمية هذا الموت.

أولا، عرف يسوع أنه سيموت بسبب عداوة القادة الوطنيين اليهود. ويبدو أن هذه العداوة نشبت في زمن مبكر من خدمته العامة . لقد أثار سَخَطَهم الشديد ، موقِفهُ مِن الناموس بعامة، ومن السبت بخاصة . ويخبرنا مرقس عما حدث، عندما أصر يسوع على شفاء رجل ذي يد يابسة في المجمع في يوم سبت، " فخرج الفريسيون للوقت مع الهيرودسيين و تشاوروا عليه [بدأوا يتآمرون] لكي يهلكوه" (مر٣ : ٦). ولا بد أن يكون يسوع قد أدرك ذلك. كما كان عارفا بسجل الاضطهاد الذي عاناه الأنبياء الأمناء.[٢٧] ومع أنه كان يعرف انه أكثر من نبي ، فقد عرف أيضا أنه ليس أقل من نبي ، ولهذا كان بوسعه أن يتوقع أن يلقى معاملة مماثلة. كان يمثل تهديدا لمكانة القادة وتحيزاتهم. يروي لوقا أنه، بعد أن قرأ يسوع أشعياء ٦١ و فسره في مجمع الناصرة تفسيرا، بدا منه أنه يُعَلِّمُ عن تفضيل إلهي للأمم، "امتلأ غضبا جميع الذين في المجمع ....فقاموا وأخرجوه خارج المدينة وجاؤا به الى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليه حتى يطرحوه الى أسفل".ويضيف لوقا: "أما هو فجاز في وسطهم و مضى". (٤:١٦-٣٠) . لكنها كانت نجاة بشق النفس. لقد عرف يسوع أنهم سيقبضون عليه عاجلا أم آجلا .

ثانيا، عرف أنه سيموت لأن هذا ما كتب عن المسيّا في جميع الكتب "إن ابن الانسان ماض كما هو مكتوب عنه" (مر ١٤:٢١). بالحقيقة عندما كان يسوع يشير الى الشهادة النبوية في العهد القديم كثيرا ما كان يقرن موت المسيا بقيامته ، وآلام المسيا بمجده . إذ أن الأسفار المقدسة علمت عنهما كليهما. وظل الرب يصر على ذلك بعد قيامته . قال يسوع للتلميذين على طريق عمواس: " أما كان ينبغي على المسيح أن يتألم هذه الآلام ثم يدخل الى مجده ؟' وابتدأ من موسى و من جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب" (لوقا ٢٤:٢٥-٢٧، قارن الآيات ٤٤-٤٧).

---

[٢٧] يوسع يواكيم جرماياس Joachim Jeremias هذه الحجة ويشرحها في كتابه *Central Message* . انظر على الخصوص ص ٤١

كم يتمنى المرء لو حضر هذا التفسير حول عبارة "المسيح في جميع الكتب". إذ أن العدد الفعلي لاقتباساته من العهد القديم التي يمكن تمييز علاقتها بالصليب والقيامة، ليس كبيرا. لقد تنبأ عن ارتداد التلاميذ باقتباس من زكريا يفيد أنه عندما يضرب الراعي ستتبدد الخراف.[٢٨] وختم مثله عن الوزنات بإشارة جلية الى الحجر الذي رفضه البناؤون ، لكنه مع ذلك أصبح فيما بعد حجر الغلق capstone أو حجر الزاوية.[٢٩]

وفيما هو معلق على الصليب نطق بما سمي "الكلمات السبع" التي كانت ثلاث منها اقتباسات مباشرة من الكتاب المقدس. فاقتبس من مزمور ٢٢:١ قوله: "إلهي إلهي لماذا تركتني ؟ "، ومن مزمور ٦٩:٢١ " أنا عطشان"، ومن مزمور ٣١:٥ "يا أبتاه في يديك استودع روحي". هذه المزامير الثلاثة جميعها تصف الكرب العميق لضحية بريء يتألم جسديا وفكريا على أيدي أعدائه، ولكنه في الوقت نفسه يحتفظ بثقته بإلهه. مع أن هذه المزامير كتبت بالطبع لتعبرعن كرب كاتب المزمور نفسه، غير أن يسوع ، على ما يبدو، قد توصل الى أن يرى في ذاته وفي آلامه الإتمام النهائي لها.

إلا أنه يبدو أن يسوع قد استمد من أشعياء ٥٣ أوضح نبوة تتعلق ، ليس بآلامه فحسب، بل بمجده الذي سيتبعها أيضا. ففي هذا الاصحاح يُقَدَّمُ لنا عبد الرب أولا على أنه "محتقر ومخذول من الناس ورجل أوجاع ومختبر الحزن" (الآية ٣)، الذي وضع الرب عليه خطايانا بحيث "طعن من أجل معاصينا" و "سحق لأجل تعدياتنا" (الآيتان ٥ و ٦)، ثم في خاتمة الاصحاح ٥٢ والاصحاح ٥٣ "أقيم ورفع وعُلِّيَ مقامه جدا" (٥٢: ١٣ حسب NIV). و"مع العظماء يقسم غنيمة " (٥٣: ١٢)، نتيجة لذلك سوف "ينضح [يرش] أمما كثيرين" (٥٢:١٥) و "يبرر كثيرين" (٥٣:١١). إن الاقتباس الصريح الوحيد الذي نطقت به شفتاه ، حسب رواية لوقا، مأخوذ من الآية ١٢ و"أحصي مع أثمة" . إذ قال: "انه ينبغي أن يتم في هذا المكتوب" (لو٢٢: ٣٧). إلا أنه عندما صرح بأنه "ينبغي أن يتألم كثيرا " و "أنه لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبذل حياته فدية عن كثيرين" (مر٨:٣١، ١٠:٤٥) ومع أن هذه الأقوال لم تكن

---

[٢٨] زك١٣: ٧ ؛ مت٢٦: ٣١ ؛ مر١٤: ٢٧

[٢٩] مز١١٨: ٢٢ ؛ مت٢١ : ٤٢ ؛ مر١٢: ١٠-١١ ؛ لو٢٠: ١٧ قارن أع ٤: ١١ ؛ ١بط ٢: ٧

اقتباسات صريحة من أشعياء ٥٣، فأن جمعها بين الألم والخدمة والموت لأجل خلاص الآخرين، يشير مباشرة باتجاه ذلك الاصحاح. علاوة على ذلك يلمح جميع كتبة العهد الجديد الرئيسون - بولس وبطرس ومتى ولوقا ويوحنا - إلى ثماني آيات على الأقل من أصل آيات هذا الاصحاح الاثنتي عشرة . فماذا كان منشأ تطبيقهم الواثق المفصل لإشعياء ٥٣ على يسوع ؟ لا بد أنهم اقتبسوه من كلمات شفتيه . فقد تعلم من هذا الاصحاح، أكثر مما تعلم من أي اصحاح آخر، أن المسيا كان مدعوا ليتألم ويموت لأجل خطية البشر، وبذلك يتمجد .

إلا أن معارضة السلطات ونبوات الكتاب المقدس بحد ذاتها لا تفسر حتمية موت يسوع. فالسبب الثالث والأهم الذي يفسر لماذا عرف بأنه سيموت هو اختياره المتعمد. كان مصمما على أن يتمم ما كتب عن المسيا مهما كان الألم الذي سينطوي عليه ذلك. لم يكن هذا إيمانا منه بالقضاء والقدر أو بسبب عقدة الشهيد. وإنما لمجرد أنه آمن بأن العهد القديم كان إعلانا من أبيه السماوي وأنه عزم كل العزم أن يفعل إرادة أبيه ويتمم عمله . بالإضافة الى ذلك، سوف لا تكون آلامه و موته دون هدف . فقد جاء " ليطلب ويخلص ما قد هلك" (لو١٩:١٠). كان سيموت لأجل خلاص الخطاة ، ويبذل حياته فدية عنهم ليعتقهم (مر١٠:٤٥). لهذا ثبت وجهه سائرا نحو أورشليم. فلن يثنيه أو يحرفه شيء. ومن هنا جاء تكراره لكلمة " " *ينبغي*" عندما كان يتحدث عن موته. *ينبغي* أن يتألم ابن الانسان كثيرا ويرفض. *ينبغي* أن يتمم كل ما هو مكتوب عنه . لقد رفض أن يستنجد بالملائكة لإنقاذه ، ففي هذه الحال ما كانت ستكمل الكتب التي قال أنها *ينبغي* أن تكمل بهذه الكيفية. ألم يكن من *الضروري* أن يتألم المسيح قبل أن يدخل الى مجده ؟ [٣٠] كان يشعر بالاضطرار، بل بدافع ملزم: " لي معمودية ينبغي أن أتحملها، وكم أنا في كرب[حرفيا: محصور] حتى تكمل! " (لو١٢:٥٠).

هكذا اذا ، مع أنه عرف أنه ينبغي أن يموت، فإن موته سيحدث، ليس لكونه ضحية لا حول له بسبب قوى الشر المحتشدة ضده او بسبب مصير محتم كتب عليه ، وإنما لكونه قد تبنى، بمحض حريته، غرض أبيه الذي هو تخليص الخطاة، كما أعلن في الكتاب المقدس. هذه كانت نظرة يسوع الى موته. فبالرغم من الأهمية

[٣٠] مر ٨: ٣١ ؛ لو٢٤ : ٤٤ ؛ مت٢٦: ٥٤ ؛ لو٢٤: ٢٦

العظمى لتعليمه ومثاله ، وأعماله الرحيمة وقوته ، لم يكن أي منها مركزيا في رسالته. لم تسيطر الحياة على ذهنه بل بذل الحياة . كان بذل حياته في النهاية هو "الساعة" التي جاء من أجلها الى العالم. يبين البشيرون الأربعة، الذين يشهدون له في الأناجيل ، أنهم فهموا هذا الأمر، بتخصيصهم ، لما حدث في أيامه الأخيرة ، أي موته وقيامته ، حيزا لا يتناسب مع قلة عددها. فقصة موته و قيامته تشغل ما بين ثلث و ربع الأناجيل المتوازية. أما انجيل يوحنا فقد وصف بحق أنه يتكون من جزئين، " كتاب الآيات" و " كتاب الآلام"، لأن يوحنا خصص لهما وقتين متساويين تقريبا.

تأكيد الرسل

كثيرا ما يُجْزَمُ بأن الرسل لم يؤكدوا ، حسب ما ورد في أعمال الرسل، على موت يسوع ، بل بالأحرى على قيامته ، وأنهم لم يقدموا بحال من الأحوال أي تفسير عقائدي لموته . لكن جميع الدلائل لا تدعم هاتين الحجتين . لا أريد بالطبع الادعاء بأن عظات الرسل تتضمن تعليما كاملا عن الكفارة مثلما يوجد لاحقا في رسائلهم . فإحساس لوقا التاريخي مكنه من أن يسجل ما قالوه في ذلك الوقت ، وليس ما كان يمكن أن يقولوه لو وعظوا بعد ذلك بعدة سنوات. مع ذلك فإن بذور التعليم الموسع موجودة . ينسج لوقا قصته حول الرسولين بطرس وبولس، ويزودنا بخمسة نماذج عن العظات التبشيرية لكل منهما، يوردها بصورة تتراوح بين الإيجاز والإيجاز الشديد. فلدينا عظة بطرس في يوم الخمسين وفي أروقة الهيكل، وخلاصات موجزة لما قاله إبان محاكمتيه أمام السنهدرين* ورواية مفصلة الى حد ما لرسالته التي وجهها الى قائد المئة الأممي وأهل بيته.[31] ثم عندما يروي لوقا المآثر التي تميزت بها إرسالية بطله بولس ، يغاير بين خطابه الى اليهود في مجمع أنطاكية بيسيدية وخطابه الموجه الى الوثنيين في الهواء الطلق في ليسترة ، ويغاير بين خطابين آخرين في رحلته الإرسالية الثانية ، أي خطابه الى اليهود التسالونيكيين وخطابه

---

* السنهدرين Sanhadrin كلمة عبرية وآرامية تشير إلى مجلس أورشليم الذي كان يتكون من أعلى سلطة يهودية في فلسطين قبل ٧٠ م. أما كلمة سنهدريم فهي نتيجة افتراض خاطيء بأنها كانت اسما بصيغة جمع المذكر السالم بالعبرية.(موسوعة زوندرفان Zondervan ، مجلد٥ ص ٢١٥) . (المترجم)

[31] أع٢: ١٤-٣٩ ؛ ٣: ١٢-٢٦ ؛ ٤: ٨ -١٢ ؛ ٥: ٢٩-٣٢ و ١٠: ٣٤-٤٣

الى الفلاسفة الأثينيين، ويلخص تعليمه الذي قدمه الى القادة اليهود في روما.[٣٢] والاقتراب مختلف في كل عظة. ففي خطاب بولس الى اليهود تكلم عن إله العهد، إله ابراهيم واسحق ويعقوب، أما في خطابه الى الأمم فتحدث عن إله الخلق الذي صنع السموات والأرض والبحر وكل ما فيها. مع ذلك كان هناك جزء مركزي في إعلان كلا الرسولين يمكن أن نعيد صياغته كما يلي:

" كان يسوع انسانا مفوضا من قبل الله بعجائب، وممسوحا بالروح القدس ليفعل خيرا ويشفي. رغم هذا صلب بوساطة أناس أشرار، مع أن ذلك تم أيضا وفق قصد الله بحسب ما ورد في الكتب، أي أن المسيا ينبغي أن يتألم. ثم نقض الله الحكم البشري الصادر بحق يسوع فأقامه من الأموات، وذلك أيضا بحسب الكتب، وبحسب ما يؤكده الرسل شهود العيان. ثم رَفَّعَهُ الله الى أعظم مقام باعتباره ربا ومخلصا. وله الآن مطلق السلطان، أن يخلص الذين يتوبون، و يؤمنون و يعتمدون باسمه، مانحا لهم غفران الخطايا وعطية الروح القدس، وأن يدين الذين يرفضونه".

من لب الانجيل هذا تبرز عدة نقاط هامة :

أولا، لقد نسب الرسل موت يسوع الى الشر البشري، لكنهم مع ذلك اعلنوا أيضا أنه تم بموجب قصد إلهي.[٣٣] فضلا عن ذلك، ما عرفه الله مسبقا، أنبأ به. لذلك أكد الرسل تكرارا بأن موت يسوع وقيامته حدثا "بحسب الكتب" وأكد بولس هذا لاحقا في ملخصه للانجيل: "إن المسيح مات لأجل خطايانا حسب الكتب...وأنه قام أيضا في اليوم الثالث حسب الكتب..." (١كو١٥:٣-٤) لا تسجل الاقتباسات الكتابية الفعلية إلا أحيانا. ولا بد أن تكون الاقتباسات التي استخدمت دون أن تسجل أكثر من ذلك بكثير، كما حدث في مجمع تسالونيكي حيث مضى بولس "يحاجهم من الكتب موضحا ومبينا أنه كان ينبغي ان يتألم المسيح ويقوم من الأموات" (أع ١٧ : ٢-٣) . يبدو من المرجح أن المقصود بعبارة من الكتب كان — أو تضمن على الأقل — اقتباسات من الكتب استخدمها يسوع ، وبالتالي ما عبرت عنه من تعليم .

---

[٣٢] أع ١٣: ١٦-٤١ ؛ ١٤: ١٥-١٧ ؛ ١٧: ٢-٣ و ٢٢-٣١ ؛ ٢٨: ٢٣-٣١

[٣٣] مثلا ، أع ٢: ٢٣ ؛ ٣: ١٨ ؛ ٤: ٢٨

ثانيا ، مع أنه لا يوجد تعليم مفصل عن الكفارة ، فإن الوعظ الرسولي عن الصليب لم يكن غير عقائدي. فهم لم يعلنوا أن المسيح مات حسب الكتب، وبالتالي حسب قصد الله الخلاصي فحسب ، بل دعوا الصليب الذي مات عليه "خشبة ".*
وقد حرص لوقا على تسجيل هذه الحقيقة عن الرسولين القياديين بولس وبطرس كليهما. استعمل بطرس التعبير مرتين قائلا عن الشعب أنهم " قتلوه معلقين إياه على خشبة "، وذلك عندما خاطب السنهدرين وعندما خاطب كرنيليوس الأممي . وفعل بولس الشيء نفسه ، حين قال للحاضرين في مجمع أنطاكية بيسيدية ، أن الساكنين في أورشليم ورؤساءهم " لما تمموا كل ما كتب عنه أنزلوه عن الخشبة ".[٣٤]

لم يكن الرسولان، في الواقع، مضطرين أبدا لاستعمال هذه اللغة. إذ أن بطرس تكلم أيضا عن "صلب" يسوع ، وتكلم بولس عن "إعدامه" و " قتله".[٣٥] فلماذا أشارا الى " الخشبة " والى أنه "علق" عليها ؟ إن التفسير المحتمل الوحيد وارد في تثنية ٢١: ٢٢-٢٣ حيث أعطيت تعليمات بشأن جثة الرجل الذي كان قد أعدم شنقا بسبب جرم عقوبته الموت ، فيجب أن تدفن الجثة قبل حلول الليل " لأن المعلق ملعون من الله" . كان الرسولان عارفين تماما بهذا التشريع ، وعارفين بمضمونه وهو أن يسوع مات تحت لعنة إلهية . لكنهما ، عوضا عن أن يطمسا هذا الأمر لفتا ، متعمدين ، انتباه الناس إليه . اذا من الجلي أنهما لم يكونا منزعجين منه. ولم يفكرا مطلقا أن يسوع يستحق، بأي تقدير، أن يكون ملعونا من الله. فلابد أنهما بدأا على الأقل يفهمان أن يسوع حمل لعنتنا نحن . من المؤكد أن الرسولين كليهما بينا هذا بوضوح في رسائلهما فيما بعد . كتب بولس في رسالته الى غلاطية بعد وقت قصير على الأرجح من زيارته الى أنطاكية بيسيدية "إن المسيح افتدانا من لعنة الناموس أذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب: ' ملعون كل من علق على خشبة ' " (غل٣: ١٣). وكتب بطرس: " الذي حمل هونفسه خطايانا في جسده على الخشبة " (١بط ٢: ٢٤). فاذا كان بطرس وبولس قد نظرا بوضوح الى صليب المسيح على أساس حمل الخطية وحمل اللعنة، واذا كانا كلاهما قد ربطا هذه الحقيقة مع الآيات الخاصة بالتعليق على خشبة الواردة في سفر التثنية، أليس من المعقول الافتراض أن خطبهما، الواردة في أعمال الرسل ، والتي دعيا فيها الصليب خشبة، تدل على

---

* يقابلها " شجرة "في النصين اليوناني والعبري .(المترجم)

[٣٤] أع ٥: ٣٠ ؛ ١٠: ٣٩ ؛ ١٣: ٢٩

[٣٥] أع ٢: ٢٣ ، ٣٦ ؛ :: ١٠ ؛ ١٧: ٣ و ١٣: ٢٨

أنهما لمحا هذه الحقيقة ؟ في هذه الحال يمكن القول أنه كان في العظات الباكرة للرسولين في كثير من الأحيان تعليم عقائدي عن الصليب يزيد عما ينسب اليهما عادة .

ثالثا، يلزمنا أن نتأمل كيف عرض الرسل موضوع القيامة . فمع أنهم أكدوه ، نكون مبالغين لو دعونا رسالتهم ، إنجيل القيامة على وجه الحصر. بحكم طبيعة القضية لا تقف القيامة بمفردها. فنظرا الى أنها قيامة من الموت فدلالتها تُحَدَّدُ بطبيعة هذا الموت . في الواقع أن سبب التشديد على القيامة يمكن أن يكون بالأحرى التشديد على أمر يتعلق بالموت أبطلته القيامة وقهرته. ومن الثابت أن هذه هي الحقيقة. كانت رسالتهم في شكلها الأكثر اختصارا: "أنتم قتلتموه والله أقامه ونحن شهود لذلك".[٣٦] بعبارة أخرى كانت القيامة النقض الإلهي للحكم الذي أصدره البشر. لكن القيامة كانت أكثر من ذلك . فبالقيامة "مَجَّدَ " اللّهُ يسوعَ الذي كان قد مات و "رفّعه".[٣٧] فأعطاه أسمى مقام عن يمينه إتماما للمزمور ١:١١٠ وبموجب إنجاز موته، جعل الله يسوع المصلوب والمقام "ربا ومسيحا". وكذلك "رئيسا ومخلصا" و له سلطان أن يخلص الخطاة بمنحهم التوبة والغفران وعطية الروح القدس.[٣٨] علاوة على ذلك يقال عن هذا الخلاص الشامل بصورة محددة أنه يعود الى "اسمه" القوي (مجمل شخصه وموته وقيامته) الذي يجب أن يؤمن به الناس ويعتمدوا له، نظرا الى أنه " ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس" به ينبغي أن يخلصوا.[٣٩]

وعندما ننتقل من عظات الرسل الباكرة المدونة في أعمال الرسل الى الأقوال الأكثر نضجا التي نطقت بها الرسائل ، تغدو المكانة البارزة التي يعطونها للصليب أكثر وضوحا. حقا إن بعض الرسائل الأكثر قصرا لا تذكره (كرسالة بولس الى فيلمون، ورسالة يهوذا، ورسالتي يوحنا الثانية والثالثة)، ولن يدهشنا البتة عندما نلاحظ أن رسالة يعقوب ، التي هي الى حد بعيد عظة أخلاقية ، لا تشير الى الصليب. إلا أن الكتاب الثلاثة الذين قاموا بدور رئيس في كتابة رسائل العهد

---

٣٦ قارن أع ٢: ٢٣ -٢٤ ؛ ٣: ١٥ ؛ ٤: ١٠ ؛ ٥: ٣٠ ؛ ١٠: ٣٩-٤٠ ؛ ١٣: ٢٨ - ٣٠

٣٧ أع ٣: ١٣ و ٢: ٣٣

٣٨ قارن أع ٢: ٣٣-٣٦ ؛ ٣: ٢٦ ؛ ٥: ٣١-٣٢ ؛ ١٠ : ٤٣ و ١٣: ٣٨-٣٩

٣٩ أع ٢: ٣٨ ؛ ٣: ١٦ ؛ ٤: ١٠ ، ١٢ ؛ قارن لو ٢٤: ٤٦- ٤٧

الجديد ــ وهم بولس وبطرس ويوحنا ــ قد أجمعوا على الشهادة لمركزية الصليب ، وكذلك الحال في الرسالة الىالعبرانيين ورؤيا يوحنا اللاهوتي.

نبدأ ببولس. فهو لم يعتقد أنه يشذ عن الصواب عندما عرف إنجيله بأنه "رسالة الصليب"، وخدمته بأنها "الكرازة بالمسيح المصلوب" والمعمودية بأنها انتساب المرء الى المسيح في "موته" ، والعشاء الرباني بأنه اعلان موت الرب. وصرح بجرأة أن الصليب ، وإن بدا حماقة أو عثرة في نظر الواثقين بأنفسهم ، هو بالحقيقة جوهر حكمة الله وقوته.[٤٠] كان اقتناعه بهذا الأمر راسخا الى حد أنه قال للكورنثيين أنه صمم بتعمد أن ينبذ حكمة العالم وألا يعرف بينهم ، بدلا عنها، " إلا يسوع المسيح وإياه مصلوبا" (١ كو٢:١-٢). وعندما أبدى رغبته في جزء لاحق من الرسالة نفسها في أن يذكرهم بإنجيله الذي تسلمه هو وسلمه إليهم ، وصار الأساس الذي عليه يثبتون، والأخبار السارة التي بها يخلصون، كان الأمر الذي يأتي في المقدمة من حيث الأهمية (كما قال) هو "أن المسيح مات لأجل خطايانا حسب الكتب، وأنه دفن ، وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب وأنه ظهر..."(١كو١٥:١-٥). وعندما وسع هذا الموجز بعد عدة سنوات، بحيث غدا بيانا كاملا للانجيل تمثل في رسالته الى مؤمني رومية ، أصبح تركيزه على الصليب أكثر شدة . فبعد أن برهن على أن الجنس البشري كله خاطيء ومذنب أمام الله ، أوضح أن طريقة الله البارة في مصالحة الفاجر مع الله تعمل "بالفداء الذي بيسوع المسيح" الذي " قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه" (رو٣:٢١-٢٥). بناء على ذلك "نحن متبررون بدمه" و "مصالحون مع الله بموت ابنه" (رو٥:٩-١٠).فلولا موت المسيح القرباني لكان خلاصنا مستحيلا. فلا عجب إذا كان بولس لم يفتخر بشيء سوى الصليب (غل٦:١٤).

إن شهادة الرسول بطرس واضحة كشهادة بولس سواء بسواء . يبدأ رسالته الأولى ببيان مذهل مفاده أن قراءه مرشوشون بدم يسوع المسيح . وبعد بضع آيات يذكرهم بأن ثمن فدائهم ، من طريقتهم الباطلة في العيش ، لم يكن " أشياء فانية كالذهب والفضة " بل بالأحرى "دما كريما، دم المسيح الذي هو حمل بلا عيب ولا دنس" (١بط ١:١٨-١٩). ومع أن بقية الإشارات في رسالته الى موت يسوع تقيم علاقة منطقية بينه وبين الآلام الجائرة التي يعانيها المسيحيون (فمبدؤهم هو "المجد عن طريق الألم" مثلما هو مبدؤه) ، غير أن بطرس يستفيد من هذه الفرصة ليقدم لهم تعليما عميقا بشأن موت المخلص . "الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده

---

٤٠ ١ كو ١: ١٨- ٢٥ ؛رو ٦: ٣ ؛ ١ كو ١١: ٢٦

على الخشبة " وكذلك "المسيح مات لأجل الخطايا مرة واحدة ، البار لأجل الأثمة ليقربكم الى الله" (١ بط ٢:٢٤؛ ٣:١٨)، إتماما للنبوءة الواردة في أشعياء ٥٣ . ونظرا الى أن السياق ، الذي يكتب بطرس فيه ، هو التشديد على الصليب كمثال لنا، فإن كتابته عن المسيح كحامل لخطايانا وكبديل عنا تغدو أشد لفتا للانتباه.

لقد أكد يوحنا في رسائله على التجسد. إذ كان يقاوم بعنف هرطقة باكرة حاولت أن تفصل المسيح عن يسوع ، أي الابن الإلهي عن الكائن البشري ، لذلك ألح على أن يسوع كان "المسيح آتيا في الجسد" وأن كل من ينكر هذا إنما هو ضد المسيح.[٤١] معُ ذلك رأى أن التجسد كان بقصد الكفارة . لأن محبة الله الفريدة لم تُرَ في مجيء ابنه بقدر ما رؤيت في موت ابنه الذي أرسله " كفارة لخطايانا" والذي "دمه يطهرنا من كلَ خطية".[٤٢]

إن الرسالة الى العبرانيين، التي هي كراسة لاهوتية أكثر مما هي رسالة، قد كتبت إلى العبرانيين المسيحيين الذين تعرضوا، تحت ضغط الاضطهاد، لإغراء فكرة نبذ المسيح والارتداد الى اليهودية . كان نهج الكاتب أن يوضح تفوق يسوع المسيح، فهو ليس متفوقا فقط على الملائكة بوصفه الابن ، وعلى موسى بوصفه النبي، بل متفوقا بخاصة ، لكونه الكاهن ، على الكهنوت اللاوي الذي أصبح لاغيا الآن. لأن الخدمة القربانية التي قام بها يسوع "رئيس كهنتنا" (٤:١٤) أسمى بما لا يقاس من خدمتهم . فلم يكن لديه أي خطايا ليقدم ذبيحة عنها ، كما أن الدم الذي سفكه لم يكن دم تيوس وعجول ، بل دمه هو؛ ولم يكن بحاجة الى تكرار تقديم تلك الذبائح عينها، التي لم يكن بوسعها أن ترفع الخطية البتة ،لأنه قدم " قربانا واحدا عن الخطايا الى الأبد"؛ وهكذا وجد " فداء أبديا " وأسس "عهدا أبديا" يتضمن الوعد القائل، "أكون صفوحا عن آثامهم ولا أذكر خطاياهم فيما بعد".[٤٣]

إلا أن الأمر الأكثر إثارة للدهشة هو الصورة التي ترسم ليسوع في سفر الرؤيا، آخر كتب الكتاب المقدس. يقدم لنا يسوع في الاصحاح الأول كـ "بكر من الأموات" (ع ٥) و"الحي" الذي كان ميتا وها هو الآن حي الى أبد الآبدين ، وهو يمسك بمفاتيح الهاوية والموت (ع ١٨). ثم تضاف تسبيحة لائقة: " للذي أحبنا وحررنا من خطايانا بدمه ... له المجد والسلطان الى أبد الآبدين ! " (ع٥- ٦).

---

[٤١] مثلا ١ يو ٢: ٢٢ ؛ ٤: ١-٣ ؛ ٢ يو ٧

[٤٢] ١ يو ٣: ١٦ ؛ ٤: ٩، ١٤ ؛ ٤: ١٠ و قارن ٢: ١-٢ ؛ ١: ٧

[٤٣] انظرعلى الخصوص عب ٨ -١٠

أما اللقب المميز ليسوع، الذي يستخدمه يوحنا أكثر من أي لقب آخر، وينسجم مع المجاز الرمزي لسفر الرؤيا فهو ببساطة "الخروف". وأما سبب اختيار هذا اللقب الذي يطلق على يسوع في هذا الكتاب ثمان وعشرين مرة، فلا علاقة له بوداعة طبيعته (مع أن يوحنا يظهر بتعمد مرة واحدة المفارقة بين صفاته كـ: "أسد" وصفاته كـ: "خروف" (٥:٥-٦)؛ لكنه بالأحرى يتعلق بكونه ذبح كضحية قربانية، وبدمه حرر شعبه. ولكي ندرك النظرة الواسعة التي ينظر بها يوحنا الى تأثير الخروف، قد يفيدنا أن نقسم هذا التأثير الى أربعة مجالات ـ الخلاص والتاريخ والعبادة والأبدية.

إن شعب الله المفديين (ذلك "الجمع الكثير الذي لا يقدر أحد أن يعده")، الذين أخذوا من كل شعب ولسان، ويقفون قدام عرش الله، ينسبون خلاصهم على وجه التخصيص الى الله وإلى الخروف. إنهم يصرخون بصوت عظيم:

"الخلاص لإلهنا
الجالس على العرش
و للخروف".

ويقال عن الثياب التي يرتدونها باستعارة درامية أنها "غُسِلت....وبُيِّضت بدم الخروف". بعبارة أخرى، الفضل في وقفتهم البارة أمام الله يرجع كله الى صليب المسيح، الذي بواسطته غفرت خطاياهم وتطهروا من نجاستهم. إن خلاصهم بالمسيح مضمون أيضا، ليس لكون أسمائهم مكتوبة في سفر حياة الخروف فحسب، بل لأن اسم الخروف مكتوب على جباههم.[٤٤]

إلا أن الخروف كما تصوره رؤيا يوحنا هو أكثر من مخلص لجمع لا يستطيع أحد ان يعده؛ فهو يوصف بأنه رب التاريخ كله. في أول الأمر يرى "واقفا في مركز العرش"، أي أنه يشارك سلطة الحكم مع الله القدير. علاوة على ذلك فإن الجالس على العرش يمسك بيمينه سفرا مختوما بسبعة ختوم، وهو يُعْرَفُ بعامة أنه سفر التاريخ. في البداية "بكى" يوحنا لأنه لم يوجد في الكون كله من يفتح السفر ولا حتى من ينظر الى ما في داخله. ولكن أخيرا قيل بأن الخروف مستحق أن

---

٤٤ رؤ ٧: ٩-١٤، ١٦- ١٧؛ ١٣: ٨؛ ٢١: ٢٧؛ ١٤: ١ و ما بعدها

يفعل ذلك . فيأخذ السفر ويفك ختومه واحدا فواحدا، وهكذا (على ما يبدو) ينشر التاريخ فصلا فصلا. والأمر الهام هو أن صليبه هو الذي أهله ليقوم بهذا الدور. لأن الصليب هو مفتاح التاريخ وهو الذي افتتح العملية الفدائية redemptive . فبالرغم مما عاناه شعب الله من الحرب والجوع والوبأ والاضطهاد ونكبات أخرى، يستطيعون مع ذلك أن يغلبوا الشيطان بـ: "دم الخروف" ويتيقنوا من أن النصر النهائي له و لهم ، لأن الخروف هو "رب الأرباب وملك الملوك " نفسه.[٤٥]

لا يدهشنا أن نعرف أن منشيء الخلاص ورب التاريخ هو أيضا موضوع العبادة في السماء . ففي الاصحاح ٥ نسمع جوقة ، وراء جوقة ، من المرتلين يقدمون التسبيح للخروف. أولا ، عندما أخذ السفر، "خرت الكائنات الحية الأربعة والأربعة والعشرون شيخا (يمثلون على الأرجح الخليقة كلها من جهة والكنيسة كلها بعهديها من جهة أخرى) أمام الخروف ... وهم يترنمون ترنيمة جديدة :

" مستحق أنت أن تأخذ السفر
وتفتح ختومه
لأنك ذبحت ،
واشتريتنا لله بدمك
من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة... "

ثم سمع يوحنا صوت مائة مليون ، أو أكثر، من الملائكة الذين شكلوا الدائرة الخارجية حول العرش. وهم أيضا رنموا بصوت عظيم :

"مستحق هو الخروف المذبوح
أن يأخذ القدرة و الغنى و الحكمة و القوة
والكرامة والمجد والتسبيح ! "

وأخيرا، "سمع كل خليقة مما في السماء وعلى الأرض وتحت الأرض وما على البحر، كل ما فيها" ـ أي الخليقة الكونية ـ سمعها ترنم :

---

[٤٥] رؤ ٥: ١-٦ ؛ ٢٢:١،٣ ؛ ١٢ :١١ ؛ ١٧: ١٤

" للجالس على العرش و للخروف
البركة والكرامة والمجد والسلطان ،
الى أبد الآبدين !

فاستجابت الكائنات الحية الأربعة وقالت "آمين" و خر الشيوخ وسجدوا.[46]

إن يسوع الخروف يفعل أكثر من شَغْلِ مكان المركز في المسرح اليوم ، فيما يتعلق بالخلاص و التاريخ والعبادة ؛ إنه بالإضافة الى ذلك سوف يشغل مكان المركز عندما يصل التاريخ الى نهايته ويرفع الستار عن الأبدية . في يوم الدينونة سيحاول الذين رفضوه أن يهربوا منه . سيدعون الجبال والصخور لكي تبتلعهم "اسقطي علينا وغطينا من وجه الجالس على العرش ومن غضب الخروف ! لأن يوم غضبهما العظيم قد جاء ومن يستطيع الوقوف ؟". إلا أن ذلك اليوم سيكون بمثابة يوم عرس ووليمة لأولئك الذين وثقوا به وتبعوه. لأن الاتحاد النهائي للمسيح بشعبه يوصف بأنه زواج الخروف من عروسه. ثم يتغير التشبيه، فأورشليم الجديدة سوف تنزل من السماء، لن يكون فيها هيكل " لأن الرب الإله القادر على كل شيء والخروف هيكلها ". ولن تحتاج الى شمس ، ولا الى قمر " لأن مجد الله قد أنارها و الخروف سراجها ".[47]

ولن يعسر على المرء أن يلاحظ ، أو أن يتأثر من ، أن الرائي يقرن " الله والخروف"، بصورة متكررة ودون أن يتحرج . فالشخص الذي يضعه على قدم المساواة مع الله هو المخلص الذي مات لأجل الخطاة . إنه يصوره ، وسيطا في خلاص الله، ومشاركا في عرش الله ، متقبلا عبادة الله (العبادة الواجبة لله) ، و ناشرا نور الله . إن جدارته التي تؤهله لكل هذه الامتيازات الفريدة تعود الى أنه قد ذبح ، وبموته أنجز خلاصنا. واذا كان سفر الحياة ، حسبما ورد في رؤيا ١٣: ٨ ، يخص "الخروف المذبوح منذ تأسيس العالم" (وهذا ممكن)، فإن ما يقوله يوحنا لنا ليس أقل من أن الذي يشغل مركز المسرح منذ الأزل والى الأبد هو حمل الله المذبوح.

---

[46] رؤ ٥: ٨-٩ ، ١١-١٤

[47] رؤ ٦: ١٥-١٧، ١٩: ٦-٧، ٩، ٢١: ٩-١٠، ٢٢-٢٣

الاصرار رغم المقاومة

هذه النظرة الشـاملة لا تترك لدينا أي شك في أن المساهمين الرئيسين في كتابة العهد الجديد قد آمنوا بمركزية صليب المسيح، وبأن قناعتهم كانت مستمدة من فكر السيد نفسه . لذلك كان لدى الكنيسة الباكرة ـ بعد الرسولية أساس مزدوج راسخ ـ مستمد من تعاليم المسيح ورسله ـ لتجعل الصليب رمزا وعلامة للمسيحية . وبهذا أثبت التقليد الكنسي أنه انعكاس أمين للكتاب .

علاوة على ذلك ينبغي ألا نتغاضى عن تمسكهم الرائع . لقد عرفوا أن الذين صلبوا ابن الله " شَهَّرُوهُ "، وكان على يسوع، لكي يحتمل الصليب أن يتضع ليقبل به ، و"يستهين بالخزي".[٤٨] غير أن ما بدا لناقدي المسيح، أمرا مخزيا ، بل بغيضا، رآه أتباعه أمرا مجيدا للغاية. لقد تعلموا أن العبد ليس أفضل من سيده وأن الألم كان وسيلتهم ، كما كان وسيلته ، الى المجد . فضلا عن ذلك ، *كان* التألم مجدا ، كما أنهم في كل مرة "عُيِّروا باسم المسيح" ، "حل روح المجد عليهم".[٤٩]

إلا أن أعداء الانجيل لم يشاركوا في هذه النظرة ، ولا يشاركون فيها. ليس ثمة شرخ بين الإيمان وعدم الإيمان أعظم من الشرخ القائم بينهما من حيث موقف كل منهما تجاه الصليب. فحيث يرى الإيمان مجدا لا يرى عدم الإيمان سوى الخزي. إن ما بدا لليونانيين جهالة ، ويظل كذلك في نظر المفكرين العصريين الواثقين بحكمتهم ، إنما هو حكمة في نظر الله. وما يظل حجر عثرة ، في نظر الواثقين ببرهم الذاتي، كيهود القرن الأول، قد ثبت أنه قوة الله المخلصة (١كو١:١٨-٢٥).

فالهندوس أيضا، مع أنهم يقبلون تاريخيته ، يرفضون دلالته الخلاصية. نذكر غاندي مؤسس الهند الحديثة على سبيل المثال. ففي شبابه عندما كان يعمل محاميا في جنوب أفريقيا ، اجتذبته المسيحية ، لكنه مع ذلك كتب عن نفسه وهو هناك عام ١٨٩٤ :

> أستطيع أن أقبل يسوع كشهيد ، وكتجسيد للتضحية ، وكمعلم إلهي ، ولكن ليس كأكمل انسان ولد علىهذه الأرض . كان موته على الصليب مثالا عظيما لكل

---

[٤٨] عب ٦: ٦ ؛ في ٢: ٨ ؛ عب ١٢: ٢

[٤٩] لو ٢٤: ٢٦ ؛ يو ١٢: ٢٣-٢٤ ؛ ١ بط١:١١ ؛ ١٣:٤ ؛ ١:٥،١٠ ؛ ١٤:٤

العالم ، لكن قلبي لم يستطع أن يقبل أنه كانت في موته فعالية سرية أو عجائبية.[50]

أما في الغرب ، فربما جاء أفظع رفض ساخر للصليب بقلم الفيلسوف الألماني وعالم فقه اللغة فريدرك نيتشه (مات عام ١٩٠٠). ففي مطلع كتابه *ضد المسيح* *Anti- Christ* (١٨٩٥) عَرَّفَ الخير بأنه "إرادة القوة ". والشر بأنه " كلما ينبثق عن الضعف، والسعادة بأنها " الشعور *بتعاظم* القوة "، أما " الرذيلة الأكثر إيذاء" فهي " المسيحية التي هي التعاطف مع ما هو ضعيف و معتل البنية ". وإعجابا منه بتشديد دارون على البقاء للأنسب ، احتقر كل أشكال الضعف ، وحلم بأن تزول و يبزغ بدلا منها " انسان متفوق" و "جنس حاكم جسور". إن الفساد بنظره هو الانحطاط ، ولا شيء أكثر انحطاطا من المسيحية التي "وقفت الى جانب كل ماهو ضعيف ووضيع و معتل البنية". ولكونها " ديانة الشفقة " فإنها تبقي على ما هو "مستحق للدمار" و هكذا " تعوق قانون التطور" (ص١١٥-١١٨). واحتفظ نيتشه بذمه المرير ليوجهه الى " المفهوم المسيحي عن الله" باعتباره " إله المرضى ، إله الواهنين"، والى المسيّا المسيحي الذي نبذه بازدراء باعتباره " الله على الصليب" (ص ١٢٨، ١٦٨).

إذا كان نيتشه قد رفض المسسيحية بسبب "ضعفها "، فقد رفضها آخرون بسبب تعاليمها " البربرية " حسب اعتقادهم. نذكر على سبيل المثال الأستاذ السير ألفريد آيار Alfred Ayer ، فيلسوف أكسفورد، المشهور بكراهيته للمسيحية، الذي كتب في مقال نشرته إحدى الصحف مؤخرا، إن ثمة دليلا قويا على أن المسيحية تعتبر أسوأ ديانة من بين الديانات ذات الأهمية التاريخية . ولماذا ؟ لأنها تعلق آمالها "على تحالف مشكل من عقيدة الخطية الأصلية وعقيدة الكفارة البدلية ، وهما عقيدتان جديرتان بالاستهزاء من الوجهة الفكرية ، وشائنتان من الوجهة الأخلاقية".[51]

كيف يستطيع المسيحيون أن يواجهوا سخرية كهذه دون أن يتزحزحوا عن فكرتهم الأساسية ؟ لماذا "تلتصق بالصليب الشنيع القديم" (حسبما تعبر كلمات الترنية الشعبية العاطفية الى حد ما)، ونلح على مركزيته، رافضين أن نسمح لأحد بأن يدفعه الى محيط دائرة رسالتنا ؟ لماذا ينبغي علينا أن نعلن المخزي و نفتخر

---

[50] *Gandhi. An Autobiography*, p. 111.

[51] *The Gardian* , 30 August 1979.

بالمخجل ؟ يكمن الجواب في كلمة واحدة هي " الاستقامة ". إن الاستقامة المسيحية تتوقف جزئيا على تصميمنا أن نبين حقيقة الصور المغلوطة ، ولكن تتوقف على الأكثر على ولاء شخصي ليسوع ، الذي كان الصليب المُخَلِّصُ يحتل مكان المركز في تفكيره . في الواقع ، يبدو أن جميع القراء الذين اقبلوا على الكتاب المقدس دون تحيز قد توصلوا الى النتيجة نفسها. وفيما يلي نموذج من هذا القرن .

كتب ب. ت. فورسيث P.T.Forsyth من الكنيسة الجمهورية الانكليزية --Congregationalist في كتابه *حسمية الصليب* *The Cruciality of the Cross* (١٩٠٩) :

يعني المسيح لنا ما يعنيه صليبه تماما. إن كل ما كان يعنيه المسيح في السماء أو على الأرض اجتمعا معا واشتركا في الصليب ... لهذا أكرر قولي إن ما يعنيه المسيح لنا هو ما يعنيه صليبه تماما. إنك لن تفهم المسيح حتى تفهم الصليب (ص ٤٤-٤٥).

في العام التالي (١٩١٠) كتب في كتابه ، *عمل المسيح* *The Work of Christ* :

على هذا التفسير لعمل المسيح (أي عقيدة المصالحة البولسية) تعلق الكنيسة كل آمالها. فإذا أزحت الإيمان من ذلك المركز دققت المسمار الأكبر في نعش الكنيسة. وصار موتها محتما، وحدوث هذا الموت مجرد مسألة وقت (ص٥٣).

من ثم جاء إميل برونر Emil Brunner اللاهوتي السويسري الذي طبع كتابه *الوسيط* *The Mediator* أول مرة في ألمانيا عام ١٩٢٧ ، وجعل له عنوانا فرعيا "دراسة للعقيدة المركزية في الإيمان المسيحي"، وقد دافع عن عقيدته بهذه الكلمات :

إن الإيمان بالوسيط ليس أمرا اختياريا في المسيحية ، ليس أمرا يمكن في آخر المطاف أن نؤمن بأفكار مختلفة بشأنه ، حتى إذا كنا فقط متحدين في موقفنا من " النقطة الرئيسة ". لأن الإيمان بالوسيط ــ الحدث الذي جرى مرة واحدة ، كفارة معلنة ــ هو الديانة المسحية نفسها. إنه " النقطة الرئيسة " ؛ فهو ليس شيئا بجانب المركز؛ إنه الجوهر واللب، لا القشرة . هذا الأمر صادق كل الصدق حتى لنستطيع القول: تتميز الديانة المسيحية، عن ديانات أخرى بأنها الإيمان

بالوسيط الأوحد ... ولا توجد إمكانية أخرى ليصبح المرء مسيحيا إلا عن طريق الإيمان بما جرى مرة واحدة ، أي الإعلان والكفارة بالوسيط (ص٤٠).

وبعد ذلك أطرى وصف لوثر اللاهوت المسيحي بأنه *لاهوت الصليب* *theologia crucis* ، ومضى يقول :

الصليب هو علامة الإيمان المسيحي، والكنيسة المسيحية وإعلان الله في المسيح ... إن كل الصراع الذي خاضه الإصلاح من أجل *الإيمان وحده* [*سولا فيده*]، *المجد لله وحده* [*سولي ده يو غلوريا*] كان ببساطة من أجل التفسير الصحيح للصليب. إن من يفهم الصليب فهما صحيحا ـ وهذا هو رأي المصلحين — يفهم الكتاب المقدس ويفهم يسوع المسيح (ص ٤٣٥).

ويقول أيضا:

إن الإقرار الإيماني بهذا التفرد ، أي الإيمان بالوسيط هو علامة الإيمان المسيحي. وكل من يعد هذا القول علامة على المبالغة والتعصب والخشونة والفكر اللاتاريخي، وما شابه ، لم يسمع حتى الآن الرسالة المسحية (ص٥٠٧).

اقتبس آخر شاهد من الأسقف ستيفن نيل Stephen Neill العالم الأنكليكاني:

بحسب النظرة اللاهوتية المسيحية الى التاريخ ، يشكل موت المسيح النقطة المركزية في التاريخ ؛ هنا تلتقي كل طرق الماضي، ومن هنا تفترق كل طرق المستقبل.[٥٢]

إن رأي العلماء في الصليب قد نفذ ، بصورة يمكن فهمها، إلى داخل قلوب عامة المسيحيين و امتزج بما يختلج فيها من مشاعر الورع . فيجب التماس العذر للمسيحيين ، الذين وجدوا كبرياءهم يتحطم عند صليب المسيح ، وذنبهم يمحى ومحبتهم تضرم ورجاءهم يرد وشخصيتهم تغير، اذا سمحوا لأنفسهم ببعض الغلو غير المؤذي. ونظرا الى أنهم فهموا أن الصليب هو مركز التاريخ واللاهوت ، فقد

---

[52] From the chapter entitled 'Jesus and History' in *Truth of God Incarnate*, ed . E. M. B.

فهموا بالطبع أنه أيضا مركز كل حقيقة . لذا يرونه في كل مكان ، وقد رأوه دائما في كل مكان . وسوف أعرض مثالين ، أحدهما قديم والآخر حديث .

لقد اعترف جوستن مارتر Justin Martyr ، وهو مدافع عن الإيمان المسيحي عاش في القرن الثاني، بأنه حيثما تطلع رأى الصليب. ومما كتبه: لا يمكن عبور البحر ولا حراثة الأرض بدون الصليب، مشيرا الى صاري المركب وعارضة الشراع ، والى سكة المحراث والنير. ولا يستطيع الحفارون و الآلاتيون mechanics أن يعملوا دون أدوات على شكل صليب، ملمحا بذلك، على ما يرجح الى المسحاة ومقبضها. فضلا عن ذلك " لا يختلف شكل الانسان عن شكل العجماوات بشيء سوى انتصابه وبسط ذراعيه ". واذا كان الشكل الذي يتخذه جذع الانسان وذراعاه يعلن الصليب، فكذلك يفعل أنف الانسان وحاجباه.[٥٣] أليس هذا خياليا ؟ بلى إنه خيالي بجملته، ومع ذلك أجد نفسي راغبا في غفران أي خيالات كهذه تمجد الصليب.

أما مثالي الحديث فهوأبلغ ما عرفته من وصف لعمومية الصليب. أنه الكاتب مالكولم ماغريج Malcolm Muggeridge الذي قدم، عن غير قصد، ما قاله جوستين مارتر بأسلوب عصري. فنظرا الى أنه نشأ في بيت اشتراكي و " كان عارفا بمدارس الأحد الاشتراكية ونمط اللاأدرية الملطف بالأناشيد" الذي تقدمه، فقد أصبح غير مرتاح بشأن " كل هذا المفهوم المتعلق بيسوع ذي المقاصد النبيلة ". وعبر عن ذلك بقوله :

ما إن ألمح صليبا – ليس صليبا عليه تمثال يسوع بالضرورة ؛ ربما قطعتين من الخشب سمرتا بدون قصد ، على عمود برق (تلغراف) مثلا – حتى يقف قلبي فجأة عن الخفقان . فأفهم بطريقة حدسية غريزية أن موضوع الخلاف هو أكثر أهمية وهيجانا وعاطفية من مقاصدنا النبيلة، مهما كانت مثيرة للإعجاب...

أنا أعلم أنه اهتمام استحوذ علي... فربما أقوم بنفسي بتثبيت قطعتي خشب معا، أو ربما ارسم الصليب بطريقة نصف واعية. هذا الرمز الذي كان يعتبر في بيتي جديرا بالسخرية كان مع ذلك أيضا مركز آمال ورغبات لا تصدق ...

وبينما أتذكر هذا فإن إحساسا بفشلي يغمرني بالكآبة . كان ينبغي علي أن أتقلد صليبا يلامس قلبي وأن أحمله راية عزيزة ، لا تنتزع من يدي أبدا ؛ وأحتفظ بها ، حتى اذا سَقَطْتُ ، مرفوعة عاليا. كان ينبغي أن يكون موضع عبادتي و

---

[53] Justin Martyr's *First Apology* , Ch. lv, 'Symbols of the Cross'.

لباسي المميز وحديثي وحياتي. لن يكون لي عذر؛ لا أستطيع أن أقول لم أعرف. إنني عرفت من البداية ورفضت قبوله.[54]

إلا أنه فيما بعد قد عاد ، مثلما يجب أن يفعل كل واحد منا لمح في أي وقت حقيقة المسيح المصلوب. لأن يسوع الذي مات على الصليب هو وحده يسوع الحقيقي .

و لكن لماذا مات ؟ من كان مسؤولا عن موته ؟ هذا هو السؤال الذي سنتحول إليه في الفصل الثاني.

---

[54] Malcolm Muggeridge, *Jesus Rediscovered,* pp. 24-25.

٢

لماذا مات المسيح

لماذا مات المسيح ؟ من كان مسؤولا عن موته ؟

كثيرون من الناس لا يرون في هذه الأسئلة مشكلة و لذلك لا يجدون صعوبة في الإجابة عنها. فهذه الحقائق تبدو لهم واضحة وضوح النهار. وهم يقولون ، أن يسوع لم "يمت" لكنه قتل ، فأعدم كمجرم أمام الملأ . واعتقد البعض أن تعاليمه خطرة ، بل وهدامة . أثار سخط القادة اليهود بموقفه القليل الاحترام تجاه الناموس وادعاءاته المُغْضِبَةِ . بينما سمع الرومان أنه كان يعلن أنه ملك اليهود ، وكان بذلك يتحدى سلطة قيصر. بدا يسوع لكلا الفريقين مفكرا ثوريا وواعظا، والبعض حسبوه ثوريا ذا نشاط هدام أيضا. لقد سبب اضطرابا عميقا في الوضع الراهن الى درجة أنهم قرروا التخلص منه . فدخل الفريقان في حلف غير مقدس لينفذوا ذلك . ففي المحكمة اليهودية وجهت إليه تهمة لاهوتية هي التجديف ، أما في المحكمة الرومانية فكانت التهمة سياسية ، وهي التحريض على العصيان. ولكن سواء أاعتبرت جريمته على أنها في المقام الأول ضد الله أو اعتبرت على أنها ضد قيصر، فالنتيجة واحدة . لقد نظر إليه على أنه يشكل خطرا على الناموس والنظام ، وهذا أمر لا يمكن احتماله . لذلك تم التخلص منه . لماذا مات ؟ بحسب الظاهر مات كمخالف للقانون ، لكنه بالحقيقة مات كضحية ، جنى عليها صغار العقول ، وكشهيد ، بسبب عظمته.

إن الدمج بين العاملين الأخلاقي والقانوني هو أحد المعالم الآسرة في روايات كتاب الأناجيل عن محاكمة يسوع.[1] وجميع الروايات تدل على أن إجراءات قانونية معينة اتبعت في المحكمتين اليهودية والرومانية . قبض على السجين ، ووجهت إليه التهم ، واستجوب ، واستدعي الشهود . ثم توصل القاضي الى حكمه ونطق بالحكم . مع ذلك يوضح البشيرون أن السجين لم يكن مذنبا بأي من التهم

[1] For a recent scholarly defence by a lawyer of the historical accurracy of the trials, as described in the Gospels, see Le Proces de Jesus by Prof. Jean Imbert.

التي وجهت إليه ، وأن الشهود كانوا شهود زور ، وأن حكم الموت الذي صدربحقه كان حكما جائرا خاليا من أي عدالة . علاوة على ذلك ، فإن سبب هذا الحكم الجائر هو تدخل العوامل الشخصية والأخلاقية التي أثرت في مجرى المحاكمة . لم يكن رئيس الكهنة اليهودي قيافا والوالي الروماني بيلاطس مجرد مسؤولين دينيا وسياسيا ، يقومان بواجبيهما الرسميين . كانا انسانين ساقطين ، وغير معصومين تحكمهما عواطف شريرة تسيطر علينا جميعا. إن دوافعنا مختلطة دائما. قد ننجح في الاحتفاظ بقدر يسير من الاستقامة عند أدائنا لواجبنا الرسمي ، ولكن وراء هذه الواجهة تكمن انفعالات عنيفة وخاطئة تهدد دائما بالانفجار. يقوم البشيرون بفضح هذه الخطايا الخفية ، أثناء روايتهم لقصة القبض على يسوع وحجزه ومحكامته والحكم عليه ثم إعدامه ، وهذا هو أحد أغراض روايتهم ، لأن مادة الأناجيل استخدمت في التعليم الأخلاقي الموجه الى المهتدين .

العسكر الروماني و بيلاطس

كان العسكر الرومان الذين نفذوا الحكم المسؤولين المباشرين طبعا عن موت يسوع. إلا أن أيا من البشيرين الأربعة لا يصف عملية صلبه كما حدثت بالفعل .

ولو اعتمدنا على الأناجيل دون غيرها من المصادر لما عرفنا ما حدث . لكن وثائق معاصرة للأناجيل تخبرنا كيف كان الصلب .[٢] تبدأ العملية بإذلال السجين عن طريق تجريده من ثيابه وتركه عاريا. ثم يمدد على ظهره بينما تثبت يداه ، بالمسامير أو الحبال ، على العارضة الخشبية وتثبت قدماه على القائمة . ثم ينصب الصليب في وضع شاقولي وتنزل قاعدته في حفرة أعدت له في الأرض . وجرت العادة أن يوضع وتد أو مقعد بدائي يحمل جزءا من ثقل جسد الضحية وبذلك يمنعه من السقوط و التمزق . ولكنه يبقى معلقا عاجزا عن فعل أي شيء لتخفيف ما يعانيه ، من الآلام الجسدية المبرحة ، ومن سخرية الناس وحرالنهار وبرد الليل . وقد يطول العذاب أياما.

لا يذكر أي من كتاب الأناجيل شيئا من هذا الوصف . واذا جمعنا معا ما أخبرونا به ، يبدو أن يسوع بدأ بحمل صليبه ، وفقا للعادة الرومانية ، واتجه نحو مكان تنفيذ حكم الموت . إلا أنه تعثر ووقع تحت ثقل صليبه على ما يرجح . إذ أوقف شخص اسمه سمعان ، مسقط رأسه مدينة القيروان في شمالي أفريقيا ، وكان في هذه

---

[2] For a summary of available information about crucifixion see Martin Hengel's *Crucifixion*.

اللحظة عائدا من الحقل الى المدينة ، وأجبر على حمل الصليب بدلا من يسوع . ولما وصلوا الى "المكان المسمى جلجثة (الذي معناه مكان الجمجمة)"، قدموا ليسوع قليلا من خل ممزوجة بمرارة ، وكان هذا إيماءة رحيمة قصد بها أن تقلل من إحساسه بالألم الفظيع . لكنه رفض أن يشربها ، مع أنه ذاقها ، حسبما روى متى . ثم يكتب البشيرون كلهم ببساطة: "وصلبوه".[٣] وهذا كل شيء. قبل ذلك كانوا قد وصفوا بشيء من التفصيل كيف استهزأ به العسكر في مقر الحاكم: ألبسوه رداء أرجوانيا ووضعوا على رأسه إكليلا من شوك وفي يمينه قصبة [صولجانا!] ، وغطوا عينيه وبصقوا عليه ، ولطموه في وجهه وضربوه على رأسه ، وتحدوه في الوقت نفسه أن يحزرمن كان يضربه . ثم سجدوا أمامه بإجلال ساخر. لكن البشيرين لا يعطون أي تفاصيل عن الصلب ؛ ولا يشيرون أبدا الى المطرقة أو المسامير ولا حتى الى الدم .

كل ما يقال لنا أنهم " صلبوه". أي أنّ العسكر الروماني قاموا بمهمتهم البشعة . وليس ثمة دليل على أنهم استمتعوا بذلك ، وليس هناك ما يوحي بأنهم كانوا قساة أو ساديين . كانوا ينفذون الأوامر فحسب . تلك كانت وظيفتهم . قاموا بما وجب عليهم . وطوال ذلك الوقت ظل يسوع ، بحسب رواية لوقا ، يصلي بصوت عال " يا أبتاه لا تقم لهم هذه الخطية لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (٢٤:٣٤).

يبدو أن البشيرين الأربعة يشيرون ضمنا الى أنه لم يوجه أي لوم خاص الى العسكر الروماني بسبب صلبهم ليسوع (ويضيفون فيما بعد أن قائد المئة ، الذي كانوا بإمرته ، آمن أوعلى الأقل آمن نصف إيمان)، ومع ذلك فالقضية مختلفة فيما يتعلق بالوالي الروماني الذي أمر بصلبه . " أخيرا أسلمه بيلاطس إليهم لكي يصلب. فأخذوا يسوع ... وصلبوه" (يوحنا١٩:١٦-١٨) . كان بيلاطس يستحق اللوم . بالحقيقة إن ذنبه مذكور في قانون إيماننا المسيحي، الذي يصرح بأن يسوع " صلب على عهد بيلاطس البنطي".

من المعروف أن الأمبراطور طيباروس عين بيلاطس واليا على إقليم اليهودية الواقع على حدود الأمبراطورية الرومانية . ودامت ولاية بيلاطس عشر سنوات ، من ٢٦-٣٦ م. واشتهر بكونه ماهرا في الإدارة متحليا بحس روماني نموذجي بالعدل . لكنه كان مكروها من قبل اليهود لأنه كان يزدريهم . ولم ينسوا فعلته التي أغضبتهم ، في بداية توليه المنصب ، إذ رفع الأعلام الرمانية في أورشليم نفسها .

---

٣ مت ٢٧: ٣٢-٣٥ ؛ مر ١٥ : ٢١-٢٥ ؛ لو ٢٣ : ٢٦-٣٣ ؛ يو ١٩: ١٧-١٨

ويصف يوسيفوس حماقة أخرى من حماقاته : وذلك عندما استخدم بعضا من مال الهيكل في غير الغرض المخصص له فبنى قناة لجر المياه.[4] يظن كثيرون أنه أثناء العصيان الذي نجم عن ذلك خلط بيلاطس دم بعض الجليليين بذبائحهم (لو ١٣ : ١). هذه بعض أمثلة فقط عن مزاجه الحاد وعنفه وقسوته . يروي فيلو Philo، أن الملك أغريباس الأول King Agrippa I وصفه، في رسالة بعث بها الى الأمبراطور كاليغولا ، بأنه "ذو ميل يتعذر تغييره ، وهو قاسي الفؤاد شديد العناد".[5] كان هدفه المسيطر هو أن يحافظ على القانون والنظام ، وأن يسيطر بحزم على أولئك اليهود المثيرين للاضطراب وأن يكون ، اذا دعت الضرورة لتحقيق تلك الغايات ، بعيدا عن الرحمة في قمع أي عصيان أو تهديد بالعصيان .

إن صورة بيلاطس البنطي التي ترسمها الأناجيل تنطبق تماما على هذه البيّنة الخارجية. فعندما أحضر القادة اليهود يسوع إليه قائلين: "وجدنا هذا الانسان يفسد الأمة "، ثم أضافوا " ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلا أنه هو مسيح ملك " (لو ٢٣ :٢) ، لم يستطع بيلاطس الا أن يأخذ ما قالوا بعين الاعتبار . وبينما تابع تحرياته أكد البشيرون نقطتين هامتين .

أولا ، كان بيلاطس مقتنعا ببراءة يسوع . ومن الواضح أنه تأثر من وقفة يسوع النبيلة ، وضبطه لنفسه ، وموقفه السياسي غير المؤذي . وهكذا صرح علنا ثلاث مرات بأنه لم يجد أساسا لاتهامه . أولاها، بعد فجر يوم الجمعة بقليل ، عندما أحال السنهدرين القضية إليه . أصغى بيلاطس إليهم ، وسأل يسوع بضعة أسئلة ، وأعلن بعد هذا التحقيق الأولي ، "لست أجد علة في هذا الانسان".[6]

وكانت المناسبة الثانية عندما عاد يسوع بعد أن استجوبه هيرودس . قال بيلاطس للكهنة وللشعب: "قد قدمتم إلي هذا الانسان كمن يحرض الناس على العصيان . وها أنا قد فحصته أمامكم و لم أجد سببا لاتهامكم له . ولا هيرودس أيضا . لأنه أعاده الينا : كما ترون ، فإنه لم يفعل شيئا يستحق الموت".[7] عند هذا صاح الجمع: " اصلبه ، اصلبه! "لكن بيلاطس قال للمرة الثالثة: "لماذا؟ ما

[4] *Antiquities xviii: 3.*
[5] *Ad Gaium* 38, p. 165

[6] لو ٢٣: ٤ ؛ يو ١٨: ٣٨
[7] لو ٢٣: ١٣-١٥؛ قارن يو ١٩: ٤-٥ ،

الجريمة التي ارتكبها هذا الانسان ؟ لم أجد فيه أسبابا تستوجب عقوبة الموت".[8] فضلا عن ذلك تأكدت قناعة الوالي الشخصية ببراءة يسوع بالرسالة التي أرسلتها إليه زوجته: "إياك وذلك البار لأني تألمت اليوم كثيرا في حلم من أجله" (متى٢٧: ١٩).

إن إصرار بيلاطس المتكرر على براءة يسوع هو الخلفية الضرورية للنقطة الثانية التي أكدها البشيزون بشأن بيلاطس ، وهي محاولاته البارعة لتجنب الانحياز الى هذا الجانب أو ذاك . أراد أن يتجنب الحكم على يسوع (نظرا الى أنه اعتقد ببراءته) وأن يتجنب تبرءته في الوقت نفسه (نظرا الى أن القادة االيهود اعتقدوا بأنه مذنب). فكيف يستطيع أن يوجد وسيلة للتوفيق بين أمرين لا يمكن التوفيق بينهما ؟ ها نحن نراه يتملص بمحاولة إطلاق سراح يسوع وتهدئة اليهود في آن معا . أي أن يكون عادلا وظالما في آن واحد . وقد جرب أربع محاولات للتملص .

أولا ، عندما سمع أن يسوع جليلي ، ومن ثم تابع لسلطة هيرودس ، أرسله الى هيرودس لكي يحاكمه أملا في أن ينقل إليه مسؤولية إصدار قرار. لكن هيرودس أعاد يسوع دون أن يحكم عليه (لو٢٣:٥-١٢).

ثانيا ، جرب أيضا أنصاف الحلول: " فأنا أؤدبه (أجلده) ثم أطلقه" (لو٢٣:١٦، ٢٢) . كان يُؤَمِّلُ أن يُرْضِيَ الجمهور بما هو أقل من العقوبة القصوى ، و أن يُشْبِعَ شهوتهم الى الدم بمنظر ظهر يسوع الممزق . كان هذا اقتراحا خسيسا. لأنه اذا كان يسوع بريئا، وجب أن يطلق سراحه فورا وليس بعد أن يجلد أولا.

ثالثا ، حاول بيلاطس أن يفعل الصواب (إطلاق يسوع) لسبب خاطيء (لأن الجمهور اختاره ليطلق سراحه). فبعد أن تذكر عادة الوالي المتبعة في عيد الفصح وهي أن يعفو عن أحد السجناء ، رجا أن يختار الشعب يسوع ليستفيد من هذه المِنَّةِ . وعندئذ يكون بوسعه أن يطلق يسوع بدافع الرحمة وليس بمقتضى العدالة : كانت فكرة ماكرة ، لكنها بحد ذاتها مخزية ، وأحبطها الشعب بطلبهم بدلا من ذلك أن يعفو الوالي عن المجرم المشهور والقاتل باراباس.

رابعا، حاول أن يؤكد براءته ، فأخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلا: "إني بريء من دم هذا البار" (مت٢٧:١٧) . ثم ، قبل أن تجف يداه ، أسلم يسوع إليهم

---

[8] لو ٢٣:٢٢ ؛ يو ١٩:٦

ليصلب. فكيف استطاع أن يجلب على نفسه هذا الجرم الكبير فور إعلانه لبراءته ؟

من السهل علينا أن ندين بيلاطس ونتغاضى عن سلوكنا المراوغ كسلوكه سواء بسواء . فنظرا لكوننا تواقين الى تجنب ألم التسليم القلبي التام للمسيح ، نبحث نحن أيضا عن ذرائع ملائمة . فإما أن نترك القرار لشخص آخر أو نُؤْثِرَ حلا وسطا يتناسب مع جبننا وضعف رغبتنا ، أو أن نسعى الى تكريم يسوع لسبب خاطيء (مثلا كمعلم بدلا من تكريمه كرب) ، أو قد نلجأ حتى الى توكيد وفائنا له علنا في الوقت الذي ننكره فيه في قلوبنا.

ثمة ثلاثة معايير ذات دلالة ذكرها لوقا في روايته تلقي الضوء على ما فعله بيلاطس في النهاية : " قويت أصواتهم" و "حكم بيلاطس أن تكون طلبتهم" و "أسلم يسوع لمشيئتهم " (لوقا ٢٣:٢٣-٢٥) لقد استسلم بيلاطس بضعف لـ: *أصواتهم* و *طلبتهم* و *مشيئتهم*. " كان يريد أن يطلق يسوع " (لوقا ٢٣:٢٠) ، لكنه " كان يريد أن يرضي الجمع" أيضا (مر١٥:١٥). لقد انتصر الجمهور. ولماذا انتصر ؟ لأنهم قالوا له: " إن اطلقت هذا فلست محبا لقيصر. كل من يجعل نفسه ملكا يقاوم قيصر" (يوحنا ١٩:١٢). وهذا حسم الأمر. كان عليه أن يختار بين أمرين، الشرف أو الطموح، المبدأ أو النفعية . لقد سبق له أن تعرض للحرج مع طيباريوس قيصر في مناسبتين سابقتين أو ثلاث . فلم يكن بوسعه أن يتحمل مناسبة أخرى .

من المؤكد أن يسوع كان بريئا. ومن المؤكد أن العدالة كانت تقتضي إطلاق سراحه. ولكن كيف كان بوسع بيلاطس أن يحامي عن البراءة والعدالة إذا كان بذلك يتنكر لإرادة الشعب ، ويهزأ بقادة الأمة و يثير هياجها ، وهذا هو الأهم ، وبذلك يخسر ، بسبب خطئه ، رضى الأمبراطور. لقد حجبت صوتَ ضميره أصوات التسويغ المرتفعة . لقد قبل بتسوية مذلة لأنه كان جبانا.

الشعب اليهودي و قادته

مع أننا لا نستطيع أن نبرئ بيلاطس فإننا نستطيع أن نقر بالتأكيد أنه كان في حيرة صعبة بين شيئين كلاهما شر dilemma ، وكان القادة اليهود هم الذين أوقعوه في هذه الحيرة الصعبة . لأنهم هم الذين أسلموا يسوع إليه ليحاكمه ، وهم الذين اتهموه بأن تعاليمه وادعاءاته كانت هدامة . وهم الذين أثاروا الجمع ليطالب بصلبه. لذا ك ،

وكما قال يسوع نفسه لبيلاطس ، " الذي أسلمني إليك له خطيـة أعظـم"(يـو ١٩:١٢). وربما كان يشير الى رئيس الكهنة قيافا نظرا الى أنه استعمل صيغة المفرد ، ولكن مجلس السنهدرين كله كان متورطا. وبالحقيقة كان الشعب كذلك متورطا ، كما قال بطرس بجرأة بعد يوم الخمسين بوقت قصير: " أيها الرجال الإسرائيليون أنتم أسلمتموه (يسوع) ليقتل وأنكرتموه أمام بيلاطس ، وهو حاكم بإطلاقه . أنتم أنكرتم القدوس البار وطلبتم أن يوهب لكم رجل قاتل . ورئيس الحياة قتلتموه ...". (أع ٣:١٢-١٥). يبدو أن الجموع التي رحبت بيسوع ترحيبا صاخبا لدى دخوله الى أورشليم في يوم أحد السعف هي التي كانت بعد خمسة أيام تصرخ مطالبة بدمه. مع ذلك فإن قادتهم كانوا يستحقون اللوم أيضا بسبب تحريضهم للجموع .

لقد أقلق يسوع المؤسسة اليهودية منذ مطلع خدمته العامة . كان أولا مخالفا للقواعد والأصول . فمع أنه اتخذ وضعة رباي Rabbi فإنه لم يصل إلى هذا المركز من الباب الصحيح ولم يَرْقَ اليه عبر السلم الصحيح . لم تكن لديه أوراق اعتماد و لا تفويض ملائم . ثم إنه تصرف بطريقة أثارت الجدل بسلوكه الاستفزازي ، مؤاخيا ذوي السمعة السيئة ومشتركا في الولائم عوضا عن الصيام ، وشافيا الناس يوم السبت منتهكا بذلك حرمته . وإذ لم يكتف بعدم احترام تقاليد الشيوخ ، رفضها في الواقع بجملتها ، وانتقد الفريسيين بسبب إعلائهم التقليد على الكتاب . قال لهم ، إنهم كانوا يهتمون بالقواعد أكثر من الأشخاص ، وبالتطهير الطقسي أكثر من الطهارة الأخلاقية ، واهتموا بالقوانين أكثر من المحبة . بل إنه شجب الفريسيين بوصفهم "مرائين"، ودعاهم عميانا قادة عميان و شبههم بالقبور المبيضة التي تبدو حسنة من الخارج و لكنها من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة (مت٢٣ : ٢٧). كانت هذه اتهامات لا تطاق . الأسوأ من ذلك أنه كان يقوض سلطتهم . وكان في الوقت نفسه يدعي ادعاءات تثير السخط بأنه رب السبت ، وأنه يعرف الله بصورة فريدة بوصفه أباه ، بل وأنه مساو لله . كان هذا تجديفا. تجديفا بكل معنى الكلمة.

ولكونهم واثقين بأنفسهم أنهم أبرار امتلأوا سخطا على يسوع . كان تعليمه هرطوقيا. وكان سلوكه إهانة للناموس المقدس . كان يضل الناس . وانتشرت الشائعات بأنه كان يشجع عدم الولاء لقيصر. فكان ينبغي وقف خدمته قبل أن يسبب مزيدا من الأذى . كانت لديهم أسباب سياسية ولاهوتية وأخلاقية وجيهة للمطالبة بالقبض عليه ومحاكمته وإسكاته . علاوة على ذلك عندما حاكموه و استحلفوه أن

يدلي بشهادته ادعى لنفسه ، حتى في ذلك الموقف ، ادعاءات تجديفية. لقد سمعوه بآذانهم . فلم تعد هناك ضرورة لمزيد من الشهود . لقد كان مجدفا ، باعترافه الشخصي . كان يستحق الموت . كان الأمر واضحا كل الوضوح . كان مذنبا ، وكانت أيديهم نظيفة .

مع ذلك كله ، كانت هناك نواقص في دعوى القادة اليهود . فإذا نحينا جانبا السؤال الأساسي المتعلق بكون ادعاءات يسوع صادقة أم كاذبة ، فقد كانت هناك مسألة الدافع. ماذا كان السبب الأساسي لعداء الكهنة ليسوع ؟ هل كان السبب كله اهتمامهم بالاستقرار السياسي والحق العقائدي والطهارة الأخلاقية ؟ إن بيلاطس لم يعتقد ذلك . لم يؤخذ بالمبررات التي انتحلوها ولا سيما ولاءهم المزعوم للأمبراطور. وكما عبر ه.ب. سويت H.B.Swete " لقد اكتشف تحت قناعهم رذيلة الحسد الشائعة ".[٩] وبحسب ما ذكر متى "علم أنهم أسلموه حسدا".[١٠] وليس ثمة سبب يدعو الى الشك في تخمين بيلاطس. كان خبيرا داهية في الحكم على الطبع البشري. بالإضافة الى ذلك يبدو أن تسجيل البشيرين لهذا الحكم هو مصادقة عليه.

يبدو أن الحسد هو الوجه الآخر لعملة اسمها الغرور. فلن يحسد الآخرين من لم يكن أولا مغرورا بنفسه . لقد كان القادة اليهود مغرورين ، عرقيا ووطنيا ودينيا وأخلاقيا. كانوا فخورين بتاريخ أمتهم الطويل الذي تميز بعلاقة خاصة مع الله ، فخورين بدورهم القيادي في هذه الأمة ، وفوق كل هذا كانوا فخورين بسلطانهم . كان نزاعهم مع يسوع بصورة أساسية نزاعا حول السلطة . لأنه تحدى سلطتهم ، ففي حين أنه كان يملك سلطة ، كانوا يفتقرون اليها بوضوح . وعندما وجهوا إليه سؤالين سابرين "بأي سلطان تفعل هذا ؟ ومن أعطاك هذا السلطان حتى تفعل هذا ؟ " (مرقس١١:٢٨) ظنوا أنهم قد أوقعوه في شرك . لكنهم بدلا من ذلك ألفوا أنفسهم في الشرك بسبب سؤاله المضاد "معمودية يوحنا من السماء كانت أم من الناس ؟ أجيبوني ! "(مرقس١١:٣٠). لقد وقعوا في الفخ . لم يستطيعوا أن يجيبوا: "من السماء" لأنهم لو فعلوا لأراد أن يعرف لماذا لم يؤمنوا به. ولم يكن بوسعهم أن يجيبوا: "من الناس" لأنهم كانوا يخافون من الشعب الذين كانوا مقتنعين بأنه نبي حقيقي . لذلك لم يجيبوا بشيء. كانت مراوغتهم مظهرا ينم عن عدم إخلاص . فإذا لم يكونوا قادرين على مواجهة تحدي سلطة يوحنا لهم ، فإنهم لم يكونوا بالتأكيد

---

9 H. B. Swete, *The Gospel According to St Mark*, p. 350.

١٠ مت ٢٧: ١٨ ؛ قارن مر ١٥: ١٠

قادرين على مواجهة تحدي سلطة المسيح لهم. لقد ادعى بأن له سلطانا أن يعلم عن الله ، وأن يخرج الأرواح الشريرة ، وأن يغفر الخطايا، وأن يدين العالم . وفي كل هذه كان مختلفا عنهم كل الاختلاف ، لأن السلطة الوحيدة التي عرفوها هي الرجوع الى سلطات أخرى . فضلا عن ذلك كانت في سلطته أصالة تبرهن عن نفسها . كانت سلطته حقيقية عفوية صريحة مستمدة من الله .

لذلك شعروا بأن يسوع يهددهم . لقد قوض هيبتهم وهيمنتهم على الشعب وثقتهم بأنفسهم واحترامهم لأنفسهم بينما ظلت هذه الأمور من جهته هو سليمة . كانوا "يحسدونه" ، ولذلك عزموا على التخلص منه . مما يلفت الانتباه أن متى يسجل لنا مؤامرتين حسودتين للقضاء على يسوع ، الأولى دبرها هيرودس الكبير في بداية حياته والأخرى دبرها الكهنة في نهاية حياته . وكلا الفريقين شعر بأن سلطته مهددة لذلك سعى كلاهما الى أن "يهلك" يسوع.[11] و مهما بدت حجج الكهنة السياسية واللاهوتية محترمة في الظاهر، فقد كان الحسد هو الذي دفعهم لكي "يسلموا" يسوع الى بيلاطس ليهلكه (مرقس ١٥:١،١٠) .

هذه العاطفة الشريرة نفسها تؤثر في مواقفنا المعاصرة من يسوع. فما زال ، كما دعاه سي. إس. لويس "متدخلا خارقا ".[12] إننا نمتعض من اقتحاماته لخصوصيتنا ، ومطالبته لنا بعبادته وتوقعه الطاعة منا. ونسأل بوقاحة ، لماذا لا يهتم بشأنه هو، و يتركنا وشأننا ؟ يجيب عن ذلك فورا بأننا نحن شأنه وأنه لن يتركنا وشأننا . وهكذا ننظر إليه نحن أيضا كمنافس يهددنا ، يعكر سلامنا ويقلق وضعنا الراهن ، يقوض سلطتنا ويقلل من احترامنا لأنفسنا . فنحن أيضا نريد التخلص منه .

يهوذا الاسخريوطي الخائن

بعد أن رأينا كيف أسلم يسوع من قبل الكهنة الى بيلاطس ، ومن قبل بيلاطس الى العسكر الروماني. علينا الآن أن ندرس كيف أسلم أولا من قبل يهوذا الى الكهنة . هذا التسليم يطلق عليه تعبير محدد هو " الخيانة ". بالحقيقة سيظل يقال عن خميس العهد بأنه "الليلة التي أسلم فيها" (١كو ١١:٢٣) ، وعن يهوذا بأنه التلميذ " الذي صار له مُسَلِّمًا "، هذه الكتابة التأبينية التي تتضمن اتهام يهوذا ، ألصقت

---

[11] مت ٢: ١٣ و ٢٧ :٢٠

[12] C. S. Lewis, *Surprised by Joy*, p. 163.

باسمه عندما ذكر لأول مرة في الأناجيل ضمن أسماء الاثني عشر. وجميع كتاب الأناجيل المتوازية أدرجوا اسمه في آخر قائمة أسماء الرسل.[١٣]

ليس من غير المألوف أن نسمع الناس يبدون عطفهم على يهوذا. فهم يشعرون بأنه قد عومل معاملة غير منصفة أبان حياته، وجار عليه الجمهور منذ ذلك الحين. ويقولون، "برغم كل شيء، مادام كان لزاما أن يموت يسوع، كان لابد من شخص ما يخونه. فلماذا نلوم يهوذا؟ إنه لم يكن سوى أداة بيد العناية الإلهية، وضحية للتعيين السابق". حقا إن الرواية الكتابية تدل دلالة مؤكدة على أن يسوع علم مسبقا هوية مسلمه [١٤]، وأشار إليه بأنه "ابن الهلاك لكي تكمل الكتب".[١٥] وصحيح أيضا أن يهوذا لم يفعل فعلته إلا بعد أن "حثّه" الشيطان أولا، ثم "دخله" بالفعل.[١٦]

مع ذلك فإن شيئا من هذا لن يبريء يهوذا. ينبغي أن يعد مسؤولا عما فعله، بعد أن خطط له، دون شك، قبل ذلك بفترة من الزمن. ان تنبؤ الكتاب عن خيانته لا يعني أنه لم يكن حرا في فعله أكثر مما تعني نبوات العهد القديم عن موت يسوع أنه لم يمت بمحض ارادته. وهكذا أشار لوقا فيما بعد الى "شره" [ظلمه] (أع ١٨:١). ومهما كانت المؤثرات الشيطانية التي تعرض لها قوية، فلا بد أنه في وقت من الأوقات سمح لها بالدخول الى قلبه. يبدو بوضوح أن يسوع اعتبره مسؤولا عن تصرفاته، لأنه حتى في اللحظة الأخيرة في العلية قدم له مناشدة أخيرة حين غمس اللقمة في الصحفة وأعطاها له (يو١٣:٢٥-٣٠). لكن يهوذا رفض مناشدة يسوع، لذلك بدت خيانته دوما أكثر بشاعة لأنها كانت خرقا فاضحا للضيافة. وبهذا تمت نبوة أخرى في الكتاب تقول: "حتى صديقي الحميم الذي وثقت به، الذي كان يشاركني خبزي، رفع علي عقبه" (مز ٤١:٩). وبلغ استهتار يهوذا ذروته عندما اختار أن يسلم سيده بقبلة، مستخدما علامة الصداقة هذه كوسيلة لتدميرها. وهكذا أكد يسوع جريمته قائلا: "ويل لذلك الرجل الذي يسلم به ابن الانسان! كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد" (مر ١٤:٢١). فلم يحكم يسوع فقط بإدانته، بل توصل يهوذا في النهاية إلى إدانة نفسه. لقد أقر بجريمته إذ سلم دما

[١٣] مت ١٠: ٤؛ مر ٣: ١٩؛ لو ٦: ١٦

[١٤] يو ٦: ٦٤ و ٧١؛ ١٣: ١١

[١٥] يو ١٧: ١٢ قارن أع ١: ١٥-١٧، ٢٥

[١٦] يو ١٣: ٢، ٢٧ قارن لو ٢٢: ٣

بريئا ، و رد الفضة التي قبضها ثمنا ليسوع وانتحر. لا شك أن الندم تملكه أكثر مما تملكته التوبة ، لكنه على الأقل اعترف بجريمته.

لقد شغل الدافع الذي وراء جريمة يهوذا فضول الدارسين وإبداعهم زمنا طويلا. اقتنع بعضهم بأنه كان غيورا يهوديا [١٧] ، انضم الى يسوع و أتباعه اعتقادا منه بأن حركتهم كانت حركة قومية تحريرية ، وأخيرا خانه ، إما نتيجة خيبة أمله السياسية أو حيلة منه ليجبر يسوع كرها ويرغمه على الكفاح . ويجد الذين يحاولون تفسيرا من هذا النوع دليلا تثبيتيا في اسم يهوذا "الاسخريوطي" مع أن الجميع يقرون بأنه غامض. ويقبل بعامة أنه يشير الى أصله كرجل من " قريوت "، وهي بلدة واقعة في المنطقة الجنوبية من يهوذا ، وورد ذكرها في يشوع ١٥:٢٥ أما الذين يعتقدون بأن يهوذا كان غيورا فيقترحون أن اسخريوط ترتبط بكلمة *سيكاريوس* سفاك* (من كلمة *سيكا* اللاتينية وكلمة *سيكاريون* اليونانية اللتين تعنيان "خنجرا ") . ويشير يوسيفوس إلى *السيكارويي*.[١٨]

لقد ألهبتهم مشاعر القومية اليهودية المتعصبة ، فصمموا على استرداد استقلال وطنهم من الحكم الروماني الاستعماري ، وفي سبيل هذه الغاية لم يحجموا عن اغتيال خصومهم السياسيين الذين كانوا يحتقرونهم كمتعاونين . يشار إليهم مرة واحدة في العهد الجديد عندما ظن الضابط الروماني ، الذي أنقذ بولس من الإعدام دون محاكمة في أورشليم ، أنه هو " المصري الذي صنع مثل هذه الأيام فتنة وأخرج الى البرية أربعة آلاف من القتلة (*سيكارويي*) " (أع ٢١:٣٨).

ويعد مفسرون آخرون هذا تفسيرا مهلهلا جدا. ولا يعزون زدة يهوذا الى دافع سياسي ، بل بالأحرى الى عيب أخلاقي ، أي الطمع الذي يذكره البشير الرابع. فيخبرنا أن يهوذا كان خازنا (بالتعبير الحديث) لجماعة الرسل . إذ أؤتمن على المال

---

[١٧] كان مؤسس حزب الغيورين سَمِيَّ يهوذا، وهو "يهوذا الجليلي" الذي قاد في عام ٦ ق م ثورة مسلحة ضد روما (ذكرت في أعمال الرسل ٥: ٣٧) . وقد سحق العصيان وقتل يهوذا، لكن أولاده استمروا في النضال. وكانت قلعة مسعدة الحصن الأخير لمقاومة الغيورين ضد روما. وسقطت عام ٧٤ م . إن ويليام باركلي هو أحد الذين رأوا أن الأمر الأكثر احتمالا هو أن يهوذا كان غيورا، وأن قبلته ليسوع في البستان أن لم تكن "بقصد خيانته"، بل كانت بالأحرى علامة قصد بها حث يسوع على التخلي عن تردده و الشروع في حملته التي طال انتظارها (*مصلوب و متوج* *Crucified and Crowned* ص ٣٦-٣٧).

* السفاك assasin : قاتل مأجور بدافع من تعصب . (قاموس المورد) [المترجم]

[18] See Josephus' *Antiquities* xx. 163-165, 186-188 and *Jewish War* ii.254-257.

المشترك . أورد يوحنا ملاحظته هذه عندما قامت مريم بمسح يسوع في بيت عنيا. كانت مريم قد أحضرت قارورة مرمر تحوي عطرا غالي الثمن (ناردين نقي حسب رواية مرقس و يوحنا) ، شرعت تسكبه عليه ، فيما كان متكئا الى ان امتلأ البيت برائحة الطيب . كانت ايماءة سخية ، تعبر عن الولاء الشديد الذي يكاد لا يبالي بسؤ العاقبة ، دعاها يسوع نفسه فيما بعد "عملا حسنا". لكن بعض الحضور (الذين نطق يهوذا بلسانهم) أبدوا رد فعل مخالف تماما. وبينما كانوا يرقبونها بدهشة شخروا (حرفيا) تعبيرا عن سخطهم الذي ينم عن اعتقادهم بأنهم أبرار. قالوا: "ما هذا الإتلاف! ما هذا التبذير الشرير. كان يمكن أن يباع هذا الطيب بأكثر من أجرة عامل لمدة سنة ، ويعطى المال للفقراء". إلا أن قولهم هذا كان غير صادق ويبعث على الغثيان ، إذ يتابع يوحنا قائلا، " لم يقل يهوذا هذا لأنه كان يبالي بالفقراء بل لأنه كان سارقا؛ وباعتبار أنه كان يحتفظ بكيس المال ، اعتاد أن يستفيد مما يلقى فيه". بالحقيقة بعد أن رأى ماقامت به مريم واعتبره إتلافا لا مسؤولا وشجبه مضى مباشرة ، كما يبدو ، الى الكهنة ليعوض بعضا من الخسارة . قال لهم: "ماذا تريدون أن تعطوني وأنا أسلمه إليكم ؟ ". ولا شك أنهم بدأوا في المساومة ، وفي الآخر اتفقوا على ٣٠ من الفضة ، وهو ثمن فدية عبد عادي . ونظرا الى احساس البشيرين المسرحي الرفيع، فإنهم يُظْهِرُونَ متعمدين التباين بين سخاء مريم دون حساب ومساومة يهوذا المحسوبة ببرود . ولا نستطيع الا أن نحزر فقط أي مشاعر خبيثة كانت تغلي في قلبه ، لكن يوحنا يصر على أن الطمع بالمال هو الذي تغلب عليه في نهاية الأمر. لقد اغتاظ جدا بسبب إتلاف أجورسنة، فمضى وباع يسوع بثمن لا يكاد يساوي ثلث ذلك المقدار.[١٩]

فليس من قبيل العبث أن يطلب يسوع منا أن " نتحرز من الطمع"، أو أن يعلن بولس لنا أن محبة المال " أصل لكل الشرور".[٢٠] لأن البشر في اندفاعهم وراء الربح المادي تدنوا الى أحط الدركات . فالحكام عوجوا العدالة بسبب الرشوة ، كما فعل قضاة اسرائيل الذين قال عنهم عاموس: "يبيعون البار بالفضة، والبائس بنعلين" (٢:٦). واستخدم السياسيون نفوذهم لمنح العقود الى من يعرض عليهم ، لقاء ذلك ، أكبر مبلغ ، وانحدر الجواسيس انحدارا شديدا حتى باعوا أسرار بلدهم للعدو. وقام رجال الأعمال بعقد صفقات تجارية مشبوهة ، معرضين سلامة الآخرين للخطر،

١٩ مت ٢٦:٦-١٦ ؛ مر ١٤ : ٣-١١ ؛ يو ١٢: ٣-٨ و ١٣: ٢٩
٢٠ لو ١٢: ١٥ ؛ ١ تي ٦: ١٠

بغية الحصول على صفقات أفضل . وحتى بعض الذين يفترض أن يكونوا معلمين روحيين ، عرف عنهم أنهم حولوا الدين الى مشروع تجاري ، وما زال البعض في أيامنا يفعلون ذلك ، وهكذا فإن المرشح لخدمة الرعاية ينبه الى أنه ينبغي عليه أن " لا يكون محبا للمال ".[٢١] إن لغة هؤلاء جميعا هي كلغة يهوذا: " ماذا تريدون أن تعطوني و أنا أسلمه إليكم ؟ ". ويؤكد الكلبيون cynical ، " لكل انسان ثمنه "، بدءا من السفاك المأجور، المستعد أن يساوم على حياة إنسان ما ، وانتهاء بالموظف الصغير الذي يؤجل مسألة منح إذن أو جواز سفر الى أن تدفع له الرشوة. ولم يكن يهوذا مستثنى من هذه القاعدة . قال يسوع إن من المستحيل أن يخدم المرء الله والمال . اختار يهوذا المال . وكثيرون فعلوا الشيء نفسه.

خطاياهم و خطايانا

لقد نظرنا بعناية الى ثلاثة أفراد ـ بيلاطس و قيافا ويهوذا ــ ألقى البشيرون عليهم باللوم الأكبرمن أجل صليب يسوع، ونظرنا أيضا الى أولئك المرتبطين بهم، سواء أكانوا الكهنة أو الجمهور أو العسكر. ويستخدم الفعل نفسه عند ذكر كل شخص أو مجموعة وهو *بارا ديدومي* ، التي تعني " يُسَلِّمُ " أو "يخون".

لقد تنبأ يسوع بأنه "سوف يُسَلَّمُ الى أيدي الناس" أو "سوف يسلم ليصلب".[٢٢] و يروي البشيرون قصتهم بطريقة تبين كيف صدقت نبوة يسوع . فيهوذا أولا " أسلمه" الى الكهنة (بدافع الطمع). ثم " أسلمه" الكهنة الى بيلاطس (بدافع الحسد). بعد ذاك "أسلمه" بيلاطس الى العسكر (بدافع الجبن) ، فصلبوه .[٢٣]

إن رد فعلنا الغريزي على هذا الشر المتراكم هو صدى لسؤال الدهشة الذي سأله بيلاطس ، عندما صرخ الجمهور مطالبين بقتله : لماذا ؟ ما الجريمة التي ارتكبها ؟ (مت٢٧:٢٣). لكن بيلاطس لم يتلق جوابا منطقيا. كل ما فعله الجمهور المهستر أنهم صرخوا بصوت أعلى: "اصلبه !" ولكن لماذا ؟

لماذا ؟ وماذا فعل سيدي ؟

---

[٢١] اتي ٣:٣ ، ٨ ؛ تي ١: ٧ قارن أعمال ٨: ١٨-٢٣ و ٢٠: ٣٣-٣٤
[٢٢] مت ١٧ : ٢٢ ؛ ٢٦: ٢
[٢٣] مت ٢٦: ١٤-١٦ (يهوذا) ؛ ٢٧: ١٨ (الكهنة) ؛ ٢٧: ٢٦ (بيلاطس).

ما سبب هذا الغيظ والحقد ؟
لقد جعل الأعرج يمشي ويقفز
و وهب البصر للعمي .
يا لها من أضرار حلوة !
و مع ذلك فهذه هي التي
انزعجوا منها ،
وقاموا عليه .

من الطبيعي أن نبحث عن أعذار لهم ، لأننا نرى أنفسنا فيهم ونود أن نوجد الأعذار لأنفسنا. بالحقيقة كانت هناك بعض الأسباب المخففة . كما قال يسوع نفسه في صلاته طالبا الغفران للعسكر الروماني الذين كانوا يصلبونه ، "إنهم لا يعلمون ماذا يفعلون". وكذلك قال بطرس لجمهور اليهود في أورشليم ، " أنا أعلم أنكم بجهالة عملتم كما رؤساءكم أيضا ". وأضاف بولس ، لو " أن عظماء هذا الدهر" فهموا " لما صلبوا رب المجد ".[٢٤] لكنهم عرفوا ما يكفي لجعلهم يستحقون اللوم ، وليقبلوا حقيقة ذنبهم وليدانوا بسبب أعمالهم . ألم يَدَّعوا كامل المسؤولية عندما صرخوا، " دمه علينا وعلى أولادنا!" ؟ [٢٥] كان بطرس صريحا تماما في يوم الخمسين: " فليعلم يقينا جميع بيت اسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي *صلبتموه أنتم* ربا ومسيحا. فضلا عن ذلك ، فإن سامعيه ، الذين لم يبدوا أي معارضة لقوله " نخسوا في قلوبهم" وسألوا عما يجب عليهم أن يفعلوه ليقدموا ترضية (أع٢:٣٦-٣٧). كما أن ستيفانوس كان أكثر صراحة في خطابه ، الذي وجهه الى السنهدرين ، وأدى الى استشهاده . فبعد أن دعا أفراد المجلس " قساة الرقاب وغير مختوني القلوب والآذان" ، اتهمهم بمقاومة الروح القدس كما كان يفعل آباؤهم . لأن آباءهم اضطهدوا الأنبياء وقتلوا الذين أنبأوا بمجيء المسيا ، وها هم الآن قد خانوا المسيا نفسه وقتلوه (أع٧: ٥١-٥٢). وكان بولس سيستخدم لغة مماثلة وهو يكتب الى التسالونيكيين عن مقاومة اليهود المعاصرين له: إنهم " قتلوا الرب يسوع والأنبياء واضطهدونا نحن". ولأنهم كانوا يحاولون منع الأمم من أن يخلصوا، فسوف تقع عليهم دينونة الله (اتس ٢:١٤-١٦).

---

[٢٤] لو ٢٣: ٣٤ ؛ أعمال ٣: ١٧ ؛ ١ كو ٢: ٨
[٢٥] مت ٢٧: ٢٥ قارن أعمال ٥: ٢٨

إن لوم الشعب اليهودي من أجل صلب يسوع طراز من التفكير غير مقبول سياسيا اليوم . بالحقيقة ، اذا استخدم لتبرير تشويه سمعة اليهود واضطهادهم (كما حدث في الماضي) ، أو استخدم للاسامية ، فانه لا يمكن الدفاع عنه مطلقا. إلا أن السبيل لتجنب التحيز ضد السامية، ليس في الزعم بأن اليهود كانوا أبرياء ، ولكنه، بعد الإقرار بأنهم كانوا مذنبين ، في أن نضيف أن الآخرين شاركوهم في جريمتهم. هكذا نظر الرسل الى المسألة. فقالوا إن هيرودس وبيلاطس والأمم واليهود " تآمروا " معا ضد يسوع (أع ٤:٢٧). مع ذلك، فإن الأكثر أهمية هو أن نرى أننا نحن أيضا مذنبون . ولو كنا في مكانهم لفعلنا ما فعلوه. بالحقيقة لقد *فعلناه*. لأننا كلما ارتددنا عن المسيح، " نصلب ابن الله ثانية ونشهره" (عب٦:٦). نحن أيضا كيهوذا نضحي بيسوع في سبيل طمعنا ، وكالكهنة في سبيل حسدنا ، وكبيلاطس في سبيل طموحنا. تسأل إحدى ترنيمات السود القديمة "هل كنت هناك عندما صلبوا ربي ؟ " وينبغي أن نجيب ، "نعم كنا هناك". ليس كمشاهدين فحسب بل كمشاركين أيضا، مشاركين مذنبين ، متآمرين ، مخططين ، خائنين ، مساومين ، و مسلمين إياه لكي يصلب . قد نغسل أيدينا كبيلاطس معلنين عدم مسؤوليتنا. لكن محاولتنا ستكون كمحاولته عديمة الجدوى . أيدينا ملطخة بالدم . وقبل أن نستطيع البدء برؤية الصليب كأمر حدث *لأجلنا* (يقودنا الى الإيمان والعبادة) ، ينبغي أن نراه باعتباره أمرا *فعلناه* نحن (يقودنا الى التوبة).

وما أصدق ما كتبه الكانن بيتر غرين Canon Peter Green "إن الانسان المستعد للاعتراف بإسهامه في جريمة الصليب هو وحده الذي يستطيع أن يطالب بنصيبه من نعمة الصليب".[٢٦] لقد أحسن التعبير عن ذلك هوراشيوس بونار Horatius Bonar (١٨٠٨-١٨٨٩) الذي لقب بأمير ناظمي الترانيم الاسكتلنديين :

أنا الذي سفكت الدم المقدس
لقد سمرته على الخشبة
أنا صلبت مسيح الله
وانضممت الى المستهزئين به .
أشعر بأنني كنت واحدا
من ذلك الجمع الذي يصيح

[26] Peter Green, *Watchers by the cross*, p. 17.

وأتبين صوتي في ضجيج
أصواتهم الفظة .

أرى حشدا يحيط بالصليب
يهزؤون بأنين المتألم ؛
مع ذلك يبدو لي صوتي
وكأنني المستهزيء الوحيد.

قصدنا بالجواب الذي قدمناه حتى الآن عن السؤال "لماذا مات المسيح ؟" أن يظهر الطريقة التي روى بها كتاب الانجيل قصتهم . إنهم يشيرون الى سلسلة المسؤولية (من يهوذا الى الكهنة ، ومن الكهنة الى بيلاطس ومن بيلاطس الى العسكر)، ويلمحون على الأقل الى الطمع والحسد والخوف التي لقنتهم سلوكهم ، وتلقننا سلوكنا نحن . مع ذلك لا يشكل هذا القصة الكاملة التي يقدمها البشيرون . لقد أَغْفَلْتُ جزءا إضافيا وحيويا من الدليل الذي زودونا به. هذا الجزء هو: مع أن خطايا البشر قادت يسوع الى موته ، فإنه لم يمت كشهيد. الأمر بالعكس ، فقد سار الى الصليب طوعا ، بل بتعمد . ومنذ بداية خدمته العامة كرس نفسه لهذا المصير.

بمعموديته دمج نفسه بالخطاة (مثلما كان سيفعل، وبصورة أكمل ، علىالصليب)، وأثناء تجربته رفض أن ينحرف عن طريق الصليب. لقد تنبأ مرارا بآلامه وموته، كما رأينا في الفصل السابق ، وعزم في نفسه عزما ثابتا أن يذهب الى أورشليم ليموت هناك . إن استعماله المطرد لكلمة "ينبغي" فيما يتعلق بموته لم يعبر عن إلزام خارجي ما ، بل عن عزمه الباطني على إتمام ما كتب عنه. وهكذا قال: "الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف". ثم ترك المجاز، وقال، " أنا أضع نفسي، ليس أحد يأخذها مني بل أنا أضعها من ذاتي" (يو ١٠:١١،١٧-١٨).

علاوة على ذلك ، عندما تناول الرسل في رسائلهم الطبيعة الطوعية لموت يسوع "استخدموا مرارا فعل (*باراديدومي*) نفسه الذي استخدمه البشيرون لوصف " تسليم" يسوع من قبل الآخرين لكي يموت. وهكذا استطاع بولس أن يكتب " ابن الله...أحبني وأسلم (*بارادونتس*) نفسه لأجلي.[٢٧] وربما كان هذا صدى واعيا لأشعياء ٥٣:١٢ الذي يقول " سكب (*باريدوثي* ، حسب الترجمة السبعينية) للموت نفسه ". كذلك استخدم بولس الفعل نفسه عندما نظر الى ما وراء قيام الابن بتسليم نفسه طوعا ، أي الى قيام الآب بتسليمه. مثلا، " الذي لم يشفق على ابنه بل بذله

---

٢٧ غل ٢: ٢٠ قارن أف ٥: ٢ ، ٢٥ و كذلك لو ٢٣: ٤٦

(باريدوكن) لأجلنا أجمعين ـ كيف لا يهبنا معه أيضا كل شيء ؟".[28] لقد لخص ذلك أوكتافيوس وينسلو Octavius Winslow في بيان محكم: " من أسلم يسوع ليموت ؟ لم يسلمه يهوذا في سبيل المال ؛ ولا بيلاطس بسبب الخوف ؛ ولا اليهود بسبب الحسد ؛ ـ بل الآب بسبب المحبة !".[29]

إنه لأمر أساسي أن نبقي معا هاتين الطريقتين المتتامتين في النظر الى الصليب. فعلى المستوى البشري أسلمه يهوذا الى الكهنة ، وهم أسلموه الى بيلاطس ، و هو بدوره أسلمه الى العسكر، الذين صلبوه . ولكن على المستوى الإلهي ، أسلمه الآب وأسلم هو نفسه ليموت لأجلنا . فعندما نواجه الصليب ، نستطيع أن نقول لأنفسنا على حد سواء: "*أنا* فعلت ذلك ، خطاياي أرسلته الى هناك " و " هو فعل ذلك ، محبته قادته الى هناك ". لقد جمع الرسول بطرس هاتين الحقيقتين في بيانه الرابع في يوم الخمسين فقال ، إن "هذا الرجل أسلم إليكم بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق ". وتابع قائلا: " أنتم ، بمساعدة أناس أثمة ، قتلتموه مسمرين إياه على الصليب".[30] وهكذا عزا بطرس موت يسوع ، في آن واحد ، الى خطة الله والى شر البشر. لأن الصليب ، كما درسناه في هذا الفصل بخاصة ، كشف لشر الانسان ، وإعلان ، في الوقت نفسه ، عن القصد الإلهي الذي هو التغلب على الشر البشري الذي كشفه الصليب.

أعود في نهاية هذا الفصل الى السؤال الذي بدأته به: لماذا مات يسوع المسيح ؟ كان جوابي الأول أنه لم يمت ؛ إنه قتل . إلا أن علي الآن أن أوازن بين هذا الجواب ونقيضه . إنه لم يقتل . لقد مات باذلا نفسه طوعا ليفعل إرادة أبيه.

لكي نميز ماذا كانت إرادة الآب علينا أن نراجع الأحداث نفسها ناظرين هذه المرة الى ما تحت السطح .

---

[28] رو ٨: ٣٢ ؛ قارن ٤: ٢٥

[29] أشعر بالامتنان نحو دافيد كنغدون لأجل لفته انتباهي إلى هذا الاقتباس الذي أورده جون موراي في كتابه *الرسالة الى الرومانيين* "Romans Vol. 1, p. 324, بعد أن نقله عن كتاب ونسلو ، *لا دينونة في المسيح يسوع* Winslow's No Condemnation in Christ Jesus (١٨٥٧ م) .

[30] أعمال ٢: ٢٣ قارن ٤: ٢٨ . وكان بطرس سيصف يسوع فيما بعد ، في رسالته الأولى ، بأنه الحَمَلُ نظرا لأنه "مختار قبل تأسيس العالم" (١بطرس١: ١٩-٢٠) .

٣

النظر الى ما تحت السطح

قصدت في الفصلين السابقين أن أرسخ حقيقتين حول الصليب . أولاهما ، أهميته المركزية (للمسيح ، ولرسله ، ولكنيسته في العالم أجمع منذ ذلك الحين). والثانية ، طبيعته المتعمدة (فمع أنه ناجم عن شر الانسان ، فقد كان أيضا بسبب مشورة الله المحتومة ، التي قبلها المسيح طوعا فبذل نفسه حتى الموت).

لكن لماذا ؟ علينا أن نرجع الى هذا اللغز الأساسي . ما الذي جعل صلب المسيح ، بالرغم من رعبه وخزيه وألمه ، على هذا القدر من الأهمية حتى أن الله خطط له مسبقا وجاء المسيح لكي يتحمله ؟

بنية أولية

قد يكون من المفيد لنا أن نجيب عن هذا السؤال على أربع مراحل ، بدءا بما هو واضح المعالم ، وغير مثير للجدل . ثم النفاذ تدريجا والتعمق حتى نصل الى السر.

أولا ، *مات المسيح لأجلنا* . بالإضافة الى أن موت المسيح كان ضروريا وطوعيا ، فإنه كان غيريا ونافعا . لقد تعهد بالقيام به لأجلنا ، وليس لأجل نفسه ، وآمن بأنه سيؤمن لنا عن طريقه خيرا لا يمكن أن يؤمنه عن طريق آخر. قال يسوع ، إن الراعي الصالح كان سيبذل نفسه "عن الخراف " لمنفعتهم . وشبيه بذلك كلماته التي قالها في العلية حينما ناولهم الخبز "هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم". أخذ الرسل هذا المفهوم البسيط وكرروه ، وغيروه في بعض الأحيان من صيغة المخاطب الى صيغة المتكلم: " المسيح مات لأجلنا ".[١] ليس ثمة بعد تفسير للبركة

[١] يو ١٠ :١١ ، ١٥ ؛ لو ٢٢ :١٩ ؛ رو ٥ :٨ ؛ أف ٥ :٢ ؛ ١ تس ٥ :١٠ ؛ تي ٢ : ١٤ . لقد بين الأستاذ مارتن هنغل *Martin Hengel* ، بفضل معرفته الواسعة ، أن فكرة قيام شخص بالموت طوعا من أجل مدينته و عائلته وأصدقائه و من أجل الحق أو لتهدئة الآلهة ، كانت واسعة الانتشار في العالم اليوناني الروماني . و صيغت للتعبير عنها كلمة مركبة خاصة *هايبرأبوثنيسكين*

التي مات ليدبرها لنا ولا تعريف بها ، لكننـا متفقون علـى الأقل بشـأن " لأجلكـم" و " لأجلنا ".

. ثانيا، *المسيح مات لأجلنا ليقربنا الى الله* (١بط٣:١٨). إن القصد من موتـه الـذي يعود علينا بالخير إنما يتركز في مصالحتنا. وهذا ما يعبر عنه قانون الإيمان النيقاوي ، " الذي من أجلنا (عامة) ومن أجل خلاصنا (خاصة) نزل مـن السـماء..." يُصَـوَّرُ الخلاص الذي مات ليربحه لنا بصور متنوعة . فأحيانا ينظر إليه سلبا على أنـه فـداء أو غفران أو إنقاذ . و في أحيان أخرى يكون إيجابيا ـ حياة جديدة أو أبدية، أو سلام مع الله ، من خلال التمتع برضـاه و صحبتـه.[٢] فـي الوقت الحـاضر لا تهمنـا دقـة المفردات المستعملة . إن النقطة الهامة هي أنـه يسـتطيع، نتيجـة لموتـه ، أن يمنحنـا بركـة الخلاص العظيمة .

ثالثا، *مات المسيح لأجل خطايانا* . كانت خطايانا عائقـا يحـول بيننـا و بيـن نـوال العطية التي أراد أن يمنحها لنا . فكان ينبغي أن تزال خطايانا قبـل أن تمنـح العطيـة لنا. وقد عـالج خطايانـا أو أزالهـا بموتـه . إن معظـم كتـاب العهـد الجديـد الرئيسـين يستخدمون تعبير " لأجل خطايانا " (أو تعـابير شـديدة الشـبه بـه). ويبـدو أنهـم كـانوا متأكدين تماما ــ بطريقة ما ستحدد فيما بعد ــ من أن مـوت المسـيح وخطايانـا كانـا مرتبطين ببعضهما . فيما يلي عينة من الاقتباسات: " المسيح مات من أجـل خطايانـا حسب الكتب" (بولس) ؛ " المسيح مات مرة لأجل الخطايـا " (بطـرس) ؛ " قـد أظهـر مرة ليبطل الخطية بذبيحة نفسه " وهو " قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة "(عبرانيين)؛ " دم يسوع ابنه (ابن الله) يطهرنا من كل خطية " (يوحنا) ؛ " الذي أحبنا ، وقد غسـلنا من خطايانا بدمه ... له المجد " (رؤيا).[٣] كل هذه الآيات (وآيات عديدة أخرى) تربط موته بخطايانا. فما هي إذا هذه الرابطة ؟

رابعا ، *مات المسيح موتنا* ، حينما مـات لأجـل خطايانـا. أي إذا سلمنا بالعلاقـة بين خطايانا وموته ، فإن العلاقة ليست فقط من حيث النتيجـة (كـان ضحيـة لقسـوتنا

("الموت لأجل") . ففي هذه الحالة لا بد أن يكون الإنجيل الذي مفاده أن "المسـيح مـات لأجلنـا" قد فهم بسهولة من قبل جماهير المستمعين الوثنيين فـي القرن الأول (*الكفـارة* تـأليف مـارتن هنغل Martin Hengel *Atonement* , pp. 1-32).

[٢] للاطلاع على الوجهة السلبية راجع مثلا غلاطية ١:٤ ؛ أف ١:٧ ؛ عب ٩: ٢٨ . و للاطلاع على الوجهة الأيجابية انظر مثلا يوحنا ٣ : ١٤-١٦ ؛ أف ٢ : ١٦ ؛ كو ١: ٢٠ ؛ ١ تس ٥: ١٠ ؛ ابط ٣: ١٨.

[٣] ١ كو ١٥: ٣ ؛ ابط ٣: ١٨ ؛ عب ٩: ٢٦ ؛ ١٠: ١٢ ؛ ١ يو ١: ٧ ؛ رؤ١: ٥-٦ .

البشرية) بل من حيث الجزاء (لقد تحمل بشخصه البريء القصاص الذي تستحقه خطايانا). لأن الموت بحسب الكتاب متعلق بالخطية كجزاء عادل لها: " أجرة الخطية هي موت" (رو٦:٢٣). ينظر الكتاب المقدس ، في كل موضع منه ، الى الموت البشري ليس كحدث *طبيعي* بل كحدث *جزائي* . إنه اقتحام غريب لعالم الله الحسن ، وليس جزءا من قصد الله الأصلي نحو الجنس البشري . صحيح أن السجل المستحاثي يبين أن الافتراس والموت وجدا في المملكة الحيوانية قبل خلق الانسان . لكن يبدو أن الله قصد أن يكون للبشر الحاملين لصورته نهاية أنبل ، ربما تكون مماثلة لـ" الارتفاع الى السماء " الذي اختبره أخنوخ وايليا ، ولـ" التغير" الذي سيطرأ على كل الذين يكونون أحياء عند مجيء يسوع.[٤] ففي كل مكان من الكتاب المقدس ، يعتبر الموت (بنوعيه الجسدي والروحي كليهما) كحكم إلهي على عصيان الانسان.[٥] ولهذا اقترنت تعابير الرعب بالموت ، وهذا هو سبب الشعور بغرابة صيرورة الانسان كـ" البهائم التي تبيد " ، نظرا الى أن "مصيرا واحدا لكليهما ".[٦] ولهذا السبب أيضا " شخر" * يسوع بعنف تعبيرا عن سخطه الذي اختبره في مواجهة الموت عند قبر لعازر.[٧] كان الموت جسما غريبا. لقد قاومه يسوع ؛ ولم يستطع أن يتقبله .

فإذا كان الموت جزاء للخطية ، واذا كان يسوع خاليا من الخطية بطبيعته أو خلقه أو سلوكه ، ألا ينبغي أن نقول أنه لم يكن محتاجا أن يموت ؟ أما كان بوسعه، بدلا من ذلك أن يرتفع الى السماء ؟ وعندما أصبح جسده شفافا أثناء تجليه على قمة الجبل ، ألم يمنح الرسل نظرة تمهيدية عن جسده المقام (ومن هنا أمرهم بألا يخبروا أحدا بالأمر حتى يقوم من الأموات ، مر٩:٩) ؟ أما كان بوسعه في هذه اللحظة أن يرقى الى السماء بخطوة واحدة وينجو من الموت ؟ لكنه عاد الى عالمنا لكي يذهب *طوعا* الى الصليب . لقد أصر على أن أحدا لن يأخذ حياته منه ؛ كان سيضعها من ذاته . لذلك عندما جاءت لحظة الموت ، صورها لوقا باعتبارها عمله الذي صممه

---

[٤] راجع تك ٥: ٢٤ ؛ ٢ مل ٢: ١-١١ ؛ ١كو ١٥: ٥٠-٥٤

[٥] مثلا تك ٢: ١٧ ؛ ٣: ٣ ، ١٩، ٢٣ ؛ رو ٥: ١٢-١٤ ؛ رؤ ٢٠: ١٤ ؛ ٢١: ٨

[٦] مز ٤٩: ١٢ ، ٢٠ ؛ جا ٣: ١٩-٢١

* يشخر snort : يعبر عن الازدراء أو الغضب أو السخط أو الدهش بشخرة . (قاموس المورد) [المترجم]

[٧] راجع ورود الفعل *امبريماؤ ماي* في يو ١١: ٣٣ ، ٣٨ . هذا الفعل الذي كان يستخدم لصهيل الخيل ، حُوِّلَ استعماله ليعبر عن شعور قوي بعدم الرضى والسخط يشعر به الانسان .

بنفسه . قال يسوع : " أيها الآب ، في يديك استودع روحي".[٨] كل هذا يعني أن بيان العهد الجديد البسيط "ومات من أجل خطايانا " يتضمن أكثر مما يبدو على السطح . إنه يؤكد أن يسوع المسيح ، الذي كان خاليا من الخطية ، وغير محتاج أن يموت ، مات موتنا ، الموت الذي تستحقه خطايانا.

يلزمنا أن ننفذ في الفصول التالية الى أبعد مما فعلنا أي الى الأساس المنطقي لهذه البيانات ، والى أخلاقيتها وكفاءتها . ينبغي أن نقنع في الوقت الحاضر بهذه البنية الرباعية الأولية ، وهي أن المسيح مات لأجلنا، لأجل خيرنا ؛ وأن "الخير" الذي مات ليدبره لنا هو خلاصنا ؛ ولكي يدبره كان عليه أن يعالج خطايانا ؛ وبموته لأجلها مات موتنا.

إن السؤال الذي أود طرحه الآن، وأنوي أن أجيب عنه في بقية هذا الفصل هو ما اذا كانت هذه البنية اللاهوتية الأولية تنسجم مع الوقائع . هل هي نظرية مركبة تُفْرَضُ على قصة الصليب ، أم تمدنا رواية البشيرين نفسها بالدليل عليها ، بل وتبقى غير مفهومة بدونها ؟ سأحاول البرهنة على صحة الرأي الأخير. مع أن ما يصوره البشيرون هو شهادتهم ، لكنني سأحاول أن أبين أنه ليس من اختراعهم. ما فعلوه يجيز لنا أن ننفذ قليلا الى فكر المسيح نفسه.

هكذا سوف ننظر بعناية الى ثلاثة من المشاهد الرئيسة التي جرت خلال ساعات يسوع الأربع والعشرين الأخيرة على الأرض ـ العلية وبستان جثسيماني والمكان المسمى جلجثة . وبينما نفعل ذلك لن نستطيع أن نقيد أنفسنا بمجرد تلاوة رواية مثيرة للمشاعر لأن كل مشهد يتضمن أقوالا ليسوع تتطلب تفسيرا ، و لا يمكن مطلقا أن ندفنها حتى لا يفطن لها أحد . ثمة شيء كان يحدث تحت السطح أعمق من مجردالكلمات والأفعال . وتستمر الحقيقة اللاهوتية في اختراق فكرنا حتى عندما نتمنى أن تتركنا و شأننا . نشعر أننا مضطرون بخاصة الى أن نسأل أسئلة حول تأسيس عشاء الرب في العلية ، و " الكرب " في حديقة جثسيماني ، و "صرخة الترك" على الصليب.

ولكن قبل أن نفعل ذلك ثمة حقيقة جديرة بالملاحظة يجب أن تؤخرنا. إنها تتعلق بنظرة يسوع طوال هذا الوقت . تبدأ قصتنا في مساء خميس العهد (الخميس الذي يسبق عيد الفصح). كان يسوع قد شاهد غروب الشمس لآخر مرة . وفي غضون حوالي خمس عشرة ساعة كانت ستعلق يداه و رجلاه على الصليب . وبعد أقل من

---

٨ يو ١٠: ١٨ ؛ لو ٢٣: ٤٦

أربع وعشرين ساعة ،كان سيموت ويدفن . وكان يعرف ذلك. مع هذا فإن الأمر الخارج عن المألوف هو أنه كان يفكر في رسالته كأمر مستقبلي وليس كأمر ماض . كان في سن الشباب نسبيا مع أنه كان ، وهذا شبه مؤكد ، بين سن الثلاثين والخامسة والثلاثين . فلقد عاش بالكاد نصف المدة المقدرة لحياة الانسان . كان ما يزال في عز قوته . وفي مثل عمره يرى معظم الناس أن أفضل سنوات عمرهم ما تزال أمامهم . عاش سقراط حتى السبعين ، وكان أفلاطون و بوذا قد تجاوزا الثمانين عندما ماتا. اذا كان الموت يهدد بإنهاء حياة انسان في وقت قريب فإن الشعور بالإحباط يغمره بالغم . لكن ذلك لا ينطبق على يسوع لسبب بسيط وهو أنه لم يعتبر أن الموت الذي كان على وشك أن يموته بمثابة إيصال رسالته الى نهايتها قبل الأوان ، بل بمثابة أمرضروري في الواقع لإنجازها. فقبل أن يموت بثوان معدودات وعندئذ فقط (وليس الا عندما حانت تلك اللحظة) كان سيتمكن من الهتاف " قد أكمل ! ". وهكذا، ومع أن هذا كان آخر مساء له ، ومع أنه لم تتبق له سوى بضع ساعات أخرى يعيشها ، لم يعد *بذاكرته* الى بعثة كان قد أكملها ، بل كان أقل تذكرا لبعثة فشل في أدائها ؛ لكنه كان لا يزال *يتطلع* الى بعثة هو على وشك أن يتممها. إن بعثة حياته كلها التي دامت ما بين ثلاثين وخمس وثلاثين سنة كانت سَتُكْمَلُ في ساعاتها الأربع والعشرين الأخيرة ، وبالحقيقة في ساعاتها الست الأخيرة .

العشاء الأخير في العلية

أمضى يسوع آخر مساء له على الأرض مع رسله في مكان منعزل هادىء. وصادف ذلك أول يوم من أيام عيد الفطير، وقد اجتمعوا في منزل صديق ليأكلوا معا وجبة الفصح . ووُصِفَ المكان بأنه "علية كبيرة مفروشة ومعدة "، ونستطيع أن نتصورهم متحلقين حول مائدة خفيضة ، جالسين على الأرض ومتكئين على وسائد. من الواضح أنه لم يكن ثمة خادم يقوم على خدمتهم ، وهكذا لم يكن هناك من يغسل أرجلهم قبل أن يبدأوا بتناول الطعام . كذلك لم يكن بين الرسل من ملك قدرا من التواضع يكفي لجعله يقوم بهذه المهمة الوضيعة . فكان مما أربكهم جدا أن يسوع قام عن العشاء واتزر بمنشفة عبد وصب ماء في مغسل ، وراح يغسل أرجلهم ، وهكذا قام بما لم يشأ أي منهم القيام به . ثم شرع يحدثهم كيف أن المحبة الأصيلة

تعبر عن نفسها دائما بالخدمة المتواضعة ، وكيف أن العالم لن يتعرف بهم باعتبارهم تلاميذه إلا إذا أحبوا بعضهم بعضا . بالمفارقة مع أولوية المحبة الخادمة والمضحية أنذرهم بأن واحدا منهم سيخونه . كما حدثهم كثيرا عن رحيله الوشيك ، وعن مجيء المعزي ليحل محله ، وعن الخدمة المتنوعة التي سيقوم بها روح الحق هذا في الشهادة والتعليم .

ثم في مرحلة ما، وفيما هم يتناولون عشاءهم ، لاحظوه مندهشين يتناول رغيفا من الخبز ، ويباركه (يشكر الله عليه) ويقسمه الى كسر ثم يعطيه لهم و يقول هذه الكلمات ، "هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم. اصنعوا هذا لذكري". وبالطريقة نفسها، بعد انتهاء العشاء ، أخذ كأسا من الخمر وشكر من أجلها، ودوّرها بينهم ، و قال إحدى هاتين العبارتين ، "هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي" أو "هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا ؛ اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري".[٩]

هذه الأعمال وهذه الكلمات عظيمة الدلالة . ومن المؤسف أنها صارت مألوفة لدينا حتى أنها غالبا ما تفقد تأثيرها ، لأنها تلقي فيضا من الضوء على نظرة يسوع الى موته . فمن خلال ما فعله بالخبز والخمر، ومن خلال ما قاله بشأنهما ، كان يسوع يعبر بطريقة مسرحية أمام أنظارهم عن موته قبل وقوعه ويعطي بموجب سلطته تفسيرا لمعنى هذا الموت والقصد منه . كان يعلمهم ثلاثة دروس على الأقل .

الدرس الأول يتعلق بـ *مركزية موته*. لقد تعمد ، أثناء آخر مساء يقضيه معهم ، أن يعطيهم بكل وقارتعليمات بشأن الخدمة التذكارية التي ستقام لأجله . إلا أن هذه الخدمة لن تقام مرة واحدة كخدماتنا التذكارية العصرية التي يعبر فيها الأصدقاء والأقرباء عن احترامهم و إعجابهم لآخر مرة . بل ستكون بدلا من ذلك وجبة دورية أو خدمة دورية أو كليهما . وقد أمرهم على وجه الخصوص بتكرارها: " اصنعوا هذا لذكري". فماذا كان عليهم أن يفعلوا ؟ كان عليهم أن يحذوا حذوه ، فيفعلوا ما فعله ويقولوا ما قاله ، أي أن يأخذوا الخبز والخمر، ويكسروا ويشكروا من أجلهما ويعرفوهما ويتشاركوا فيهما . ما الذي رمز اليه الخبز والخمر ؟ ما قاله

٩ هناك بعض الاختلاف بين الكلمات التي تقال أثناء ممارسة العشاء الرباني كما سجلها بولس و كما سجلها كتاب الأناجيل المتوازية . انظر ١ كو ١١: ٢٣-٢٥ ؛ مت ٢٦: ٢٦-٢٨ ؛ مر ١٤: ٢٢-٢٤ ؛ لو ٢٢: ١٧-١٩

من كلمات يفسر ذلك . قال عن الخبز "هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم "، وعن الخمر "هذا هو دمي الذي يسفك عنكم ". وهكذا فإن موته تكلم إليهم عن طريق العنصرين كليهما. إن الخبز لم يمثل جسده الحي ، فيما كان متكئا الى المائدة معهم، بل جسده الذي كان سيبذل عنهم بالموت عما قريب . كما أن الخمر لم يمثل دمه الذي كان يجري في عروقه بينما كان يكلمهم ، بل دمه الذي كان سيسفك عنهم قريبا بالموت . الأمر في غاية الوضوح ولا يمكن دحضه . إن عشاء الرب ، الذي أسسه يسوع ، ويشكل الفعل التذكاري الدوري الوحيد الذي أمر به بموجب سلطته ، يعبر بطريقة مسرحية لا عن ولادته أو حياته ولا عن كلماته أو أعماله ، بل عن موته فقط . ما من شيء آخر كان بإمكانه أن يدل ، بوضوح أكثر ، على الأهمية المركزية التي علقها يسوع على موته. لقد أراد أن يُتَذَكَّرَ بموته قبل أي أمر آخر. لهذا، نقول بثقة ، أنه لا توجد مسيحية بدون صليب. واذا لم يكن الصليب مركزيا في ديانتنا ، فهي ليست ديانة يسوع.

ثانيا، كان يسوع يعلم عن *القصد من موته*. إن كلمات يسوع عن الكأس لم تشر، بحسب بولس ومتى، الى دمه فحسب بل الى "العهد الجديد" المقترن بدمه، ويضيف متى أن دمه كان سيسفك " لمغفرة الخطايا ". هنا نجد التأكيد الرائع حقا على أن الله أخذ بزمام المبادرة ليوطد ، عن طريق سفك دم يسوع في موته ، معاهدة جديدة أو "عهدا " جديدا مع شعبه ، يتضمن وعودا عظيمة ، من أهمها الوعد بمنح الغفران للخطاة . فما الذي عناه ؟

لقد دخل الله ، قبل ذلك بعدة قرون ، في عهد مع ابراهيم واعدا إياه بأرض جديدة وبنسل وفير. وجدد الله هذا العهد عند جبل سيناء بعد أن أنقذ اسرائيل (ذرية ابراهيم) من مصر. لقد تعهد بأن يكون إلههم وبأن يجعلهم شعبه . فضلا عن ذلك لقد صدق هذا العهد بدم ذبيحة: " فأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال: 'هذا هو دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال' ".[١٠] ومرت مئات السنين وترك الشعب الله ، طوال تلك السنين ونقضوا عهده و أثاروا دينونته ، الى أن جاءت كلمة الرب الى إرميا ذات يوم في القرن السابع قبل الميلاد ، قائلة:

" ها أيام تأتي " يقول الرب ،

---

[١٠] خر ٢٤: ٨ . اقرأ أيضا الآيات التي تشير إلى العهد في أش ٤٢: ٦ ؛ ٤٩: ٨ ؛ زك ٩: ١١ ؛ عب ٩: ١٨-٢٠

"حين أقطع مع بيت اسرائيل
ومع بيت يهوذا
عهدا جديدا .
ليس كالعهد
الذي قطعته مع آبائهم
يوم أمسكتهم بيدهم
لأخرجهم من أرض مصر
لأنهم نقضوا عهدي
مع أنني كنت سيدهم [زوجهم] "،
يقول الرب.
"هذا هو العهد الذي أقطعه
مع بيت اسرائيل
بعد تلك الأيام"، يقول الرب.
"سأجعل شريعتي في عقولهم
واكتبها على قلوبهم
سأكون لهم إلها ،
وهم يكونون لي شعبا.
ولا يعلمون كل واحد صاحبه ،
وكل واحد أخاه قائلين ، 'اعرف الرب' ،
لأنهم كلهم سيعرفونني ،
من صغيرهم الى كبيرهم" ،
يقول الرب .
"لأنني أصفح عن إثمهم
ولا أذكر خطيتهم بعد"
(أر ٣١:٣١-٣٤).

ومرت ستة قرون أخرى ونيف ، وكانت سنوات انتظار صبور وتوقع متزايد ، الى أن تجرأ قروي جليلي ، مهنته النجارة ودعوته الكرازة ، وقال ذات مساء في عِلِّيَّةٍ كلمات تعني في الواقع: "هذا العهد الجديد ، الذي تنبأ عنه إرميا ، هو على

وشك أن يُثَبَّتَ ؛ كما أن غفران الخطايا ، الذي هو أحدى بركاته المميزة ، هو على وشك أن يصبح متاحا ؛ إن الذبيحة التي ستختم هذا العهد وتنجز هذا الغفران سوف تكون سفك دمي بالموت". هل يمكن أن نبالغ في تقدير الطبيعة المذهلة لهذا الادعاء؟ هذه هي نظرة يسوع الى موته . إنه الذبيحة المعينة من الله التي سيصدق بها العهد الجديد بما في ذلك وعده بالغفران . إنه سوف يموت لكي يدخل شعبه في علاقة عهد جديد مع الله .

كان الدرس الثالث الذي علمهم إياه يسوع معنيا *بالحاجة الى امتلاك شخصي* لموته . إذا كنا محقين في قولنا أن يسوع كان يقدم في العلية ، بصورة مسرحية عرضا مبكرا لموته ، فمن المهم أن نلاحظ الشكل الذي اتخذته تلك الدراما. فهي لم تتألف من ممثل واحد على المسرح واثني عشر مشاهدا . كلا ، فقد تضمنتهم كما تضمنته بحيث أنهم اشتركوا فيها كما اشترك هو . صحيح أنه أخذ الخبز و بارك وكسر ولكنه بعدئذ فسر لهم دلالته بينما ناولهم إياه ليأكلوه . كذلك أخذ الكأس وباركها ولكنه بعدئذ فسر لهم معناها بينما ناولهم إياها ليشربوا منها. وهكذا لم يكونوا مجرد مشاهدين لدراما الصليب ؛ بل كانوا مشاركين فيها. من الصعب أن يكونوا قد فشلوا في استلام الرسالة . فكما أنه لم يكن كافيا أن يكسر الخبز ويسكب الخمر، بل كان ينبغي عليهم أن يأكلوا الخبز ويشربوا الخمر، كذلك لم يكن كافيا أن يموت هو بل كان ينبغي عليهم أن يمتلكوا هم شخصيا منافع موته . كان تناول الخبز وشرب الخمر، وما يزالان ، مثلا يُمَثِّلُ بطريقة مفعمة بالحيوية ، ويرمز الى قبول المسيح بصفته المخلص المصلوب ، وبالتغذي به في قلوبنا بالإيمان . كان يسوع قد علم عن هذا من قبل في حديثه المفعم بالمعاني عن الخبز الحي الذي تبع معجزة إشباعه للخمسة آلاف :

"الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه ، فليس لكم حياة فيكم ، من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير. لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق (يوحنا٦:٥٣-٥٥).

فكلماته في تلك المناسبة وأفعاله في العلية تشهد للحقيقة نفسها. لأن تقديمه لجسده ودمه بالموت شيء ؛ وامتلاكنا لبركات موته شيء آخر. مع ذلك ، فإن

كثيرين لم يتعلموا هذا الفرق . ما زلت أذكر كم كان إعلانا مهما لي عندما أُخبِرْتُ وأنا شاب بأن فعلا ما من جانبي كان ضروريا. كنت قد اعتدت أن أتصور ، بسبب موت المسيح ، أن العالم كله ، بصورة آلية قد أصبح في وضع مُرْضٍ . و عندما وضح لي أحدهم أن المسيح مات *لأجلي* ، أجبت بلهجة أميل الى الغطرسة "كل انسان يعرف ذلك ". وكأن الحقيقة بحد ذاتها أو معرفتي بها قد منحتني الخلاص . لكن الله لا يفرض هباته علينا شئنا أم أبينا ؛ علينا أن نقبلها بالإيمان . ويظل عشاء الرب العلامة الخارجية الدائمة الدالة على الهبة الإلهية والقبول البشري . والمقصود به (عشاء الرب) أن يكون " اشتراكا في جسد المسيح ودمه" (١كو١٠:١٦).

هذه إذا دروس العلية المتعلقة بموت المسيح . أولا، كان مركزيا في تفكيره من جهة نفسه ومن جهة بعثته ، وقد رغب في أن يكون مركزيا في تفكيرنا. ثانيا، جرى هذا الموت لكي يوطد العهد الجديد ويجلب الغفران الذي وعد به . ثالثا، لا بد أن يمتلكه الانسان شخصيا لكي ينعم بفائدتيه (العهد والغفران). لم يكن معنى عشاء الرب الذي أسسه يسوع فكرة " لا تنسني" العاطفية قليلا ، بل بالأحرى خدمة غنية بالدلالة الروحية .

إن ما يجعل أحداث العلية ودلالة عشاء الرب أكثر تأثيرا أيضا هو أنها تأتي ضمن إطار الفصح . لقد رأينا من قبل أن يسوع نظر الى موته على أساس أنه ذبيحة من العهد القديم . ولكن في أي ذبيحة كان يفكر ؟ يبدو أنه لم يفكر فقط في ذبيحة جبل سيناء المذكورة في خروج ٢٤ ، والتي جدد بها العهد حتما ، بل في ذبيحة الفصح أيضا المذكورة في خروج ١٢، والتي أصبحت احتفالا سنويا بذكرى تحرير الله لإسرائيل وعهده معهم .

كان العشاء الأخير بحسب رواية كتاب الأناجيل المتوازية وجبة الفصح التي أعقبت ذبح حملان الفصح . وهذا أمر جلي نظرا الى أن التلاميذ سألوا يسوع عن المكان الذي سيعدون فيه الترتيبات اللازمة " لأكل الفصح "، وأشار يسوع نفسه الى هذه الوجبة بأنها "هذا الفصح ".[١١] إلا أن وجبة عشاء الفصح كان ينبغي أن تؤكل بحسب يوحنا عندما يحل مساء الجمعة ، وهذا يعني أن يسوع كان يموت على الصليب في الوقت الذي كانت تقتل فيه حملان الفصح.[١٢] لقد توسع يواكيم جراماياس

---

[١١] مر ١٤: ١٢-١٦ ؛ لو ٢٢: ١٥

[١٢] يو ١٨: ٢٨ قارن يو ١٩: ٣٦ و خر ١٢: ٤٦

Joachim Jeremias ، فـي كتابـه القيـم *كلمـات يسـوع الافخارسـتية* The Eucharistic Words of Jesus *[أثناء عشـاء الـرب]*، فـي شـرح المحـاولات الثـلاث لتـي بذلـت للتوفيـق بيـن الـترتيبين الزمنييـن للأحـداث (ص٢٠-٦٢). وأحسـن تلـك لمحاولات ،على ما يبدو، تلك التي تعلن أن كلا الـترتيبين صـحيح، وأن كـلا منهمـا عُتمِدَ من قبل فريق معيـن. فإمـا أن الفريسـيين اختـاروا تقويمـا يختلـف عـن تقويـم لصدوقيين بيوم واحد ، أو أن الحجاج القادمين الى أورشليم في العيد كـانوا كثـيرين جـدا (ربمـا حوالـى١٠٠،٠٠٠ حـاج) بحيـث كـان الجليليـون يذبحـون الحمـلان يـوم لخميس ويأكلونها في ذلك المساء، بينما كان سكان يهوذا يحتفلون في اليوم التالي .

وكيفما كانت الطريقة التي يتم بها التوفيـق بيـن الـترتيبين الزمنييـن للأحـداث ، فإن سياق الفصح يؤكـد علـى الـدروس الثلاثـة التـي فكرنـا فيهـا مـن قبـل . وتتـأكد الأهمية المركزية التي علقها يسوع على موته من حقيقة أنـه كـان فـي الواقـع يُحِـلُّ عشاءه هو محل احتفال الفصح السنوي . لأنه نطق بكلمات تفسر الخبز والخمر ("هذا هو جسدي" ..."هذا هو دمي .."). كما كان رب البيت اليهودي يقول بالآراميـة عن خبز الفصح (هذا هو خبز المشقة الذي كان على آبائنا أن يأكلوه عندمـا خرجـوا من مصر، ص ٥٤-٥٧) .[١٣] وهكـذا صـاغ يسـوع أقوالـه علـى غرار الطقس الـذي يفسر الفصح (ص٦١) .

هذا يوضح لنا المزيد عما فهمـه يسـوع مـن غايـة موتـه . كتـب جرمايـاس "هـذا يستلزم ذبحـا يفصـل بيـن الجسـد والـدم . بعبـارة أخـرى *تحـدث يسـوع عـن نفسـه باعتباره ذبيحة* ". بالحقيقة ، " من المرجح أن يسوع كان يتحدث عـن نفسـه باعتبـار أنه حمل الفصح "، بحيث أن مثله الأخير هذا كان يعني " إنني أمضـي الـى المـوت بصفتي ذبيحة الفصح الحقيقية " (ص٢٢٢-٢٢٤) . مضامين هذا بعيدة المدى . ففي الفصح الأصلي الذي جرى في مصر مات كل حمـل فصـح نيابـة عـن ابـن العائلـة البكر ، وما كان بكر العائلة لينجـو إلا إذا ذُبِـحَ حمـل عوضـا عنـه . ولـم يكـن ذبـح الحمل كافيا ، بل كان ينبغي كذلك أن يرش دمه على الباب و يؤكل لحمه في عشـاء شركة . وهكذا علم طقس الفصح الدرس الثالث أيضـا ، أي أن الامتـلاك الشـخصي لفوائد موت المسيح القرباني كان ضروريا.

---

[١٣] قارن خر ١٢:٢٦-٢٧ ؛ ١٣:٨ ؛ تث ١٦:٣

الكَرْبُ في بستان جثسيماني

ها قد انتهى العشاء و أكمل يسوع تعليمه للرسل . لقد ألح عليهم أن يثبتوا فيه كما تثبت الأغصان في الكرمة. كما أنذرهم بمقاومة العالم لهم ، ومع ذلك شجعهم على الشهادة له متذكرين أن روح الحق سيكون الشاهد الرئيس . وكذلك صلى ـ أولا لأجل نفسه لكي يمجد أباه إبان المحنة القادمة . ثم لأجلهم لكي يُحْفَظُوا في الحق والقداسة والبعثة والوحدة ، وأخيرا لأجل جميع الذين سيؤمنون به في أجيال قادمة عن طريق بعثتهم . ومن المرجح أنهم الآن يرنمون ترنيمة ، ثم يغادرون العلية معا. إنهم يسيرون في شوارع المدينة في هدأة الليل ، وفي ضوء بدر الفصح المؤنس. ويعبرون وادي قدرون ثم يصعدون جبل الزيتون ، ويعرجون على بستان زيتون كما يستنتج من كلمة جثسيماني (معصرة زيت) . ومن الجلي أنه كان خلوة مفضلة لدى يسوع ، لأن يوحنا يقول معلقا أن يسوع " اجتمع هناك كثيرا مع تلاميذه " (٢:١٨). هنا حدث أمر ، وصفه البشيرون بطريقة رزينة ، لكنه رغم ذلك يصرخ طالبا التفسير، ويبدأ بكشف الثمن الهائل لصليب يسوع. ونحن محقون عندما ندعو هذا الأمر " الكرب في البستان ".

بعد أن طلب من غالبية التلاميذ أن يبقوا في انتظاره ، وألح عليهم أن يسهروا ويصلوا ، أخذ معه تلاميذه المقربين ـ بطرس و يعقوب و يوحنا ـ ومضى و إياهم نحو رمية حجر الى داخل البستان ، ثم شاركهم مشاعره ، " نفسي حزينة جدا حتى الموت "، وطلب منهم أن يسهروا معه . ثم تقدم وحده قليلا، وخر على وجهه ، وكان يصلي: "يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس ، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت". وإذ رجع الى الرسل وجدهم نياما ، فوبخهم . ثم مضى ثانية وصلى قائلا ، "يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك ". ومرة أخرى وجد التلاميذ نياما. وهكذا تركهم أيضا وصلى للمرة الثالثة، قائلا ذلك الكلام بعينه . وبعد فترة الصلاة الثالثة هذه رجع إليهم و وجدهم نياما أيضا ، لأنهم لم يستطيعوا أن يدخلوا الى سر آلامه الذي لا يسبر غوره . كان عليه أن يسير هذا الدرب وحيدا . ويذكر لوقا في موضع من روايته ، أن يسوع كان " في جهاد "

(أو' كرب ') وراح يصلي بمزيد من الجد...حتى "صارعرقه كقطرات دم نازلة على الأرض ".[١٤]

بينما نقترب من هذا المشهد المقدس ، ينبغي أولا أن نتأمل مليا الكلمات القوية التي استخدمها يسوع والبشيرون لوصف مشاعره العميقة . لقد أُعْدِدْنا لهذه الكلمات نوعا ما ، بتصريحين أدلى بهما يسوع في وقت مبكر. أولهما سجله لوقا ، وهو أنه كانت له "صبغة[معمودية] ينبغي أن يصطبغ بها " وكان يشعر بأنه "محصور" (بل "معذب" *سينيكو*) حتى تكمل. والثاني سجله يوحنا وهو أن قلبه قد " اضطرب" (أو " هُيِّجَ "*تاراسو*) الى حد أنه كان يتساءل فيما إذا كان عليه أن يطلب من أبيه أن يخلصه من "هذه الساعة". لقد كانت توقعا لجثسيماني .[١٥]

كتب ب. ب. وارفيلد B.B.Warfield دراسة دقيقة موضوعها "حول حياة ربنا العاطفية On The Emotional Life of Our Lord "، وأشار في سياقها الى التعابير التي استخدمها البشيرون كتاب الأناجيل المتوازية، فيما يتعلق بجثسيماني. ويعرف كلمة *أغونيا* التي استخدمها لوقا بأنها " نفور ، تمنع مروع ". ويشترك متى ومرقس في تعبيرين . وهو يقترح أن الفكرة الأولية من " اضطربت " (*أديمونيو*) هي "مقت مشمئز، ربما لم يكن خاليا من القنوط " ، أما وصف يسوع لنفسه ، " نفسي حزينة جدا " (*بيريليبوس*) " فيعبر عن حزن ، أو ربما من الأفضل أن نقول ، عن ألم فكري ، أسى يضيق عليه الخناق ، ليس منه مفر". ويستخدم مرقس كلمة أخرى من عنده "يدهش" (*إكثامبيو مايي*)، فسرت بمعنى " أصابه الرعب". و يضيف وارفيلد ، إنها تعبير " يعرف الأسى حرفيا بأنه نفور ـ فإذا لم تكن تعني بالضبط رعبا فإنها مع ذلك تعني هلعا ينذر بخطر".[١٦] تدل هذه التعابير مجتمعة على أن يسوع كان يشعر بألم عاطفي حاد ، جعله يتصبب عرقا ، بينما كان ينظر الى محنته المقبلة بخشية و برعب تقريبا.

---

[١٤] يرد وصف كرب يسوع في جثسيماني في متى (٢٦: ٣٦-٤٦) و مرقس (١٤: ٣٢-٤٢) و لوقا (٢٢: ٣٩-٤٦). ولا يشير يوحنا إليه ، مع أنه يتحدث عن المسيرة إلى بستان الزيتون عند سفح جبل الزيتون حيث أسلم يسوع و ألقي القبض عليه (١٨: ١-١١) .

[١٥] لو ١٢: ٥٠ ؛ يو ١٢: ٢٧ .

[١٦] توجد هذه الكلمات اليونانية غير العادية في مت ٢٦: ٣٧ و مر ١٤: ٣٣ و لو ٢٢: ٤٤ و قد نشرت مقالة ب. ب. وارفيلد *B. B. Warfield* في *شخصه و عمله* his *Person and Work* pp. 93-145 . وتوجد ترجمته لهذه الكلمات على الصفحتين ١٣٠-١٣١ .

هذه المحنة يشير إليها كـ" كأس" مرة ، صلى بلجاجة لكي ترفع عنه ، إن أمكن ، حيث لا يضطر الى شربها. فما هي هذه الكأس ؟ هل هي ألم جسدي ينفر منه ، أي عذاب الجلد والصليب ، وربما يضاف اليه الألم الذهني بسبب الخيانة والنكران والترك من قبل أصدقائه ، والاستهزاء وسؤ المعاملة من قبل أعدائه. لا شيء مطلقا يجعلني أعتقد أن أيا من هذه الأمور(مهما كانت محزنة) أوأنها مجتمعة هي الكأس التي كان يسوع يفزع منها . لقد كانت شجاعته البدنية والأخلاقية إبان خدمته العامة لا تقهر. إن الافتراض ، بأنه الآن بات يخشى الألم والإهانة والموت، يبدو لي أمرا يدعو الى السخرية . روى أفلاطون عن سقراط أنه عندما كان في سجنه في أثينا تناول كأس الشوكران* "دون أن يرتجف أو يتغير لونه أو تعبيره" ثم "رفع الكأس الى شفتيه ، وشربها بكل هدؤ و مرح ". وعندما انفجراصدقاؤه بالبكاء وبخهم على سلوكهم " السخيف " وألح عليهم كي "يبقوا هادئين و يكونوا شجعانا ".[١٧] لقد مات دون خوف أو حزن أو احتجاج . فهل كان سقراط أشجع من يسوع ؟ أم كانت هاتان الكأسان ملأيين بسمين مختلفين؟

علاوة على ذلك كان هناك الشهداء المسيحيون . لقد أمر يسوع تلاميذه بأن "يفرحوا و يبتهجوا " اذا شتموا واضطهدوا وافتري عليهم . ألم يمارس يسوع ما وعظ به ؟ لقد فعل تلاميذه ذلك . فبعد أن تركوا السنهدرين وظهورهم تنزف دما من آثار الجلد الوحشي بالسياط كانوا في الواقع " فرحين لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا لأجل اسمه". كان الألم و الرفض فرحا لهم و امتيازا، وليس محنة ينفرون منها بفزع .[١٨]

كان هذا الشعور عميقا في العصر بعد الرسولي حتى أنه كان هناك توق الى الاتحاد بالمسيح عن طريق الاستشهاد . ففي مطلع القرن الثاني عندما كان أغناطيوس أسقف أنطاكية السورية في طريقه الى روما توسل الى الكنيسة هناك لكيلا يحاولوا تأمين اطلاق سراحه لئلا يحرموه من هذا الشرف!. و كتب يقول " لتحرقني النار ولأعلق على الصليب ، فلأرم للوحوش الكاسرة و لتسحق عظامي ولتمزق أوصالي و ليسحق جسدي كله ، وليصبني كل خبث الشيطان . ليحدث كل ذلك لقاء أن أربح المسيح يسوع فقط ".[١٩] بعد ذلك ببضع سنوات ، في منتصف

---

* الشوكران : نبات سام يستخرج من ثمره شراب سام . (قاموس المورد) [المترجم]

١٧ *فادو* ص ١١٧-١١٨ .

١٨ مت ٥: ١١-١٢ ؛ أعمال ٥: ٤١ ؛ في ١ : ٢٩-٣٠

١٩ مقتبسة في كتاب فوكس *Fox* الذي عنوانه *كتاب الشهداء* *Book of Martyrs* P. 19 .

القرن الثـاني ، أحـرق بوليكـاربوس Polycarp أسـقف سـميرنا مربوطـا الـى عمـود وهو في سن السادسة والثمانين، بعد أن رفض النجاة من الموت عن طريـق الـهـرب أو عن طريق إنكار المسيح . وقبل أن تضرم النار صلى قائلا: " أبـاركك أيهـا الآب لأنك حسبتني جديرا بأن أنال نصيبي بين الشهداء ".[٢٠] أمـا ألبـان Alban أول شـهيد مسيحي بريطاني معروف فقد قتـل أثنـاء واحـد مـن أقسـى الاضطهـادات فـي القـرن الثالث . في أول الأمر " ضـرب بوحشـية ، لكنـه احتمـل ذلـك بصبر، بـل بـالأحرى بفرح لأجل الرب ". ثم قطع رأسه .[٢١] وهكـذا استمر الحـال فـي كـل جيـل . هتـف ريتشارد باكستر: "يا للفرح الذي شعر به شهداء المسيح الذين استطاعت نفوسـهم أن تفرح حتى عندما كانت أجسادهم ، التي خلقت من لحم و دم نظيرنا ، تحترق بألسنة اللهيب ".[٢٢]

من بين الأمثلة العديدة التي زخر بهـا القـرن الحـالي ، اخـترت فقـط تلـك التـي ذكرها صادو ساندرسنغ المسيحي الهندي المتصوف والمبشر. لقد روى على سـبيل المثال قصة المبشر التيبتي الذي ، بعد أن جلـده معذبـوه بالسياط ثم فركـوا جراحـه بالملح ، كان "وجهه يتألق بالسلام والفرح"؛ وروى قصة مبشر آخر، لفوه بجلـد ثـور تبتي رطب ، ثم خاطوا الجلد وتركوا المبشر ثلاثة أيام تحت أشـعة الشـمس ، " كـان فرحا طوال الوقت" وشكر الله لأنه أعطاه امتياز الألـم لأجلـه . صحيـح أن الصـادو ساندرسنغ زخـرف قصصـه ، في بعـض الأحيـان ، أو صـاغهـا بطريقـة رومانسـية ، ومع ذلك يبدو أنه ليس ثمة سبب يدعو للتشكيك فـي شـهادته ، المسـتمدة مـن خبرتـه وخبرات الآخرين ، والتي تبين أن الله يعطي شعبه حتـى فـي وسـط التعذيـب فرحـا و سلاما خارقين.[٢٣]

نعود الى الشخص المتوحد فـي بسـتان جثسيماني ، فـنراه منبطحـا علـى الأرض يتصبب عرقا ، ويغمره الحزن والفزع و هـو يتوسـل لكـي يجنـب شـرب الكـأس إن أمكن . كان الشهداء فرحين ، لكنه كان حزينا ؛ كانوا تـواقيـن ، لكنـه كـان ممانعـا . كيف نستطيع أن نقارن بينـه وبينهـم ؟ كيـف اسـتطاعوا أن يستمدوا وحيهـم منـه إذا كان قد تداعى بينما لم يتداعوا هم ؟ بالإضافة الى ذلـك ، لقـد كـانت لديـه حتـى هـذه

---

[٢٠] ص ٢٠ من الكتاب نفسه .

[٢١] ص ٣١-٣٣ من الكتاب نفسه .

[٢٢] من كتاب *راحة القديسين الأبدية* *Saint's Everlasting Rest* p. 393

[٢٣] *إنجيل سادو سندر سنغ* ، تأليف فريدريك هيلر *Friedrich Heiler , Gospel of Sadu Sundar Singh* , pp. 173-178

المرحلة رؤيا واضحة بشأن ضرورة آلامه وموته و كان مصمما أن يتمم ما قُدِّرَ عليه ، وكان متحمسا في مقاومة كل من سعى الى حرفه عن قدره . فهل تغير كل ذلك فجأة ؟ هل ظهر جبنه الآن عندما حانت لحظة الاختبار ؟ كلا، فتعاليمه في الماضي وشخصيته و سلوكه كلها تشكل دليلا ضد هذا الاستنتاج.

إذا فالكأس التي نفر من شربها كانت شيئا مختلفا. فهي لم ترمز الى الألم الجسدي الناتج عن الجلد بالسياط والصلب ، ولا الى الألم الفكري الناجم عن الاحتقار والرفض حتى من شعبه ، ولكنها ترمز بالأحرى الى الكرب الروحي الناجم عن حمل خطايا العالم ، وبعبارة أخرى الناجم عن تحمل العقاب الإلهي الذي استوجبته تلك الخطايا. إن ما يؤكد بقوة صحة هذا المفهوم هو استخدامه المتكرر في العهد القديم ، لأن " كأس" الرب كانت في أدب الحكمة * وكذلك في الأنبياء رمزا لغضب الرب. قيل في سفر أيوب عن الشرير إنه "يشرب من حمة[غضب] القدير" (أيوب ٢١:٢٠). وفي سفر حزقيال حذر يهوه أورشليم بأنها عما قريب سوف تعاني مصير السامرة نفسه ، التي كانت قد دمرت :

"إنك تشربين كأس أختك
كأسا عميقة وكبيرة ،
فتكونين للضحك وللاستهزاء
لأنها تسع كثيرا .
تمتلئين سكرا وحزنا ،
كأس التحير [الدمار] والخراب ،
كأس أختك السامرة .
سوف تشربينها و تمتصينها ...."
(حزقيال٢٣: ٣٢-٣٤).

لم يطل الوقت حتى تحققت النبوة وحلت الدينونة . وعندئذ بدأ الأنبياء يشجعون الشعب بوعود الإعادة . وبعد أن يصف اشعياء أورشليم مخاطبا إياها " أنت التي شربت من يد الرب كأس غضبه ، ثقل كأس الترنح شربت مصصت" ، يدعوها

---

* أدب الحكمة : يتمثل بالأمثال و الجامعة و سفر أيوب و المزامير التالية ، ١٩ ، ٣٧، ١٠٤، ١٠٧، ١٤٧، ١٤٨. (موسوعة زوندرفان The Zondervan Pictorial Encyclopedia of the Bible) [المترجم]

لتستيقظ وتنهض ، لأن الرب قد أخذ الكأس من يدها. ولن يتوجب عليها أن تشربها فيما بعد. لم تعطى كأس غضب الرب إلى شعبه العاصي فقط . فالمزمور ٧٥ عبارة عن تأمل في دينونة الله العالمية: " لأن في يد الرب كأسا وخمرها مختمرة ملآنة شرابا ممزوجا ، وهو يسكب منها. لكن جميع أشرار الأرض يشربونها حتى الثمالة ". على غرار ذلك طلب الله من إرميا أن يتناول من يده كأسا ملأى بخمر غضبه ويسقي منها جميع الشعوب الذين أرسله إليهم . ونفس الاستعارة ترد في كتاب الرؤيا ، حيث "سيشرب الأشرار من خمر غضب الله المصبوب صرفا في كأس غضبه". وتوصف الدينونة النهائية بأنها سكب جامات [طاسات] غضب الله السبعة على الأرض.[٢٤]

هذا المجاز في العهد القديم كان معروفا تماما لدى يسوع ، ولابد أن يكون قد ميز الكأس التي كانت تقدم له في تلك اللحظة باعتبارها كانت تحوي خمر غضب الله ، التي تعطى للأشرار وتؤدي الى فقد تام لحس الزمان والمكان في الجسد (إرباك) وفي الفكر (تشويش) كما يفعل السكر. هل كان سيندمج بالخطاة بحيث يحمل دينونتهم ؟ لقد نكصت روحه الخالية من الخطية عن هذا الاتصال بالخطية البشرية . وقد تردد باشمئزاز شديد في قبول خبرة الاغتراب عن أبيه التي تتضمنها دينونة الخطية . هذا لا يعني أنه تمرد ولو للحظة واحدة . يبدو أن رؤيته قد عشيت عندما غمرت روحه ظلمة مفزعة ، لكن إرادته ظلت مستسلمة . بدأت كل صلاة بعبارة " يا أبتاه ، إن أمكن أن تعبر عني هذه الكأس" ، وانتهت كل صلاة بعبارة ، " ولكن لا كما أريد أنا بل كما تريد أنت". مع أن " كل شيء ممكن" لدى الله نظريا ، كما أكد يسوع في جثسيماني (مر ١٤:٣٦)، لكن هذا الأمر لم يكن ممكنا. كان قصد محبة الله أن يخلص الخطاة ، وأن يخلصهم بطريقة بارة ؛ لكن ذلك كان مستحيلا بدون موت المخلص لحمل الخطية . فكيف يمكنه أن يصلي لكي ينجو من " هذه الساعة "، ساعة الموت ؟ لقد قال ' لا ' قبلا ، فلن يطلب يطلب ذلك الآن نظرا الى " إنني لأجل هذا أتيت الى هذه الساعة " (يو ١٢:٢٧).

نهض يسوع من كرب الفزع ، الذي واجهه عندما تأمل مضامين موته المقبل ، بثقة هادئة موطدة العزم . لذلك استطاع أن يقول لبطرس ، الذي استل سيفه في محاولة مسعورة ليحول دون القبض على يسوع ، " الكأس التي أعطاني الآب ألا

---

[٢٤] أش ٥١: ١٧-٢٢ ؛ مز ٧٥: ٨ ؛ إر ٢٥: ١٥-٢٩ (قارن حب ٢: ١٦) ؛ ٤٩: ١٢ ؛ رؤ ١٤: ١٠ ؛ ١٦: ١ ومابعدها و ١٨: ٦ .

شربها ؟" (يو١٨: ١١). ونظرا الى أن يوحنا لم يسجل صلوات يسوع أثناء اكتئابه كي يرفع عنه الكأس، فإن إشارته إليها تغدو بالغة الأهمية . يسوع يعرف الآن أن لكأس لن ترفع عنه. لقد أعطاها الآب له، وسوف يشربها. إضافة الى ذلك، ورغم ن جرع الكأس سيكون مرا ومؤلما ، فإنه سيجد أن عمل إرادة الآب الذي أرسله إتمام عمله سيكون طعامه وشرابه (كما يمكن أن نقول) الذي يروي عطشه الباطني رواء تاما (يو٤: ٣٤) .

إن الكرب في جثسيماني يفتح نافذة تطل على كرب الصليب الأعظم . فإذا كان وقع ، حمل خطية الانسان وتحمل غضب الله ، رهيبا الى هذا الحد ، فكيف ستكون حقيقة ذلك ؟

قد لا نعرف ، ولا نستطيع أن نخبر
عن الآلام الفظيعة التي كان سيحملها ؛
لكننا نؤمن بأنه لأجلنا
عُلّق وتألم ومات هناك .

صرخة الترك على الصليب

ينبغي علينا الآن أن نغفل تفاصيل خيانة يهوذا ليسوع والقبض عليه ، ومحاكمته أمام حنان وقيافا وهيرودس وبيلاطس ، وإنكارات بطرس ، والسخرية القاسية من قبل الكهنة والعسكر، والبصق والجلد ، وهرع الغوغاء الذين طالبا بموته . لهذا فإننا ننتقل الى نهاية القصة . فبعد أن حكم عليه بالموت صلبا، " كان كشاة تساق الى الذبح ، وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه" (أش٥٣: ٧). لقد حمل صليبه، إلى أن أُجْبِرَ سمعان القيرواني على حمله نيابة عنه ، ومشى في طريق الآلام *فيا دولوروسا* خارجا من المدينة ، نحو جلجثة " مكان الجمجمة " . و"هناك صلبوه" ، هذا ما كتبه البشيرون ، متجنبين الإسهاب في وصف تجريده من ثيابه ، أو دق المسامير بطريقة خرقاء ، أو خلع أطرافه أثناء رفع الصليب ، ثم إنزاله في مقره . لم يستطع ، حتى الألم الموجع جدا ، أن يسكت توسلاته المتكررة: "يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" . وقامر الجنود على ثيابه . ووقفت بعض النسوة من بعيد. وبقي الجمهور يراقب لبعض الوقت . وأوصى يسوع بأمه الى يوحنا

وأوصى بيوحنا لأمه . وأعلن تأكيدا ملكيا للمجـرم التـائب المصلـوب بجانبـه . وفـي هذه الأثناء سخر منه الرؤساء قائلين ، "خلص آخرين ،أما نفسه فما يقدر أن يخلصها !". كانت كلماتهم هذه ، التـي قيلـت لإهانتـه ، تعبر عـن الحقيقـة الواقعـة . لـم يكـن بوسعه أن يخلص نفسه والآخرين في وقـت واحـد . فاختـار أن يضحـي بنفسـه لكـي يخلص العالم .

شيئا فشيئا تفرق الجمهور، وقد أتخم فضولهم . أخيرا خيم الصمت وحل الظلام - ربما حل الظلام لكي لا تـرى أي عيـن الألـم المبرح الـذي كـانت تعانيـه الآن نفس المخلص الخالي من الخطية ، وخيم الصمت لأنـه مـا مـن لسـان يسـتطيع أن يصـف ذلك الألم . كتب دوغلاس وبستر Douglas Webster "عند ميلاد ابـن اللـه أشـرق الضياء في منتصف الليل ؛ وعند موت ابن الله سـاد الظـلام فـي الظهـيرة ".[٢٥] وقـد عبر كتبة الكتاب المقدس عما حدث أثناء الظلمة بطرق متنوعة :

... مجروح لأجل معاصينا ،
مسحوق لأجل آثامنا ؛
هو حمل العقاب الذي جلب لنا السلام ،
و بجراحه شفينا .
كلنا كغنم ضللنا ،
ملنا كل واحد الى طريقه ؛
والرب وضع عليه
إثم جميعنا .

هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم !

ابن الانسان ...جاء ليبذل حياته فدية عن كثيرين .
المسيح قُدِّمَ مرة لكي يحمل خطايا كثيرين .
حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة .

المسيح تألم مرة واحدة من أجل الخطايا ، البار لأجل الأثمة لكي يقربنا

---

[٢٥] مديونون *للمسيح* ، تأليف دوغلاس وبستر *Douglas Webster* ,*In Debt to Christ* , p 46

إلى الله.

الله جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه .

المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا.[٢٦]

ما معنى الفكرة المخيفة التي مفادها أن يسوع "حمل" ، بل "صار" بالفعل خطيتنا و لعنتنا ، كيف يمكن أن يكون ذلك ، وماذا يمكن أن يعني . سوف نترك الإجابة الى الفصول التالية . أما في الوقت الحاضر فيبدو أن ظلمة الجو كانت رمزا خارجيا للظلمة الروحية التي اكتنفته . وهل الظلمة ، حسب الرمزية الكتابية ، سوى الانفصال عن الله الذي هو نور و" ليس فيه ظلمة البتة " (١يو ١:٥) ؟ لقد استعمل يسوع تعبير " الظلمة الخارجية " من بين عدة تعابير أخرى للإشارة الى جهنم ، نظرا الى أنها إقصاء مطلق عن نور وجه الله . في هذه الظلمة الخارجية غاص ابن الله لأجلنا . لقد محت خطايانا إشراق وجه أبيه . بل يمكننا أن نتجرأ على القول أن خطايانا أرسلت المسيح الى جهنم – ليس الى " الهاوية " (مقر الموتى) التي يذكر قانون الإيمان أنه " نزل" اليها بعد موته ، بل الى "جهنم" (مكان العقاب) التي حكمت عليه خطايانا أن يذهب اليها قبل موت جسده .

يبدو أن الظلمة دامت ثلاث ساعات . لأنه صلب عند الساعة الثالثة (٩صباحا)، وفي الساعة السادسة (١٢ ظهرا) حلت الظلمة على كل الأرض ، و في الساعة التاسعة (٣ب. ظ.) صاح يسوع ، من وسط الظلمة ، بصوت عظيم بالآرامية " *ايلوي ايلوي لما شبقتني* ؟ " أي ، " إلهي إلهي لماذا تركتني ؟ ".[٢٧] فأساء الحاضرون الناطقون باليونانية فهم كلماته و ظنوا أنه كان ينادي إيليا. و ما زال كثيرون حتى اليوم يسيئون فهم ما قاله . و قد قدمت أربعة تفسيرات رئيسة للصرخة الرهيبة ، صرخة " الترك " (الهجر، التخلي) . يتفق جميع المفسرين في أنه كان يقتبس من مزمور ١:٢٢، لكنهم لا يتفقون حول السبب الذي جعله يفعل ذلك. ماذا كانت دلالة هذا الاقتباس الذي نطقت به شفتاه ؟

---

[٢٦] أش ٥٣: ٥-٦ ؛ يو ١: ٢٩ ؛ مر١٠: ٤٥ ؛ عب ٩: ٢٨ ؛ ١ بط ٢: ٢٤ ؛ ٣: ١٨ ؛ ٢ كو ٥: ٢١ ؛ غل ٣: ١٣ .

[٢٧] مر ١٥: ٢٥ ، ٣٣-٣٤ .

أولا يقترح بعضهم بأنها كانت *صرخة الغضب* أو *الشك* أو *اليأس* . فربما كان قد علق أمله على ان الآب سيرسل حتى في اللحظة الأخيرة ملائكة لإنقاذه ، أو أنه على الأقل ، في غمرة طاعته التامة لإرادة الآب سيظل يختبر التعزية الناجمة عن حضور الآب . و لكن ذلك لم يحدث ، لقد اتضح له الآن أنه ترك ، فصرخ صرخته " لماذا ؟" التي تمزق القلب معبرا عن الفزع أو التحدي . لقد خانه إيمانه . لكن هؤلاء المفسرين يضيفون بالطبع ، أنه كان مخطئا . لقد تخيل أنه متروك ، في الوقت الذي لم يكن فيه متروكا . إن أولئك الذين يفسرون صرخة الترك هكذا يستطيعون بصعوبة أن يدركوا ماذا يفعلون . إنهم ينكرون الكمال الأخلاقي في طبيعة يسوع . إنهم يقولون أنه وقع في خطيئة الشك وهو على الصليب ، وهذا لا يقل بطلا عن القول أنه تصرف بجبن في البستان . إنهم يتهمونه بالفشل . الفشل في اللحظة التي كان يضحي فيها بنفسه تضحيته الأسمى والأعظم . إن الإيمان المسيحي يحتج على تفسير كهذا .

ثمة تفسير ثان ، هو تعديل للتفسير الأول . و هو يدعونا لنفهم صرخة الترك على أنها *صرخة التوحد*. يعتقد أصحاب هذا الرأي أن يسوع كان يعرف وعود الله بأنه لن يخذل شعبه أو يتركه .[٢٨] وكان يعرف ثبات محبة الله بموجب عهده . لذلك لم تكن صرخته " لماذا ؟" التي صرخها شكوى من أن الله تركه فعلا، بل كانت تعني بالأحرى أن الله قد أجاز له أن يشعر بأنه متروك . كتب ت. ر. غلوفر T.R.Glover " لقد فكرت أحيانا في أنه لم يكن هناك قط قول يظهر التفاوت بين الشعور والواقع بصورة تدعو للدهشة أكثر مما يظهره هذا القول ".[٢٩] فعوضا عن مخاطبة الله بـ " الآب" لم يستطع الآن أن يدعوه سوى " إلهي" ، مما يؤكد إيمانه بأمانته للعهد ، لكنه يقصر عن إعلان رأفته الأبوية . في هذه الحال لم يكن يسوع مخطئا ، ولا غير مؤمن ، بل كان يختبر ما دعاه القديسون " الليلة الحالكة الظلام التي تخيم على النفس" ، وقد فعل ذلك في الواقع بتعمد ، وبدافع التضامن معنا . يعبر توماس ج. كراوفورد Thomas J. Crawford عن ذلك ، فيذكر أن " شعب الله ، في هذه الحالة لن يستمدوا أي رضى واع من أفراح رضاه وتعزيات الشركة [الألفة] معه". ولن يُمنَحُوا "ابتسامة الاستحسان أو صوت التشجيع أو تمتعا داخليا

---

[٢٨] مثلا يش ١: ٥، ٩ و أش ٤١: ١٠ .

[٢٩] يسوع *التاريخ* ، تأليف ت. ر. غلوفر *T. R. Glover*, *Jesus of History*, p. 192

بالرضى الإلهي".[٣٠] هذا التفسير ممكن. وهو لا يطعن بأي شكل في طبيعة يسوع كما يفعل التفسير الأول. ومع ذلك يبدوأن ثمة صعوبة لا يمكن تخطيها تقف في طريق إقراره . وهي أن كلمات مزمور ٢٢: ١ تعبر عن خبرة *كون* كاتب المزمور متروكا من الله و ليس عن مجرد *الشعور* بذلك .

هناك تفسير ثالث ، وهو تفسير مرغوب لدى الكثيرين ، ومفاده أن يسوع كان يصرخ *صرخة الانتصار* ، وهذا بعكس التفسير الأول تماما الذي اعتبرها صرخة يأس. والحجة الآن كما يلي ، مع أن يسوع اقتبس من المزمور ٢٢ الآية الأولى فقط ، فإنما فعل ذلك معتبرا أن الآية الأولى تمثل كل المزمور الذي يبدأ بوصف الآلام المروعة و يستمر في ذلك ، لكنه ينتهي بثقة عظيمة ، بل وبانتصار: " أخبر باسمك إخوتي ، في وسط الجماعة أسبحك . يا خائفي الرب سبحوه...لأنه لم يحتقر ولم يرذل مسكنة [ألم] المسكين ؛ ولم يحجب وجهه عنه بل عند صراخه استمع إليه" (ع٢٢). هذا تفسير بارع ، لكنه (حسبما يبدو لي) بعيد عن الواقع . لو كان يسوع يلمح بالحقيقة إلى نهاية المزمور فلماذا اقتبس مطلعه ؟ لو فعل ذلك لكان مضللا ، إذ من كان سيفهم قصده ؟

التفسير الرابع بسيط وواضح المعالم . ويدعو الى أخذ الكلمات بحسب قيمتها الظاهرة وفهمها على أنها *صرخة ترك حقيقية* . إنني أوافق ديل Dale فيما كتب: " إنني أرفض قبول أي تفسير لهذه الكلمات يتضمن أنها لا تمثل حقيقة وضع ربنا بالفعل ".[٣١] لم يكن يسوع بحاجة الى أن يتوب عن صرخة كاذبة . رغم ترك يسوع من قبل البشر ، فقد ظل حتى هذه اللحظة قادرا على القول: " لكنني لست وحدي ، لأن أبي معي" (يو ١٦:٣٢) . إلا أنه في وسط الظلمة كان وحيدا تماما. لأنه الآن ترك من قبل الله أيضا. وكما عبر كالفن عن ذلك: " لو مات المسيح بالجسد فقط لكان عمله غير فعال ... فما لم تشترك نفسه في تحمل القصاص ، فسيكون فادي الأجساد فحسب ". ينتج عن ذلك أنه " دفع ثمنا أكبر وأغلى عن طريق ما عانته نفسه من آلام مريعة يشعر بها رجل مدان ومتروك ".[٣٢] وهكذا إذاً حدث انفصال

---

[٣٠] Thomas J. Crawford, *Doctrine of Holy Scripture*, pp. 137-138.

[٣١] الكفارة ، تأليف ر.ب. و. ديل *R. W. Dale* , *Atonement* , p. 61

[٣٢] *الدساتير* لـ: كالفن *Calvin's Institutes, II. xvi. 10 and 12.* . صحيح وغريب نوعا ما ، أن كالفن آمن (متأثرا بلوثر) بان هذا هو تفسير "نزول يسوع إلى الهاوية" بعد موته. إلا أن الأمر المهم أكثر من غيره هو أنه اختبر من أجلنا حقيقة ترك الله له، وليس المهم متى حدث ذلك بالضبط .

مريع وفعلي بين الآب والابن . وقد قبلـه طوعـا الآب والابـن معـا . هذا الانفصـال ناجم عن خطايانا وما تستحقه من جزاء عادل . وقد عـبر يسـوع عـن هـذا الرعـب من الظلمة العظيمة وهذا الترك مـن قبـل اللـه ، باقتباسـه مـن الكتـاب المقـدس الآيـة الوحيدة التي وصفته بدقة ، وقد تممها علـى أكمـل وجـه ، وهـذه الآيـة هـي " إلهـي إلهي لماذا تركتني ؟ " سنتناول فيما بعد الاعتراضات والمشكلات اللاهوتية ، مع أننا نؤكد الآن وجوب تحقيق التوازن بين ترك اللـه ليسـوع على الصليـب و بيـن تـأكيد كتـابي ممـاثل بـأن " اللـه كـان فـي المسيح مصـالحـا العـالم لنفسـه". إن سـي. إ. ب. كرانفيلد C.E.B.Cranfield محق في تـأكيده فـي آن واحـد ، علـى حقيقـة أن يسـوع اختبر " ليس مجرد شعور بالترك ، بل تركا حقيقيا من قبل أبيـه"، وعلـى " التنـاقض الظاهري وهو أنه في حين أن هذا الترك من قبـل اللـه حقيقـي تمامـا ، فـإن وحـدة الثالوث المبارك كانت غير منفصمة حتى في ذلك الحين ".[٣٣] مهمـا يكـن مـن أمـر، فإنه يكفينا ، عند هذه المرحلة ، أن نقترح أن يسوع كان يفكـر مليـا فـي مزمـور ٢٢ الذي يصف الاضطهاد القاسي الذي وقع على رجل تقي بريء ، مثلما كان يفكر مليا في مزامير أخرى اقتبسها وهو على الصليب ؛ [٣٤] وأنه اقتبس الآية الأولـى مـن هـذا المزمور لنفس السبب الذي من أجله اقتبس أي آية أخرى مـن الكتـاب المقـدس ، أي لأنه آمن بأنه كان يتممها ؛ وأن صرخته جاءت على شـكل سـؤال " لمـاذا ؟" ، ليس لأنه لم يعرف الجواب، وإنما فقط لأن نص العهد القديم ذاته (الذي كان يقتبـس منـه) كان بهذه الصيغة .

بعد صرخـة الترك مباشرة تقريبـا ، نطـق يسـوع ، بثـلاث كلمـات أخـرى أو عبارات ، بتعاقب سريع . أولا " أنا عطشان" فقد فرضـت آلامـه الروحيـة العظيمـة ضريبتها على بدنه . ثانيا ، صرخ بصوت عظيم (بحسب متى ومرقـس) وقـال " قـد أكمل" . ثالثا، قال وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة قوله الهـاديء الواثـق الـذي اسـتودع بـه نفسه طوعا: " يا أبتاه في يديك أستودع روحي ".[٣٥] يقابل الصرخة الوسطى، التـي هي هتاف الانتصار كلمة يونانية واحدة وردت فـي نـص الإنجيـل هـي *تتيليستايي* . ونظرا الى أنها بصيغة الزمن التام ، فهي تعني ، " قـد أكمـل ، وسيبقى مكمـلا الـى الأبد " . نلاحظ هنا الإنجاز الذي ادعاه يسوع قبـل موتـه بقليـل . فليس البشـر هـم

---

[٣٣] مرقس . تأليف سي. إ. كرانفيلد C. E. B. Cranfield , *Mark*, pp. 458-459.

[٣٤] مثلا "أنا عطشان" (يو ١٩: ٢٨) تلميح إلى مزمور ٦٩: ٢١ (قارن مزمور ٢٢: ١٥) ، و"في يديك أستودع روحي" (لو ٢٣: ٤٦) ، وهو اقتباس من مز ٣١: ٥

[٣٥] يو ١٩: ٢٨ ، ٣٠ ؛ لو ٢٣: ٤٦

الذين اكملوا فعلتهم الوحشية . بل هو الذي تمم العمل الذي من أجله جاء الى العالم. لقد حمل خطايا العالم . لقد تحمل الدينونة بدلا عنا بتعمد وحرية ومحبة كاملة . لقد أنجز الخلاص لأجلنا ، ووطد عهدا جديدا بين الله والجنس البشري . وجعل بركة العهد الرئيسة، التي هي غفران الخطايا أمرا ميسرا. في الحال انشق حجاب الهكيل ، الذي ظل طوال قرون عديدة يرمز الى اغتراب الخطاة عن الله ، انشق من أعلى الى أسفل لكي يوضح أن الله قد نقض حاجز الخطية ، فأصبح الطريق مفتوحا الى حضرة الله.

بعد ست و ثلاثين ساعة أقام الله يسوع من بين الأموات. فالذي أدين من أجلنا بموته بُرِّيءَ بقيامته . كانت القيامة تبيين الله الحاسم بأن يسوع لم يمت عبثا .

كل هذا يقدم صورة منطقية ومتماسكة . إنها تعطي تفسيرا لموت يسوع يأخذ بالحسبان بطريقة علمية صحيحة ، كافة الوقائع المتيسرة دون استثناء أي منها. إنها تفسر الأهمية المركزية التي علقها يسوع على موته ، وتفسر لماذا أسس عشاءه للاحتفال بذكراه ، وكيف صدَّق بموته العهد الجديد ، مع ما وعد به هذا العهد من غفران . إنها تفسر الكرب الذي عاناه في البستان وهو يتوقع ما سيحدث ، والألم المبرح الناجم عن الترك على الصليب ، وادعاءه بأنه أكمل خلاصنا بصورة حاسمة . كل هذه الأحداث تغدو مفهومة اذا قبلنا التفسير الذي قدمه يسوع ورسله ، وهو أنه "حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة " .

في الختام يؤكد الصليب ثلاث حقائق ـ تتعلق بنا وبالله وبيسوع المسيح .

أولا، لا بد أن خطيئتنا كريهة الى أقصى حد . لا شيء يظهر جسامة الخطية كما يظهرها الصليب .

إن ما أرسل المسيح الى الصليب ، في نهاية المطاف ، ليس طمع يهوذا ، ولا حسد الكهنة ولا جبن بيلاطس المتردد ، بل طمعنا وحسدنا وجبننا وخطايا أخرى ، وتصميم المسيح ، بدافع المحبة والرحمة ، أن يحمل الدينونة التي تستحقها تلك الخطايا وبذلك يزيلها. يستحيل علينا أن نواجه صليب المسيح بنزاهة دون أن نشعر بالخجل من أنفسنا . إن اللامبالاة والأنانية والرضى عن النفس تزدهر في كل مكان في العالم إلا عند الصليب. هنا تذبل تلك الأعشاب البغيضة وتموت . هنا ترى على حقيقتها كأشياء خسيسة سامة . لأنه اذا لم تكن هناك طريقة أخرى يستطيع الله البار بواسطتها أن يغفر فجورنا بطريقة عادلة سوى أن يحمله هو بنفسه في المسيح ، فلا بد أن يكون هذا الفجور خطيرا في الواقع . فعندما ندرك هذا ، ونتجرد

من برنا الذاتي ، ورضانا عن أنفسنا ـ عندئذ فقط ـ نصبح مستعدين لوضع ثقتنا في يسوع المسيح باعتباره المخلص الذي نحتاج إليه أشد الحاجة .

ثانيا ، لا بد أن تكون محبة الله رائعة الى حد لا يدرك . كان بوسع الله أن يتركنا ، وهذا منتهى العدل ، لنلاقي مصيرنا. كان بوسعه أن يدعنا وشأننا لنحصد جزاء أفعالنا الشريرة ونهلك في خطايانا. فهذا ماكنا نستحقه. لكنه لم يفعل ذلك . لأنه أحبنا وجاء في المسيح ليدركنا. ولاحقنا حتى الى كرب الصليب الموحش ، حيث حمل خطايانا ، وذنبنا ودينونتنا ، وموتنا. ولا يستطيع أن يبقى غير متأثر بمحبة كهذه إلا من كان ذا قلب قاس متحجر. إنها أكثر من محبة. واسمها الصحيح " النعمة "، التي هي المحبة لمن لا يستحقها.

ثالثا، لا بد أن يكون خلاص المسيح هبة مجانية. لقد " اشتراه" لأجلنا بثمن غال هو دمه الذي يمثل حياته . فماذا تبقى لندفعه نحن ؟ لا شيء ! نظرا الى أنه ادعى بان كل شيء قد " أكمل" آنئذ ، لأنه ليس ثمة شيء نستطيع أن نسهم به . لا يعني هذا بالطبع أننا نملك إذنا بارتكاب الخطية ونستطيع دوما أن نعتمد على غفران الله. فالأمر بعكس ذلك ، لأن صليب المسيح نفسه ، الذي هو أساس الخلاص المجاني ، هو أيضا أقوى حافز على الحياة المقدسة . ولكن هذه الحياة الجديدة تتبع هذا الخلاص . علينا أولا، أن نتضع عند أسفل الصليب ، ونعترف بأننا أخطأنا ولا نستحق من يديه سوى الدينونة ، وعلينا أن نشكره لأنه أحبنا ومات لأجلنا ، ونقبل منه غفرانا كاملا ومجانيا. لكن كبرياءنا المتأصلة تثور على اتضاع الذات هذا. إننا نسخط من الفكرة التي مفادها أننا لا نستطيع أن نربح ، أو حتى أن نسهم في خلاصنا. وهكذا نعثر ، كما يعبر بولس عن ذلك ، بعثرة الصليب.[٣٦]

[٣٦] ١ كو ١: ٢٣ ؛ غل ٥: ١١ ؛ قارن مت ١١: ٦ ؛ رو ٩: ٣٢ ؛ ١ بط ٢: ٨ .

الجزء الثاني

قلب الصليب

٤

مشكلة الغفران

إن فكرة " النظر الى ما تحت السطح " التي بحثناها في الفصل السابق ربما تكون قد أثارت بالفعل لدى بعض القــراء استجابة نـافدة االصـبر. قـد تقـول لـي ، إن ذلـك العشاء البسيط في العلية ، وحتى صلاة يسوع في البسـتان التـى عـبرت ، بـاعتراف الجميع ، عن أشد دركات الألـم ، و صرختـه مـن علـى الصليـب ، كلهـا معـا تفسـح مجالا لتفسيرات أكثر بساطـة . فلماذا تعقد كل شيء بلهوتتك * المعذبة ؟ إنه رد فعـل يمكن فهمه .

إن إلحاحنـا بخاصـة ، علـى أن صليـب المسـيح هـو، بحسـب الانجيـل ، الأسـاس الوحيد الذي بناء عليه يغفر الله الخطايا ، أمر يذهل كثيرين مـن النـاس . ويسـألون: " لماذا ينبغي أن يعتمد غفران خطايانا على موت المسيح ؟ لمـاذا لا يغفـر لنـا اللـه ببساطة دونما ضرورة الى الصليـب؟ " وفقـا للقـول الفرنسـي السـاخر " اللـه الطيـب سوف يغفرلي ؛ فهذه وظيفتـه ".١ و يمكـن أن يتـابع المعـترض فيقـول " اذا أخطـأنـا بعضنا الى بعض فنحن مطالبون بأن يسامح بعضنـا بعضـا . بـل وهنـاك تحذيـر لنـا من العواقب الوخيمة اذا رفضنا . فلماذا لا يستطيع الله أن يمارس ما يعظ بـه ، و يكون كريما أسوة بنا ؟ لا ضرورة لموت أحد قبل أن نسامح بعضنـا بعضـا . فلمـاذا يهتم الله بغفرانه لنا بقلق الى هذا الحد الذي لا موجب له ، حتى ليصـرح بأنـه غير

* لهوته theologizing : تحويل إلى مسألة لاهوتية .(قاموس المورد) [المترجم]

١ يقتبس إس.سي. نيل هذه العبارة في كتابه *الإيمان المسيحي اليوم* *Christian Faith Today*. p. 145 . وقد نسب جيمس دني الاقتباس إلى هايني في كتابه *موت المسيح* *Death of Christ* , p. 186 .

ممكن دون ' ذبيحة الخطية ' التي قدمها ابنه ؟ يبدو الأمر أشبه بخرافة بدائية كان ينبغي على الناس العصريين أن ينبذوها منذ زمن طويل".

من الضروري طرح هذه الأسئلة ومواجهتها . يمكن مباشرة تقديم جوابين لهذه الأسئلة ، مع أننا نحتاج الى بقية الفصل للتوسع فيهما. أول الجوابين قدمه رئيس الأساقفة أنْسِلم Anselm في نهاية القرن الحادي عشر في كتابه القيم *لماذا صار الله انسانا* Cur Deus Homo ? . كتب يقول ، اذا تصور أحد ما أن الله يمكن أن يغفر لنا ببساطة ، كما نغفر نحن للآخرين. فإنه لم يفكر بعد مليا في جدية الخطية ، أو بصورة دقيقة " لم يفكر بعد مليا في جسامة ثقل الخطية " (المقدمة i.xx i) . يمكن التعبير عن الجواب الثاني بصورة مماثلة: " إنك لم تفكر بعد مليا في جلال الله " . عندما يكون إدراكنا ، لله والانسان ، أو للقداسة والخطية ، منحرفا ، فهذا يحتم أن يكون إدراكنا للكفارة منحرفا أيضا .

بالحقيقة أن التشابه بين غفراننا وغفران الله أمر بعيد جدا عن الصحة . صحيح أن يسوع علمنا أن نصلي: " اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا " لكنه كان يُعَلِّم أنه يستحيل منح الغفران لمن لا يغفر ، وهكذا يتوجب على من ينال الغفران أن يغفر ، كما يتضح من مثل العبد العديم الرحمة ؛ فهو لم يكن بصدد استخلاص أي تشابه بين الله و بيننا فيما يختص *بأساس* الغفران.[٢] لأننا عندما نحاج بالقول ، " نحن نسامح بعضنا بعضا بصورة لا شرطية ، فليفعل الله لنا الشيء نفسه " ، فهذا لا يكشف عن حبكة ، بل عن ضحالة ، لأنه يهمل الحقيقة الأولية ، وهي أننا لسنا الله . نحن أفراد عاديون ، وجنح الناس الآخرين هي إساءات شخصية . غير أن الله ليس فردا عاديا ، وليست الخطية مجرد إساءة شخصية . الأمر بعكس ذلك ، فالله بذاته هو صانع القوانين التي ننتهكها ، و الخطية عصيان ضده .

فالسؤال الحاسم الذي يجب أن نسأله، سؤال مختلف. فليس هو ، لماذا يجد الله أن *من الصعب* أن يغفر ، بل كيف يجد الله أن *من الممكن* أن يفعل ذلك بأي حال. هذا ما يعبرعنه إميل برونر Emil Brunner " الغفران هو النقيض تماما لأي شيء يمكن أن يعتبر أنه أمر مسلم به . فليس ثمة شيء أقل وضوحا من الغفران ".[٣] أو ما

---

[٢] مت ٦: ١٢-١٥ ؛ ١٨: ٢١-٣٥ .

[3] Emil Brunner , *Mediator*, p. 448.

يعبر عنه كارنيجي سمبسون Carnegie Simpson ، " الغفـران بنظـر الانسـان أكثر الواجبات وضوحا ؛ أما بنظر الله ، فالغفران هو أعمق المشكلات ".[4]

تنشأ مشكلة الغفران من التصادم الحتمي بين الكمال الإلهي والعصيان البشـري ، بين اللـه فـي حقيقتـه وبيننـا نحـن فـي حقيقتنـا. ليسـت العقبـة التـي تقـف فـي طريـق الغفـران هـي خطيئتنـا وحدهـا ولا ذنبنـا * وحـده ، بـل هـي أيضـا رد الفعل الإلهـي بالمحبة والغضب نحو الخطاة المذنبين. إن " الله محبـة " بالحقيقـة ، ولكـن مـع ذلـك علينا أن نتذكر أن محبته هي "محبة مقدسة " [5] ، محبة تتوق الى الخطاة ، في الوقت الذي ترفض فيه أن تتساهل بشـأن خطيتهـم . فكيـف يسـتطيع اللـه إذا أن يعبـر عـن محبته المقدسة ؟ ـ محبته إذ يغفر للخطـاة دون أن ينتقـص مـن قداسـته، وقداسـته إذ يدين الخطاة دون أن يحبط محبته ؟ كيف يستطيع الله أن يكون ، في مواجهـة الشـر الانساني ، صادقا مع نفسه بصفته المحبة المقدسة ؟ وكيـف يسـتطيع أن يكـون فـي الوقت نفسه ، بحسـب كلمـات اشـعياء " إلهـا بـارا ومُخَلِّصًا " (٤٥:٢١) ؟ ، لأنـه ، بالرغم من حقيقة أن الله أظهر بـره بقيامـه بفعـل ليخلـص شـعبه ، لا يمكـن اعتبـار كلمتـي " بـرّ " و " خـلاص " مجـرد كلمتيـن مـترادفتين. كـانت مبادرتـه الخلاصيـة بالأحرى متناغمة مع بره ومعبرة عنـه . علـى الصليب دفـع اللـه ذَاتُـهُ عـن طريـق المسيح ، بمحبة مقدسة ، القصاص الكامل لعصياننا . لقد حمل الدينونة التي نستحقها لكي يجلب لنا الغفران الذي لا نستحقه . على الصليب تم التعبير عن الرحمة الإلهيـة والعدالة الإلهية على السواء وتم التوفيق بينهمـا الـى الأبـد. لقـد " وُفِّيَـتْ مطـالب " محبة الله المقدسة.

إلا أنني أتسرع في الكـلام . إن السـبب الـذي يجعـل كثـيرين مـن النـاس يقدمـون إجابات خاطئة عن الأسئلة المتعلقة بالصليب ، بل ويسألون أسئلة خاطئة ، هـو أنهـم لم يتأملوا مليا و بدقة ، خطـورة الخطيـة ولا جـلال اللـه . ولكـي نقـوم بذلـك الآن ،

---

[4] *P. Carnegie Simpson, Fact of Christ, p. 109.*

* ذنبنـا : مسـؤوليتنا عن الخطيئـة التـي ارتكبناهـا ، واستحقاقنا للجـزاء المـترتب علـى ذلـك . (توضيح خطي خاص من المؤلف) [المترجم]

[5] يؤكد ب. ت. فورسيث على "المحبة المقدسة" في كتابيه، حسمية *الصليب* و*عمل المسيح* *Cruciality of The Cross* and *The Work of Christ* وكذلك يفعل ويليام تمبل في كتابه *Christus Veritas ,e.g.* pp. *257 , 269,* وإميل برونرفي كتابه الوسيط *Mediator* .

سوف نعيد النظر في أربعة مفاهيم كتابية أساسية ، أي جسامة الخطية والمسؤولية الأخلاقية الانسانية ، والذنب الحقيقي والزائف ، وغضب الله . وهكذا سوف ننظر الى أنفسنا بالتعاقب باعتبار أننا خطاة ومسؤولون ومذنبون وهالكون . لن يكون هذا تدريبا ممتعا ، وسوف توضع نزاهتنا على المحك في سياق هذا التدريب .

جسامة الخطية

إن كلمة " خطية " بالذات قد اختفت في السنوات الأخيرة من مجموع المفردات التي يستخدمها معظم الناس . فهي تنتمي الى اللغة المميزة الدينية التقليدية التي يعلن كثيرون الآن أنها عديمة المعنى ـ وهذا ينطبق على الأقل على الغرب الذي يزداد علمنة. أضف الى ذلك أنه حينما تذكر كلمة خطية وحيثما تذكر ، يساء فهمها على الأرجح . فما هي الخطية إذا ؟

يستعمل العهد الجديد خمس كلمات يونانية رئيسة بمعنى الخطية ، تصور مجتمعة جوانبها المتنوعة ، المنفعلة والفاعلة . أكثرها شيوعا كلمة *هامارتيا* ، التي تصف الخطية بأنها عدم إصابة الهدف ، الفشل في الوصول الى الهدف . وكلمة *أديكيا* ، التي تعني " فجورا " أو " إثما " ، وكلمة *بونيريا* التي تعني شرا أي فسادا أو تفسخا و كلا التعبيرين يتحدث عن فساد باطني أو انحراف في الخلق . أما الكلمتان اللتان تمثلان الجانب الأكثر فاعلية في الخطية فهما *بارابازيس* (التي يمكن أن نقرن بها كلمة مماثلة *بارابتوما*) التي تعني " تجاوزا " أو " تعديا " أي عبور حد معروف ، و *أنوميا* التي تعني " خروجا على القانون" أو عدم احترام قانون معروف أو انتهاكه . ويوجد معيار موضوعي ضمني في كل حالة ، فهو إما مستوى نفشل في الوصول إليه أو حد نعبره بتعمد .

يفترض في الكتاب المقدس من أوله الى آخره أن هذا المعيار أو المثال قد وطده الله . إنه بالحقيقة قانونه الأخلاقي الذي يعبر عن طبيعته البارة . إلا أنه ليس قانون كينونته هو فحسب ، بل هو قانون كينونتنا نحن أيضا ، نظرا الى أنه قد خلقنا على صورته وبذلك كتب مطالب ناموسه في قلوبنا (رو٢:١٥). فهناك إذا توافق أساسي بين ناموس الله وذواتنا ، فارتكاب الخطية " تَعَدٍّ " [خروج على القانون] (١ يو٣:٤) نسيء به الى ذواتنا فنحرمها من الخير الأسمى ونسيء كذلك الى سلطة الله ومحبته

غير أن الكتاب المقدس يركز على ميزة الخطية التـي هـي التمركـز حـول الـذات المناهض لله. إن كل خَطِيَّةٍ خَرْقٌ لما دعاه يسوع " أول الوصايـا وأعظمهـا "، ليس فقط بالتقصير في محبـة اللـه بكـل كياننـا ، بـل بـالرفض الفـاعل أيضـا ، إذ نرفـض الإقرار بأنه خالقنا و ربنا كما نرفض إطاعتـه . لقـد رفضنـا وضـع الاعتمـاد الـذي تتضمنه بالتأكيد حقيقة كوننا مخلوقين ، وحاولنا الحصول علـى الاسـتقلال . بـل إننـا فعلنا ما هو أسوأ مـن ذلـك ، إذ تجرأنـا علـى التصريـح باعتمادنـا علـى الـذات ، أي حكمنا الذاتي ، الذي هوالادعاء بأننا نملك الوضـع الـذي لا يملكـه أحـد سـوى اللـه. ليست الخطية انحرافا موقتا يؤسف له عن المعايير المتفق عليها؛ إنها، في جوهرهـا عداوة لله (رو٨:٧) ، تؤدي الى عصيان فاعل ضده . لقـد وصفـت بأنهـا " تخلـص من الله " لكي نضع أنفسنا فـي مكانـه بـروح متغطرسـة هـي روح " اللـه القـدرة " God - almightiness . ويلخـص إميـل برونـر Emil Brunner الفكـرة بحـق فيقـول: " الخطية تحد ، عجرفة ، رغبة في المسـاواة باللـه...إنهـا الزعـم باسـتقلال الانسـان تحديا لله...إنها ترسيخ العقل والأخلاق والثقافة المستقلة ". وقـد وضـع برونرعنوانـا ملائما للكتاب الذي أوردنا هذا الاقتباس منه، وهو *الانسان المتمرد Man in Revolt* (ص ١٢٩).

ما إن ندرك أن كل خطية نرتكبها تعبر (بدرجات مختلفة من الوعي الذاتي) عن روح التمرد هذه ضد الله ، حتى نصبـح قـادرين علـى قبـول اعـتراف داود: " إليك وحدك أخطأت ، والشر قدام عينيك صنعت " (مز ٥١:٤). بارتكـاب داود الزنـى مـع بتشبع و تدبيره قتل زوجها أوريا في المعركة ارتكب جرائم بالغـة الخطـورة بحقهمـا وحق الأمة . مع ذلك فإن مـا انتهكـه داود بصـورة أساسـية إنمـا هـو قوانيـن اللـه و بالتالي فإنه أساء الى الله في المقام الأول .

ربما كان في أعماق كثيرين من معاصرينا نفور من مواجهة جسامة الخطية أدى الـى قيـامهم بحذفهـا مـن مجمـوع مفرداتهم. لقد لاحـظ الدكتـور كـارل مينتجـر Karl Meninger عـالم النفس المرضـي الأميركي الخبير بـالنفس الانسـانية اختفـاء كلمـة " الخطية ". وكتب عنها في كتابه *ماذا حدث للخطية Whatever Became of sin* ؟ فبعد أن يصف توعك المجتمع الغربي ومزاجـه العـام الـذي تسـوده الكآبـة والقنـوط، يضيف أن " المرء يفتقد أي ذكر' للخطية ' ". " كانت هذه الكلمة فيما مضى في ذهن كل انسان، لكنها نادرا ما تسمع الآن، هذا اذا سمعت قط. ثم يسأل عما اذا كـان هـذا يعني أن الخطية لا دخل لها في اضطراباتنا...؟ ألـم يرتكـب أحـد أي خطيـة ؟ أيـن

ذهبت الخطية في الواقع ؟ ماذا حدث لها؟ " (ص١٣). في معرض بحثه فـي أسباب اختفاء الخطيـة يلاحظ الدكتور مننجـر أولا أن " عددا كبيرا مـن الخطايـا السـابقة أصبحت جرائم " وهكذا انتقلت مسـؤولية معالجتهـا مـن الكنيسـة الـى الدولـة ، ومـن الكاهن الى الشرطي (ص ٥٠) ، بينما تبددت خطايا أخرى متحولة الـى أمراض أو الى أعراض مرضية على الأقل ، حيث أصبح مرتكبوهـا يعـالجون عوضـا عـن أن يعاقبوا (ص ٧٤ وما يليها). وهناك حيلة ملائمة ثالثة تدعى "اللامسؤولية الجماعيـة " مكنتنا من نقل بعض اللوم الذي نستحقه نحن كأفراد ، بسبب سلوكنا المنحرف، الى المجتمع ككل أو الى احدى تجمعاته العديدة (ص٩٤ وما يليها).

ويمضي الدكتور مننجر ليدافع ، ليس فقط عن إعادة كلمـة الخطيـة الـى مجمـوع مفرداتنا، بل أيضا عن الإقرار بالحقيقة التي تعبر عنها الكلمـة. لا يمكـن أن ترفـض الخطية باعتبارها تحريما ثقافيا أو مجرد خطأ اجتماعي فاضح. ينبغي أخذهـا مـأخذ الجد . وهو يوبخ الوعاظ لأنهم يلطفون من الخطية فيضيف : " لا يستطيع رجـل الدين أن يقلل من شأن الخطية ويحتفظ بـدروه المناسـب فـي ثقافتنـا " (ص١٩٨). لأن الخطية ضمنيا " صفة عدوانية ، قسوة ، إيـذاء ، انفصـال عـن اللـه وعـن بقيـة البشرية، اغتراب جزئي أو فعل عصيان ؛ للخطية صفة العناد أوالتحدي الجريء أو الغدر: فهناك من يُتَحَدَّى أو يساء إليه أو يؤذى "(ص١٩). إن تجاهل هـذا سـيكون أمرا مضللا. لكن الاعتراف به سيمكننا من أن نفعل شيئا بشأنه . بالإضافة الى ذلـك إن إعـادة الخطيـة الـى وضعهـا السـابق سـوف يقـود حتمـا الـى " إحيـاء المسـؤولية الشـخصية أوإعـادة توكيدهـا". بالحقيقـة إن فـائدة إحيـاء الخطيـة هـي أن المسـؤولية ستحيا معها (ص١٧٨ والتي تليها).

المسؤولية الأخلاقية الانسانية

لكن هل من الانصاف أن يلام البشر بسبب سؤ سلوكهم ؟ هل نحـن مسـؤولون حقـا عـن أفعالنـا ؟ ألسـنا فـي الغـالب ضحايـا الآخريـن أكـثر ممـا نحـن أحـرار، وهكـذا يُرْتَكَبُ الخطأ بحقنا أكثر مما نرتكب الخطأ بحق الآخرين ؟ إننا نملك سلسلة كاملـة من أكباش الفداء جاهزة في متناولنا ـ مورثاتنا و كيمياؤنا (اضطراب حاثي موقت) و حـدّة طبعنـا المـوروث و مزاجنـا وفشـل آبائنـا خـلال طفولتنـا البـاكرة ، و بيئتنـا

الثقافية والاجتماعية . هذه كلها تشكل مجتمعة ، في الظاهر ، حجة دامغة . ربما لم تبذل محاولة أكثر شمولا من تلك التي بذلها الأستاذ ب. إف. سكينر B. F.Skinner في كتابه *ما وراء الحرية و الكرامة Beyond Freedom and Dignity* لتقويض مفهوم المسؤولية الشخصية التقليدي. ومفاد فرضيته هو أن " المشكلات المرعبة التي تواجهنا في العالم اليوم " (ولا سيما أخطار الانفجار السكاني، والحرب النووية والجوع والمرض والتلوث) يمكن أن تحل جميعها بـ" تقنية تنظم السلوك البشري" أي أنه " يمكن تأمين تغيرات في السلوك الانساني" عن طريق إحداث تغيرات في البيئة البشرية. فيمكن أن يبرمج الانسان لكي يسلك سلوكا ملائما. فما الذي يقف في الطريق ؟ الجواب: مفهوم " الانسان المستقل بذاته " و " حريته " المفترضة (حيث أنه يعد مسؤولا عن أفعاله) و" كرامته " المفترضة (حيث يقر له بالفضل في إنجازاته). ولكن هذه الأمور وهم لأن " التحليل العلمي ينقل المسؤولية والإنجاز كليهما الى البيئة " (ص٩ ـ٣٠). ينبغي أن تكون لدى الانسان الشجاعة الكفيلة بخلق بيئة اجتماعية أو ثقافة تستطيع بكفاءة " أن تحدد سلوك الذين يعيشون فيها وتحافظ عليه " (ص١٤١). وهذا ضروري لبقاء الجنس البشري ، الذي هو أهم بكثير من مفهوم " حريتنا و كرامتنا " التقليدي " الذي يروق للنفس" (ص ٢٠٨). صحيح أن سي. اس. لويس دعا هذا " إبطال الانسان ". إلا أن ما سيتم إبطاله هو فقط " الانسان المستقل بذاته... الانسان الذي يدافع أدب الحرية و الكرامة عنه ". بالحقيقة " لقد فات موعد حدوث هذا الإبطال منذ زمن طويل " (ص ١٩٦). وبعد أن ينعم سكينر النظر في المستقبل حيث سيخلق الانسان البيئة التي تتحكم فيه ، وهكذا يؤدي تدريبا عملاقا في التحكم بمصيره ، ينهي كتابه بهذه الكلمات: " إننا لم نر بعد ما يستطيع أن يصنعه الانسان من الانسان " (ص ٢١٠). إنه توقع الحتمية التي يحددها الانسان ذاته وهو توقع يبعث القشعريرة في النفس .

إلا أن الروح الانسانية تثور ضد هذه الفرضية . فمن المؤكد أننا نقبل مفهوم " المسؤولية المنقوصة " لكننا لا نقبل الإبطال التام لكل مسؤولية ما خلا الحالات الشديدة التطرف. إن التماثل بين المسؤولية الأخلاقية والمسؤولية القانونية عند هذه المرحلة أمر مفتح للذهن. يفترض القانون الجنائي أن باستطاعة الناس أن يختاروا إما إطاعة القانون أو انتهاكه، وهو يعاملهم وفقا لذلك. إلا أن المسؤولية عن جرم ما يمكن أن تُقَلَّلَ ، بل وأن تنفى، بسبب بعض الظروف: "المُبَرِّرَة ". لقد كتب ه. ل. أ. هارت H. L. A. Hart عدة مقالات حول فلسفة القانون تحت عنوان *الجزاء و*

المسؤولية Punishment and Responsibility ، و فيها حدد المبدأ كما يلي: " في جميع الأنظمة القانونية المتقدمة لا يعتمد تعرض منتهك القانون للإدانة بارتكاب جرم خطير على قيامه بتلك الأعمال الظاهرة التي يحظرها القانون فحسب ، بل على قيامه بها ضمن " حالة نفسية معينة أو بناء على تصميم معين " (ص ١٨٧).[٦] هذه الحالة النفسية وهذا التصميم يعرفان من وجهة قانونية بـ *mens rea* وهذه العبارة وإن كانت تترجم حرفيا الى "ذهن مذنب"، لكنها تشير بالحقيقة الى " قصد" الشخص . فالتفريق مثلا بين القتل العمد والقتل غير العمد ، يرجع الى شريعة موسى . ولهذا المبدأ أيضا معنى أوسع. فإذا ارتكب شخص مخالفة وهو بحالة اضطراب عقلي أو تحت الإكراه أو ارتكبها شخص يعمل بطريقة آلية ، فلا يمكن تثبيت الإدانة الجرمية . إن ثبوت التحريض يمكن أن يخفف القتل فيحوله الى قتل غير عمد . و قد قبل الادعاء بالجنون طوال قرون ، و فسر، منذ صدور قوانين ماك ناتن Mc Naghten عام ١٨٤٣ ، بأنه " مرض العقل" الذي يؤدي الى نوع من " الخلل في العقل " يجعل المخالف واحدا من اثنين ، فإما أنه لم يعرف " طبيعة و صفة الفعل الذي كان يقوم به " أو، أنه أذا كان قد عرفه ، فإنه " لم يعرف أنه كان يرتكب خطأ ".

إلا أن القوانين المشار اليها انتقدت لأنها ركزت على جهل المخالف ، وليس بالأحرى على افتقاره الى القدرة على ضبط النفس. وهكذا فإن قانون قتل الأطفال لعام ١٩٣٨ قد احتاط للأفعال التي تقوم بها امرأة ما اذا كان " توازنها العقلي قد اضطرب بسبب عدم إبلالها تماما من تأثير الولادة "، واشترط قانون القتل العمد لعام ١٩٥٧ " ألا يدان الشخص بارتكاب القتل إذا كان يعاني من اضطراب عقلي ... باعتبار أن هذا الاضطراب قد أعاق ، بصورة جوهرية مسؤوليته العقلية عن أفعاله...". وهكذا ، قرر مجلس النواب البريطاني أيضا أنه لا يمكن اعتبار الطفل الذي دون العاشرة مدانا بارتكاب جرم . أما اذا كان الطفل المخالف بين سن العاشرة والرابعة عشرة فينبغي الإثبات بصورة محددة أنه كان يعرف أن ما كان يفعله إساءة بالغة الخطورة .

وهكذا فإن المسؤولية القانونية تتوقف على المسؤوليتين العقلية والأخلاقية ، أي على *قصد العقل والإرادة* mens rea . ولكن الادعاءات بفقدان الوعي أو التحكم تكون دوما استثنائية وبحاجة الى أن تحدد بدقة . من المؤكد أن الشخص المتهم لا

---

[6] Similar statements appear on pp. 28 and 114.

يستطيع أن يتعلل بذخيرته الوراثية أو تربيته الاجتماعية كعذر يبرر سلوكه الاجرامي ، بله إهماله الشخصي (" إنني ببساطة لم أكن أفكر بما كنت أعمله"). إنه لا يستطيع البتة ، ويمكن القول بعامة،أن ما يجري في قاعات المحاكم من نظر في الدعوى، وإدانة للمتهم ثم إصدار الحكم إنما يستند كله الى الافتراض بأن البشر يملكون الحرية في أن يختاروا ما يشاؤون ، وهم مسؤولون عما يختارون .

ينطبق الأمر نفسه على المواقف اليومية . مما لا يمكن إنكاره أنه يتم التحكم فينا من قبل مورثاتنا genes و تربيتنا ، ولكن الروح الانسانية (هذا فضلا عن الذهن المسيحي) تحتج على التصغيرية ' التي تصرح بأن الانسان ليس سوى حاسوب computer (مبرمج لكي ينجز و يستجيب) أو حيوان (تحت رحمة غرائزه). مقابل هذه المفاهيم نحتكم الى حس لا يمكن استئصاله يملكه الرجال والنساء وهو أننا أحرار في فعلنا ضمن حدود معقولة ، قادرون أن نصمم ونقرر أفعالنا. وعندما يكون أمامنا خيار بديل نعرف أنه كان بوسعنا أن نختار. وعندما نخطيء الاختيار فإننا نوبخ أنفسنا ، لأننا نعلم أنه كان بوسعنا أن نتصرف بطريقة مختلفة . كما أننا نتصرف على فرض أن بقية الناس أحرار و مسؤولون ، لأننا نحاول إقناعهم بوجهة نظرنا، و " جميعنا نمدح الناس أو نلومهم من وقت لآخر".[٧]

أعتقد أن السير نورمان أندرسون محق في لفت الانتباه الى هذا الاحساس الانساني بالمسؤولية . يقول ، نستطيع من جهة أن نتأمل مدى " تهيئة الناس سلفا ، بوساطة تكوين أدمغتهم وحالتها ، أو بواسطة البنية النفسية التي ورثوها أو اكتسبوها ، أو بوساطة مسار ' الطبيعة ' الأعمى المحتوم أو بوساطة سيادة الله الخالق المطلقة ليسلكوا وفق الطريقة التي يسلكون فيها ". ولكن يمكن من جهة أخرى " التأكيد بصورة جلية أنه ليس ثمة سبب ما لافتراض أن الرجال والنساء العاديين مخطئون في اقتناعهم الثابت بأنهم يملكون ــ ضمن حدود معينة ، حرية أصيلة في الاختيار والفعل ، وأن هذا يستلزم بالضرورة مقدارا موافقا من المسؤولية الأخلاقية ".[٨]

' التصغيرية reductionism : غالبا الحط من قدر / أي نظرية تعتقد بانه يمكن فهم فكرة معقدة فهما تاما بفهم أجزائها البسيطة . (قاموس المورد) [المترجم]

7 Alec R. Vidler, *Essays in Liberality*, p. 45

8 J. N D Anderson, *Morality , Law and Grace* , p. 38.

لقد توصل الى هذه النتيجة نفسها المساهمون الثلاثة في محاضرات لندن حول المسيحية المعاصرة لعام ١٩٨٢ ، التي عنوانها *أحرار في أن نكون مختلفين* *Free to be Diffrent* ، فتحدثوا وكتبوا كل حسب اختصاصه، الأستاذ مالكولم جيفز Malcolm Jeeves بوصفه عالم نفس والأستاذ سام بري Sam Berry بوصفه عالم وراثة و الدكتور دافيد أتكنسون Dr David Atkinson بوصفه لاهوتيا . لقد بحثوا ، على التوالي ، في تأثيرات "الطبيعة " (إرثنا الوراثي) و" التربية " (تكييفنا الاجتماعي) و" النعمة " (مبادرة الله الحبية والمُغَيِّرَة) في السلوك البشري. واتفقوا على أن هذه الأمور توجه سلوكنا و تقيده . ومع ذلك فقد كانت محاضراتهم رفضا أكاديميا مشتركا interdisciplinary ' قويا للحتمية وتأكيدا للمسؤولية الانسانية. ومع أن الموضوع بجملته معقد ، باعتراف الجميع ، ولا يمكن أن تفك كل خيوطه ببراعة فقد استطاع المشتركون الثلاثة أن يعبروا عن الخلاصة المشتركة التالية:

لسنا مخلوقات آلية لا نفعل شيئا آخر سوى الاستجابة الآلية لمورثاتنا و بيئتنا، وحتى لنعمة الله . نحن كائنات شخصية خلقنا الله لأجل نفسه...علاوة على ذلك ، لا يجوز أن نعتبر أن ما منحنا إياه الله هو موهبة طبيعية جامدة . فمن الممكن تشذيب شخصيتنا ، ومن الممكن تغيير سلوكنا. ويمكن أن تنضج قناعاتنا. ويمكن تشجيع مواهبنا ... نحن بالحقيقة أحرار في أن نكون مختلفين..٩

وعندما ننتقل الى الكتاب المقدس نجد التوتر نفسه ، الذي نعيه بحكم خبرتنا الشخصية ، بين الضغوط التي توجهنا بل و تتحكم فينا ، وبين مسؤوليتنا الأخلاقية الدائمة بالرغم من ذلك . هناك توكيد كتابي قوي على إرثنا ، أي تأثير ما نحن عليه في آدم . إن عقيدة الخطية الأصلية تعني أن طبيعتنا بالذات التي ورثناها ملطخة ومشوهة بالتمركز حول الذات . فالأفكار والأفعال الشريرة ، كما علم يسوع ، " تخرج من الداخل من قلوب الناس " (مر٧: ٢١-٢٣). وليس من المدهش أنه وَصَفَ الخاطِئ أيضا بأنه "عبد للخطية " (يو٨: ٤٣). إننا بالحقيقة مستعبدون

' interdisciplinary يتضمن فرعين أو ثلاثة من الدراسات الأكاديمية . (معجم كولينز Collins Dictionary , 1987 Glasgow) [المترجم]

٩ Jeeves, R. J. Berry and David Atkinson , *Free to Be Different* , p. 155.

للعالم (الرأي و الفكر الاجتماعيين) و للجسد (طبيعتنا الساقطة) وللشيطان (القوى الشيطانية) . وحتى بعد أن حررنا المسيح وجعلنا بدلا من ذلك عبيدا له ، فإننا لم نتخلص تماما بعد من القوة الغادرة التي تملكها طبيعتنا الساقطة ، بحيث ينهي بولس مناقشته في رومية ٧ بالملخص التالي: " إذن أنا بذهني عبد لناموس الله ، و لكنني في طبيعتي الخاطئة عبد لناموس الخطية " (ع ٢٥ ب).

يقر الكتاب المقدس بمكر هذه القوى و قوتها، وهي بالحقيقة قوى تنقص مسؤوليتنا. ونظرا الى أن الله " يعرف جبلتنا " و " يتذكر أننا تراب "، فهو طويل الأناة تجاهنا ، وبطيء الغضب ، و" لا يصنع معنا كما تستحق خطايانا " (مز١٠٣: ١٠، ١٤) . ومسيا الله ، بصورة مماثلة ، رفيق بالضعفاء ، ويأبى أن يقصف قصبة مرضوضة أو يطفيء فتيلة مدخنة.[١٠]

في الوقت نفسه لا يعني إقرار الكتاب المقدس بانتقاص مسؤوليتنا ، أنه قضى عليها. فالأمر على العكس ، إذ يعاملنا الكتاب المقدس بصورة ثابتة كأشخاص مسؤولين أخلاقيا . ويضع علينا ضرورة الاختيار، فإما أن نختار " الحياة والخير أو الموت و الشر " ، الله الحي أو الأصنام.[١١] وهو يحضنا على الطاعة ويحتج علينا عندما نعصى . وقد ناشد يسوع أورشليم المتمردة لتعترف به وتقبله. وقال، مخاطبا المدينة ، " كم مرة أردت أن أجمع بنيك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ، فلم تريدوا " (مت٢٣:٣٧). وهكذا عزا عمى أورشليم الروحي ، وارتدادها ، ودينونتها الآتية ، الى عنادها . صحيح أنه قال " لا يقدر أحد أن يقبل إليّ إن لم يجتذبه الآب "، ولكنه لم يقل ذلك إلا بعد أن قال " ولا تريدون أن تأتوا الي".[١٢] فلماذا لا يأتي الناس الى يسوع ؟ هل سبب ذلك أنهم لا يقدرون على المجيء ؟ أم لأنهم لا يريدون المجيء ؟ لقد علم يسوع عن هذين الأمرين كليهما . وفي هذين الفعلين المنفيين " لا يقدرون" و " لا يريدون" يكمن التناقض الجوهري بين السيادة الإلهية المطلقة والمسؤولية البشرية . ولكن أيا كانت الطريقة التي نبين بها هذا التناقض ، فلا يجوز أن نحذف أيا من الأمرين . إن مسؤوليتنا أمام الله جانب من كرامتنا البشرية ، غير قابل للتحويل الى الغير. وسيكون التعبير النهائي عنها في

---

[١٠] أش ٤٢: ١-٣ ؛ مت ١٢: ١٥-٢١. إن الله أيضا يميز بين الخطايا المرتكبة عن جهل و الخطايا المرتكبة بتعمد . اقرأ مثلا لو ٢٣: ٣٤ ؛ أعمال ٣: ١٧ ؛ ١ تي ١: ١٣ .

[١١] تث ٣٠: ١٥-٢٠ ؛ يش ٢٤: ١٥ .

[١٢] يو ٦: ٤٤ ؛ ٥: ٤٠ .

يوم الدين . لن يحكم على أحد بدون محاكمة . سوف يقف جميع النـاس ، صغـارا و كبارا ، بغض النظر عن طبقتهم الاجتماعية ، أمام عرش الله ، ولن يكونوا محطَّمين أو مرهَبين، بل تمنح لهـم هـذه العلامـة الأخيرة التـي تـدل علـى احترام المسـؤولية الانسانية ، لأن كل واحد سيعطي حسابا عما فعل.

إن إميل برونـر محـق بالتـأكيد عندمـا يشـدد علـى مسـؤوليتنا كمظـهر ضـروري لإنسانيتنا . "يجب أن يكون شعارنا اليوم: لا حتمية مهمـا يكـن السـبب! لإن الحتميـة تجعل فهم الانسان كانسان أمرا مستحيلا ".[١٣] يجب أن ينظـر الـى الانسـان باعتبـاره " كائنـا مفكـرا ذا إرادة " ، مسـتجيبا لخالقـه مسـؤولا أمامـه ، وباعتبـاره " النظـير المخلوقاني creaturely لله الكائن ـ بذاته". هذه المسؤولية الانسانية ، بالإضافـة الـى ما سبق ، هي في المقام الأول " ليست واجبا بل هبـة... ليسـت شـريعة بـل نعمـة ". وهي تعبر عن نفسها بـ: " المحبة المؤمنة المتجاوبة " (ص٩٨). وهكذا فإن من فهـم طبيعة المسؤولية فقد فهم طبيعة الانسان . ليست المسؤولية صفة ، بل هــي "جوهـر" الوجود الانساني. إنها تحوي كل شيء...، [إنها هي] التي تميز الانسـان عـن جميـع باقي المخلوقات " (ص٥٠). لهذا إذا ألغيـت المسـؤولية ، اختفـى كـل معنـى للوجـود الانساني" (ص ٢٥٨).

لكن ألم يضعف السقوط مسؤولية الانسان بدرجة خطيرة ؟ وهل هو مسؤول عـن أفعاله بعد الآن ؟ نعم إنه مسؤول . " إن الانسـان لا يخطـيء أبـدا لمجـرد ضعفـه ، ولكنه يخطيء أيضا من حيث أنه 'يستسلم ' لضعفه. وما تزال توجد شـرارة القـرار حتى لـدى أبلـد خـاطيء " ، أي بالحقيقـة شـرارة العصيـان ضـد اللـه . فـلا يسـتطيع الانسان أن يتخلص من مسؤوليته عـن ضعفـه هـو. " فليـس المسـؤول عـن خطيئـة الانسان قَـدَرٌ أو قـانون فوطبيعـي Metaphysical ، أوضعـف طبيعـة الانسـان ، بـل الانسان نفسه في صميم شخصيته هو المسؤول "(ص١٣٠-١٣١).

الذنب الحقيقي و الذنب الزائف

---

[13] Emil Brunner , Man In Revolt , p. 257.

إذا كان البشر قد أخطأوا (وهم فعلوا ذلك) وإذا كانوا مسؤولين عن خطاياهم (وهم مسؤولون) فهم مذنبون أمام الله . الذنب هو نتيجة منطقية لمقدمتين منطقيتين هما الخطية والمسؤولية . لقد أثمنا ، بزلتنا نحن ، ولذلك نحن عرضة لتحمل الجزاء العادل الذي يستحقه إثمنا.

هذه هي المناقشة الواردة في الفصول الأولى من الرسالة الى الرومانيين. يقسم بولس الجنس البشري الى ثلاثة قطاعات رئيسة ، ويبين أن كلا منها يعرف شيئا عن واجبه الأخلاقي لكنه يطمس معرفته بتعمد لكي يتابع مساره الخاطيء . وكما يعبر يوحنا عن ذلك ، " هذه هي الشهادة : إن النور قد جاء الى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة "(يو٣:١٩). لا شيء أكثر خطورة من هذا الرفض العمدي لنور الحق والخير. يبدأ بولس بالمجتمع الروماني المتفسخ. عرف أبناء هذا المجتمع قدرة الله ومجده في الخليقة وعرفوا قداسته من ضمائرهم، لكنهم رفضوا أن يعيشوا بمستوى معرفتهم . وبدلا من ذلك ارتدوا عن عبادة الله الى عبادة الأصنام . وهكذا أسلمهم الله الى الفجور وأشكال أخرى من السلوك المضاد للمجتمع (رو ١:١٨-٣٢).

أما القطاع الثاني من البشرية الذي يخاطبه بولس فهو عالم البر الذاتي ، الذي يعرف أفراده شريعة الله ، إما عن طريق الكتاب المقدس (اليهود) ، أو في قلوبهم (الأمم) . وفي كلا الحالين لا يعيش الأفراد على مستوى معرفتهم (٢:١-١٦). أما القطاع الثالث فهو بالتخصيص العالم اليهودي ، الذي يتباهى أفراده بالمعرفة التي لديهم وبالتعليمات الأخلاقية التي يقدمونها للآخرين. لكن الشريعة التي يعلمونها هي الشريعة التي لا يطيعونها أيضا . ومادام الحال هكذا فإن منزلتهم التي امتازوا بها باعتبارهم شعب عهد الله سوف لا تجعلهم معفيين من دينونته (٢:١٧-٣:٨) .

فما هي النتيجة إذن ؟ يقدم بولس الإجابة عن سؤاله. " لأننا قد شكونا أن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطية " (٣:٩) . تؤكد كتب العهد القديم هذه الشهادة . جميعنا بلا عذر ، جميعنا عرفنا واجبنا ، ولم يؤده أي منا. وهكذا يُسْكَتُ كل احتجاج ويصير كل العالم مذنبا ومسؤولا أمام الله (٣:١٩-٢٠) .

هل هذه بالأحرى نظرة مرضية ؟ غالبا ما انتقد المسيحيون (ولاسيما المسيحيون الانجيليون) لضربهم باستمرار على وتر واحد هو الخطية، ولأن هاجس الخطية أصبح يستبد بحياتنا ، وبخاصة في تبشيرنا ، ولأننا نحاول أن نحدث لدى الآخرين إحساسا بذنبهم . فقد اشتكى نيتشه ، مثلا ، بمرارة من أن " المسيحية *تحتاج* الى

المرض ، و أن *أحداث* المرض هو الهدف الحقيقي المخفى لمجمل نظام عمليات الخلاص الذي تتبعه الكنيسة ؛ فالإنسان لا ' يهتدي ' الى المسيحية — على الانسان أن يمرض بدرجة كافية لأجلها ".[١٤] كان نيتشه على حق جزئيا ، أي أن المسيحية علاج لمريض ـ الخطية . ومع ذلك دافع يسوع نفسه عن تركيز اهتمامه في " العشارين و الخطاة " بقوله " لا يحتاج الأصحاء الى طبيب بل المرضى " . وأضاف، " لم آت لأدعو أبرارا بل خطاة الى التوبة " (مر ٢:١٧) . إلا أننا ننكر بشدة أن دور الكنيسة هو أن " تجعل" الناس مرضى لكي تهديهم . علينا ، بدلا من ذلك ، أن نجعلهم يدركون مرضهم ، بحيث يلتفتون الى الطبيب الأعظم .

مع ذلك يستمر الانتقاد الذي مفاده أن المسيحيين منشغلون ، بصورة مرضية بالخطية . يعد جيرالد بريستلاند Gerald Priestland مراسل الشؤون الدينية السابق بهيئة الإذاعة البريطانية BBC الناطق الفصيح باسم أصحاب هذا الرأي في زماننا . أحد الأحاديث التي أذاعها من لندن في سلسلة *سياحة بريستلاند* ' كان عنوانه " الديانة التي تدفع تدريجا نحو الشعور بالذنب " . لقد أخبرنا كيف ظن في سن العاشرة أن موضوع المسيحية هوالخطية ، ولما أصبح في سن الخامسة عشرة حصل على " لمحات عن هاوية الكآبة " رافقتها مخاوف من انتقام الله منه جزاء " جرائمه السرية التي لا يجوز ذكرها " ، وهي مخاوف ظلت تنمو طوال السنوات الثلاثين التالية . ولم تقدم له مسيحيته أي مساعدة . " وعندما نظرت الى الصليب وعليه الضحية المتألم ، كانت رسالته الوحيدة إلي : ' أنت فعلت هذا ـ و كُلُّكَ علل !' ". أما الاختبار المكافيء للاهتداء على طريق دمشق فقد حدث له أخيرا وهو "على أريكة عالم النفس المرضي" ، فهناك تعلم أن " العنصر الغائب هو الغفران ". ومنذ ذلك الحين أصبح يعترف بمستوى متدن الى حد ما من الشعور الشخصي بالذنب و باهتمام قليل نسبيا بمسألة الخطية " (ص٥٩-٦٠) .

ليس هذا قصة جيرالد بريستلاند الكاملة ، لكن هذا يكفي ليوضح الضرر الهائل الذي تسببه أنصاف الحقائق . كيف يستطيع أي انسان أن يتصور أن موضوع المسيحية هو الخطية وليس بالأحرى غفران الخطية ؟ كيف يستطيع أي انسان أن ينظر الى الصليب فلا يرى شيئا آخر سوى خزي ما فعلناه للمسيح و ليس بالأحرى

---

[14] Friedrich Nietzsche , *The Anti-Christ* , pp. 167-168.

* يتلاعب بريستلاند بإطلاق اسم سياحة بريستلاند على حلقاته الإذاعية من باب التهكم بكتاب سياحة المسيحي لجون بنيان . (المترجم)

مجد ما فعله هو لأجلنا ؟ كان على الابن الضال أن " يرجع الى نفسه " (مُقِرًّا بتمركزه حول الذات) قبل أن يتمكن من " الذهاب الى أبيه " . كان اتضاع التوبة ضروريا قبل فرح المصالحة . ولو بقي في البلاد البعيدة أو رجع دون توبة لما كان هناك خاتم ولا رداء ولا قبلة ولا وليمة . إن الضمير الذي يشعر بالذنب بركة عظيمة ، شريطة أن يدفعنا الى البيت .

لا يعني هذا أن ضميرنا " دليل يعول عليه دوما . فهناك ما يمكن أن يوصف بالضمير المرضي المفرط في الشكوك . و من العبث السعي بتعمد لخلق ضمير كهذا . إلا أن أشكال الشعور بالذنب ليست جميعها مرضية . والأمر بالعكس ، فالذين يصرحون بأنهم غير مذنبين وليسوا خطاة يتألمون من مرض أسوأ بكثير. لأن التأثير في الضمير، بأساليب غير قويمة وكبحه بل و " كَيَّهُ " ' cauterize it ' (١ تي ٤ :٢) ، للتهرب من الألم الذي تسببه اتهاماته لنا ، يجعلنا لا نتأثر بحاجتنا الى الخلاص .

فماذا بشأن الاصرار على خطورة الخطية و ضرورة الكفارة ، واعتبار الناس مسؤولين عن أفعالهم وتحذيرهم من مغبة الدينونة الإلهية والإلحاح عليهم لكي يعترفوا بخطاياهم ويتوبوا ويرجعوا الى المسيح ، هل ينم عن الصحة أم المرض؟ إنه ينم عن الصحة . لأنه اذا كان هناك " شعور كاذب بالذنب " (الشعور بالأسف على شر *لم* نفعله)، فهناك أيضا " براءة كاذبة " (الشعور بخير حال تجاه شر *فعلناه*). واذا كان الندم الزائف شعورا غير صحي (بكاء على الذنب لا موجب له) فكذلك هو اليقين الزائف (فرح بالغفران لا أساس له). فمن المحتمل اذا أن تأتي المبالغة ، ليس من قبلنا، نحن الذين نؤكد خطورة الخطية، بل من قبل ناقدينا الذين يستخفون بها . قال الله عن الأنبياء الكذبة في أيام العهد القديم " يشفون كسر بنت شعبي على عثم [يضمدون جرح شعبي كما لو كان غير خطير]. و يقولون ' سلام سلام ' حيث لا سلام ".[١٥] فالعلاجات السطحية دوما تعود الى تشخيص خاطيء . والذين يصفون هذه العلاجات قد سقطوا ضحايا روح العصرية الخداعة التي تنكر خطورة الخطية. إلا أن القيام بتشخيص صادق لحالتنا، مهما تكن خطيرة ، لا يمكن مطلقا أن يكون غير صحي ، شريطة أن نسارع الى العلاج . وهكذا ، برغم أن الناموس يديننا ،

---

[١٥] إر ٦ : ١٤ ؛ ٨: ١١

فهو هبة الله الصالحة لأنه يرسلنا الى المسيح لكي نُبَرَّرَ. وقد جاء الروح القدس " ليبكت العالم على خطية [ذنب] " وغايته فقط الشهادة بصورة فعالة الى أبعد حد بأن المسيح هو المخلص من الخطية (يو ١٦:٨؛ ١٥:٢٦-٢٧). فليس ثمة فرح يقارن بفرح من نال الغفران .

هنا يكمن خطأ بعض علماء النفس وعلماء النفس المرضي الأمريكيين الحديثين، وهو أنهم ساروا حتى منتصف الشوط. مهما يكن من أمر فقد بدأوا بداية صحيحة ، وينطبق ذلك حتى على الذين لا يعترفون بالمسيح لأنهم يصرون على ضرورة أخذنا الخطية والمسؤولية والشعور بالذنب مأخذ الجد . وهذا بالتأكيد كسب كبير. ولكن حسن التشخيص دون التمكن من وصف العلاج بصورة صحيحة هو تبني نصف إجراء يتسم بالخطورة وخيبة الأمل.

عندما نشر الدكتور هوبارت مورر Hobart Mowrer كتابا ، ينتقد فيه التحليل النفسي الفرويدي Freudian بعنوان *الأزمة في علم النفس المرضي و الدين The Crisis in Psychiatry and Religion*(١٩٦١) ، كان باحثا في علم النفس في جامعة إلينوي ، وفي هذه المقالة رفض الفكرة القائلة "إن العُصَابَ psychoneurosis لا يتضمن أي مسؤولية أخلاقية ". إذ " طالما أننا ننكر حقيقة الخطية ، فإننا نعزل أنفسنا عن إمكانة تخليصنا الجذري منها (' الشفاء')" (ص٤٠) . لقد أثار الدكتور مورر ، باستعماله كلمة " الخطية " ، اضطرابا حقيقيا بين المشتغلين بعلم النفس ، لكنه ثابر على تعليم حقيقة الخطية والحاجة الى إقرار بها .

ما دام الشخص يعيش في ظل ذنب حقيقي غير معترف به ، ولم يُكَفَّرْ عنه ، فلن يستطيع " أن يقبل نفسه" ... سوف يستمر في بغض نفسه والمعاناة من النتائج الحتمية لبغض النفس . ولكنه حالما يبدأ في قبول ذنبه وخطيته تنفتح أمامه إمكانة الإصلاح الجذري ، ومعها حرية جديدة هي حرية احترام الذات و السلام (ص ٥٤).

بعد بضع سنوات ، وفي مجال الثورة أيضا ضد الإصرار الفرويدي على أن الشعور بالذنب شعور مرضي ، بدأ الدكتور ويليام غلاسر Dr William Glasser في لوس أنجلوس بتطوير اقتراب مختلف لمعالجة الأحداث الجانحين و غيرهم دعاه

"علاج الحقيقة" . ومفاد فرضيته أن الشخص " العاجز عن تلبية حاجاته الأساسية "، ولا سيما الحب و إدراك قيمة الذات، ينكر حقيقة العالم المحيط به و يتصرف بصورة لا مسؤولة . وهكذا فإن المعالج يسعى الى " جعله يواجه حقيقة ظل يحاول تجنبها طوال حياته: *انه مسؤول عن سلوكه* ".[16] يلخص الدكتور مورر، في (ص ١٢ من مقدمة كتابه) ، جوهر طريقة الدكتور غلاسر العلاجية بأنه " نسخة طبنفسية psychiatric ، عن ثلاث كلمات هي الحقيقة والمسؤولية والصواب ـــ وـ الخطأ ".

و من قبيل ذلك ما كتبه الدكتور كارل مننجر " ينبغي أن تعالج الخطية في محاكم القلب الانساني الخاصة ".[17] نعم الرأي هذا. ولكن كيف ؟ ويمضي قائلا، ولا سيما " بالتوبة و الاصلاح و التعويض و الكفارة ". إن قول مننجر هذا ينم عن ضآلة إدراك كارل مننجر للإنجيل ، لإن هذه الكلمات الأربع لا يمكن أن تجمع معا بهذه الطريقة . إن الكلمات الثلاث الأولى متلازمة بالحقيقة. فالإصلاح(كلمة عامة تعني إعادة الشيء إلى حال الصحة) والتعويض (و يعني على الأكثر رد ما كان قد سلب) كلاهما ضروريان للدلالة على أصالة التوبة. أما "الكفارة " ، فليست أمرا نستطيع نحن القيام به ؛ فالله وحده يستطيع أن يكفر عن خطايانا ، و قد قام بذلك بالحقيقة عن طريق المسيح.

صحيح أن الدكتور مننجر يذكر غفران الله مرة أو مرتين في إشارة عابرة ، (دون أن يكون صليب المسيح أساس الغفران). إلا أن الدكتور هوبارت مورر يتجنب بتعمد الكلمة و المفهوم كليهما. و هو كالدكتور كارل مننجر يركز على الإقرار بالأخطاء والقيام بالتعويض . ويدعو مجموعات العلاج النفسي التي أشرف عليها " مجموعات الاستقامة " لأن أساسها هو الاستقامة الشخصية في الإقرار بالإثم . يتم الدخول في عضوية أي مجموعة عن طريق " كشف تام للذات" يدعوه *اكزيمولوجيسيس* . عندما ذكرت للدكتور مورر، في محادثة شخصية معه عام ١٩٧٠ في جامعة إيلينوي، أن كلمة *اكزومولوجيسيس* هي الكلمة اليونانية المقابلة لكلمة " اعتراف "، و أن القصد من الاعتراف بحسب التقليد المسيحي هو الحصول على الغفران من الفريق الذي أسيء إليه ، كان رد موررالمباشرهو " إننا لا نتحدث أبدا عن الغفران". إن مفهومه عن الخطية هو أنه في كل حالة ينقض فيها التزام

---

[16] William Glasser , *Reality Therapy* , pp. 5-41.

[17] Karl Menninger , *Whtever Became of Sin ?* , p. 180.

تعاقدي ينبغي على الشخص المذنب أن يقوم بالتعويض . فالغفران إذا غير ضروري سواء من جانب الشخص المظلوم أو حتى من قبل الله .

مع أن الدكتور منتجر ، كما أشير من قبل ، لا يشارك الدكتور مورر، ميله إلى ضرورة تجنب ذكر الغفران ، فإن أيا منهما ، لا يشير مطلقا الى الصليب، إذا تجاوزنا عن ذكرأنه لايعتبره الأساس الوحيد الكافي الذي بموجبه يغفر الله الخطايا. إن إعادة مفاهيم الخطية البشرية و المسؤولية والذنب والتعويض دون إعادة الثقة بعمل الكفارة الإلهي في الوقت نفسه أمر يفتقر الى التوازن بصورة مأساوية . فهي تشخيص للمرض دون وصف للعلاج ، وإحلال الخلاص ــ الذاتي عديم الجدوى محل خلاص الله ، وإيقاظ للأمل لا لشيء إلا لكي يحطمه من جديد.

إن الإقرار التام، بالمسؤولية الانسانية و بالتالي بالذنب، أمر بعيد عن أن يكون انتقاصا لكرامة البشر، فهو يعززها في الواقع . إنه يستلزم أن يكون الرجال و النساء، خلافا للحيوانات ، أناسا مسؤولين أخلاقيا ، يعرفون من هم و ما يمكن أن يكونوا وما ينبغي أن يكونوا ، ويرفضون أن يتلمسوا الأعذار لأدائهم الرديء . هذه هي أطروحة Harvy Cox هارفي كوكس في كتابه عدم *ترك الأمر للحية* . *On Not Leaving it to the Snake* وهو يحاج بأن خطية حواء في جنة عدن لم تكن عصيانها في أكل الثمرة المحرمة بقدر ما كانت تخليها الواهن عن المسؤولية الذي سبق الأكل ، ولم تكن كبرياءها بل كسلها . مع أن الدكتور كوكس مخطيء بلاريب في رفضه قبول النظرة الكتابية الى الخطية باعتبارها كبرياء في جوهرها، ومع أنه قد تلوث بفكرة " الإفراط بالثقة بالنفس" التي هي فكرة خاطئة، فإنه يوضح نقطة هامة عندما يقول "إن اللامبالاة هي الشكل الأساسي للخطية في عالم اليوم... لأن لا مبالاة آدم و حواء عنت ترك الأمر للحية لتملي عليهما ما يفعلانه. لقد عنت التنازل عن ممارسة السيادة والتحكم في العالم" (ص١٧ من مقدمته). لكن صنع القرار يخص جوهر انسانيتنا. وليست الخطية محاولتنا فقط أن نصبح الله، إنها أيضا رفضنا أن نكون بشرا، بالتخلص من مسؤوليتنا عن أفعالنا. " دعنا لا نسمح لأي حية بأن تقول لنا ماذا نفعل" (ص١٨ من مقدمته). لقد كان دفاع معظم مجرمي الحرب النازيين ، هو أنهم كانوا مجرد منفذين للأوامر. مع ذلك اعتبرت المحكمة أنهم جميعا يتحملون القدر نفسه من المسؤولية.

يأخذ الكتاب المقدس *الخطية* مأخذ الجد لأنه يأخذ *الانسان* (رجلا وامرأة) مأخذ الجد. ولا ينكر المسيحيون ، حقيقة المسؤولية المنقوصة ــ في بعض الظروف ــ كما

رأينا، ولكننا نؤكد دوما أن المسؤولية المنقوصة تستلزم إنسانية منقوصة . إن القول أن فلانا " ليس مسؤولا عن أفعاله " هو تحقير له كإنسان . إن جزءا من مجدنا كبشر هو كوننا مسؤولين عن أفعالنا . ثم أننا عندما نقر أيضا بخطيتنا وذنبنا ، ننال غفران الله ، و ندخل الى فرح الخلاص ، فنصبح أيضا أكثر تمتعا بانسانيتنا التامة كما نصبح أصحاء . أما الأمرغير الصحي فهو كل انغماس في الخطية لا يقود الى الاعتراف والتوبة ، والإيمان بيسوع المسيح وبالتالي الغفران.

في مقالة سي. إس. لويس الشهيرة بحق "النظرية الخَيِّرةُ في العقوبة " 'The Humanitarian Theory of Punishment' , يتحسر علىالميل الحديث الى التخلي عن فكرة الإعادة العادلة والإستعاضة عنها باهتمامات خيرة نحو المجرم (الإصلاح) و نحو المجتمع ككل (الردع). ويقول إنه في سبيل هذه الغاية " نجرد كل منتهك للقانون من حقوق الانسان". والسبب هو هذا. إن النظرية الخيرة تنزع من العقوبة مفهوم العقوبة المستحقة . لكن مفهوم الاستحقاق لعقوبة ما هو صلة الوصل الوحيدة بين العقوبة والعدالة . فالحكم يكون عادلا أو جائرا بحسب كونه مستحقا أو غيرمستحق فقط . كذلك فإننا عندما نكف عن اعتبار ما يستحقه المجرم ، ونكتفي باعتبار ما يشفيه أو ما يردع الآخرين، نكون ضمنا قد نقلناه من دائرة العدالة تماما؛ و عوضا عن أن يكون لدينا شخص ، شخص ذو حقوق ، أصبح لدينا الآن مجرد موضوع ، مريض ، "حالة ". وبأي حق يمكننا أن نستعمل القوة لفرض العلاج على مجرم ، إما لشفائه أو لحماية المجتمع منه ، إن لم يكن *مستحقا* لذلك ؟

إن " شفاء" امريء رغما عنه ، وشفاءه من حالات ربما لا نعتبرها مرضا ، هو بمثابة وضعه في مستوى اولئك الذين لم يصلو بعد الى سن الرشدأو أولئك الذين لن يصلوا اليه أبدا ؛ أو بمثابة تصنيفه في عدادالأطفال أو البلهاء أو الحيوانات المدجنة. أما معاقبتنا ، مهما كانت العقوبة شديدة ، لأننا نستحقها ، ولأنه " كان يجب علينا أن نعرف معرفة أفضل " ، فهي تعني أننا عوملنا كبشر مخلوقين على صورة الله.[١٨]

---

١٨ إن مقالة سي. إس. لويس " النظرية الخيرة في العقوبة " قد طبعت في عدة مجموعات من كتاباته . وقد استعملت النص الذي ورد في كتاب *رجال الكنيسة يتكلمون* الذي حرره فيليب هيوز *Churchmen Speak*, ed Philip E. Hughes, pp 39-44. اقرأ أيضا رسائل سي. إس لويس إلى ت. إس. إليوت بتاريخ ٢٥ أيار ١٩٦٢ في كتاب *رسائل سي. إس. لويس* التي حررها

قداسة الله وغضبه

لقد تأملنا خطورة الخطية بوصفها عصيانا ضد الله ، وتأملنا مسؤولية الرجال و النساء المستمرة عن أفعالهم ، وما يترتب عليها من ذنب في نظر الله وتعرض للعقوبة . ولكن هل نستطيع أن نفكر في الله بصفته " يعاقب " الشر أو " يدينه" ؟ نعم نستطيع . ويجب علينا أن نفعل . بالحقيقة إن الخلفية الأساسية للصليب ليست خطية البشر ومسؤوليتهم وذنبهم فحسب ، بل هي رد الفعل العادل الذي يبديه الله على هذه الأشياء . وبعبارة أخرى هي قداسته وغضبه .

إن الله قدوس وهذا أساس ضروري للدين الكتابي*. وتترتب على ذلك نتيجة طبيعية ، وهي أن الخطية تتنافر مع قداسة الله . " فعيناه أطهر من أن تنظرا الشر" وهو " لا يستطيع أن ينظر إلى[أن يتحمل] الجور". لذلك فإن خطايانا تفصلنا عنه فصلا فعليا بحيث أنه يستر وجهه عنا ويرفض الاصغاء إلى صلواتنا.[١٩] لذلك فهم كتبة الكتاب المقدس بوضوح أنه ما من انسان يستطيع أن ينظر إلى الله ويبقى على قيد الحياة ، بعد هذه الخبرة . ربما أمكن السماح لهم برؤية " ظهره " و لكن ليس " وجهه "، أي رؤية أشعة الشمس ولكن ليس الشمس..[٢٠] وجميع الذين منحوا حتى لمحة من مجده لم يقدروا على تحمل المنظر. لقد "غطى موسى وجهه ، لأنه خاف أن ينظر الى الله ". وعندما رأى إشعياء السيد الرب ، في رؤيا، جالسا علىَ كرسي عال ومرتفع ، غمره إحساس بنجاسته . وعندما أعلن الله نفسَه مباشرة لأيوب ، كان رد فعل أيوب "الرفض" (احتقار النفس ، بحسب NIV) و"الندم في التراب و الرماد". ورأى حزقيال " منظر شبه مجد الرب" فقط في وسط نار مشتعلة ولمعان ، لكنه كان كافيا لجعله ينهار ويسقط على الأرض . ولدى رؤيا مماثلة انبطح دانيال أرضا ، وأصيب بالإغماء . أما الذين تعرضوا لمجابهة الرب يسوع ، حتى إبان حياته الأرضية عندما كان مجده محتجبا ، فقد أحسوا بانزعاج شديد. فأشار لدى

و . ه. لويس *Letters of C S. Lewis*, ed. W. H. Lewis, p. 304 وهو يقول : "إنه لطغيان حقير أن يخضع الانسان لـ: ' شفاء' إجباري ... إلا إذا كان يستحقه".

* دين الكتاب المقدس .

١٩ حب ١:١٣ ؛ أش ٥٩:١ وما بعدها .

٢٠ مثلا خر ٣٣:٢٠-٢٣ ؛ قض ١٣:٢٢

بطرس مثلا إحساسا بخطيته وعدم أهليته ليكون في حضرة يسوع. وعندما رأى يوحنا جلال المسيح المُرَفَّعَ "سقط عند رجليه كميت".[٢١]

إن غضب الله وثيق الصلة بقداسته، وغضبه بالحقيقة هو رد فعله المقدس على الشر. لا ريب في أننا لا نستطيع أن ننكرغضبه بقولنا إن إله الغضب يخص العهد القديم ، في حين أن إله العهد الجديد هو محبة . لأن محبة الله تُرَى بوضوح في العهد القديم مثلما يُرَى غضبه في العهد الجديد. كان ر.ف.ج.تاسكرR.V.G. Tasker محقا حين كتب: " إن عدم وجود أي تنافر بين هاتين الصفتين اللتين هما من صفات الطبيعة الإلهية هو حقيقة مقررة في الكتاب المقدس ؛ وقد اجتهد القسم الأكبرمن أعاظم اللاهوتيين والواعظين المسيحيين في الماضي ليكونوا أوفياء لهذين الجانبين في ذات الله التي كشفها لنا بنفسه ".[٢٢] مع ذلك يستمر مفهوم الإله الغاضب في إثارة مشكلات أمام أذهان المسيحيين . وهم يتساءلون ، كيف يمكن لانفعال ، ساواه يسوع بالقتل ، وأعلن بولس أنه أحد " أفعال الطبيعة الخاطئة " التي يجب أن نتخلص منها ــ كيف يمكن لانفعال كهذا أن يعزى الى الله الكلي القداسة ؟ [٢٣]

ترتبط إحدى محاولات التفسير بخاصة باسم سي.ه. دود C.H. Dodd وتفسيره *لرسالة بولس الى الرومانيين The Episte of Paul to The Romans*. يقول دد: "رغم أن بولس ، بجانب إشاراته الى محبة الله ، يذكر أن الله " أحبنا " إلا أنه ، بجانب إشاراته الى غضب الله لا يذكر أبدا أن الله "غاضب " منا. بالإضافة الى حقيقة غياب فعل "يغضب" المشار إليه ، يستعمل بولس المصدر" غضب" *أورجه* (غضب أو حنق) باستمرار بطريقة لاشخصية لافتة للنظر بغرابة " (ص٢١) . و هو يشير الى " غضب" أو " الغضب" دون أن يخصص شخصا معينا ينسب إليه هذا الغضب . وهكذا يكاد يجعله مطلقا absolutizes . يكتب مثلا عن "يوم غضب الله" ، كيف أن " الناموس ينشيء غضبا ". وكيف أن " الغضب قد أدرك " اليهود

---

٢١ خر ٣: ٦ ؛ أش ٦: ١-٥ ؛ أي ٤٢: ٥-٦ ؛ حز ١: ٢٨ ؛ دا ١٠: ٩ ؛ لو ٥: ٨ ؛ رؤ ١: ١٧

٢٢ في كتاب *العقيدة الكتابية بشأن غضب الله* ، تأليف ل: ر. ف. جي. تاسكر R.V G Tasker, Biblical *Doctrine of the Wrath of God*, p. vii. ينسب "الغضب" إلى يسوع في مرقس ٣: ٥ و (ربما ، بحسب بعض المخطوطات) مرقس ١: ٤١

٢٣ مت ٥: ٢١-٢٦ ؛ غل ٥: ٢٠ ؛ أفس ٤: ٣١ ؛ كو ٣: ٨ .

غير المؤمنين . أما المؤمنون فقد خلصوا من الغضب الآتي بواسطة يسوع المسيح.[٢٤] واستخلص دد Dod من هذه البينة أن بولس احتفظ بمفهوم الغضب " لا لكي يصف موقف الله من الانسان ، بل ليصف عملية السبب والنتيجة التي هي عملية حتمية في العالم الأخلاقي" (ص٢٣).

توسع الأستاذ هانسون في أطروحة سي.ه.دود في فحصه الكتابي الشامل *غضب الخروف* The Wrath of the Lamb . وبعد أن لفت الانتباه الى "ميل واضح" لدى كتبة الكتاب المقدس في فترة ما بعد السبي الى " التكلم عن الغضب الإلهي بطريقة لاشخصية جدا " ، يحدده بأنه " العملية الحتمية التي تحقق الخطية ذاتها بها عبر التاريخ " (ص٢١ و٣٧). وعندما يصل الى العهد الجديد يكتب: " لا يوجد سوى القليل من الشك في أن الصفة اللاشخصية للغضب كانت مهمة بنظر بولس . لقد خلصته من ضرورة نسبة الغضب مباشرة الى الله ، لقد أحالت الغضب من صفة لله الى اسم لعملية ، يجلبها الخطاة على أنفسهم ". لأن الغضب " لاشخصي برمته" 'wholly impersonal' و " لايصف موقفا يقفه الله ، بل يصف حالة الشر " ؛ (ص٦٩و ١١٠).

إن تعبير " خلصته من ضرورة " ، تعبير ملهم .فهو يوحي بأن بولس كان غير مرتاح الى فكرة غضب الله الشخصي ، فبحث عن منفذ ليتخلص من الاضطرار الى الاعتقاد بها وتعليمها ، و " تخلص" من العبء الذي كان يثقل كاهله باكتشافه أن الغضب لم يكن انفعالا إلهيا أو صفة أو موقفا ، بل عملية تاريخية لاشخصية تؤثر في الخطاة . ويبدو أن الأستاذ هانسون كان بتفكيره هذا يسقط معضلته على بولس ، لأنه على قدر من الشجاعة يكفي للاعتراف بأنه كانت لديه هو نفسه مشكلة *افتراضية* a priori كهذه . فهو يكتب في ختام مناقشته "ما إن نسمح لأنفسنا بالانقياد الى التفكير بأن إشارة ما الى غضب الله في العهد الجديد تعني تصورنا بأن الله غاضب ...حتى نجد أننا غير قادرين على أن نمنع أنفسنا من التفكير بأسلوب قضائي ، مع كل ما تتضمنه نظرة كهذه من توتر وتحريف لمعنى العدالة الأخلاقية الذي منحه الله لنا " (ص ١٩٣-١٩٤) يبدو أنه يقول أنه، لكي يتغلب على هذه " المصاعب المرعبة " ، قد أعاد تفسير غضب الله. وهو يعتقد أن القول أن المسيح حمل " الغضب " على الصليب يعني أنه " تحمل نتائج خطايا البشر، و ليس عقوبتها " (ص١٩٤).

---

[٢٤] رو ٢: ٥ ؛ ٤ : ١٥ : ١ تس ٢: ١٦ ؛ ١: ١٠ ؛ رو ٥: ٩ .

لذلك يجب أن ننتبه الى افتراضاتنا. ومن الخطر بمكان البدء بأي أمر بديهي a priori حتى اذا كان ذلك " احساسنا بالعدالة الأخلاقية المعطى لنا من الله" وهو الاحساس الذي سيشكل عندئذ فهمنا للصليب . من الأحكم والأسلم اتباع الطريقة الاستقرائية ، فنبدأ بعقيدة الصليب المعطاة من الله التي ستشكل بعدئذ فهمنا للعدالة الأخلاقية. وأرجو أن أظهر بوضوح فيما بعد أن من الممكن الاعتقاد بمفهوم كتابي ومسيحي عن " الغضب" و " الكفارة " ، اللذين هما أبعد ما يكون عن أن يناقضا العدالة الأخلاقية ، بل هما يعبران عنها ويصونانها.

إن محاولات سي.ه. دد Dod و أ.ت. هانسون وآخرين لإعادة تفسير" الغضب" بوصفه عمليةً لا شخصية ينبغي أن يقال عنها على الأقل أنها " لم تبرهن". من المؤكد أن الكلمة تستخدم أحيانا دون إشارة صريحة الى الله ، ومع أداة التعريف أو بدونها ، ولكن تعبير "غضب الله" يستخدم ، دونما ارتباك على ما يبدو ، من قبل بولس ويوحنا. ولا شك أيضا في أن بولس بين في تعليمه أن غضب الله يتجلى في الوقت الحاضر عن طريق التحلل الأخلاقي في المجتمع الوثني ، وعن طريق إقامة الدولة للعدل.[٢٥] إلا أن هاتين العمليتين ليستا مماثلتين لغضب الله ، و لكن بولس يؤكد أنهما مظهران له. إن غضب الله (أي عداوته للشر) يعمل عن طريق العمليتين الاجتماعية والقانونية ، لكن هذه الحقيقة لا تحتم الاستنتاج أنه بحد ذاته مجرد علاقة السبب والنتيجة التي هي علاقة لاشخصية . ربما لم يكن سبب تبني بولس للتعابير اللاشخصية رغبته في التأكيد على أن الله لا يغضب أبدا ، بل رغبته في التأكيد على أن غضبه خال من أي أثر للحقد الشخصي . فبولس يشير أحيانا الى *كاريس* (النعمة) دون إشارة الى الله. ويستطيع مثلا أن يكتب عن النعمة أنها" تفاضلت" و أنها "ملكت" (رو٥: ٢٠-٢١). برغم ذلك فإننا ، بناء على هذا الاعتبار، لا ننفي كون النعمة شخصانية (مرتبطة بشخص) و لا نحولها الى تأثير أو عملية . الأمر بالعكس ، فالنعمة هي الكلمة الأكثر شخصانية personal ، من بين جميع الكلمات ؛ النعمة هي الله ذاته يتصرف بتفضل نحونا. وكما تمثل كلمة *كاريس* النشاط الشخصي الرؤوف الذي يقوم به الله ذاته ، فإن كلمة *أورجه* تمثل عداوته الشخصية للشر سواء بسواء.

---

[٢٥] رو ١: ١٨-٣٢ و ١٣: ١-٧ . يشير سي. ه. دد *C. H. Dodd* إلى هذه في ص ٢٦ و ٢٠٤ من تفسيره .

فكيف نُعَرِّفُ الغضب ؟ عندما كتب جيمس دني Denny عن الغضب الانساني المحق بخاصة ، دعاه " الاستياء الغريزي أو رد الفعل الذي تبديه النفس ضد أي شيء تعتبره خاطئا أو ضارا " و "مقت متقد لكل ما يؤذي".[٢٦] و من قبيل ذلك ، فإن غضب الله بحسب ما كتب ليون موريس هو "اشمئزازه الشخصي الإلهي من الشر" و"مقاومته الشخصية النشيطة له".[٢٧] إن التكلم هكذا عن غضب الله هو خلع صفة بشرية على الله ، وهذا أمر شرعي شريطة أن نقر بأن التماثل بين غضب الانسان وغضب الله ليس أكثر من تماثل تقريبي في متناولنا، نظرا الى ان غضب الله ، طاهر بكل ما في الكلمة من معنى ، وغير ملوث بتلك العناصر التي تجعل غضب الانسان آثما. غضب الانسان اعتباطي عادة وغير مكبوح ؛ أما الغضب الإلهي فهو دوما ذو مباديء و تحت السيطرة . إن غضبنا كثيرا ما يكون انفجارا عاطفيا اهتياجيا ، تثيره الكبرياء ويسعى الى الانتقام ؛ أما غضب الله فهو عداء مستقر و مستمر يثيره الشر فقط ويعبر عن نفسه بإدانة الشر. إن الله مجرد تماما من الحقد الشخصي أو حب الانتقام ؛ بالحقيقة إنه في الوقت نفسه يَكِنُّ للمسيء محبة غير منقوصة . تبين خلاصة تشارلز كرانفيلد أن *أورجه* الله " ليس كابوس الغضب الشديد اللاعقلاني ، وغير المسيطر عليه وغير المُمَيِّز ، لكنه غضب الله القدوس الرحيم الذي يسببه *أسيبيا* (فجور) الناس و *أديكيا* (إثم) الناس وهو موجه ضدهما ".[٢٨]

ثمة صفة مشتركة بين مفهومي قداسة الله وغضبه بحسب الكتاب المقدس وهي حقيقة استحالة وجودهما مع الخطية . إن قداسة الله تفضح الخطية ؛ وغضبه يقاومها. لذلك لا تستطيع الخطية أن تقترب من الله ، ولا يستطيع الله أن يتحمل الخطية. تستخدم عدة تشبيهات مفعمة بالحيوية في الكتاب المقدس لتوضيح هذه الحقيقة التي تفرض نفسها.

---

26 James Denney , article ' Anger' pp. 60-62.

27 Leon Morris, *Cross in the New Testament*, pp. 190-191. See also his *Apostolic Preaching*, pp. 161-166.

28 C. E. B. Cranfield, *Romans*, Vol. I, p. 111.

أول التشبيهات هو *العلو*. يدعى إله الخليقة والعهد في الكتاب المقدس بصورة متكررة "الله العلي و المرتفع" ويخاطب في عدة مزامير بصفته " الرب العلي".[٢٩] ورفعته السامية تعبر عن سلطانه على الأمم ، والأرض و "جميع الآلهة ".[٣٠] وتعبر كذلك عن استحالة وصول الخطاة إليه . صحيح أن عرشه يدعى "عرش النعمة " وهو محاط بقوس قزح الذي هو علامة الوعد الذي تضمنه عهده . لكنه مع ذلك عرش "عال و مرتفع" و هو نفسه " العالي و المرتفع" الذي لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيدي ، نظرا الى أن السماء كرسيه و الأرض موطيء لقدميه ؛ فينبغي على الخطاة ألا يتجاوزوا حدودهم.[٣١] و صحيح أيضا أنه يتنازل الى المنسحق و المتواضع الذي يجد الطمأنينة تحت ظله . أما الخطاة المتكبرون فيعرفهم "من بعيد" فقط ، ولا يستطيع أن يتحمل نظرات المتغطرسين المتعالية والمتعجرفة.[٣٢]

إن رفعة الله " العالية " ليست أمرا حرفيا ، بالطبع ، و لم يقصد بها أبدا أن تؤخذ حرفيا. وصيحة المطاردة الحديثة المطالبة بترك الله " الموجود هناك في مكان عال بعيد " كانت صيحة سطحية الى حد كبير. لقد استعمل كتبة الكتاب المقدس العلو كرمز للسمو ، مثلما نفعل نحن . فهو يعبر بصورة أفضل مما يعبر العمق . وقد يتحدث " أساس الكينونة " عن الحقيقة الأساسية الى بعض الناس ، لكن عبارة " العلي والمرتفع" تبلغنا آخرية الله [١] God's otherness بصورة أكثر وضوحا. عندما نفكر في الله الحي العظيم ، من الخير لنا أن نتطلع الى الأعلى بدلا من أن نتطلع الى الأسفل ، والى خارج ذواتنا بدلا من أن نتطلع الى داخلها.

الصورة الثانية هي صورة *البعد* . ليس الله "عاليا فوقنا " فحسب ، بل هو أيضا "بعيد" عنا. إننا لا نجرؤ على الاقتراب منه أكثر مما ينبغي . بالحقيقية توجد تعليمات كتابية كثيرة توصينا بالبقاء على مسافة منه . قال الله لموسى من وسط العليقة المشتعلة " لا تقترب الى ههنا ". وهكذا فإن الترتيبات المعطاة بشأن عبادة اسرائيل عبرت عن الحقيقتين المتكاملتين ، حقيقة قربه منهم بسبب عهده وانفصاله عنهم

---

[٢٩] مثلا تك ١٤: ١٨-٢٢ ؛ مز ٧: ١٧ ؛ ٩: ٢ ؛ ٢١: ٧ ؛ ٤٦: ٤ ؛ ٤٧ : ٢ ؛ ٥٧: ٢ ؛ ٨٣: ١٨ ؛ ٩٢: ٨ ؛ ٩٣: ٤ ؛ ١١٣ : ٤ ؛ دا ٣:٢٦ ؛ ٤: ٢ ، ١٧ ، ٢٤-٢٥ ، ٣٢، ٣٤ ؛ ٥: ١٨-٢١ ؛ ٧:١٨-٢٧ ؛ هو ٧: ١٦ ؛ ١١: ٧ ؛ مي ٦: ٦ .

[٣٠] مثلا مز ٩٧: ٩ و ٩٩: ٢

[٣١] عب ٤: ١٦ ؛ رؤ ٤: ٣ ؛ أش ٦: ١ ؛ ٥٧: ١٥ ؛ أعمال ٧: ٤٨-٤٩

[٣٢] أش ٥٧: ١٥ ؛ مز ٩١: ١، ٩ ؛ ١٣٨: ٦ ؛ أم ٢١: ٤ ؛ أش ١٠: ١٢

[١] الآخرية : كون الشيء شيئا آخر أو مختلفا . (قاموس المورد) [المترجم]

بسبب قداسته . وحتى عندما نزل إليهم عند جبل سيناء ليظهر نفسه لهم ، فإنه أمر موسى بأن يضع حدودا للشعب حول أسفل الجبل و يلح عليهم ألا يقتربوا . كذلك عندما أعطى الله التعليمات لبناء خيمة الاجتماع (والهيكل فيا بعد) ، فقد وعد بأن يحيا بين شعبه ، ومع ذلك نبههم الى ضرورة إقامة حجاب أمام قدس الأقداس كعلامة دائمة تشير الى أنه لم يكن ممكنا وصول الخطاة إليه . وقد حظر على أي انسان ، تحت طائلة الموت، أن يدخل الى ما داخل الحجاب ، باستثناء رئيس الكهنة، وذلك مرة واحدة في السنة يوم الكفارة ، على أن يأخذ معه دم ذبيحة.[٣٣] وعندما كان الاسرائيليون على وشك عبور الأردن الى أرض الموعد أمروا بهذه الوصية المحددة: " اجعلوا بينكم و بين تابوت عهد الرب مسافة نحو ألفي ذراع بالقياس . لا تقربوا منه" (يش ٣: ٤). يجب أن تفهم قصة موت عزة في مقابل خلفية، هي ، هذا التعليم الواضح بشأن قداسة الله ومخاطر التجرؤ على انتهاكها . فعندما انشمصت الثيران التي تنقل التابوت مد يده و أمسكه . ولكن " غضب الرب حمي على عزة بسبب غفله "،[٣٤] فمات . يحتج كثيرون من المفسرين على هذا الفهم " البدائي" لغضب الله في العهد القديم بوصفه " أمرا غير عقلاني بصورة أساسية و في آخر المطاف لا يمكن تفسيره ، اندلع بقوة أولية سرية ملغزة " واقترب كثيرا من حدود " النزوة ".[٣٥] ولكن هذا ليس صحيحا ، فليس ثمة شيء في غضب الله غير قابل للتفسير: فالتفسير دوما هو وجود الشر بشكل أو بآخر. لا يستطيع البشر الخطاة أن يقتربوا من الله الكلي القداسة ويفلتوا من العقاب. في اليوم الأخير سيسمع الذين لم يجدوا ملجأ وتطهيرا في المسيح تينك الكلمتين اللتين هما أرهب الكلمات: اذهبوا عني".[٣٦]

الصورتان الثالثة والرابعة ، اللتان تعبران عن قداسة الله وعدم إمكانية وصول الخطاة إليه ، هما صورة *النور* وصورة *النار*: " الله نور" و " إلهنا نار آكلة ". كلاهما لا تشجعان على ، الاقتراب الى الله أكثر مما ينبغي ، وبالحقيقة تمنعانه . فالضوء الباهر يسبب العمى ؛ وبالحقيقة لا تستطيع عيوننا احتمال لمعانه ، وفي لظى

[٣٣] خر ٣: ٥ ؛ ١٩: ٣-٢٥ (قارن عب ١٢: ١٨-٢١) ؛ ٢٠: ٢٤ ؛ ٢٥-٤٠ ، وعلى الخصوص ٢٩: ٤٥-٤٦ ؛ لا ١٦ (قارن عب ٩: ٧-٨) .

[٣٤] ٢ صم ٦: ٦-٧ . قارن ١ صم ٦: ١٩ . لقد وجهت تحذيرات واضحة إلى اللاويين الذين أسندت إليهم مسؤولية فك الخيمة و حملها و إعادة إقامتها (نصبها) . اقرأ عد ١: ٥١ ، ٥٣ .

[35] Johannes Fichtner in his article on *orge*, pp. 401-402 .

مثلا مت ٧: ٢٣ ؛ ٢٥: ٤١ .

النار يذبل كل شيء ويدمر. وهكذا فإن الله "ساكن في نور لا يدنى منـه" ؛ " لـم يـره أحد ولا يستطيع أحد أن يراه". إن الذين يرفضون الحقيقـة بتعمـد ، ليس أمـامهم إلا "انتظار مخيف للدينونة ولهيب نار عتيدة أن تأكل المضادين [أعداء اللـه]... مخيـف هو الوقوع بين يدي الله الحي".[٣٧]

الصورة المجازية الخامسة هي الصورة الأكـثر دراماتيـة بيـن كـل الصـور. إنهـا تشير الى أن رفض الله القدوس للشر، رفـض جـازم كرفـض الجسـم البشـري للسـم عن طريق *التقيؤ* . من المرجـح أن التقيـؤ أعنـف رد فعـل يبديـه الجسـم . ورد فـي الكتـاب المقـدس أن ممارسـات الكنعـانيين اللاأخلاقيـة وممارسـاتهم المرتبطـة بعبـادة الأصنـام كـانت تثير الاشمئزاز الـى درجـة أن " الأرض تقيـأت سـاكنيها "، وحُـذِّرَ الاسـرائيليون مـن أنهـم إذا ارتكبـوا الآثـام نفسـها ، فسـوف تتقيؤهـم الأرض أيضـا. بالإضافة الى ذلك فإن ما قيل عـن رفـض الأرض للشـر إنمـا كـان بالحقيقـة رفـض الرب للشر. لأنه يُصَوَّرُ في السياق نفسه وهو يصـرح بأنـه " كَـرِهَ" الكنعـانيين بسـبب أعمـالهم الشـريرة . وتسـتعمل الكلمـة العبريـة نفسـها لوصـف موقفـه تجـاه عصيـان اسرائيل الحرون في البرية: " أربعين سنة مقت ذلك الجيـل". وهنـا أيضـا يرجـح أن يشير الفعل الى الطعام المثير للقرف كما يشير في قول بني اسرائيل " كرهت أنفسنا الطعام السخيف ! ". بسبب تربيتنا على الكياسة قد نجد هذا التشبيه الفظ مربكـا مـن غير ريب . لكنه يستمر فـي العهـد الجديـد . فعندمـا يهـدد يسـوع كنيسـة اللاودكييـن يقول: " إنني مزمع أن ' أتقيأك' (*إيميو*) من فمي". قد تصيبنـا الصـورة بالصدمـة ، لكن معناها واضح . إن الله لا يستطيع أن يتحمل أو "يهضم" الخطية و الرياء . فهو لا يعافهما فقط ، لكنهما يسببان له الغثيان . إنهما كريهان جدا في نظره بحيث يجـب أن يتخلص منهما . ينبغي أن يبصقهما أو يتقيأهما.[٣٨]

الصور المجازية الخمس كلها توضح التنافر المطلق بين القداسة الإلهية و خطيـة الانسان . فالعلو والبعد والنور والنار والتقيؤ جميعها تقول أن الله لا يمكن أن يوجـد حيث توجد الخطية ، واذا اقتربت الخطيـة منـه أكـثر ممـا ينبغـي فسـوف ترفـض أو تحرق.

---

[٣٧] ١ يو ١: ٥ ؛ عب ١٢: ٢٩ (قارن تث ٤: ٢٤)؛ ١ تي ٦: ١٦ ؛ عب ١٠: ٢٧ ، ٣١ .

[٣٨] لا ١٨: ٢٥-٢٨ ؛ ٢٠: ٢٢-٢٣ ؛ مز ٩٥: ١٠ ؛ عد ٢١: ٥ ؛ رؤ ٣: ١٦ .

مع ذلك تبدو هذه المفاهيم غريبة عن الانسان العصري . ان نمط الله الذي يروق لمعظم الناس اليوم هو أن يكون هادئا في تحمله لإساءاتنا، وديعا لطيفا لين العريكة لا يبدي ردود فعل عنيفة. و يبدو، مع الأسف، أننا فقدنا حتى في الكنيسة رؤيا جلال الله. فيوجد بيننا الكثير من الضحالة والخفة. ومن الأرجح أن يقول لنا الأنبياء وكتاب المزامير، لو أمكنهم، " ليس خوف الله قدام عيونهم ". لقد اعتدنا أثناء العبادة الجمهورية ان نجلس مترهلين أو نجلس متربعين؛ في هذه الأيام لا نمارس الركوع، بله الانبطاح تواضعا قدام الله . صفتنا المميزة ، الغالبة هي أننا نصفق فرحا أكثر مما نحمر خجلا أو نبكي . نحن نمشي الهوينى الى الله مطالبين برعايته وصداقته . و لا يخطر ببالنا أنه قد يردنا خائبين. نحن بحاجة الى كلمات الرسول بطرس التي تردنا الى صوابنا: " فإن كنتم تدعون أبا الذي يحكم بغير محاباة فسيروا [عيشوا] زمان غربتكم بخوف ".[٣٩] بعبارة أخرى، اذا كنا نتجرأ على أن ندعو قاضينا أبانا، يجب أن نحذر من التجرؤ عليه. بل و ينبغي أن يقال أن تأكيدنا الانجيلي على الكفارة خطر اذا كنا نأتي اليه متسرعين. لن نتعلم كيف نقدر حرية الوصول الى الله التي ربحها المسيح لنا الا بعد أن نكون قد رأينا أولا عدم تمكن الخطاة من الوصول الى الله. و لن نستطيع أن نصرخ "هللويا " بأصالة إلا بعد أن نكون قد صرخنا أولا "ويحي. لقد هلكت". وهذا ما عبر عنه ديل Dale "إن عدم إثارة الخطية لغضبنا نحن، هو، جزئيا، سبب ايماننا بأن الخطية لا تثير غضب الله".[٤٠]

من ثم ينبغي أن نتمسك بالإعلان الكتابي عن الله الحي الذي يكره الشر، و يشمئز ويغضب منه ، ويرفض رفضا قاطعا أن يتقبله. نتيجة لذلك ، يمكن أن نتأكد من أن الله عندما بحث برحمته عن طريقة يسامح بها عاملي الشر و يطهرهم و يقبلهم ، لم يسلك طريق التسوية الأخلاقية . لقد لزم أن تكون طريقة تعبر عن محبته وغضبه على حد سواء . وهذا ما عبر عنه برونر: "حيثما يتم تجاهل فكرة غضب الله، لن يتم إدراك المفهوم المركزي للإنجيل: تفرد الإعلان في الوسيط".[٤١]

---

[٣٩] ١ بط ١: ١٧ .

[40] R. W. Dale, *Atonement*, pp. 338-339 .

[41] Emil Brunner , *Mediator*, p. 152.

و هناك قول مماثل ، " إن من يعرف عظمة الغضب هو فقط الذي سيُقْهَرُ بعظمة الرحمة".[٤٢]

جميع التعاليم غير الكافية المتعلقة بالكفارة مردها الى تعاليم غير كافية عن الله وعن الانسان. إذا أنزلنا الله الى مستوانا ورفعنا أنفسنا الى مستواه، فلن نرى طبعا أننا بحاجة الى خلاص جذري ، بله الى كفارة جذرية تضمنه . من جهة أخرى بعد أن نكون قد ظفرنا بلمحة الى المجد المبهر الذي تتصف به قداسة الله ، وتوبخنا على خطايانا بوساطة الروح القدس الى حد أننا نرتجف قدام الله و نقر بأننا ، فعلا "خطاة ـ نستحق جهنم" ،عندئذ وعندئذ فقط تبدو ضرورة الصليب واضحة بهذا المقدار حتى أننا ندهش من أننا لم نرها من قبل.

إذا الخلفية الأساسية للصليب هي فهم متوازن لخطورة الخطية ولجلال الله. فاذا انتقصنا من أي منهما فاننا بذلك ننتقص من الصليب. واذا أعدنا تفسير الخطية فقلنا أنها زلة بدلا من أن نقول أنها عصيان، وقلنا أن الله متسامح بدلا من أن نقول أنه ساخط ، فمن الطبيعي أن يبدو الصليب عندئذ غير ضروري . لكن خلع الله عن عرشه وتنصيب أنفسنا على العرش لا يعني فقط استغناء عن الصليب ولكنه أيضا يحط من قدر الله ومن قدر الانسان . إلا ان نظرة كتابية الى الله والى أنفسنا، أي نظرة كتابية الى خطيئتنا والى غضب الله، إنما تكرم الله وتكرمنا. إنها تكرم البشر بتأكيدها على أنهم مسؤولون عن أفعالهم. وتكرم الله بتأكيدها أنه ذو طبيعة أخلاقية.

وهكذا نعود الى حيث بدأنا هذا الفصل، أي الى أن الغفران يمثل بنظر الله أعمق مشكلة بين المشكلات. وهذا ما عبر عنه الأسقف ب. ف. وستكوت: " ليس ثمة شيء أخر يبدو ـ لمن ينظر نظرة سطحية ـ أبسط من الغفران "، أما " اذا نظرنا

---

[42] Gustav Stahjlin in his article on *orge* , p 425

نظرة عميقة فلا شيء آخر يبدو أكثر غموضا منه أو أكثر صعوبة ".[٤٣] فالخطية والغضب عائقان في طريق الغفران. فلا يكفي أن يحترمنا الله باعتبار أننا كائنات مسؤولة، ولكن يجب أن يحترم نفسه أيضا باعتبار أنه الله القدوس . وقبل أن يتمكن الله القدوس من مسامحتنا ، من الضروري تأمين نوع من " التكفير". وهذا موضوع فصلنا التالي.

[٤٣] B F Wesssssstcott, *Historic Faith*, p. 130

٥

التكفير عن الخطية

ليس ثمة كلمتان من مجموع المفردات اللاهوتية المتعلق بالصليب تثيران من الانتقاد قدرا أكبر مما تثيره كلمتا " التكفير" و " الإبدال". ومع ذلك كتبت هذا الفصل والذي يليه دفاعا عن هاتين الكلمتين . بل إنهما عند جمعهما (التكفير عن طريق الإبدال) قد تبدوان غير محتملتين . ويسأل الناس ، كيف يمكننا أن نؤمن بأن الله كان بحاجة الى نوع من " التكفير" قبل أن يكون مستعدا ليغفر، وأن يسوع المسيح قد أَمَّنَ ذلك بتحمله ، بوصفه "بديلنا " ، القصاص الذي كنا نستحقه نحن الخطاة ؟ أليست هذه الأفكار غير الجديرة بالله المعلن في الكتاب المقدس ، أثرا متخلفا من الخرافات البدائية ، وتتنافى بالحقيقة مع الأخلاق بصورة صريحة ؟

اذكر على سبيل المثال ، السير أليستر هاردي Sir Alister Hardy ، أستاذ علم الحيوان سابقا في كلية ليناكر* Linacre الملكية بجامعة أوكسفورد ، الذي شجع كل أنواع الخبرة الدينية لأنه أمضى حياته باحثا فيها ، ورغم ذلك ، عبر عن عدم قدرته على تفهم وقبول الاعتقادات "غير الناضجة " التي كان " كثيرون جدا من رجال الكنيسة القويمي الرأي" يؤمنون بها. وفي محاضرات ألقيت عام ١٩٦٥ ونشرت بعنوان *اللهيب الإلهي* *The Divine Flame* ، تساءل عما اذا كان يسوع نفسه سيقبل أن يكون مسيحيا لو أنه كان حيا اليوم . ثم أجاب عن تساؤله ، "إنني أشك في ذلك كثيرا ، وأنا على يقين من أن يسوع ما كان ليكرز لنا بإله سيسترضى بذبيحة وحشية ، هي جسد معذب...ولا أستطيع أن أقبل الفرضية التي مفادها أن الموت المرعب الذي ماته يسوع كان بنظر الله ذبيحة لأجل خطايا العالم ، أو أن

* توماس ليناكر ، طبيب ومفكر من مفكري الحركة الانسانية ، ولد في كانتربري بانكلترا عام ١٤٦٠ و توفي عام ١٥٢٤ . كان له دور كبير في تأسيس الكلية الملكية للأطباء (١٥١٨). (موسوعة الجامعة العالمية) .The World University Encyclopedia Vol. 7 p. 2911[المترجم]

الله ، الذي تجسد في ابنه ، عذب نفسه لأجل فدائنا. وكل ما أستطيع أن أفعله هو الاعتراف في أعماق قلبي بأنني أجد مثل هذه الأفكار الدينية في عداد الأفكار الأقل جاذبية في علم الانسان برمته . وهي تنتمي ، في رأيي الى فلسفة مختلفة ــ علم نفس مختلف ـ عن تلك الديانة التي علمها يسوع " (ص٢١٨).

كان السير أليستر هاردي محقا في القول أن يسوع ما كان ليفسر موته (لأنه لم يفسر موته) بهذه التعابير الفجة ، لكنه كان مخطئا في افتراضه أن " كثيرين من رجال الكنيسة القويمي الرأي" يفعلون ذلك . لقد رسم صورة ساخرة للفهم المسيحي للصليب ليدين هذا المفهوم بسرعة أكبر. إن السؤال الحقيقي هو ما إذا كنا نستطيع أن نعتقد اعتقادا راسخا بكفاءة موت يسوع الخلاصية ، وبمجموع مفرداته التقليدية (بما فيها " التكفير" و " الإبدال")، دون أن نشوه سمعة الله . أعتقد أننا نستطيع ، ويجب أن نفعل ذلك . صحيح أن أيا من كلمتي " التكفير" و "الإبدال" ليست كلمة كتابية، لذلك يلزمنا أن نتقدم بحذر شديد . لكن كلا منهما مفهوم كتابي . هناك بالحقيقة إعلان كتابي عن " التكفير بطريق الإبدال" ، يكرم الله بصورة فريدة ، وينبغي لذلك أن يكمن هذا الاعلان في قلب عبادة الكنيسة وشهادتها. ولهذا السبب أشار كرانمر Cranmer إليه في بيان صريح ورد في مطلع صلاة التكريس التي وضعها في عام ١٥٤٩. نتيجة لذلك ظل الانكليكان طوال ٤٠٠ سنة يصفون يسوع المسيح بأنه هوالذي قدم على الصليب "بقربان نفسه المقدم مرة " " ذبيحة وقربانا و تكفيرا عن خطايا العالم ، وكل من هذه الثلاثة تام وكامل وكاف ".

لكن الطريقة التي طور بها مختلف اللاهوتيين مفهوم التكفير تعتمد على فهمهم للعوائق التي تحول دون الغفران وتجب إزالتها أولا. ما هي المطالب المقدمة التي تقف في الطريق الى أن تلبى ؟ من يقدم هذه المطالب ؟ هل هو الشيطان ؟ أم الناموس ، أم عدالة الله أم كرامته أم " النظام الأخلاقي" ؟ لقد اقترحت كل هذه . مهما يكن من أمر ، فسأحاول أن أبرهن أن " العائق" الأول يوجد في الله ذا ته. ينبغي أن "يرضي نفسه" بوساطة طريقة الخلاص التي يبتكرها ؛ إنه لا يستطيع أن يخلصنا بمناقضة نفسه.

إرضاء الشيطان

إن الفكرة التي مفادها أن الشيطان هو الذي جعل الصليب ضروريا ، كانت واسعة الانتشار في الكنيسة الباكرة.[1] صحيح أن يسوع ورسله تحدثوا عن الصليب كأداة لإسقاط الشيطان (كما سنتأمل مليا في فصل لاحق). لكن بعضا من آباء الكنيسة الأولين اشتطوا في بعدهم عن الحكمة من حيث الطرق التي صوروا بها قوة الشيطان والطريقة التي جرد بها الصليبُ الشيطانَ من قوته . وجميعهم أقروا بأنه منذ سقوط الانسان وبسببه ظل الجنس البشري أسيرا ليس للخطية والإثم فحسب ، بل للشيطان . لقد اعتقدوا بأنه سيد الخطية والموت وأنه الطاغية الأكبر الذي جاء يسوع ليحررنا منه.

لكن بالاستفادة من الإدراك المؤخر يمكننا القول أنهم ارتكبوا ثلاثة أخطاء .أولا، لقد عزوا الى الشيطان قوة أكبر من القوة التي يملكها. وحتى عندما صوروه كعاص وسارق ومغتصب ، فإنهم كثيرا ماتحدثوا عنه وكأنه اكتسب "حقوقا " معينة على الانسان ، حتى أن الله وجد نفسه ملزما بمراعاتها بدون مواربة . كان غريغوري النازياني Gregory of Nazianzus الذي عاش في القرن الرابع واحدا من اللاهوتيين الأولين القلائل الذين رفضوا هذه الفكرة بقوة و دعاها " إهانة ".[2]

ثانيا ، لذلك مالوا الى الاعتقاد بأن الصليب صفقة إلهية مع الشيطان ؛ كان الصليب قيمة الفدية التي طالب بها لإطلاق أسراه ، ودفعت له لتصفية حقوقه. كان هذا اعتقادا شائعا جدا في القرون الأولى من تاريخ الكنيسة.

ثالثا، مضى البعض الى أبعد من ذلك فشرحوا الصفقة باعتبار أنها خداع . وصوروا الشيطان ، من الوجهة اللاهوتية ، بأنه قد احتال على نفسه . فمع أن له "سلطان الموت" (عب٢:١٤) علينا نحن الخطاة ، لكنه لم يكن له مثل هذا السلطان على يسوع الخالي من الخطية ، وبمطاردته ليسوع حتى الموت سفك دما بريئا. ولذلك ، بعد أن أساء استخدام سلطته ، جُرِّدَ منها. أضاف بعض الآباء الى هذه النقطة أنه لم يدرك بتاتا ما كان يفعل ، إما لأنه لم يميز من كان يسوع ، أو لأنه ، وقد رأى اللاهوت في هيئة بشرية ، ظن بأن أمامه فرصة فريدة ليهزمه. لكنه كان

[1] For historical surveys of the different theories of the atonement see H. E. W. Turner, *Patristic Doctrine*, J. K. Mozley , *Doctrine of the Atonement* , Robert Mackintosh, *Historic Theories* and Robert S Franks, *History of the Doctrine of the Work of Christ*.

[2] *Orat*. xlv. 22.

مخدوعا. كان أوريجانوس أول من عَلَّمَ بصورة جلية أن موت يسوع كان قيمة الفدية المدفوعة لإبليس وكذلك وسيلة لخداعه والإطاحة به . أما غريغوري العالم الكبدوكي الخجول من بلدة نيسا Nyssa الذي عاش في القرن الرابع ، فتوسع أيضا في هذه الأفكار في كتابه *التعليم الديني أو الخطاب الديني الواسع Great Catechism* or *Catechetichal Oration* مستخدما صورة مجازية مفعمة بالحيوية:

لكي يضمن الله أن يقبل (أي الشيطان) بسهولة الفدية التي طلبها من أجلنا ، تخفى تحت ستار طبيعتنا ، بحيث يمكن ، أن يزدرد الشيطان صنارة الألوهة مع طعم الجسد ، كما تفعل سمكة نهمة ، وهكذا ، بإدخال الحياة الى بيت الموت يمكن أن يزول (الشيطان).[٣]

يبدو تشبيه السمكة والصنارة في نظرنا أمرا غريبا على نحو بشع ، وكذلك يبدو استخدام أوغسطين الوعظي لصورة مصيدة الفأر المجازية . وقد استخدم بيتر لومبارد هذه الصورة بعد عدة قرون ، مؤكدا أن " الصليب كان مصيدة فأر (موسيبيولا) عليها طعم من دم المسيح ".[٤] من المؤكد أن هؤلاء اللاهوتيين قد طوروا هذه الصور إذعانا منهم للفكر الشعبي ، ورأى بعض الآباء الأولين عدالة من نوع ما في الفكرة التي مفادها أن الذي خدع الجنس البشري وجره الى العصيان ينبغي أن يهزم بطريق الخداع . ولكن نسبة عمل خداع الى الله أمر لا يليق به.

مما له قيمة باقية في هذه النظريات هي أولا أنها تأخذ مأخذ الجد، حقيقة إبليس وحقده وقوته ("الرجل القوي ذو السلاح الكامل" المذكور في لو ١١:٢١) ، وثانيا أنها تعلن هزيمته الحاسمة الموضوعية عند الصليب لتحريرنا (من قبل "من هو أقوى منه"، وقد هاجمه وغلبه، لو ١١:٢٢).[٥] إلا أن ر.و.دال R. W. Dale لم يكن

---

[3] *Catechetical Oration* 22-26 . See A. S. Dunstone, *Atonement in Gregory of Nyssa* , p. 15 , footnote 7.

[4] *Sentences*, Liber III , Distinctio xix.1 .

[٥] بينما لا يقبل ناثانييل دي موك Nathaniel Dimock, " اللغة غير المتحفظة أو الأقوال المضللة لبعض الآباء" نظرا إلى أن الله لا يتعامل مع إبليس ، فإنه برغم ذلك يؤمن أنه ضمن ردفعل مفرط أدينت بغير حق نظرة الآباء إلى هذا الموضوع . لذلك فإنه ينقذ بعض الحقائق الكتابية منها

مبالغا عندما دعا تلك النظريات " غير محتملة ومشوهة ودنسة ".[6] إننا ننكر أن للشيطان أي حقوق علينا يتوجب على الله مراعاتها. وهكذا، فإن أي فكرة تقول أن موت المسيح كان صفقة ضرورية مع الشيطان ، بله أنه كان خداعا له ، إنما هي فكرة لا مجال للبحث فيها .

إرضاء الناموس

ثمة طريقة أخرى استعملت في الماضي لتفسير الضرورة الأخلاقية للإرضاء الإلهي عند الصليب وهي أنه يعظم الناموسْ . إن الخطية " تعدّ " (١ يو٣:٤)، إنها تجاهل للناموس وتمرد عليه. لكن لا يمكن خرق الناموس دون عقوبة . فالخطاة يجلبون على أنفسهم عقوبة انتهاكهم للناموس . لا يمكن العفو عنهم ببساطة . يجب أن يدعم الناموس ، وتصان هيبته . ويجب أن تنفذ عقوباته العادلة . وهكذا يتم "إرضاء" الناموس.

هناك إيضاح مُيَسِّرٌ لهذه الحقيقة هو قصة الملك داريوس التي وردت في كتاب النبي دانيال (الاصحاح٦). فقد عين مئة وعشرين مرزبانا * ليحكموا بابل ، وعين عليهم ثلاثة وزراء ، كان دانيال واحدا منهم . علاوة على ذلك كان دانيال يتمتع بصفات غير عادية ، وخدمة متميزة حتى قرر الملك أن يمنحه مكانة أعلى من كل زملائه . وأثار هذا حسدهم ، وللفور بدأوا بالتآمر لإسقاطه . وحاولوا ، وهم يراقبونه كالصقور، أن يجدوا بعض التناقض في سلوكه أو نقص الكفاءة في إدارته للشؤون العامة ، لكي يتمكنوا من توجيه التهم إليه . لكنهم فشلوا " لأنه كان أمينا ولم يوجد فيه خطأ أو ذنب" [لم يكن مرتشيا أو مهملا ، ترجمة NIV] (الآية ٤). وهكذا التفتوا ناحية حياته الخاصة ليتفحصوها ؛ وحسبوا أن أملهم الوحيد هو في أن يجدوه مذنبا بخطأ قانوني فيما يتعلق بولائه الديني المعتاد . واحتالوا للأمر فأقنعوا الملك بأن "يصدر أمرا ملكيا ويؤكد عليه بأن كل من يطلب طلبة حتى ثلاثين يوما من إله أو انسان"، إلا من الملك نفسه سوف يطرح في جب الأسود (ع ٧).

بملاحظته (ب) الإضافية "حول فداء المسيح كما ينظر إليه من حيث علاقته بسيطرة إبليس وأعماله". راجع كتابه *عقيدة موت المسيح* *Doctrine of the Death of Christ* , pp. 121-136.

6. R. W. Dale, *Atonement*, p. 277 .

* حاكم ولاية فارسية قديم . [المترجم]

وبسذاجة وقع الملك في شركهم . ثم إن كتابة الأمر الملكي جعلته أيضا غير قابل للتعديل " كشريعة مادي وفارس التي لا تنسخ " (ع ٨-٩).

أذيع الأمر الملكي فوصل الى سمع دانيال، لكنه لم يجعله يغير نمطيته routine '. وبعكس ذلك استمر يصلي الى إلهه ثلاث مرات يوميا. وكان من عادته أن يفعل ذلك بالجثو في عليته ، المفتوحة الكوى نحو أورشليم . كان باستطاعة المارة أن يشاهدوه ، ومن ثم شاهده أعداؤه . فمضوا من فورهم الى الملك وأخبروه عن انتهاك دانيال الفاضح للأمر الملكي. " فلما سمع الملك هذا الكلام اغتاظ على نفسه؛ وجعل قلبه على دانيال لينجيه ، واجتهد الى غروب الشمس لينقذه " (ع١٤). لكنه لم يجد حلا للمشكلة القانونية التي خلقها لنفسه. وذكره وزيراه ومرازبته بأنه " وفقا لشريعة مادي وفارس لا يمكن تغيير أي أمر ملكي أو مرسوم يصدره الملك". (الأية ١٥). ولذلك انحنى داريوس أمام المحتوم وأصدر أمره على مضض بإلقاء دانيال في جب الأسود. لقد انتصر القانون.

كثيرون من الوعاظ (بمن فيهم أنا) استخدموا هذه القصة ليركزوا الانتباه على المعضلة الإلهية . كان داريوس يحترم دانيال واجتهد طويلا ليجد طريقة لإنقاذه ، ولكن لا بد أن يأخذ القانون مجراه ، من غير تلاعب به . فالله يحبنا نحن الخطاة ، ويتوق الى إنقاذنا ، لكنه لا يستطيع أن يفعل ذلك عن طريق انتهاك القانون الذي أداننا بعدل. لهذا السبب كان الصليب، الذي به دفعت العقوبة التي يفرضها القانون ، وتمت صيانة حرمته . أستشهد بنصير لهذا الرأي هو هنري ويسHenry Wace ، عميد كاثدرائية كانتربري من ١٩٠٣ إلى ١٩٢٤ :

إن قانونا لا حرمة له ، بالمعنى التقني لهذا التعبير ـ بعبارة أخرى ، إن قانونا يمكن خرقه دون عقوبة كافية ، ليس قانونا على الإطلاق ؛ ومما لا يصدق أن يكون بالإمكان انتهاك قانون الله الأخلاقي دون أن يستتبع ذلك أفظع النتائج. إن مجرد انتهاك أحد قوانين الله الطبيعية ، سواء فعل الناس ذلك بتعمد أو دون تعمد ، يمكن أن يستتبع تعاسة دائمة وعلى نطاق واسع ؛ فهل يمكن الافتراض ،

نمطية routine : طريقة محددة تجري على وتيرة واحدة في عمل الأشياء .(قاموس المورد) [المترجم]

بصورة عاقلة أن الانتهاك المتعمد والفاضح جدا لإسمى قانونين ـ هما قانونا الحق و البر ـ لن يستتبع نتائج كهذه ؟ [٧]

كما أن " الله لا يستطيع أن ، يلغي القانون الأخلاقي للأمور الذي رسخه هو". صحيح ان العميد ويس راح يخفف من هذه الأقوال ، بتذكيرنا بأن العالم الأخلاقي ليس " نوعا من الآلة الأخلاقية التي تعمل فيها القوانين مثلما تعمل في العالم الحي" . مع ذلك ، فهو يشير أيضا الى ، العقوبة التي ينطوي عليها بالضرورة انتهاك القانون الإلهي".[٨]

لست أريد أن أعارض هذه اللغة ، وأنا بالحقيقة مستمر في استعمالها. فلها بالحقيقة مبرر كتابي مقنع . لأن بولس يقتبس من تثنية موافقا على النتيجة التي يتحملها من يخالف الناموس وهي أنه " ملعون" ، ثم يمضي ليؤكد أن " المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا "(غل٣:١٠،١٣). فإذا لم يخف بولس من استعمال تعبير لاشخصي كتعبير " لعنة الناموس"، فينبغي علينا الا نخاف نحن أيضا.

إن الآباء اللاتين الذين عاشوا في القرن الرابع من أمثال أمبروز Ambrose و هيلاري Hilary فسروا الصليب على نحو منتظم بهذه التعابير. وإذ مضوا الى أبعد مما مضى اليه ترتوليان ، الذي كان أول من استخدم التعبيرين القانونيين ، " الاستحقاق" و" الارضاء" في مجال علاقة المسيحي بالله ، فسروا نصوصا كغلاطية ٣:١٣ في ضوء " الـ *ساتيسفاكتيو [الإرضاء]* الذي ينص عليه القانون العام الروماني ، ويعني تحمل العقوبة التي نص عليها القانون".[٩] وفي القرن السادس عشر طور المصلحون هذه الفكرة أيضا . لقد أكدوا بحق أن خضوع يسوع المسيح الشخصي للناموس كان ضروريا لإنقاذنا من إدانته . كذلك عَلّموا أن خضوعه اتخذ شكلين ، طاعته التامة للناموس في حياته واحتماله لعقوبة الناموس في موته . ودعوا الأولى طاعته " الفاعلة " ، والثانية طاعته " المنفعلة ". الا أن هذين النعتين غيردقيقين ، نظرا الى أن طاعة يسوع حتى الموت ، موت الصليب، كانت " فاعلة " (أي طوعا و بتصميم) نظير خضوعه المطيع للناموس الأخلاقي . إن طاعته لإرادة

---

[7] Henry Wace , *Sacrifice of Christ,* p. 16.

[8] *Ibid.* , pp. 22, 28-29, 36.

[9] Robert S. Franks, *Work of Christ,* p. 135.

الآب هي الطاعة نفسها سواء في سلوكه أو بعثته ، وفي حياته أو موته . أما قيمة استمرارنا في التحدث عن طاعة المسيح " المزدوجة " فهي أننا بذلك نميز بين إتمامه لمطالب الناموس وتحمله لإدانة الناموس. كان كلا النوعين من الخضوع للناموس جوهريا لفعالية الصليب.

مع ذلك ينبغي أن ننتبه الى أخطار لغة ـ القانون والى عدم كفاية تشبيه قانون الله الأخلاقي سواء بالقوانين المدنية للدولة أو بالقوانين الطبيعية للكون . صحيح أن جزءا من مفخرة الملكية الدستورية هو أن القانون لا يستثني أحدا ، فحتى الملك ليس فوق القانون بل تحته ، إذ يطلب منه أن يطيع نصوصه ويتحمل عقوباته (في حال خرق هذه النصوص). ويزودنا داريوس بمثال جيد عن هذا. مع ذلك فإن الأمر الملكي الذي أصدره كان متسرعا وأحمق ، نظرا الى أنه لم يتضمن بندا خاصا بالضمير الديني ، مما أدى الى معاقبة رجل بار من أجل عمل مبرر أخلاقيا لم يقصد الملك مطلقا أن يحسبه بموجب مرسومه مخالفة تستحق العقوبة . لا نستطيع أن نفكر في الله و كأنه وقع في تورط قانوني تقني من هذا النوع. وليس من الحكمة أيضا أن نشبه قوانين الله الأخلاقية بقوانينه الطبيعية ، ثم نصرح بأن مجموعتي القوانين يتعذر تغييرهما على حد سواء. مثلا " اذا وضعت يدك في النار فسوف تحترق ، و اذا خالفت الوصايا العشر سوف تعاقب". هناك شيء من الحقيقة في التشبيه ، ولكن مفهوم العقوبات الآلية مضلل . ربما يصدق ذلك على قوانين الطبيعة ، مع أنها ليست على نحو صارم " قوانين" تقيد تصرف الله بل هي وصف للانتظام الطبيعي لتصرفه الذي لاحظه البشر. إن عصيان قوانين الله الأخلاقية يؤدي الى الإدانة لا لأن الله أسير تلك القوانين بل بالحقيقة لأنه خالقها.

هذا ما عبر عنه ر. و. ديل R. W. Dale بقوله ، إن علاقة الله بالناموس " ليست علاقة خضوع بل علاقة تماثل...فالناموس حي في الله يملك على عرشه ، ويهز صولجانه ، ومتوج بمجده ".[10] لأن الناموس هو التعبير عن كينونته الأخلاقية ، وكينونته الأخلاقية منسجمة مع ذاتها دوما . لقد أحاط نثانئيل دي موك Nathaniel Dimock بهذه الحقيقة إحاطة تامة كما يتضح من الكلمات التالية:

ليس ثمة شيء في مطالب الناموس ، وصرامة الناموس ، وإدانة الناموس ، وموت الناموس ولعنة الناموس إلا وهو صورة منعكسة (جزئيا) لكمالات الله.

---

[10] R. W. Dale, *Atonement* , p. 372.

وما هو مستحق الأداء للناموس ، مستحق الأداء للناموس لأنه ناموس الله. ولذلك فهو مستحق الأداء لله نفسه.[11]

إرضاء كرامة الله و عدالته

إذا كان الآباء اليونانيون الأولون قد صوروا الصليب على أنه غالبا " إرضاء" للشيطان ، بمعنى أنه كان قيمة الفدية التي طلبها الشيطان ودفعت له ، وإذا كان الآباء اللاتين الأولون قد رأوه على أنه إرضاء لناموس الله ، فقد قام أنسلم Anselm من بلدة كانتربري باقتراب جديد من الصليب في القرن الحادي عشر ، فقدم في كتابه *هل صار الله انسانا ? Cur Deus Homo* شرحا منظوماsystematic للصليب بوصفه إرضاء لكرامة الله المنتهكة. كتب ر. س. فرانكس R. S. Franks " كان كتابه هاما جدا بحيث يعتبر مطلع عهد جديد من عهود الفكر في تاريخ عقيدتنا كله ، من حيث أنه طبق لأول مرة ، مفهومي الإرضاء والاستحقاق ، بطريقة شاملة ومتناغمة ، في شرح الموضوع ".[12] و مضى جيمس دني James Denny أبعد من ذلك و وصف الكتاب بأنه " أصدق وأعظم كتاب على الإطلاق كتب حول موضوع الكفارة ".[13]

كان أنسلم رجلا إيطاليا تقيا ، استوطن أولا في نورماندي ثم في عام ١٠٩٣ عقب الفتح النورماندي* عين رئيسا لأساقفة كانتربري. لقد وصف أنسلم بأنه أول ممثل لـ "سكولاستية " scholasticism ** القرون الوسطى ، التي كانت محاولة للتوفيق بين الفلسفة واللاهوت، بين منطق أرسطو والإعلان الكتابي. مع أنه ضَمّن كتاباته عددا من الاقتباسات الكتابية ، على أي حال ، وأشار الى الأسفار المقدسة

---

[11] Nathaniel Dimock, *Doctrine of the Death of Christ,* p. 32, footnote 1.

[12] Robert S. Franks, *Work of Christ,* p. 126.

[13] James Denney , *Atonement* , p. 116 .

* هو فتح انكلترا على يد الدوق فيليب الثاني النورماندي ما بين عامي ١٠٦٦-٦٩ ؛ الذي صار ملكا هناك باسم ويليام الأول (الفاتح).The World University Encyclopedia p. 3594 [المترجم]

** السكولاستية : الفلسفة المسيحية السائدة في القرون الوسطى وأوائل عصر النهضة . وقد بنيت على منطق أرسطو و مفهومه لما وراء الطبيعة و لكنها اتسمت في أوروبة الغربية خاصة ، بإخضاع الفلسفة للاهوت . و من أبرز رجالها توما الأكويني الذي حاول أن يقيم صلة عقلانية بين العقل والدين . (قاموس المورد) [المترجم]

على أنها " أساس راسخ "، فقد كان الاهتمام المهيمن عليه هو أن يكون " منسجما مع العقل" (الكتاب الثاني، الفصل ١١: ii.xi). هذا ما عبر عنه بوزو Boso محاوره التخيلي بقوله ، "إن الطريق التي تقودني خلالها مسورة جدا بالتفكير من كل جانب بحيث يبدو لي أنني عاجز عن مغادرتها سواء الى اليمين أو الى اليسار" (ii . ix).

يوافق أنسلم في كتابه *هل صار الله انسانا ؟* الذي هو بحث رائع حول العلاقة بين التجسد والكفارة ، على أنه كان ينبغي أن يهزم الشيطان ، لكنه رفض نظريات الفدية التي نادى بها آباء الكنيسة على أساس أن " الله لم يكن مدينا للشيطان بشيء سوى العقاب" (ii. xix). غير أن الانسان كان مدينا لله بشيء ، وكان من الواجب أن يسدد هذا الدين . لأن أنسلم يحدد الخطية بأنها: "عندما لا يرد الانسان لله ما هو مستحق الأداء له" (i.xi) ، أي خضوع إرادتنا الكاملة لإرادته . فارتكاب الخطية هو " أن نسلب ما لله" ، أي أن نسرق منه ، وبذلك نهينه . واذا تصور أحد أن الله يستطيع أن يسامحنا ببساطة بالطريقة نفسها التي نسامح بها الآخرين ، فإنه لم يتمعن بعد في خطورة الخطية (i.xxi) . وحيث أن الخطية عصيان على إرادة الله المعروفة ، لا يمكن تبريره ، فإنها تهين الله وتحقره ، فـ " لا شيء يلقى قدرا من القبول أقل مما يلقاه...موقف المخلوق الذي يسلب من خالقه الكرامة اللائقة به ، ثم لا يسدد له.ما سلبه منه" (i. xiii) . إن الله لا يستطيع أن يتغاضى عن هذا الأمر. " لا يليق بالله أن يغفل الخطية ويتركها تمر دون عقاب" (i. xii). هذا الموقف أكثر من غير لائق ؛ أنه مستحيل . " اذا كان لا يليق بالله أن يفعل شيئا بغير عدل أو بغير نظام، فلا يمكن ضمن مجال حريته أو لطفه أن يترك الخاطيء ، الذي لا يرد له ما سلبه منه ، يفلت دون عقاب" (i.xii) . " إن ما يؤيده الله بحق أكثر من كل ما عداه هو شرف كرامته" (i. xiii).

فما الذي يمكن فعله ؟ إذا كنا سننال الغفران في أي وقت ، وجب علينا أن ندفع ما نحن مدينون به . لكننا عاجزون عن فعل ذلك ، سواء من أجل أنفسنا أو من أجل الآخرين . إن طاعتنا في الوقت الحاضر وأعمالنا الصالحة لا تستطيع أن تكفر عن خطايانا ، نظرا الى أن هذه الطاعة و هذه الأعمال مطلوبة منا على أية حال . وهكذا لا نستطيع أن نخلص أنفسنا . كذلك لا يستطيع أي انسان آخر أن يخلصنا ، نظرا الى أن " الخاطيء لا يستطيع أن يبرر خاطئا آخر" (i. xxiii) و من هنا نشأت المعضلة التي يختتم بها الكتاب الأول: " إن الانسان الخاطيء مدين لله ، بسبب

خطيئته ، بما لا يستطيع أن يسدده ، وما لم يسدد هو هذا الدين لا يستطيع أن يخلص ".(i. xxv).

في مطلع الكتاب الثاني تقريبا يكشف عن الطريق الوحيد الممكن للخروج من هذه المعضلة: " ليس هناك من *يستطيع* أن يقوم بهذه الكفارة سوى الله نفسه...و لكن ليس هناك من *ينبغي* أن يقوم بها سوى الانسان ؛ أما إذا حدث خلاف ذلك فلا يكون الانسان نفسه قد قام بالكفارة ". لذلك " ينبغي أن يقوم بالكفارة من هو الله ـ الانسان" (ii.vi). إن من هو الله وليس انسانا ، أو انسان وليس الله ، أو من هو مزيج من الاثنين وبالتالي ليس الله ولا انسانا ، لن يصلح لهذا الغرض . " الحاجة تدعو الى أن يكون الشخص نفسه الذي سيقوم بهذه الكفارة الله الكامل و انسانا كاملا ، نظرا الى أنه لا *يستطيع* أن يقوم بها إلا من كان الله حقا ، و لا *ينبغي* أن يقوم بها إلا من كان انسانا حقا" (ii.vii). هذا يقود أنسلم الى أن يقدم المسيح. فقد كان (ولا يزال) كائنا فريدا ، نظرا الى أنه فيه " اجتمع الله الكلمة والانسان" (ii.ix). كما أنه أنجز عملا فريدا أيضا ، لأنه بذل نفسه حتى الموت ـ ليس كدين (لأنه كان بلا خطية ولذلك لم يكن عليه أي مديونية تلزمه بأن يموت) لكنه مات طوعا لأجل كرامة الله. وكان أمرا معقولا أن الانسان ، " الذي بارتكابه الخطايا سرق نفسه من الله سرقة كاملة بقدر ما استطاع ، ملزم ، عند قيامه بالتكفير، بأن يسلم نفسه لله تسليما كاملا بكل ما يستطيع " ، أي عن طريق تقديم ـ نفسه للموت طوعا. مهما تكن خطية البشر خطيرة ، فإن حياة الله ـ الانسان كانت صالحة جدا ومعظمة جدا وثمينة جدا بحيث أن تقديمها بالموت " فاق في أهميته عدد جميع الخطايا وجسامتها "(ii. xiv)، وتم رد الاعتبار الواجب لكرامة الله المهانة.

إن الميزات العظمى لشرح أنسلم هي أنه أدرك بجلاء الجسامة القصوى للخطية (باعتبارها عصيانا عمديا ضد الله ، فيه يتحدى المخلوق جلال خالقه)، وقداسة الله غير المتبدلة (باعتبارها لا تستطيع أن تتغاضى عن أي انتهاك لكرامته)، وكمالات المسيح الفريدة (باعتباره الله الانسان الذي وهب نفسه بتعمد حتى الموت لأجلنا). إلا أن منطقه السكولاستي ساقه في بعض المواضع الى ما وراء نطاق الاعلان الكتابي ، مثلما فعل عندما تحزر عما اذا كان ما دفعه المسيح هو بالضبط ما كان الخطاة مدينين به أم أكثر منه ، وعما اذا كان عدد البشر المفديين سيفوق عدد الملائكة الساقطين . إضافة الى ذلك ، فإن عرضه للموضوع بكامله يعكس الثقافة الإقطاعية التي سادت في عصره حيث صنف المجتمع تصنيفا صارما الى طبقات ، ومنح كل

شخص مكانة لا يزيح عنها ، و وضعت قواعد السلوك " الملائم" أو " اللائق" الذي يبديه الأدنياء نحو علية القوم (ولا سيما نحو الملك) ، وكان خرق هذه القواعد يعاقب ، كما كان ينبغي تسديد الدُيون بطريقة مشرفة.

ولكن عندما يصورالله بلغة تذكر بحاكم مطلق يطالب بالإكرام و يعاقب الإهانة ، يمكن التساؤل عما اذا كانت هذه الصورة تعبر بكفاءة عن الإكرام الواجب الأداء لله وحده . يجب أن نبقى دون ريب غير راضين كلما عرضت لنا الكفارة كإرضاء ضروري ، إما لـ " ناموس الله " أو لـ " كرامته" بحيث "يشيأ "objectified هذان الأمران وكأنهما يوجدان بطريقة ما منفصلين عنه تعالى .

خلال القرن الثاني عشر تم توضيح ثلاثة تفسيرات متميزة لموت المسيح. لقد أكد أنسلم (المتوفى عام ١١٠٩) ، كما رأينا ، الإرضاء الموضوعي لكرامة الله الذي دفعه الله ـ الانسان يسوع ، في حين أن معاصره الأصغر سنا بيتر أبلارد Peter Abelard(المتوفى عام ١١٤٢) وموطنه باريس (سندرس تعليم أبيرالد بمزيد من التفصيل على الصفحات٢٥٢ وما بعدها) قد أكد التأثيرالأخلاقي الذاتي للصليب في المؤمنين . في هذه الأثناء استمر اللاهوتي المتصوف برنارد وموطنه كليرفو Bernard of Clairvaux (المتوفى عام ١١٥٣) يعلم أن قيمة ـ الفدية قد دفعت للشيطان . غير أن نظرة أنسلم هي التي سادت ، لأن دارسي الكتاب المقدس المدققين كانوا غير قادرين على حذف مفهوم الإرضاء منه . وهكذا فإن " السكولاستيين" أو "رجال المدرسة " (الذين دعوا هكذا لأنهم كانوا يعلمون في "مدارس" القرون الوسطى الأوروبية المؤسسة حديثا، أي الجامعات) قد طوروا أيضا نظرة أنسلم ـ وفعل ذلك الفريقان ، " التوميون" Thomists ، وهم الدومينيكان الذين كانوا يقتدون بتوما الأكويني (المتوفى ١٢٧٤) و السكوتيون Scotists ، وهم فرنسيسكان يقتدون بدونس سكوتوس Duns Scotus (المتوفى ١٣٠٨). و مع أن هذين الفريقين من "رجال المدرسة " اختلفا في التفاصيل ، فقد علمنا كلاهما أن مطالب العدالة الإلهية قد أرضيت عن طريق صليب المسيح.

مع الإصلاح ، وتشديد المصلحين على التبرير، يمكن أن يفهم أنهم أكدوا على عدالة الله واستحالة وجود طريق للخلاص لا يرضي عدالته . لأنه ، كما كتب كالفن في *القوانين Institutes* ، " ثمة تضارب دائم لا يمكن تسويته بين البر والفجور"(II xvi. 3). فكان لزاما على المسيح " أن يتحمل صرامة انتقام الله ، ويهديء غضبه

ويرضي قضاءه العادل".[١٤] لقد شرح توماس كرانمر Thomas Cranmer في "عظته الدينية عن الخلاص"، أنه كانت هناك ثلاث مسائل وجب أن تجتمع لإتمام تبريرنا: من جانب الله "رحمته ونعمته العظيمتان" ، ومن جانب المسيح " إرضاء عدالة الله"، ومن جانبنا " الإيمان الحقيقي والمفعم بالحياة ". وختم القسم الأول من العظة: " لقد سر أبونا السماوي أن يُعِدَّ لنا ، برحمته اللامتناهية ، ودون أهلية أو استحقاق من جانبنا، أغلى جوهرتين وهما جسد المسيح ودمه اللذان يمكن بهما أن تُدْفَعَ فديتنا كاملة ، ويُتَمَّمَ الناموس ، وتُرْضَى عدالته تماما ".[١٥]

يمكن أن نجد هذا التعليم نفسه في أعمال لوثر. إلا أن " السكولاستيين" المحتجين قاموا ، بعد موت لوثر، بتنظيم عقيدة موت المسيح فقالوا إنها إرضاء مزدوج ، أي إرضاء ناموس الله ، وإرضاء عدالة الله . لقد أرضي ناموس الله بطاعة المسيح الكاملة أثناء حياته ، وأرضيت عدالة الله بذبيحته الكاملة عن الخطية ، إذ حمل قصاصها بموته . إلا أن هذا على الأصح صياغة مفرطة في التبسيط . لأن ناموس الله هو تعبير عن عدالته ، فلا يمكن الفصل بينهما تماما.

إذا فهل كان الله مهتما بإرضاء " النظام الأخلاقي" ؟ هذا المفهوم ، نظير مفهوم " الناموس" ، تعبير عن عدالة الله أو طبيعته الخلقية . ولعله أكثر شمولا من " الناموس" وأكثر اتساعا في آن واحد . نظرا الى أنه لا يشمل المباديء الأخلاقية فحسب بل يشمل ضمنيا نظام عقوبات أيضا . فهو يستند الى الاعتقاد بأن الله القدوس الذي يحكم العالم ، إنما يحكمه أخلاقيا . لقد وضع نظاما يُسْتَحْسَنُ الخير بموجبه ويكافأ ، بينما يدان الشر ويعاقب . فاستحسان الشر أو إدانة الخير من شأنهما أن يدمرا هذا النظام الأخلاقي . وفي عالم كهذا يكون غفران الخطايا ، غير المستند الى مبدأ ، مدمرا كالاستحسان أو الإدانة اللذين في غير موضعهما سواء بسواء .

---

[14] *Institutes* , II . xvi. 10. *Cf* : II .xii . 3 .

[١٥] كتاب العظات الدينية الأول، تأليف توماس كرانمر Thomas Cranmer , *First Book of Homilies,* p. 130. كذلك يعلن قانون وستمينستر (١٦٤٧) بأن الرب يسوع ، بطاعته التامة و بتضحيته بنفسه ، قد " أرضى تماما عدالة أبيه " .(VIII. 5) بالحقيقة كان هذا "إرضاء ملائما وحقيقيا وتاما لعدالة أبيه" نيابة عن المُبَرَّرِينَ . (XI. 3)

يمكننا أن نلحظ بداءات هذا المفهوم المتعلق بموت المسيح لدى المحامي ورجل الدولة الهولندي هوغو غروتيوس Hugo Grotius (المتوفى عام ١٦٤٥) ، الذي استنكر المجادلات والانقسامات المسيحية، وحلم بعالم مسيحي مصلح أعيد توحيده . وكانت فكرته عن الكفارة نوعا من حل وسط بين أنسلم وأبيلارد . ففي بعض الأحيان علم نظرة تكاد تكون أبيلاردية وهي أن للصليب تأثيرا ذاتيا يقود الخطاة الى التوبة ، وهكذا يُمَكِّنُ الله من أن يغفر لهم . إلا انه ، في أغلب الأحيان، حافظ على موضوعية الصليب ، واعتبره إرضاء لعدالة الله . بالإضافة الى ذلك كان لديه اهتمام كاهتمام المحلفين بتحقيق الأخلاق العامة ، أي منع الجريمة ، وصيانة القانون معا. فلم يعتبر أن الله هو الطرف المساء إليه، أو الدائن ولا حتى القاضي، بل نظر اليه باعتباره الحاكم الأخلاقي الأعلى للعالم. وهكذا فإن العدالة العامة كانت في نظره أهم من العدالة الجزاعية ، وهذه العدالة بخاصة ، بحسب اعتقاده ، هي التي تحققت عند الصليب . صحيح أن المسيح مات لأجل خطايانا نيابة عنا. لكنه تساءل عن الدور الذي قام به الله في هذا أو الوظيفة التي شغلها ؟ " إن حق فرض العقوبة ليس من اختصاص الطرف المعتدى عليه لكونه معتدى عليه" بل بالأحرى " من حق الحاكم لكونه الحاكم ".[١٦] كما "أن فرض العقوبة ... هو امتياز مقتصر على الحاكم بحكم مركزه ،... كامتياز أب في عائلة، وملك في دولة ، وامتياز الله في العالم " (ص٥١) . وهكذا طور غروتيوس تفسيره " القيادي" أو " الحكومي" للصليب. وعلم أن الله عين الصليب " لأجل نظام الأشياء ، ولأجل سلطة قانونه " (ص١٣٧). لقد كان منشغلا بتبرير عدالة الله أمام الملأ . " لم يكن الله راغبا في التغاضي عن خطايا عديدة ، وخطايا فظيعة بهذا المقدار دون مثال بارز" ، أي مثال عن استيائه الشديد من الخطية (ص ١٠٦). " لقد كانت لدى الله أسباب وجيهة جدا ليعاقب "، ولكن أهمها، بحسب تفكير غروتيوس كان عزمه على الحفاظ على ترتيب الناموس القائم بحيث نستطيع أن " نقدر جسامة الخطايا وكثرتها " (ص١٠٧).

لقد تبني كثيرون من لاهوتيي القرن العشرين رؤيا غروتيوس لله " باعتباره الحاكم الأخلاقي للعالم "، وتوسعوا فيها، فيما يتعلق بالكفارة . كتب ب. ت. فورسيث P. T. Forsyth على سبيل المثال ، عن " هذا النظام الكوني للقداسة "، وأضاف: " إن

---

[16] Hugo Grotius, *Defence of the Catholic Faith*, p. 57.

نظام الله الأخلاقي يتطلب كفارة atonement حيثما أُخِذَتْ الأفكار الأخلاقية مأخذالجد الحاسم ، وإن ضمير الانسان ليرجع صدى هذا المطلب".١٧

ثمة مثال آخر هو ب. ب. وارفيلد B.B. Warfield الذي لفت الانتباه الى الاحساس العالمي بالذنب لدى البشر. إنه " إدانة ـ ذاتية أخلاقية عميقة توجد كعامل أولي في كل خبرة دينية حقيقية . وهو يصرخ طالبا التكفيرعن الخطية. وليس ثمة استنتاج أخلاقي يستطيع أن يقنعه بأن غفران الخطايا عنصر ضروري في النظام الأخلاقي للعالم . وهو يعرف ، على العكس ، أن غفران الخطية دون تمييز من شأنه أن يكون على وجه التحديد تدميرا للنظام الأخلاقي للعالم...إنه يصرخ طالبا التكفير expiation ".١٨

لكن البيان الأكثر تأثيرا بشأن عدم إمكانية انتهاك النظام الأخلاقي جاء بقلم إميل برونر في كتابه الشهير *الوسيط* . فالخطية ، حسبما كتب ، أكثر من مجرد "هجوم على كرامة الله " (ص٤٤٤)، إنها هجوم على نظام العالم الأخلاقي ، الذي هو تعبير عن إرادة الله الأخلاقية.

إن استقامة كينونته الأخلاقية الإلهية * ، التي بني عليها مجمل القانون والنظام في العالم ... أي الطبيعة المنطقية الموثوقة لكل ما يحدث ، وشرعية كافة المعايير، ومجمل النظام الأخلاقي والقانوني والفكري ، القانون نفسه [النظام الأخلاقي] * بمعناه الأعمق ، يتطلب رد فعل إلهيا واهتماما إلهيا بالخطية ، ومقاومة إلهية لهذا العصيان وهذا الخرق للنظام...إذا لم يكن هذا كله صحيحا ، فلن تكون هناك جدية في العالم على الإطلاق ؛ ولن يكون هناك معنى لأي شيء ، فلا نظام ، ولا استقرار؛ وسوف ينهدم نظام العالم و يتخرب ؛ ويسود الخراب والفوضى الشاملة . إن كل نظام في العالم يعتمد على عدم جواز انتهاك كرامته تعالى ، وعلى اليقين من أن الذين يعصونه سوف يعاقبون (ص٤٤٤-٤٤٥) .

فيما بعد قايس برونر بين القانون الطبيعي والقانون الأخلاقي ، مؤكدا أنه لا يمكن انتهاك أي منهما دون عقوبة. إن الغفران دون كفارة سيكون انتهاكا للمنطق ،

---

17 P. T. Forsyth, *Cruciality of the Cross*, pp. 137-138. See also his *Work of Christ*, pp. 122-129.

18 B. B. Warfield, *Person and Work*, p 292.

* ترجمة بتصرف بناء على توضيح خطي من المؤلف.[المترجم]

والقانون والنظام ، أكثر خطورة وأشد اتساعا من " التعطيل المؤقت لقوانين الطبيعة " (ص٤٤٧). فكيف يكون الغفران ممكنا اذا كان " العقاب هو التعبير الطبيعي عن الناموس الإلهي والنظام ، وعن عدم إمكانية انتهاك النظام الإلهي للعالم " (٤٤٩) ؟ بما أن القانون "هو التعبير عن إرادة المشرع ، وعن الله الشخصاني the personal God " (ص٤٥٩)، فإنه ، اذا كسر لا يمكن أن يلتئم و لن يلتئم من تلقاء نفسه . لقد أحدثت الخطية " شرخا في نظام العالم" ، واضطرابا عميق الجذور بحيث أن الاصلاح أو التعويض ضروري ، مما يعني ضرورة " الكفارة " (ص٤٨٥).

إرضاء الله لنفسه

لدينا، اذا ، خمسة طرق عبر بها اللاهوتيون عن احساسهم بما هو ضروري قبل أن يتمكن الله من مسامحة الخطاة . أحدها يتحدث عن الإطاحة بابليس عن طريق " إرضاء " مطالبه ، وتتحدث ثلاثة أخرى عن " إرضاء " ناموس الله ، أو كرامته أو عدالته ، وآخرها تتحدث عن " إرضاء الناموس الأخلاقي للعالم ". هذه الصيغ جميعها صحيحة بدرجات متفاوتة . أما المحدودية التي تشترك فيها جميعا ، فهي أنها ما لم تُصَغْ بدقة شديدة ، فكلها تصور الله باعتباره خاضعا لشيء خارج عن ذاته وأعلى منه يتحكم في أفعاله ، وعليه أن يقدم حسابا له ، ولا يستطيع أن يتحرر منه. إن " الإرضاء " كلمة ملائمة شريطة ان ندرك بوضوح ، أن الله نفسه ، وليس أي شيء خارج عن نفسه ، هو الذي يحتاج ، في كيانه الداخلي ، أن يرضى . والحديث ، عن الناموس والكرامة والعدالة والنظام الأخلاقي ، صحيح فقط إذا ما نظر إليها على أنها تعابير عن طبيعة الله ذاته . فالكفارة " ضرورة " لأنها " تنشأ من داخل الله ذاته ".[١٩]

صحيح أن إرضاء ـ الذات في البشر الساقطين ظاهرة كريهة بشكل بارز، سواء أشارت الى إرضاء غرائزنا وشهواتنا أم الى رضانا عن ذواتنا. ونظرا الى أننا ملوثون ومشوهون بالأنانية ، فإن قولي " ينبغي أن أرضي نفسي" يعني أنني أفتقر إلى ضبط النفس ، بينما قولي " إنني راض عن نفسي" يعني أنني أفتقر الى التواضع . لكن الله لا يفتقر الى ضبط النفس ولا الى التواضع ، بالنظر الى أنه

---

[19] Ronald S. Wallace , *Atoning Death*, p 113.

كامل في جميع أفكاره ورغباته . فقولنا أنه ينبغي أن " يرضي نفسه " يعني ، ينبغي أن يكون هو ذاته ويتصرف بحسب كمال طبيعته أو " اسمه ". فضرورة " الإرضاء" لدى الله لا توجد في أي شيء خارج ذاته بل في داخل ذاته ، في طبيعته التي لا تقبل أي تبدل . فهي ضرورة متأصلة أو جوهرية . إن القانون الذي يجب أن يعمل وفقا له ، وينبغي أن يرضيه ، هو قانون كينونته هو. فهو بصورة سلبية " لايقدر أن ينكر نفسه" (٢تي ٢:١٣) ؛ إنه لا يستطيع أن يناقض نفسه ؛ إنه " المنزه عن الكذب " (تي١:٢ *أبسودس* "خال من كل خداع")، لسبب بسيط هو " أن الله لا يمكن أن يكذب" (عب٦:١٨) ؛ فلا يمكن أبدا أن يكون اعتباطيا ، أو نزويا أو شخصا لا يمكن التنبؤ بما سيفعله ، وهو يقول: " لا أكذب من جهة أمانتي" (مز ٨٩:٣٣). و بصورة إيجابية ، هو " إله أمانة لا جور فيه " (تث٣٢:٤). أي ، أنه صادق مع نفسه ، هو هو لا يتغير.

يستخدم الكتاب المقدس عدة طرق ليلفت الانتباه الى انسجام الله مع ذاته ، و ليؤكد بخاصة أنه عندما يضطر الى إدانة الخطاة ، فإنما يفعل ذلك لأنه ينبغي أن يدينهم ، لكي يبقى صادقا مع نفسه.

المثال الأول هو *لغة الإغضاب*. يوصف يهوه (وبالحقيقة يصف نفسه) بأن "غضبه قد أثير" بسبب عبادة اسرائيل للأصنام أو أثيرت غيرته أو كلاهما. مثلا "أغاروه بالأجانب [الآلهة الأجنبية] وأغاظوه بالأرجاس [أصنامهم النجسة] ".[٢٠] و كان أنبياء السبي مثل إرميا و حزقيال يستخدمون باستمرار مجموع المفردات هذا.[٢١] وهم لم يقصدوا أبدا أن يهوه قد أغضب أو أسخط ، أو أن سلوك أسرائيل كان " استفزازيا " الى حد أنه جعل صبره ينفد. لا ، فإن لغة الإغضاب تعبر عن رد فعل طبيعة الله الكاملة المحتم على الشر. إنها تشير الى أنه يوجد في الله عدم تساهل مقدس تجاه عبادة الأصنام والفجور والجور. فكلما وجدت هذه عملت كحاثات تحرض استجابته الغاضبة أو الساخطة. لا يمكن أن يُغْضَبَ أبدا دونما سبب. فالشر وحده هو الذي يغضبه وهذا بالضرورة نظرا الى أن الله ينبغي أن يكون الله (وأن يتصرف كذلك) . ولو أن الشر *لم* يثر غضبه لفقد احترامنا له لأنه لن يكون الله بعدئذ.

---

[٢٠] تث ٣٢: ١٦، ٢١ قارن قض ٢: ١٢ ؛ ١ مل ١٥: ٣٠ ؛ ٢١: ٢٢ ؛ ٢ مل ١٧: ١٧؛ ٢٢: ١٧ ؛ مز ٧٨: ٥٨

[٢١] مثلا إر ٣٢: ٣٠-٣٢ ؛ حز ٨: ١٧ ؛ هو ١٢: ١٤

ثانيا، هناك *لغة الاحتراق* . تحت هذا العنوان heading يمكن أن تذكر الأفعال التي تصف غضب الله بأنه نار وتتحدث عن " إضرامها " و " احتراقها " و " انطفائها " و" التهامها ". صحيح أنه يقال أن الناس أيضا " يحمى غضبهم ".[٢٢] لكن هذه المجموعة من المفردات تنطبق بالأكثر جدا في العهد القديم على يهوه ، الذي "يحمى غضبه" كلما رأى شعبه يعصون شريعته وينقضون عهده .[٢٣] بالحقيقة، حين "يثار" غضبه على وجه التحديد ، يقال أن " غضبه اشتعل" ،[٢٤] أو أن غيظه " يخرج كنار فيحرق".[٢٥] بنتيجة ذلك نقرأ عن " نار غضبه" أو " نار غيرته" ؛ بالحقيقة إن الله نفسه يجمعهما إذ يشير الى " نار غيرة سخطي".[٢٦] و كما أن إثارة غضب يهوه أمر محتم ، كذلك يشار ضمنا الى حتمية نار غضبه . في صيف فلسطين الجاف والحار كان من السهل أن تشتعل النيران. وهكذا الحال بالنسبة الى غضب يهوه . إلا أنه لا يصدر إطلاقا عن نزوة ؛ و إنما يحدث دائما استجابة للشر. ولم يكن غضبه أبدا خارجا عن سيطرته . ولكنه بعكس ذلك ، وخلال السنوات الأولى من حياة شعب اسرائيل كأمة " كثيرا ما رد غضبه ولم يشعل سخطه".[٢٧] ولكن عندما " لم يستطع أن يحتمل بعد" عصيان شعبه الحرون عليه، قال: " يأتي فأفعله . لا أطلق .[لقد آن أن أتصرف، لا أكبح] ولا أشفق ولا أندم . حسب طرقك و حسب أعمالك يحكمون عليك يقول السيد الرب".[٢٨]

و بقدر ما كان من السهل أن تشتعل النار أثناء فصل الصيف في فلسطين، كان من الصعب اطفاؤها. هكذا الحال من جهة غضب الله ، إذا ما أثير بحق ، " لم يعد يرجع عن حمو غضبه العظيم ، لأن غضبه حمي على يهوذا ". وما أن يشتعل حتى لا يعود " ينطفيء " بسهولة.[٢٩] وبدلا من ذلك عندما " حمي" غضب يهوه على شعبه " أكلهم ". بعبارة أخرى ، كما تؤدي النار الى الدمار، هكذا يقود غضب يهوه

---

[٢٢] مثلا ، تك ٣٩: ١٩ ؛ خر ٣٢: ١٩ ١ صم ١١: ٦ ؛ ٢ صم ١٢: ٥ ؛ أستير ٧: ١٠

[٢٣] مثلا ، يش ٧: ١ ؛ ٢٣: ١٦ ؛ قض ٣: ٨ ؛ ٢ صم ٢٤: ١ ؛ ٢ مل ١٣: ٣ ؛ ٢٢: ١٣ ؛ هو ٨: ٥

[٢٤] مثلا ، تث ٢٩: ٢٧-٢٨ ؛ ٢ مل ٢٢: ١٧ ؛ مز ٧٩: ٥

[٢٥] مثلا ، إرميا ٤: ٤ ؛ ٢١: ١٢

[٢٦] مثلا ، حز ٣٦: ٥-٦ ؛ ٣٨: ١٩ ؛ صف ١: ١٨ ؛ ٣: ٨

[٢٧] مز ٧٨: ٣٨ قارن أش ٤٨: ٩ ؛ مراثي ٣: ٢٢ ؛ وفي العهد الجديد رو٢: ٤ و ٢ بط ٣: ٩

[٢٨] أر ٤٤: ٢٢ ؛ حز ٢٤: ١٣-١٤ ؛ قارن خر ٣٢: ١٠

[٢٩] ٢ مل ٢٣: ٢٦ ؛ ٢٢: ١٧ ؛ ٢ أخ ٣٤: ٢٥ ؛ إر ٢١: ١٢

الى الدينونة . لأن اللـه (يهوه) " نـار آكلـة ".[30] مـا كـانت نـار غضبـه "تنطفـيء" و بالتالي "تخمد" * أو " تتوقف" الا عندمـا تكتمـل دينونتـه ،[31] أو عندمـا يحدث انبعـاث روحي جوهري يؤدي الى عدالة اجتماعية.[32]

إن الصورة المجازية للنار تصادق على مـا يعلمـه مجمـوع مفـردات الإغضـاب. ثمة شيء في كيان الله الأخلاقي الجوهري، " يستثار" بالشر، و "يشـعل" بـه ويشـرع في" الاحتراق" الى أن " يقضي" على الشر.

ثالثا، هناك *لغة الإرضاء ذاتها* . يبدو أن ثمة مجموعة من الكلمات تؤكد حقيقة أن الله ينبغي أن يكون هو ذاته ، وأن ما فـي داخلـه ينبغـي أن يتبدى للعيـان ، وأن مطالب طبيعته وخلقـه ينبغـي أن تلبى بـالفعل الملائـم مـن جانبـه . إن كلمـة *كـالاه* *kalah* هي الكلمة الرئيسة التي يستخدمها حزقيال بخاصـة فيمـا يتعلـق بغضـب اللـه. وتعني " يتم، يصل الى نهايته ، يكمل ، ينجز، ينفق". وتوجد في تشكيلة من السياقات في العهد القديم حيث تشير دوما تقريبا الى " نهاية " شـيء، إمـا لأنـه دمـر أو لأنـه انتهى بطريقة أخـرى. الزمـن والعمـل والحيـاة جميعهـا لهـا نهايـة. فـالدموع تستنفد بالبكاء ، والماء بالاستعمال ، والعشب بالجفاف ، كما أن قوانا البدنيـة تنهك. وهكـذا ينذر الله يهوذا ، عبر كتاب حزقيال ، بأنه على وشك أن " يتم " غضبه " فيهـم" أو "عليهم".[33] لقد رفضوا ان يصغوا إليه ، واستمروا فـي عبـادتهم الأصنـام. وهكـذا أخيرا " بلغ الوقت. اقترب يوم الاضطراب...الآن عـن قريـب أصـب رجـزي عليـك وأتمم سخطي عليك" (حز٧:٧-٨). وإنه لأمر ذو مغـزى أن يـترافق " الصـب" و " الانفاق" ، لأن ما سكب لا يمكن جمعه ثانية ، وما أنفق انتهـى . وتقـترن الصورتـان نفساهما في مراثي إرميا ٤:١١ " أتم (*كالاه*) الرب غضبه ؛ سـكب حمـو غضبـه". بالحقيقة عندما ينفـق غضـب يهـوه فإنـه عندئـذ فقـط " يتوقـف ". كذلـك يشـير هـذان الفعلان ضمنا الى مفهوم مماثل ، هو الضرورة الباطنية . فما يوجد في داخـل يهـوه

---

[30] تث ٤:٢٤ وهي مقتبسة في عب ١٢: ٢٩ . فيما يلي بعض الصور لدينونة الله باعتبارها نارا آكلة : عد ١١: ١ ؛ تث ٦: ١٥ ؛ مز ٥٩: ١٣ ؛ أش ١٠: ١٧ ؛ ٣٠: ٢٧ ؛ مراثي ٢: ٣ ؛ حز ٢٢: ٣١ ؛ صف ١: ١٨

* بحسب *NIV* وهذا الفعل يناسب سياق الآية حز١٦: ٤٢ أكثر مما يناسبه الفعل (أحل).

[31] مثلا ، يش ٧: ٢٦ ؛ حز ٥: ١٣ ؛ ١٦: ٤٢ ؛ ٢١: ١٧

[32] مثلا ، إر ٤: ٤ ؛ ٢١: ١٢

[33] حز ٥: ١٣ ؛ ٦: ١٢ ؛ ٧: ٨ ؛ ١٣: ١٥ ؛ ٢٠: ٨، ٢١

ينبغي أن يتم التعبير عنه. وما يتم التعبير عنه يجب أن " ينفق " تماما أو "يرضى" تماما.

بالاختصار يستثار الله بخطايا شعبه فيغضب عليهم غضبا غيورا. وما إن يشعل غضبه حتى " يحترق" فلا يطفأ بسهولة. إنه "يطلق له العنان" و "يسكبه" و " ينفقه". هذه المجموعة من المفردات ترسم صورة شديدة الوضوح لدينونة الله باعتبار أنها تنبع من داخله ، من طبيعته المقدسة ، وأنها منسجمة كل الانسجام معها، وأنها بالتالي محتمة.

إلا أن الصورة كانت حتى الآن وحيدة الجانب. فقد ركز الأنبياء على غضب يهوه والدينونة الناجمة عنه، لأن تاريخ اسرائيل تميز بالارتداد. أما السبب الذي يجعل هذا التهديد بدمار الأمة مثيرا للمشاعر الى هذا الحد فهو أنه قيل في إطار محبة الله لإسرائيل ، واختياره لهم وعهده معهم . إن العلاقة الخاصة مع اسرائيل التي بدأها الله ودعمها ووعد بتجديدها نشأت أيضا من طبيعته. لقد تصرف " لأجل اسمه". فهو لم يحب بني اسرائيل ولم يخترهم لأنهم كانوا أكثر عددا من بقية الشعوب ، إذ أنهم كانوا الأقل عددا . كلا، فقد أحبهم لأنه أحبهم (تث٧: ٧-٨) . ولا يمكن إعطاء أي تفسير لمحبته لهم سوى محبته لهم.

وهكذا توجد طريقة رابعة، يؤكد بها الكتاب المقدس انسجام الله مع ذاته ، وهي استخدام *لغة الاسم*. إن الله يتصرف دوما " لأجل اسمه ". صحيح أن هذا ليس المعيار الوحيد لنشاطه. فهو يتعامل معنا " حسب أعمالنا ". ولكن ليس بصورة دائمة. و لو فعل ذلك لهلكنا. إذاً ، " فهو لا يصنع معنا حسب خطايانا و لا يجازينا حسب آثامنا ".[٣٤] لأنه " الله الرحيم الرؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء" (خر٣٤:٦). ومع أنه لا يعاملنا دوما "حسب أعمالنا "، فإنه دوما "يعاملنا لأجل اسمه"، أي، بكيفية تنسجم مع طبيعته المعلنة.[٣٥] ويبين الله المفارقة بتعمد في حزقيال٢٠:٤٤ " فتعلمون أني أنا الرب إذا فعلت بكم من أجل اسمي ، لا كطرقكم الشريرة ولا كأعمالكم الفاسدة يا بيت اسرائيل يقول السيد الرب ".

---

[٣٤] مز ١٠٣: ١٠ . اقرأ أيضا الآيات التالية التي تدل على طول أناة الله ، وحجز غضبه وتأجيل دينونته : نح ٩: ٣١ ؛ مراثي ٣: ٢٢ ؛ رو ٢: ٤-١٦ ؛ ٣: ٢٥ ؛ ٢ بط ٣: ٩ . بالمفارقة مثلا مع حز ٧: ٨-٩ ، ٢٧ .

[٣٥] مز ٢٣: ٣ ؛ ١٤٣: ١١

يعبر إرميا ١٤ بشمولية مشددة عن الإقرار بأن يهوه صادق تجاه اسمه ، وسيظل صادقا دوما ، أي صادقا مع نفسه . في ذلك الحين حل بالبلاد جفاف مدمر: فرغت الآبار وتشققت الأرض وفزع الفلاحون وارتبكت البهائم (الآيات١-٦). وفي وسط الخطر العظيم الذي كان يتهددهم صرخ بنو اسرائيل الى الله: " وإن تكن آثامنا تشهد علينا يا رب فاعمل لأجل اسمك" (ع٧). بعبارة أخرى، "مع أننا لا نستطيع أن نتضرع إليك لكي تتصرف على أساس من *نحن* ، فإننا نستطيع أن نتضرع على أساس من *أنت*". تذكر بيت اسرائيل أنهم كانوا شعب الله المختار، وتوسلوا إليه كي يتصرف بطريقة تنسجم مع عهده الرحيم وطبيعته الثابتة ، لأنهم أضافوا قائلين، " قد دعينا باسمك " (الأيتان ٨-٩). وبصورة مغايرة للأنبياء الكذبة، الذين بشروا برسالة لا متوازنة هي رسالة السلام الذي لا تعكره الدينونة ، تنبأ إرميا بـ" السيف والجوع والوبأ " (الآية ١٢). لكنه تطلع أيضا الى ما وراء الدينونة فرأى الإعادة ، وإذ كان مقتنعا بأن يهوه سيتصرف ، قال له ، " من أجل اسمك" (الآية٢١).

في حزقيال ٣٦ نجد توسعا في الموضوع نفسه . فهناك وعد يهوه شعبه بالإعادة بعد الدينونة ، لكنه كان صريحا بصورة مربكة ، بشأن الأسباب التي دعته الى ذلك. " ليس لأجلكم أنا صانع ، يا بيت اسرائيل ، بل لأجل اسمي القدوس" (الآية ٢٢). لقد دنسوه وجعلوه يحتقر، بل ويجدف عليه من الأمم . ولكن لا بد أن يرثي يهوه لاسمه العظيم ويبين من جديد قداسته ، وتفرده ، أمام العالم . لأن الأمم ستعرف حينئذ أنه الرب الحي (الأيتان٢١ ،٢٣). حين يفعل الله هذا " لأجل اسمه"، لا يحميه من أن تؤخذ فكرة خاطئة عنه فحسب ؛ وإنما يفعل هذا لأنه مصمم على أن يكون صادقا نحوه . فاهتمامه بسمعته أقل من اهتمامه بانسجامه مع ذاته .

في ضؤ كل هذه المادة الكتابية المتعلقة بالانسجام الذاتي الإلهي نستطيع أن نفهم لماذا لا يستطيع *الله* أن يفعل ما طلب المسيح *منا نحن* أن نفعله. لقد طلب منا أن " ننكر أنفسنا "، ولكن الله " لا يقدر أن ينكر نفسه".[٣٦] و لماذا لا يقدر على ذلك ؟ و لماذا لا يفعل الله ، وبالحقيقة لا يستطيع أن يفعل ، ما يأمرنا بفعله ؟ ذلك لأن الله هو الله وليس انسانا، بله انسانا ساقطا. ينبغي علينا أن ننكر أو نتبرأ من كل ما بداخلنا من أمور زائفة أي ناشزة عن انسانيتنا الحقيقية . ولكن الله ليس لديه ما ينكره . فلكي نكون نحن ذواتنا الحقيقية ينبغي أن ننكر أنفسنا ؛ ولأن الله لا يمكن مطلقا أن يكون بخلاف ذاته الحقيقية ، فإنه لا يستطيع أن ينكر نفسه وسوف لا

---

[٣٦] مر ٨: ٣٤ ؛ ٢ تي ٢: ١٣

ينكر نفسه . إنه يستطيع أن يخلي نفسه من مجده الشرعي ويتضع ليخدم. بالحقيقة هذا هو بالضبط ما فعله في المسيح (في٢: ٧–٨). لكنه لا يستطيع أن ينكر أي جزء من ذاته ، لأنه كامل . إنه لا يستطيع ان يناقض نفسه . هذه هي استقامته. أما من جهتنا نحن فإننا بصورة ثابتة ندرك تنافراتنا البشرية ؛ وهي تثير عادة تعليقا . فنقول " ليس هذا أبدا من الصفات المميزة لفلان" أو " إنك لست ذاتك اليوم" أو " كنت أتوقع منك شيئا أفضل". ولكن هل نستطيع أن نتصور بأن بوسعنا أن نقول هذه الأشياء عن الله أو نقولها له ؟ إنه هو ذاته دوما ، ولا يمكن أبدا أن يكون غير منسجم مع ذاته . ولو أنه قدر لله في وقت ما أن يتصرف "على نحو غير متميز" بطريقة تتنافى مع طبيعته لكف عن أن يكون الله ، ولأوقع العالم في فوضى أخلاقية . كلا، فالله هو الله ، وهو لن ينحرف أقل انحراف ، حتى بعرض شعرة ، عن أن يكون ذاته تماما.

محبة الله المقدسة

ما علاقة عدم تغير الله بالكفارة ؟ إنها فقط وجوب توفر شرط أساسي في الطريقة التي يختارها الله ليسامح الخطاة ويصالحهم لنفسه، وهو أن تكون، أولا وقبل كل شيء، منسجمة تماما مع طبيعته بالذات. فلا ينبغي فقط أن يطوح بالشيطان ويجرده من سلاحه لكي ينقذ أسراه . بل ولا ينبغي فقط أن يرضي شريعته، أو كرامته أو عدالته أو نظامه الأخلاقي : وإنما ينبغي أن يرضي نفسه. تلك الصيغ الأخرى تلح بحق على أنه يجب إرضاء واحدة على الأقل من الصيغ التي يعبر بها عن نفسه ، فإما أن يرضي شريعته أو شرفه أوعدالته أو النظام الأخلاقي ؛ أما ميزة هذه الصيغة الإضافية فهي أنها تلح على إرضاء الله بالذات في *كل* جانب من جوانب كينونته ، بما في ذلك عدالته ومحبته.

لكننا عندما نفرق هكذا بين صفات الله ونضع إحداها مضادة للأخرى ، بل و نشير الى "مشكلة " إلهية أو "معضلة " إلهية ، بناء على هذا النزاع ، ألسنا في خطر تجاوز الكتاب المقدس ؟ هل كان فورسيث على حق عندما كتب " لا يوجد في الكتاب المقدس ما يفيد بأن ثمة نزاعا بين الصفات" ؟ [٣٧] لا أظن أنه كان على حق. صحيح أن الحديث عن وجود نزاع أو تعارض لدى الله هو إفراط في اللغة التي

---

[37] P. T. Forsyth, *The Work of Christ*, p. 118.

تخلع الصفات البشرية على الله . ولكن من جهة أخـرى لا يخشـى الكتـاب المقدس من خلع الصفات البشرية على الله . يعرف جميع الوالدين الثمن الباهظ للمحبـة ، وما معنى أن تتنازع المرء عواطفه المتعارضـة ، حتـى تكـاد " تمزقـه "، ولا سيما عندما تدعوالحاجة الى معاقبة الأولاد. وربما كان أجرأ نموذج من النمـاذج البشـرية لله التي وردت في الكتاب المقدس هو ألم الأبوة الذي يعزى إليه في الفصل ١١ من كتاب هوشع . فهو يشير الـى اسـرائيل باعتبـاره "غلامـه" و "ابنـه" (الآيـة١) الـذي علمه المشي ، وهو يضمه بين ذراعيه (الآية٣)، وقد أطعمـه (الآيـة٤). إلا أن ابنـه قرر أن يرتد عنه ويسير في طريق العصيان (الآيتان٥-٧) ولذلـك أصبـح يسـتوجب القصـاص. ولكن هل يستطيع أبوه أن يحمل نفسه على معاقبته ؟ هكـذا ينـاجي يهـوه نفسه:

كيف أجعلك يا أفرايم ؟ [كيف أستطيع أن أيأس منك NIV]
كيف أصيرك يا اسرائيل ؟ [كيف أستطيع أن أتخلى عنك]
كيف أجعلك كأدمة ؟ [كيف أستطيع أن أعاملك كأدمة]
كيف أجعلك كصبوييم ؟ [كيف أستطيع أن أجعلك كصبوييم]
قد انقلب علي قلبي ؛
اضطرمت مراحمي جميعا .
لا أجري حمو غضبي ،
لا أعود أخرب أفرايم .
لأني القدوس لا انسان –
القدوس في وسطك.
فلا آتي بسخط (هو ١١:٨-٩).

من المؤكـد أنـه يوجد هنـا تعـارض بيـن العواطـف ، وتنـازع بيـن الصفـات فـي ذات الله. فالأسئلة الأربعة التي تبدأ بـ " كيف أستطيع...؟ " تشـهد عـن صـراع بيـن ما *يلزم* أن يعمله يهوه بسبب بره ، وما *لا يستطيع* أن يفعله بسبب محبته. وهل " انقلاب القلب" عليه سوى توتر داخلي بين "رأفته" و "سخطـه" ؟

يتضمن الكتاب المقدس عددا من العبارات الأخرى التي تعبر بطرق مختلفـة عـن هذه " الثنائية " في داخل الله. فهو " إلـه رحيـم و رؤوف...لكنـه لا يـبريء إبـراء" ؛ فيه " الرحمة والحق التقيا ، البر والسـلام تلاثمـا " ؛ ويعلـن بأنـه "بـار ومخلـص" ،

وليس بجانبه إله آخر، و " في الغضب يذكر الرحمة ". يصف يوحنا الكلمة المتجسد، ابن الله الوحيد، بأنه " مملوء نعمة وحقا " ؛ وإذ يتأمل بولس في معاملات الله مع كل من اليهود والأمم ، يدعونا الى التأمل في " لطف الله وصرامته". وفيما يتعلق بالصليب والخلاص ، يكتب بولس أيضا موضحا عدالته " ليكون بارا ويبرر من لديه الإيمان بيسوع "، ولا يجد أي شذوذ في وضع الشواهد التي تشير الى "غضب" الله و" محبته " جنبا الى جنب ، بينما يؤكد يوحنا لنا، أننا اذا اعترفنا بخطايانا، فسوف يكون الله "عادلا وأمينا" ليغفر لنا.[٣٨] لدينا هنا تسعة أشفاع ، يتكون كل شفع منها من حقيقتين متكاملتين تتعلقان بالله وكأنهما ترميان الى تذكيرنا بوجوب الحذر من التحدث عن جانب من جوانب طبيعة الله دون تذكر الجانب النظير له.

لم يتردد إميل برونر في أن يكتب في كتابه، *الوسيط* عن " الطبيعة الثنائية " لله بوصفها "السر المركزي في الإعلان المسيحي" (ص٥١٩). لأن " الله ليس مجرد محبة. فلا يمكن أن تعرض طبيعة الله عرضا شاملا مستوفى بكلمة واحدة " (ص ٢٨١-٢٨٢) .إن المعارضة العصرية للغة القضائية فيما يتعلق بالصليب، " إنما ترجع"، بالحقيقة وبصورة رئيسة ، "الى الحقيقة الواقعة وهي أن فكرة القداسة الإلهية ابتلعت من قبل فكرة المحبة الإلهية ؛ وهذا يعني أن الفكرة الكتابية عن الله ، التي تشكل فيها ثنائية المحبة والقداسة في طبيعته العنصر الحاسم ، قد أبدلت بها الفكرة العصرية الأحدية monistic الأحادية الجانب unilateral عن الله " (ص٤٦٧). مع ذلك فإن " ثنائية dualism القداسة والمحبة ، الرحمة والغضب ، لا يمكن أن تفسخ وتغير الى مفهوم *واحد* تركيبي ، دون أن تدمر في الوقت نفسه جدية المعرفة الكتابية عن الله ، وحقيقة الإعلان والكفارة وسرهما . هنا تنشأ 'جدلية dialectic ' مجمل اللاهوت المسيحي الأصيل الذي يهدف ببساطة الى التعبير بأسلوب فكري عن طبيعة هذه الثنائية غير القابلة للفسخ " (ص٥١٩، التذييل). وهكذا فإن صليب المسيح "هو الحدث الذي يبين الله به قداسته ومحبته معا، في حدث واحد وبطريقة كاملة " (ص٤٥٠). " إن الصليب هو المكان الوحيد الذي يتجلى فيه الله المحب الغافر الرحيم بحيث نستطيع أن ندرك أن قداسته ومحبته لامتناهيتان على حد سواء" (ص٤٧٠). بالحقيقة " يمكن أن يلخص الجانب الموضوعي في الكفارة بما

---

[٣٨] خر ٣٤: ٦-٧ ؛ مز ٨٥: ١٠ ؛ أش ٤٥: ٢١ ؛ حب ٣: ٢ ؛ مي ٧: ١٨ ؛ يو ١: ١٤ ؛ رو ١١: ٢٢ ؛ ٣: ٢٦ ؛ أف ٢: ٣-٤ ؛ ١ يو ١: ٩ .

لي: إنها تقوم على الجمع بين البر المتعذر تغييره ، والعقوبات المتعلقة به ، وبين لمحبة الفائقة " (ص٥٢٠).

في الوقت نفسه لا يجوزأبدا ان تعتقد أن الثنائية في كينونة الله تمثل تنافرا. لأن لله ليس في خلاف مع نفسه مهما بدا لنا أنه كذلك. إنه "إله السلام" ، إله السكينة لباطنية لا الاضطراب. حقا إنه من الصعب علينا أن نحتفظ في أذهاننا في آن واحد بصورة الله القاضي الذي يجب أن يعاقب الأشرار وصورة الله المحب الذي يجب أن يجد طريقة لمسامحتهم. مع ذلك فإنه القاضي والمحب كليهما، وفي الوقت نفسه. كتب جي. سي. بركوورBercouwer: "في صليب المسيح أظهرت عدالة الله ومحبته *في آن واحد*"،[٣٩] بينما كان كالفن أجرأ من ذلك ، مرجعا صدى كلمات أغسطين ، حين كتب ، "أن الله أحبنا بطريقة رائعة وإلهية حتى عندما أبغضنا".[٤٠] بالحقيقة إن العاطفتين أكثر من متزامنتين إنهما متماثلتان ، أو هما على الأقل بديلان يعبران عن الحقيقة نفسها . " لإن غضب الله " وفقا لعبارة برونر الجريئة "هو محبة الله بالشكل الذي يختبرها فيه من ارتد عن الله وعاداه ".[٤١]

لقد ابتكر ب. تي. فورسيث ، وهو لاهوتي كابد من هذا التوتر، تعبير "محبة الله المقدسة " أو جعله ، على الأقل ، في متناول الجمهور.

كتب فورسيث: تهتم المسيحية ، قبل أي شيء آخر، بقداسة الله ، التي تتدفق نحو الانسان كمحبة... فالبدء بالقداسة السامية التي تتصف بها محبة الله، وليس بالأحرى شفقتها أو تعاطفها أوعاطفتها ، هو ما يشكل الخط الفاصل بين الإنجيل والتحررية liberalism اللاهوتية.... نقطة انطلاقي هي أن اهتمام المسيح الأول وإعلانه لم يكونا ، ببساطة ، محبة الله الغافرة بل قداسة هذه المحبة.

وكتب أيضا،

---

39 G. C. Berkouwer, *Work of Christ*, p. 277.

40 *Institutes*, II. xvi. 4 . *Cf*. II.xvii. 2.

41 Emil Brunner, *Man in Revolt*, p. 187 .

إذا قللنا الكلام عن محبة الله وأكثرنا الكلام عن قداسته ، وعن دينونته نكون قد قلنا الكثير عن محبته.[٤٢]

وكتب أيضا ،

لو لم يكن هناك إلـه قدوس لمـا وجدت مشكلة الكفـارة . إن قداسـة محبـة اللـه، تستدعي بالضرورة الصليب المكفر atoning ....[٤٣]

إن رؤيا محبة الله المقدسة ستخلصنا من الصور الساخرة التي ترسم لـه . فـلا يجوز أن نتصوره باعتباره إلها متساهلا يقبل أن يُعَـرِّضَ قداسته للخطـر لكـي يمنـع عصاه عنا ويفسدنا، ولا باعتباره إلها قاسيا محبـا للانتقـام يقمـع محبتـه لكـي يسحقنا ويدمرنا. فكيف يستطيع اللـه أن يعبر عن قداسته دون أن يفنينـا، وعـن محبتـه دون أن يتساهل تجاه خطايانـا ؟ كيـف يستطيع أن يخلصنـا *نحـن* ويرضـي *نفسه* فـي آن واحد ؟ نجيب في هذه المرحلة فقط بقولنا، إن اللـه ـ بغيـة إرضـاء نفسـه ـ ضحـى بنفسه لأجلنا ، وبالحقيقة حل محلنا . أما ما عناه ذلك فسوف نهتم بفهمه فـي الفصـل التالي.

تحت صليب يسوع
أود أن أقف بسرور
إنه ظل صخرة جبارة
في أرض متعبة

يا له من ملجأ أمين !
إنه مكان ـ اللقاء الحلو
حيث تلتقي محبة السماء
وعدالة السماء.

---

42 P. T. Forsyth, *Cruciality of the Cross*, pp. 5-6 and 73.

43 P. T. Forsyth, *work of Christ*, p. 80. He also uses the expression ' holy love' in *The Justification of God*, especially pp. 124-131 and 190-195. William Temple picked it up in *Christus Veritas*, especially pp. 257-260.

٦

إبدال الله – الذاتي

لقد عينا موضع مشكلة الغفران في جسامة الخطية وجلال الله ، أي في حقيقتين هما ، من نحن ، ومن هو. كيف تستطيع محبة الله المقدسة أن تتقبل وتفهم لامحبوبية lovelessness الانسان غيرالمقدسة ؟ ماذا يحدث اذا تصادمت الصفتان؟ هذه المشكلة ليست خارجة عن الله ؛ إنها داخل كينونته. ونظرا الى أن الله لا يناقض نفسه مطلقا ، فينبغي أن يكون هو نفسه و"يرضي" نفسه ، متصرفا بانسجام تام مع كمال طبيعته . كتب جيمس دني: "إن إقرارهذه الضرورة الإلهية أو الفشل في إقرارها هو ، في آخر الأمر، الذي يقسم مفسري المسيحية الى إنجيليين وغير إنجيليين ، أي الى أناس مخلصين للعهد الجديد وأناس لا يستطيعون أن يستوعبوه".[١]

أضف الى ذلك ، كما رأينا، فإن هذه الضرورة الداخلية لا تعني أن الله ينبغي أن يكون مخلصا نحو جزء واحد فقط من ذاته (إما شريعته أو كرامته أو عدالته)، ولا تعني أنه ينبغي أن يعبر عن إحدى صفاته (إما محبته أو قداسته) على حساب صفة أخرى ، ولكنها تعني بالأحرى أنه ينبغي أن يكون هو نفسه تماما ودون تغيير بملء كينونته الأخلاقية. لقد ألح ت. جي. كراوفورد T.J.Crawford على هذه النقطة: "من الخطأ تماما...الافتراض أن الله يتصرف وفقا لإحدى صفاته مرة ويتصرف مرة أخرى وفقا لصفة أخرى . إنه يتصرف بانسجام مع جميع الصفات ، وفي كل الأوقات...أما فيما يتعلق بالعدالة الإلهية والرحمة الإلهية على الخصوص ، فإن غاية عمل المسيح لم تكن إحلال الانسجام بين هاتين الصفتين ، وكأنهما كانتا على خلاف ، وإنما كانت إظهارهما مجتمعتين ، وتعظيمهما ، في فداء الخطاة . إن ما يعرض في الصليب هو هاتان الصفتان وهما *تعملان متحدتين لا متضادتين*".[٢]

[1] James Denney, *Atonement*, p. 82.

[2] Thomas J. Crawford, *Doctrine of Holy Scripture*, pp. 453-454.

كيف استطاع الله إذا أن يعبر في آن واحد عن قداسته بالدينونة وعن محبته بالعفو ؟ استطاع ذلك فقط بتأمين بديل إلهي للخاطيء ، بحيث يتلقى البديل الدينونة وينال الخاطيء العفو. وما زال علينا نحن الخطاة أن نتحمل طبعا بعضا من النتائج الشخصية والنفسية والاجتماعية المترتبة على خطايانا ، أما النتيجة الجزائية ، وهي العقوبة المستحقة من جراء الاغتراب عن الله ، فقد حملها آخر عوضا عنا ، لكي نعفى منها . لم أقع على بيان يشرح الطبيعة البدلية للكفارة أكثر دقة من البيان الذي أورده تشارلز إي. ب. كرانفيلد Charles E. B. Cranfield في تفسيره *للرسالة الى الرومانيين*. ومع أنه يلخص الاستنتاج الذي يهدف هذا الفصل الى البرهان عليه ، فقد يكون من المفيد اقتباسه هنا في بداية الفصل ، بحيث نعرف الاتجاه الذي سنتقدم نحوه . وأقتبس فيما يلي جزءا من تفسير الدكتور كرانفيلد للرسالة الى الرومانيين ٣: ٢٥. كتب يقول:

> لقد أراد الله بسبب رحمته أن يغفر للبشر الخطاة ، ولأنه رحيم حقا، أراد أن يسامحهم بحق وعدل ، أي دون أن يتساهل مع خطيتهم بأي شكل من الأشكال ، فارتأى أن يوجه ضد نفسه بالذات بشخص ابنه مجمل ثقل ذلك الغضب العادل الذي استحقوه (ص٢١٧).

إن الأسئلة الحياتية التي ينبغي أن تشغلنا الآن هي هذه : من هو هذا "البديل" ؟ وكيف يتسنى لنا ، أن نفهم فكرة استبدال نفسه بنا ، وأن نبرر هذه الفكرة ؟ إن أفضل طريقة للاقتراب من هذه الأسئلة هي أن نتأمل ذبائح العهد القديم ، نظرا الى أنها كانت بحسب قصد الله إعدادا لذبيحة المسيح .

الذبيحة في العهد القديم

"إن تفسير موت المسيح كذبيحة جزء لا يتجزأ من كل نمط هام من أنماط تعليم العهد الجديد".[٣] فالمفردات والمصطلحات القربانية منتشرة جدا فيه . أحيانا تكون الإشارة غير غامضة كما هوالحال عندما يقول بولس أن المسيح " أسلم نفسه لأجلنا قربانا (*تيزيا*) وذبيحة لله طيبة الرائحة (*بروسفورا*: ذبيحة طيبة الرائحة) "

---

[3] From the article ' Sacrifice' by W. P. Paterson, p. 343.

(أف٥:٢) . وفي أحوال أخرى يكون التلميح أقل وضوحا ، فيقول ببساطة أن المسيح "بذل نفسه" (مثلا غل١:٤) أو " قدم نفسه " (مثلا،عب٩:١٤) لأجلنا، ولكن خلفية هذا الفكر تظل في النظام الذبائحي الموجود في العهد القديم. إن القول بخاصة، أنه مات " لأجل الخطية " أو " لأجل الخطايا " (مثلا رو٨:٣ و ١بط ٣:١٨)، يستخدم عن وعي الترجمة اليونانية لـ "ذبيحةالخطية"(*بري هامرتياس*). إن الرسالة الى العبرانيين تصور، بالحقيقة ، ذبيحة يسوع المسيح على أنها تممت بصورة كاملة " ظلال " العهد القديم. لأنه قدم نفسه (لا الحيوانات)، ذبيحة ، مرة واحدة (وليس بصورة متكررة)، وهكذا لم يضمن لنا التطهير الطقسي ، والإعادة الى حظوة جماعة العهد فحسب ، بل تطهير ضمائرنا وإعادتنا الى الشركة مع الله الحي أيضا .

لكن ما الذي كانت تدل عليه ذبائح العهد القديم ؟ وهل كان لها معنى إبدالي ؟ للإجابة عن هذين السؤالين ، ينبغي ألا نخطيء بالالتفات أولا الى دراسات علم الانسان anthropology . صحيح أن الكهنة والمذابح والذبائح ، على ما يبدو، ظاهرة شاملة عرفت في العالم القديم ، ولكن لا يحق لنا الافتراض *بداهة* *a priori* أن الذبائح العبرية كان لها معنى يطابق معنى الذبائح الوثنية. ربما كان لهما بالفعل أصل مشترك في إعلان الله الى أسلافنا الأولين . لكننا نكون أكثر انسجاما مع الإقرار بمنزلة الكتاب المقدس الخاصة ، اذا قلنا ، إن الإسرائيليين (بالرغم من ارتدادهم) حافظوا على جوهر قصد الله الأصلي ، بينما كانت الذبائح الوثنية تحريفات فاسدة له.

كانت الذبائح في العهد القديم، تقدم في عدد كبير من المناسبات المختلفة. فكانت تقترن ، مثلا، بالندامة وبالاحتفال ، وبالحاجة الوطنية ، وبتجديد العهد وأعياد العائلة والتكريس الشخصي. هذا التنوع يحذرنا من أن نفرض عليها معنى وحيدا أو بسيطا. مع ذلك يبدو أنه كان هناك مفهومان أساسيان متكاملان بشأن الذبيحة بموجب إعلان الله في العهد القديم ، اقترن كل منهما بقرابين خاصة. الأول كان يعبر عن احساس البشر بأنهم يخصون الله بحكم الحق by right والثاني كان يعبر عن احساسهم باغترابهم عن الله بسبب خطيتهم وإثمهم. من الذبائح المميزة للمفهوم الأول ذبيحة ["السلامة" أو "الشركة "]، التي كانت تقترن غالبا بالشكر (لا ٧:١٢)، وذبيحة المحرقة (التي كانت تحرق كل أجزائها) وطقس أعياد الحصاد السنوية الثلاثة (خر٢٣:١٤-١٧). أما الذبائح المميزة للمفهوم الثاني فهي ذبيحة الخطية

وذبيحة الإثم ، حيث كان من الضروري أثناء تقديمهما الإقرار بالحاجة الى كفارة . ومن الخطأ التفريق بين هذين النوعين من الذبائح باعتبارهما يمثلان على التوالي اقتراب الانسان الى الله (مقدما هدايا، بله رشوات لكسب رضاه) واقتراب الله من الانسان (مقدما الغفران والمصالحة). لأن كلا النوعين من الذبائح كان بصورة جوهرية إقرارات بنعمة الله وتعبيرات عن الاتكال عليه. من الأفضل ان نفرق بينهما ، كما فعل ب. ب. وارفيلد B. B. Warfield ، فنرى في ذبائح النوع الأول " أن الانسان يصور كمجرد مخلوق" ونرى في النوع الثاني "حاجات الانسان باعتباره خاطئا ". أو نرى ، اذا شئنا التوسع في هذا التفريق نفسه ، أن الانسان في حال تقديم النوع الأول "مخلوق يطالب بالحماية "، وفي حال تقديم النوع الثاني "خاطيء يلتمس الغفران".؛

ثم أن الله يظهر في الذبائح، باعتبار بأنه الخالق الذي يعتمد عليه الانسان لتأمين حياته المادية من جهة ، وفي آن واحد يظهر الله من جهة أخرى ، باعتبار أنه القاضي والمخلص الذي يؤمن الكفارة عن الخطية . ومن المعترف به بالإضافة الى ما سبق أن النوع الأخير من الذبائح يشكل أساس النوع الأول ، من حيث أن مصالحتنا مع قاضينا ضرورية حتى قبل أن نعبد خالقنا. ولهذا فإنه من الأهمية بمكان أن ذبيحة الخطية " للتكفير عن جميع اسرائيل" أثناء تطهير حزقيا للهيكل قُدِّمَتْ قبل ذبيحة المحرقة (٢أخ ٢٩:٢٠-٢٤). علاوة على ذلك ، ربما أمكننا أن نميز نوعي الذبيحة في قرباني قابيل وهابيل ، مع أنه أطلق عليهما تعبير *منحا*، أي قربان. يبين لنا الكتاب أن سبب رفض قايين هو أنه لم يستجب بالإيمان لإعلان الله ، كما استجاب هابيل (عب١١:٤). فهو بصورة مغايرة لإرادة الله المعلنة ، إما أن يكون قد وضع العبادة قبل الكفارة أو أنه شَوَّهَ تقديمه لثمار الأرض فحولها من إقرار بهبات الخالق الى تقدمة منه هو .

إن فكرة الإبدال تعني أن يحل شخص محل شخص آخر وذلك بخاصة لكي يحمل ألمه وهكذا يخلصه منه. مثل هذا الفعل يعد ، بصورة عمومية ، عملا نبيلا. من الخير أن نجنب الناس الألم ؛ وسيكون الخير مضاعفا عندما يقوم المرء بذلك على حساب حمله هو لهذا الألم . إننا نعجب بإيثار موسى إذ كان يريد أن يمحى اسمه

؛ From the essay ' Christ our Sacrifice ' by B. B. Warfield, published in *Biblical Doctrines*, pp. 401-435 ; especially p. 411.

ن كتاب يهوه لو أدى ذلك في النهاية الى مسامحة اسرائيل (خر ٣٢:٣٢). كذلك حترم أيضا رغبة مماثلة تقريبا عبر عنها بولس (رو ٩:١-٤)، ووعدا قطعه بدفع لديون الى فيليمون (فل ١٨-١٩). وهناك حالة مماثلة في القرن الحالي ؛ فلا ستطيع أن نكف عن التأثر العميق ببطولة الأب ماكسيميليان كولبي Maximilian Kolbe ، الفرنسيكاني البولاندي ، في معسكر أوشفيتس Auschwitz للتعذيب. فعندما م اختيار عدد من السجناء لإعدامهم وصاح أحدهم أنه متزوج وله أولاد " قفز الاب ولبي الى الأمام ، وطلب ، اذا كان بالإمكان ، أن يأخذ مكان الرجل المحكوم عليه. قبلت السلطات طلبه ، ووضع في زنزانة تحت الأرض حيث ترك ليموت جوعا".[5]

إذا ليس من المدهش أن يكون الله نفسه قد طبق على الذبائح مبدأ الإبدال هذا ، لمفهوم عموما. فإبراهيم أخذ الكبش الذي دبره الله " وأصعده محرقة عوضا عن بنه " (تك ٢٢:١٣). وموسى سن قانونا ينص على أنه ، في حال جريمة قتل ارتكبها جهول، ينبغي على شيوخ المدينة أن يعلنوا أولا براءتهم ثم يقربوا عجلة عوضا عن القاتل المجهول (تث ٢١:١-٩). من الجلي أن ميخا فهم تماما المبدأ الإبدالي ، لأنه يناجي نفسه بخصوص الكيفية التي ينبغي أن يتقدم بها الى الله ، ويتساءل عما ذا كان عليه أن يتقدم بمحرقات أو حيوانات أو أنهار من الزيت أو حتى بـ "بكري عن معصيتي ، ثمرة جسدي عن خطية نفسي". إن الجواب الأخلاقي الذي رد به على سؤاله عوضا عن الجواب الطقسي ، ولا سيما رفضه للفكرة المرعبة ، وهي تقديم ابنه عوضا عن نفسه ، لا يعني أنه رفض المبدأ الإبدالي الذي بني عليه نظام لذبائح في العهد القديم (مي ٦:٦-٨).

هذا النظام الموسع كفل تقديم القرابين والذبائح اليومية والأسبوعية والشهرية السنوية والعرَضية . كما تضمن خمس أنماط رئيسة من القرابين وردت بالتفصيل ي الفصول الأولى من كتاب اللاويين ، وهي المحرقة والتقدمة (تقدمة الحبوب) السلامة والخطية والإثم . ونظرا الى أن قربان التقدمة لم يكن مؤلفا من اللحم الدم ، بل بالأحرى من الحبوب و الزيت ، فقد كان شاذا ولذلك كان يرفق بإحدى لذبائح الأخرى . أما القرابين الأربعة الباقية فقد كانت ذبائح دموية ، ومع أنه كانت ينها فروق (تتعلق بمناسبات تقديمها ، وبأوجه استعمال اللحم والدم المحددة بدقة) ،

[5] The story is told by Trevor Beeson in *Discretion and Valour*, p. 139.

فجميعها كانت تشترك في الطقس الأساسي نفسه الذي يشمل العابد والكاهن. كان طقسا مفعما بالحيوية . فكان العابد يحضر الذبيحة ويضع يده أو يديه عليها ويقتلها وبعدئذ يسكب الكاهن الدم ، ويحرق بعضا من اللحم ثم يقوم بالترتيبات الضرورية لاستهلاك ما تبقى منها. كانت هذه رمزية ذات مغزى ، لا سحرا بغير معنى . فعندما كان مقدم الذبيحة يضع يده (أو يديه) على الحيوان ، فإنه كان بالتأكيد يدمج نفسه به ، ويشير، "بمهابة الى الضحية التي تقوم مقامه".[٦] يمضي بعض العلماء إلى أبعد من ذلك فيعتبرون أن وضع اليدين بمثابة " نقل رمزي لخطايا العابد الى الحيوان" [٧] ، كما كان هذا واضحا في حالة التيس الذي خرجت عليه القرعة لعزازيل * التي ستتم دراستها في هذا الفصل . وفي كلا الحالين بعد أن يأخذ الحيوان البديل مكان العابد ، يقتل إقرارا بأن أجرة الخطية هي موت ، أما دمه (الذي يرمزالى أن موته قد تحقق) فكان يرش ، وهكذا تصان حياة مقدم الذبيحة .

إلا أن أوضح تعبير، يفيد بأن الذبائح الدموية التي كانت تقدم أثناء طقس العهد القديم كان لها دلالة إبدالية ، وأن هذا ما جعل سفك الدم ورشه ضروريين للكفارة ، إنما هو التعبير الذي فسر الله بوساطته سبب تحريمه أكل الدم:

" لأن نفس الجسد هي في الدم فأنا أعطيتكم إياه على المذبح للتكفير عن نفوسكم لأن الدم يكفر عن النفس" (لا ١٧: ١١).

توجد في هذا المقطع ثلاث تأكيدات هامة بشأن الدم . أولا، الدم هو رمز الحياة. هذا الفهم " بأن الدم حياة " يبدو قديما جدا. إنه يعود على الأقل الى زمان نوح ، الذي نهاه الله عن أكل اللحم الذي ما زالت "حياته أي دمه" فيه (تك ٩: ٤)، وتكرر فيما بعد بصيغة أخرى " لأن الدم هوالنفس [الحياة] " (تث١٢: ٢٣). إلا أن التشديد

---

[6] F. D. Kidner, *Sacrifice in the old Testament*, p. 14. See also the article 'Sacrifice and offering' by R. J. Thompson and R. T. Beckwith, and the additional note on 'Old Testament sacrifice' by G. J. Wenham in his *Commentary on Numbers*, pp. 202-205.

[7] Leon Morris, *Atonement*, p. 47 .

* يقبل معظم العلماء بان عزازيل Azazel هو رئيس الأرواح الشريرة التي في البرية ،.و التي يمكن أن تُسَوَّى بـ "الشياطين" [الأوثان] (تث ٣٢: ١٧ و مز ١٠٦: ٣٧) و التيوس (٢ أخ ١١: ١٥) التي تمثل أحد الآلهة الكنعانية Satyr وهو إله ذو طبيعة وحشية وشهوانية .(موسوعة زوندرفان) The Zondervan Pictorial Encyclopedia of The Bible Vol. I . p. 426 and Vol . V . p. 286. [المترجم]

م يكن على الدم المتدفق في الأوعية الدموية ، رمز الحياة المعاشة ، بل على الدم لمسفوك ، رمز الحياة التي انتهت ، بوسيلة عنيفة عادة .

ثانيا، الدم يحقق الكفارة ، وسبب دلالته التكفيرية موضح في تكرار كلمة "نفس" حياة]. إن السبب الذي يجعل " الدم يكفر عن النفس" هو " لأن نفس الجسد هي في لدم". هناك حياة تفقد ، وحياة أخرى تقدم الضحية نيابة عنها. فالذي يحقق الكفارة على المذبح " هو سفك دم الحياة البدلي . وقد وفق ت. جي. كراوفورد في التعبير عن ذلك: " النص إذن بحسب معناه الواضح والصريح يعلم عن الطبيعة *البدلية* طقس الذبيحة. هناك *حياة تعطى بدلا من حياة* ، حياة الضحية بدلا من حياة مقدمها ، بالحقيقة "حياة الضحية البريئة ، بدلا من حياة المقدم الخاطيء".[٨]

ثالثا ، لقد أعطي الدم من قبل الله لهذا الغرض التكفيري . يقول الله " وأنا أعطيتكم إياه على المذبح للتكفير عن نفوسكم ". وهكذا ينبغي علينا أن نفكر في النظام الذبائحي ، باعتباره معطى من الله ، لا من صنع الانسان ، وفي الذبائح الفردية ، ليس باعتبارها وسيلة بشرية لاسترضاء الله بل وسيلة للكفارة دبرها الله نفسه.

هذه الخلفية الموجودة في العهد القديم تساعدنا في فهم مقطعين حاسمين في الرسالة الى العبرانيين . أولهما ، "إنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة " (٩:٢٢)، والثاني " لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا " (١٠:٤). إن كون الغفران لا يتم بدون دم معناه أن الكفارة لا تتم بدون إبدال . ينبغي أن يكون هناك حياة بدلا من حياة أو دم بدلا من دم . ولكن الذبائح الدموية في العهد القديم كانت ظلالا فقط؛ أما الجوهر فكان المسيح . ولكي يكون البديل فعالا ينبغي أن يكون مكافئا ملائما. فالذبائح الحيوانية لا يمكن أن تكفر عن البشر ، لأن الانسان " أفضل من الخروف بكثير "، كما قال يسوع نفسه (مت ١٢:١٢). فـ "دم يسوع الكريم" فقط كان يملك قيمة كافية (١بط ١:١٩).

---

[8] T. J. Crawford, *Doctrine of Holy Scripture* , pp. 237, 241 .

الفصح و " حَمَلُ الخطية"

ننتقل الآن من مبدأ الإبدال ، كما يرى فيما يقوله العهد القديم عن الذبائح الدموية عامة. الى مثالين مخصوصين عنه ، هما الفصح ومفهوم " حمل الخطية ".

من الصواب البدء بالفصح لسببين. أولهما أن الفصح الأصلي ميز بداية الحياة الوطنية لإسرائيل . قال الله لهم "هذا الشهر يكون لكم رأس الشهور، هو لكم أول شهور السنة " (خر ١٢:٢). كان هذا الشهر سيدشن تقويمهم السنوي لأن الله فداهم فيه من عبوديتهم الطويلة القاسية في مصر، ولأن الخروج أدى الى تجديد عهد الله معهم عند جبل سيناء . ولكن قبل الخروج وقبل العهد صار الفصح. كان عليهم أن "يعيدوا ذلك اليوم جيلا بعد جيل " ؛ وكان عليهم " أن يحفظوه عيدا للرب ــ فريضة أبدية " (خر ١٢: ١٤، ١٧).

السبب الثاني للبدء بالفصح هنا هو أن العهد الجديد استعرف موت المسيح بأنه إتمام الفصح ، واستعرف انبثاق جماعته المفدية الجديدة بانه خروج جديد . وليس سبب هذا الاستعراف هو فقط مناداة يوحنا المعمدان بيسوع باعتباره "حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يو ١:٢٩، ٣٦)، [٩] ولا تعليق يسوع على الصليب بحسب الترتيب الدقيق للنهاية الذي حدده يوحنا ، في الوقت الذي كانت تذبح فيه حملان الفصح ، [١٠] ولا حتى العبادة التي تقدم له ، كما ورد في سفر الرؤيا ، باعتباره الخروف المذبوح الذي اشترى الناس لله بدمه، [١١] ولكن سببه بخاصة هو أن بولس يصرح بصورة قاطعة: "المسيح حَمَلُ فصحنا، قد ذبح...إذا لنعيد.."(١كو٥:٧-٨).

فماذا حدث اذا عند الفصح الأول ؟ وماذا يخبرنا ذلك عن المسيح ، حَمَلِ فصحنا ؟

---

[٩] ما زال يدور بين العلماء نقاش حول ما إذا كان "حمل الله" الذي ذكره يوحنا المعمدان يشير إلى حمل الفصح ، أو *التاميد* (حمل الذبيحة اليومية) ، أو ربط اسحاق (تك ٢٢) ، أو الكبش الوارد في الأبوكريفا اليهودية ، أو عبد الرب المتألم في أشعياء ٥٣ . راجع محاضرة جورج ل. كاري George L. Carey بعنوان "حمل الله" Lamb of God, pp. 97-122، حيث تجد ملخصا وافيا للمناقشات ، في ضوء استخدام كاتب الانجيل الرابع للعهد القديم.

[١٠] مثلا ، يو ١٣: ١ ؛ ١٨: ٢٨ ؛ ١٩: ١٤، ٣١ .

[١١] رؤ ٥: ٦، ٩، ١٢ ؛ ١٢: ١١ . يُسَوَّى يسوع بـ "الحمل" ثمان وعشرين مرة في كتاب الرؤيا.

في قصة الفصح (خر ١١-١٣) يكشف الله عن ذاته عن طريق ثلاثة أدوار يقوم ها. أولا، أظهر الله نفسه باعتباره القاضي. وخلفية هذا الدور هي التهديد بالضربة لأخيرة . كان على موسى أن ينذر فرعون ، بتعابير غاية في المهابة ، بأن يهوه فسه سوف يجتاز في مصر ويضرب كل بكر فيها. ولن يكون هناك تمييز سواء ين البشر والحيوانات أو بين مختلف طبقات المجتمع . كل بكر ذكر سيموت. ستكون هناك طريق واحدة للنجاة دبرها الله وأمنها.

ثانيا، أظهر يهوه نفسه بوصفه الفادي . كان على كل أسرة اسرائيلية أن تختار ي اليوم العاشر من الشهر

ا (ذكرا ابن سنة بدون عيب)، و تذبحه في اليوم الرابع عشر. ثم يأخذون بعضا ن دم الحمل ، و يغمسون باقة الزوفا في الدم و يمسون عتبة باب البيت العليا القائمتين . وقد حظر عليهم أن يخرجوا من بيوتهم طوال تلك الليلة . فبعد أن سفكوا الدم و يرشوه ، يجب عليهم أن يحتموا به [تحته]، لأن يهوه الذي كان قد علن عزمه على أن "يجتاز" في مصر بالدينونة أضاف الآن وعده بأن "يعبر عن" ل بيت يحمل علامة الدم لكي يحميه من الدمار الذي هدد بانزاله.

ثالثا، أظهر يهوه نفسه باعتبار أنه إله عهد اسرائيل. لقد فداهم لكي يجعلهم شعبه لخاص . فعندما خلصهم من دينونته كان عليهم أن يحتفلوا بذكرى نجاتهم ويعلنوا جودته . في ليلة الفصح ذاتها كان عليهم أن يُعـيِّدوا بالحمل المشوي، وبأعشاب مرة خبز فطير، وأن يفعلوا ذلك وأحقاؤهم مشدودة ، وأحذيتهم في أرجلهم وعصيهم ي أيديهم مستعدين لكي يُنقَذوا في أي لحظة. إن بعض معالم وجبة الطعام كانت حدثهم عن ضيقهم السابق (مثلا، الأعشاب المرة)، وبعضها كانت تحدثهم عن حريرهم العتيد(مثلا لباسهم). وفي كل ذكرى سنوية ، كان العيد يدوم سبعة أيام ، كان عليهم أن يشرحوا لأولادهم ما الذي كان يعنيه مجمل الاحتفال: " إنها ذبيحة صح للرب الذي عبر عن بيوت بني اسرائيل في مصر لما ضرب الرب لمصريين وخلص بيوتنا ". بالإضافة الى الاحتفال الذي كانت تشارك فيه العائلة كاملها ، كان ينبغي القيام بطقس خاص بالأبكار الذكور. فهم الذين أُنقِذوا شخصيا ن الموت ، بموت حملان الفصح . ونظرا الى أنهم افتدوا ، فقد أصبحوا، بطريقة ما، يخصون يهوه الذي اشتراهم بالدم ، ولذلك وجب ان يكرسوا لخدمته.

لا بد أن الرسالة كانت واضحة تماما للإسرائيليين ، وهي أيضا واضحة لنا نحن الذين نرى إتمام الفصح في ذبيحة المسيح . أولا، أن القاضي والمخلص هما الشخص نفسه. فالله الذي "اجتاز في" مصرليدين الأبكار ، بوصفه القاضي " عبر عن" بيوت الإسرائيليين ليحميهم. لا يجوز أبدا أن نصور الآب بوصفه القاضي والابن باعتباره المخلص . لأن الله بعينه في المسيح هو الذي يخلصنا من نفسه. ثانيا، كان الخلاص (ولا يزال) بالإبدال. فالأبكار الذكور الذين أُستبقوا هم أولئك الذين مات في عائلاتهم حَمَلٌ ذكر بكر نيابة عنهم . ثالثا، كان ينبغي أن يرش دم الحمل بعد سفكه وكان يلزم أن يستفيد الفرد شخصيا من هذا التدبير الإلهي وكان يلزم أن " يرى الله الدم " قبل أن يخلص العائلة . رابعا، إن كل عائلة أنقذت بتلك الوسيلة اشتريت لله . فحياة أفرادها جميعا ملك لله . وكذلك حياتنا نحن. والتكريس يقود الىالاحتفال. إن حياة المفديين عيد ديني . يعبرون عنه طقسيا بالعشاء الرباني، الذي هو الاحتفال المسيحي للشكر، كما سندرس بصورة أكثر تفصيلا في الفصل العاشر.

الإيضاح الثاني الرئيس لمبدأ الإبدال هو عقيدة "حَمْلُ الخطية ". نقرأ في العهد الجديد عن المسيح أنه " حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة " (١بط٢: ٢٤) كما نقرأ أيضا أنه " قُدِّمَ مرة لكي يحمل خطايا كثيرين" (عب٩:٢٨). ولكن ماذا تعني عبارة " يحمل الخطية " ؟ هل يجب أن تفهم بمعنى حمل جزاء الخطية، أم يمكن أن تفسر بطريقة أخرى ؟ وهل "الإبدال" متضمن بالضرورة في "حمل الخطية " ؟ اذا كان الأمر كذلك ، فأي نوع من الإبدال هو المقصود ؟ هل يمكن أن يشير فقط إلى البديل البريء الذي دبره الله ليأخذ مكان الفريق المذنب ويتحمل الجزاء نيابة عنه ؟ أم هل توجد أنواع بديلة من الإبدال ؟

خلال المائة عام الأخيرة بذلت عدة محاولات ساذجة احتفظت بمجموع مفردات " الإبدال" في حين أنها رفضت "الإبدال الجزائي" (كلمة ' جزائي' مشتقة من كلمة *بوونا* ، أي جزاء أو عقوبة). ويرجع أصل هذه المحاولات الى احتجاج أبلارد Abelard على أنسلم Anselm في القرن الثاني عشر، ولكن أصلها يرجع بدرجة أكبر جدا الى رفض سوسينوس Socinus الساخر لتعليم المصلحين في القرن

السادس عشر. ففي كتابة *دي جزو كريستو سرفاتوري* (١٥٧٨) لم ينكر فاوستوس سوسينوس Faustus Socinus ألوهة يسوع فقط بل أنكر أي فكرة عن "التكفير" في موته. لقد انتقد بشدة النظرية القائلة بأنه يمكن نقل الذنب من شخص لآخر،[١٢] لأن هذا يتنافى مع العقل والعدالة كليهما . فلم يكن ذلك مستحيلا فقط ، بل غير ضروري . لأن الله قادر تماما أن يغفر للخطاة بدونه . إنه يقودهم الى التوبة ، وهكذا يجعلهم قابلين للمسامحة .

إن ما كتبه جون ماكليود كامبل John Mcleod Campbell في كتاب *طبيعة الكفارة* *The Nature of the Atonement* (١٨٥٦) يندرج ضمن الخط الفكري العام نفسه ، فالمسيح جاء ليعمل إرادة الله ، وبخاصة ليحمل خطية البشر. ليس بالمعنى التقليدي ، على أي حال ، بل بمعنيين آخرين. أولا، إن آلام المسيح التي تحملها ، في تعامله مع الناس نيابة عن الله ، لم تكن " آلاما جزائية تحملها ليلبي مطلبا للعدالة الإلهية "، بل " آلام المحبة الإلهية التي تتألم بحسب طبيعتها من جراء خطايانا " (ص١١٥-١١٦). ثانيا ، في تعامل المسيح مع الله نيابة عن البشر، اتخذ " التكفير" الواجب الأداء للعدالة الإلهية شكل " اعتراف كامل بخطايانا ". وبهذه الطريقة أقر المسيح بعدالة غضب الله على الخطية ، " وبتلك الاستجابة الكاملة امتصه" (١١٧-١١٨). فوحدته مع الآب كانت عميقة الى حد أنه " امتلأ بشعور دينونة الآب البار على خطيتنا " ، وكانت وحدته معنا عميقة الى حد أنه "استجاب بآمين كامل لتلك الدينونة " (ص١٢٧). وبهذه الطريقة تلاشى "حمل الخطية " متحولا إلى تعاطف ، و" التكفير" الى حزن على الخطية ، و" الإبدال" الى ندامة بدلية عوضا عن العقاب البدلي.

بعد عشر سنوات نشر الأبرشاني* Congregationalist الأميريكي هوراس بوشنل Horace Bushnell كتابا بعنوان *الذبيحة البدلية* *The Vicarious Sacrifice*.[١٣]

---

[١٢] كان كالفن قد كتب : "هذه تبرئتنا : إن الذنب الذي كان يبقينا عرضة للقصاص قد نقل إلى رأس ابن الله (أشعيا ٥٣: ١٢). فينبغي ، قبل كل شيء ، أن نتذكر هذا الإبدال ، لئلا نرتجف و نبقى قلقين طوال حياتنا" ، أي ، في خوف من دينونة الله (القوانين *Institutes*, II.xvi. 5) .

* نسبة إلى الأبرشانية Congregationalism : ضرب من التنظيم الكنسي تتمتع فيه كل أبرشية باستقلال ذاتي. (قاموس المورد) [المترجم]

[١٣] لقد عدل هوراس بوشنل آراءه إلى حد ما في كتابه الذي نشره بعد ذلك بعنوان *الغفران والناموس* *and Law Forgiveness* . ففي حين أنه مازال ينكر العقيدة التقليدية ، أكد مع ذلك أنه كان في الصليب استرضاء موضوعي لله . وأنه " تجسد ليدخل في دائرة اللعنة " لكي ينقذنا منها. إلا أنه أضاف أن المسيح تحمل على نحو واع لعنة خطيتنا أو عارها طوال حياته .

وقد رفض ، مثلما رفض ماكليود كامبل ، الإبدال "الجزائي". مع ذلك كان موت يسوع " بالنيابة عن " أو " بدليا " بمعنى أنه تحمل ألمنا وليس بالأحرى جزاءنا . لأن "المحبة بحد ذاتها مبدأ نيابي بصورة جوهرية " (ص١١). وهكذا ، فإن محبة الله دخلت الى أحزاننا وأوجاعنا ، و"حملتها" بمعنى أنها دمجت نفسها بها وشعرت بثقلها ، عن طريق تجسد يسوع وخدمته العامة(وليس موته فقط) . " فهناك إذا صليب في قلب الله قبلما شوهد صليب الخشب على الجلجثة " (ص٣٥). هذه الذبيحة الحبية التي قدمها الله في المسيح ـ المعبر عنها في مولده ، وحياته و موته ـــ هي " قوة الله للخلاص" بسبب تأثيرها الإيحائي فينا. إن المسيح قادر الآن " أن يخرجنا من خطايانا ... وبالتالي من جزاءاتها " (ص٧). وبهذه الكيفية يرفع حمل الله خطايانا. " إن الكفارة تغيير يُجْرَى فينا، تغيير نصالح به مع الله" (ص٤٥٠). ولكن "التكفير الذاتي"(أي التغيير الذي يجرى فينا) يأتي أولا، وعندئذ فقط "يسترضى الله موضوعيا" [أي بصورة لا تتوقف على الشعور الشخصي] (ص٤٤٨) .

لقد طور ر. سي. موبرلي R.C. Moberly أفكارا مشابهة في كتابه *الكفارة و الشخصية* *Atonement and Personality* (١٩٠١). فرفض كل النظريات الجدلية فيما يتعلق بالصليب ، ولاسيما أي فكرة تتعلق بالعقوبة الجزائية. وعلم أن الندامة(التي يحدثها فينا روح المصلوب) تجعلنا أولا " قابلين للغفران" ثم تجعلنا مقدسين. ويمكن أن يقال أن المسيح أخذ مكاننا فقط من حيث الندامة البدلية وليس من حيث الجزاء البدلي.

إن محاولة هؤلاء اللاهوتيين الاحتفاظ بلغة الإبدال وحمل الخطية ، في حين أنهم غيروا معناها ، ينبغي أن يحكم عليها بأنها فشلت . إنها تخلق من التشويش أكثر مما تخلق من الوضوح. إنها تكتم عن الغافل حقيقة أنه يوجد فرق أساسي بين "الإبدال النادم" (حيث يقدم البديل ما لم نستطع نحن تقديمه)،وبين "الإبدال الجزائي" (حيث حمل هو ما لم نستطع نحن حمله). فيما يلي تعريف الدكتور جي. آي. باكر J.I. Packer للأخير. إنه النظرية التي مفادها،

> أن ربنا يسوع المسيح مدفوعا بالمحبة المصممة على فعل كل ما هو ضروري لخلاصنا ، تحمل واستنفد الدينونة الإلهية المدمرة التي كانت ، لولا ذلك ، المصير الذي لا مفر لنا منه ، وهكذا ربح لنا الغفران والتبني والمجد. إن تأكيد الإبدال الجزائي هو بمثابة القول أن المؤمنين مدينون للمسيح لأجل هذا بخاصة.

وأن هذا هو المنبع الرئيس لمجمل فرحهم وسلامهم وتسبيحهم الآن وفي الأبدية.[١٤]

إلا أن السؤال الجوهري يختص بكيفية استعمال كتبة الكتاب المقدس بالذات للغة "حمل الخطية ".

يتضح من استعمال التعبير في العهد القديم أن فعل " يحمل الخطية " لا يعني أن يعطف على الخطاة ، ولا أن يندمج في ألمهم ، ولا أن يعبرعن توبتهم ولا أن يعاني الاضطهاد بسبب الخطية الانسانية (كما حاج الآخرون) ، ولا حتى أن يتحمل النتائج الشخصية أو الاجتماعية للخطية ، ولكنه يعني على وجه التحديد ان يتحمل نتائجها الجزائية أي أن يتحمل عقوبتها. أكثر ما يرد هذا التعبير في كتابي اللاويين والعدد . إنه مكتوب عن أولئك الذين يخطئون بكسر شرائع الله أنهم " سيحملون إثمهم (أو خطيتهم) ". أي أنهم " سيحسبون مسؤولين" أو أنهم " سوف يتألمون لأجل خطاياهم ". إن تحديد العقوبة أحيانا لا يدع مجالا للشك في هذه المسألة : فالمخالف يجب أن " يقطع من شعبه " (أي يحرم) وقد تشدد العقوبة فتصل الى القتل ، كما في حالة التجديف مثلا.[١٥]

في هذا السياق الذي يرد فيه حمل الخطية يوجد تصور لإمكانية حمل شخص آخر جزاء إثم الخاطيء . مثال ذلك قال موسى للإسرائيليين أن أولادهم سيتيهون في البرية ، و " يحملون فجورهم " (عد١٤:٣٤) ؛ وقال لهم أيضا إذا فشل رجل متزوج في إبطال نذر أحمق أو عهد أخذته زوجته على نفسها ، فإنه (كما هو مكتوب) " مسؤول عن ذنبها "(عد٣٠:١٥) أو بصورة أبسط " سوف يحمل ذنبها"؛ كذلك ، فإن البقية الذين ظلوا بعد دمارأورشليم في الخرائب المهجورة قالوا: " آباؤنا أخطأوا وليسوا بموجودين ونحن نحمل آثامهم " (مراثي٥:٧).

هذه أمثلة عن حمل الخطية البدلي الإلزامي. وفي كل حالة يوجد أناس أبرياء وجدوا أنفسهم يحملون نتائج إثم الآخرين. إلا أن هذه اللغة المميزة نفسها استخدمت عندما كان حَمْلُ الخطية البدلي هو المقصود . ثم أدخلت فكرة الإبدال المتعمد ، وقيل إن الله نفسه سيؤمن البديل كما حدث عندما أمر حزقيال بأن يتكيء و" يحمل،

[14] J. I. Packer, ' What Did the Cross Achieve ? ' , p. 25.

[١٥] بعض الأمثلة عن تعابير "حمل ـ الخطية " وردت في خر ٢٨: ٤٣ ؛ لا ٥: ١٧ ؛ ١٩: ٨ ؛ ٢٢: ٩ ؛ ٢٤: ١٥ و عد ٩: ١٣ ؛ ١٤: ٣٤ و ١٨: ٢٢ .

برمزية درامية، إثم بيت اسرائيل" (حز ٤:٤-٥). كذلك أشير الى ذبيحة الخطية بلغة حمل الخطية . فقد قال موسى عنها لابني هارون " وقد أعطاكما إياها لتحملا إثم الجماعة تكفيرا عنهم أمام الرب" (لا ١٠:١٧). وكان هناك ما هو أوضح من ذلك وهو طقس يوم الكفارة السنوي . كان ينبغي على رئيس الكهنة أن يأخذ تيسين من الماعز لـ " ذبيحة خطية " للتكفير عن خطايا جماعة بني اسرائيل كلها (لا ١٦: ٥). كان أحد التيسين يذبح ويرش دمه بالطريقة المعتادة ، بينما كان على رئيس الكهنة أن يضع يديه على رأس التيس الحي، " ويقر عليه بكل ذنوب بني اسرائيل وسيئاتهم مع كل خطاياهم ويجعلها على رأس التيس" (الآية٢١). وكان عليه بعد ذلك أن يرسل التيس الى البرية " ليحمل التيس عليه كل ذنوبهم الى أرض مقفرة " (عد٢٢). يخطيء بعض المفسرين عندما يدقون إسفينا بين التيسين ، تيس الخطية وتيس الفداء ، مغفلين حقيقة هامة هي أن التيسين معا يوصفان كـ " ذبيحة خطية " بصيغة المفرد (الآية٥). ربما كان ت. جي. كروفورد على حق عندما اقترح أن كلا منهما كان يجسد جانبا مختلفا من الذبيحة نفسها، " فأحدهما يعرض وسيلة الكفارة والآخر يعرض نتائجها ".[١٦] ففي هذه الحالة كان إعلان يوم الكفارة واضحا، أي أن المصالحة كانت ممكنة فقط عن طريق حمل الخطية البدلي. ولم يجد كاتب الرسالة الى العبرانيين أي موانع تحول بينه وبين رؤية يسوع باعتباره " رئيس كهنة رحيما وأمينا " (عب ٢:١٧) وباعتباره أيضا الضحيتين ، التيس المذبوح الذي كان دمه يؤخذ الى القدس الداخلي (عب٩:٧و١٢) وتيس الفداء الذي كان يحمل خطايا الشعب بعيدا (عب ٩:٢٨) .

مع أنه كان لذبيحة الخطية وتيس الفداء ، كل بطريقته ، دور حَمْلِ الخطية ، فلا بد أن يكون الاسرائيليون ذوو الفكر الأكثر روحانية قد أدركوا أن الحيوان لا يستطيع أن يكون بديلا للانسان على نحو مُرْضٍ. وهكذا بدأ النبي في "أناشيد العبد" المشهورة ، في الجزء الثاني من إشعياء يرسم صورة لشخص ستشمل بعثته الأمم، وسيلزمه، ليتمم بعثته، أن يتألم ويحمل الخطية ويموت. يطبق متى على يسوع النشيد

---

16 T. J. Crawford, *Doctrine of Holy Scripture*, p. 225. See also chapter 3, ' The Day of Atonement' in Leon Morris' *Atonement* , pp. 68-87.

الأول المتعلق بهدؤ ووداعة العبد في خدمته،[١٧] وأثناء خطابات بطرس المبكرة ، ذكر أربع مرات أنه دعا يسوع " فتى" [غلام] الله أو " الفتى القدوس".[١٨]

ولكن الاصحاح ٥٣ من أشعياء بخاصة الذي يصف تألم العبد وموته ، هو الذي يطبق على يسوع المسيح بصورة متساوقة consistent . كتب يواكيم جرمياس: " ما من مقطع آخر في العهد القديم كان مهما للكنيسة كاشعياء٥٣ ".[١٩] اقتبس كتبة العهد الجديد ثماني آيات محددة باعتبارها تمت في يسوع. الآية١ (" من صدق خبرنا ؟ ") تطبق على يسوع من قبل يوحنا (يو ١٢:٣٨). ويرى متى البيان الوارد في الآية ٤ (" أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها") باعتباره قد تم أثناء خدمة يسوع الشفائية (مت ٨:١٧) . يردد بطرس (١بط ٢: ٢٢-٢٥) صدى حقيقة واقعة هي أننا كلنا كغنم ضللنا (الآية ٦)، ولكننا بجراحه شفينا (الآية٥) وكذلك صدى الآية ٩ من المقطع نفسه (" ولم يكن في فمه غش") و الآية١١ ("وأثامهم هو يحملها"). كما أن الآيتين ٧و٨ اللتين تتحدثان عن اقتياد يسوع كشاة الى الذبح، وعن حرمانه من العدالة والحياة ، هما الآيتان اللتان كان يقرأهما الخصي الحبشي في مركبته ، وقد شجعتا فيليبس على أن يبشره بيسوع (أع٨:٣٠-٣٥). وهكذا فإن الآيات ١، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩ و ١١ ـ وهي ثماني آيات من بين اثنتي عشرة آية يتكون منها الاصحاح ـ جميعها أشارت بصورة دقيقة الى يسوع.

إن دارسي الأناجيل المدققين قد اكتشفوا أن يسوع نفسه أشار عدة مرات الى أشعياء ٥٣ ، بكلمة واحدة في بعض الأحيان . قال مثلا أنه " سيرفض "،[٢٠] و " يرفع "،[٢١] و " يحصى مع أثمة ".[٢٢] كما أنه "سيدفن" كمجرم دون دهن تحضيري، وهكذا قامت مريم من بيت عنيا بدهنه بالطيب مسبقا (الأمر الذي فسره يسوع بأنه) " للتكفين ".[٢٣] هناك تلميحات أخرى يمكن أن تكون فعلا وصف يسوع للرجل الأقوى

---

[١٧] أش ٤٢: ١-٤ ؛ قارن مت ١٢: ١٧-٢١ .

[١٨] أع ٣: ١٣ ، ٢٦ ؛ ٤: ٢٧، ٣٠

[19] J. Jeremias, *Eucharistic Words,* p. 228 . See also his *Servant of God* and the article on *pais theou* ('servant of God') by Jeremias and Zimmerli , pp. 712 ff. Compare chapter 3, 'Jesus the Suffering Servant of God' , in Oscar Cullmann's *Christology of the New Testament* .

[٢٠] مر ٩: ١٢ ؛ قارن أش ٥٣: ٣

[٢١] مر ٢: ٢٠ ؛ قارن أ ش ٥٣ :٨

[٢٢] لو ٢٢:٣٧ ؛ قارن أش ٥٣: ١٢

[٢٣] مر ١٤ :٨ قارن أش ٥٣: ٩

" الذي يقسم غنيمة "،[٢٤] وصمته المتعمد أمام قضاته ،[٢٥] وشفاعته في المذنبين،[٢٦] وبذل حياته لأجل الآخرين.[٢٧] فإذا قبلت هذه التلميحات ، فإن كل آية من آيات الاصحاح ما عدا الآية٢ (" لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ") طبقت على يسوع في العهد الجديد ، وبعض الآيات طبقت عدة مرات . بالحقيقة يوجد دليل قوي على أن مجمل سيرة يسوع العامة ، منذ معموديته ومرورا بخدمته وآلامه وموته حتى قيامته وصعوده ترى كإتمام للنموذج الذي تُنُبِّئَ عنه في أشعياء٥٣ . وقد حاج أوسكار كولمان Oscar Cullmann بالقول أن يسوع عند معموديته تعمد أن يجعل نفسه واحدا مع أولئك الذين جاء ليحمل خطاياهم ، وإن تصميمه على" إتمام كل بر" (مت٣:١٥) كان تصميما على أن يكون " عبد الله البار"، الذي بموته لحمل ـ الخطية سوف "يبرر كثيرين" (أشعياء٥٣:١١) ، كما أن صوت الآب من السماء معلنا أنه " سُرَّ " بابنه ، قد استعرف به أنه العبد (أشعياء٤٢:١).[٢٨] وأشار فنسنت تيلر Vincent Taylor بصورة مماثلة الى أن "المفهوم الغالب"، حتى في العظة الرسولية الأولى بالذات في أعمال ٢ ، " هو مفهوم العبد الذي أُذِلَّ بالموت ورُفِّعَ...".[٢٩] ومنذ عهد قريب جدا توصل الأستاذ مارتن هنجل Martin Hengel من توبنجن Tuebingen الى الاستنتاج نفسه محاجا بالقول ان هذا الاستخدام لأشعياء٥٣ يرجع الى فكر يسوع نفسه.[٣٠]

كان قصدي حتى الآن من جهة أشعياء ٥٣ أن أبين كم كان هذا الاصحاح أساسيا في فهم العهد الجديد ليسوع ، وقد تركت الى الأخير قولي يسوع الأكثر أهمية اللذين يركزان على طبيعة حمل ـ الخطية الذي ميز موته. أولهما " القول المتعلق بالفدية ": " لأن ابن الانسان لم يأت لِيُخدَم بل لِيَخدُم وليبذل نفسه فدية عن

---

٢٤ لو ١١: ٢٢ ؛ قارن أش ٥٣: ١٢

٢٥ مر ١٤: ٦١ ؛ ١٥: ٥ ؛ لو ٢٣: ٩ و يو ١٩: ٩ قارن مع أش ٥٣: ٧

٢٦ لو ٢٣: ٣٤ : قارن مع أش ٥٣ : ١٢

٢٧ يو ١٠: ١١، ١٥، ١٧ ؛ قارن أش ٥٣ : ١٠

28 Oscar Cullman , *Baptism in the New Testament* , p. 18

29 Vincent Taylor, *Atonement* , p. 18 .

30 Martin Hengel, *Atonement,* pp. 33-75 .

كثيرين" (مر ١٠:٤٥). هنا يُوَحِّدُ يسوع نبوتين متباعدتين، الأولىعن "ابن الانسان" والثانية عن " العبد ". كان ابن الانسان " سيأتي في سحب السماء" وجميع الشعوب سوف " يتعبدون له " (دا ٧:١٣-١٤)، في حين أن العبد لن يُخْدَمَ بل سَيَخْدُمُ ، ويكمل خدمته بالألم ، ولاسيما ببذل حياته كفدية عن كثيرين . وعن طريق خدمته فقط كان سيخدم ، وعن طريق تألمه فقط كان سيدخل الى مجده . أما النص الثاني فيختص بتأسيس العشاء الرباني ، عندما أعلن يسوع أن دمه سوف " يسفك عن كثيرين "[٣١]، كان قوله صدى لأشعياء٥٣:١٢ " سكب للموت نفسه ".[٣٢] بالإضافة الى ذلك يقول كلا النصين أنه كان سيبذل حياته أو يسفك دمه " لأجل كثيرين "، وهذا أيضا يردد صدى اشعياء ٥٣:١٢ "حمل خطية كثيرين". لقد انزعج البعض من الطبيعة الحصرية ظاهريا لهذا التعبير. ولكن جرماياس Jeremias حاول أن يبرهن وفقا للتفسير اليهودي ما ـ قبل المسيحي لها ، أن " الكثيرين" كانوا "الكافرين بين اليهود والأمم". لذلك فإن التعبير " ليس منعيا exclusive ('كثيرون ولكن ليس الجميع ') ولكنه، بحسب القرينة السامِيِّة في الكلام ، شامل inclusive ('المجموع الكلي ، الذي يتكون من كثيرين')، أي كان مفهوما (مسيانيا) لم يسمع به في الفكر الرابيني المعاصر".[٣٣]

يبدو إذا واضحا بما لا يرقى إليه شك أن يسوع طَبق أشعياء ٥٣ على نفسه ، وأنه فهم موته في ضوء هذا الاصحاح باعتباره موت حمل الخطية . كان ، باعتباره "عبد الله البار"، سيتمكن من " تبرير كثيرين" ، لأنه كان " سيحمل خطية كثيرين". هذه هي الفكرة العامة للاصحاح بكامله ، كان سيحتقر ويرفض ويظلم ويحزن ، ويقاد كشاة الى الذبح ويقطع من أرض الأحياء ، وليس هذا فقط ولكنه بخاصة كان

---

[٣١] مر ١٤: ٢٤ ؛ قارن مت ٢٦: ٢٨

[٣٢] يحاول الأستاذ مارتن هنجل Martin Hengel أن يبرهن بصورة مقنعة في دراسته الشاملة التي تضمنها كتابه ، *الكفارة Atonement* على أن وراء تصريحي بولس بأن المسيح "مات لأجل خطايانا" (١كو ١٥: ٣) و" أسلم لأجل خطايانا " (رو ٤: ٢٥) يكمن " قول - الفدية " و" أقوال ـ العشاء " التي نطق بها يسوع وسجلها مرقس (مر ١٠: ٤٥ ؛ ١٤:٢٢-٢٥)؛ و أن وراءها يكمن أشعياء ٥٣ وفهم يسوع نفسه له (ص٣٣-٧٥).

[٣٣] كتاب *كلمات أفخارستية* Joachim Jeremias, *Eucharistic Words* , pp 228-229 . يفسر جرماياس قولي يسوع باعتبار أنهما يشيران إلى "الموت البدلي لأجل جمع لا يعد من أولئك الذين يقعون تحت دينونة الله". راجع أيضا كتابه *الرسالة المركزية* *Central Message*, pp. 45-46 .

سيطعن بسبب آثامنا ، وكان الرب سيضع عليه إثمنا جميعا ، وهكذا كان سيحصى مع أثمة، ويحمل هو خطاياهم. كتب جي. إس. هويل J. S. Whale ، " يرد في هذا النشيد اثنا عشر بيانا متميزا وواضحا مفادها، أن العبد يتحمل ، بوصفه ضحية ، *العقوبة* التي تستحقها خطايا الناس الآخرين: إن المعنى الواضح للآيات ٤ و ٥ و٦ من هذا النشيد هو أن العبد لا يتحمل ألما بدليا فحسب بل إبدالا جزائيا ".[٣٤]

في ضوء هذا الدليل عن طبيعة حمل ـ الخطية التي تميز بها موت يسوع نعرف الآن كيف نفسر التأكيد البسيط " مات لأجلنا ". إن كلمة لأجل يمكن أن تكون ترجمة، إما لكلمة *هيبر* ("بالنيابة عن")، أو لكلمة *أنتي* ("بدلا من"). ومعظم الشواهد تستخدم هيبر. مثلا ، "ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا" (رو٥:٨)، و كذلك "واحد مات لأجل الجميع" (٢كو٥: ١٤). أما *أنتي* فترد فقط في آيات الفدية، أي في مر١٠: ٤٥ (حرفيا "ليبذل حياته فدية بدلا من كثيرين") وفي ١ تي٢:٦ ("الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع"، حيث " لأجل" هي أيضا هيبر، ولكن حرف الجر *أنتي* موجود في الاسم *أنتيليترون* .

إلا أن حرفي الجر لا يتقيدان دوما بتعريفهما في القاموس . كذلك تستخدم كلمة هيبر(نيابة عن) ، الأوسع من حيث المعنى ، كما يتضح في كثير من الأحيان من قرينتها ، بمعنى *أنتي* (بدلا من) ، كما هو الحال مثلا، عندما يقال عنا أننا " سفراء عن المسيح "(٢كو٥:٢٠) ، أو عندما أراد بولس أن يبقي أنسيموس في روما ليخدمه "بالنيابة عن" سيده فيليمون أي ، عوضا عنه (فيلمون١٣). والأمر نفسه واضح في بياني بولس الصريحين بشأن معنى موت المسيح اللذين وردا في رسائل بولس. أحدهما هو ان الله "جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا "(٢ كو٥:٢١)، والثاني هو، أن "المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا" (غل ٣:١٣). بعض المفسرين وجدوا من الصعب قبول هذين التأكيدين . لقد دعا كارل بارثCarl Barth التأكيد الأول " قاسيا لدرجة تكاد تكون غير محمولة " [٣٥] و وصف ا. و. ف. بلنت A.W. F. Bllunt لغة الثاني بأنها " تكاد تصيب بالصدمة ".[٣٦] ويمكن أن يلاحظ المرء أن القصد مما حدث للمسيح على الصليب ("صارخطية " و "صار لعنة") كان ، بحسب قول بولس ، في كلا الحالين " لاجلنا "، أو بالنيابة عنا، أو لأجل منفعتنا.

---

34 J. S. Whale, *Victor and Victim* , pp. 69-70.

35 Karl Barth , *Church Dogmatics,* vol. IV, ' The Doctrine of Reconciliation' , p. 165.

36 A. W. F. Blunt, *Galatians,* p. 96. See the last chapter for a fuller quotation.

ولكن ماالذي حدث بالضبط ؟ إن الذي لم يعرف خطية "صار خطية لأجلنا"، و لهذا معنى واحد فقط وهو أنه حمل عقوبة خطيتنا بدلا منا، وفدانا من لعنة الناموس "إذ صار لعنة لأجلنا"، ولهذا معنى واحد فقط هو أن لعنة الناموس التي حلت علينا بسبب عصياننا نقلت إليه بحيث أنه حملها بدلا منا.

كلا الآيتين لا تقف عند هاتين الحقيقتين السلبيتين (إنه حمل خطيتنا ولعنتنا ليفدينا منهما) بل تتجاوزهما الى نظير إيجابي . فمن جهة حمل اللعنة لكي نستطيع أن نرث البركة التي وُعِدَ بها ابراهيم (غل٣:١٤)، ومن جهة أخرى جعل اللهُ المسيحَ الخالي من الخطية خطية لأجلنا، حتى " نصيرنحن بر الله فيه " (٢كو٥: ٢١). وهكذا تشير الآيتان الى أننا عندما اتحدنا بالمسيح حدث تبادل غامض : لقد أخذ لعنتنا بحيث نستطيع أن ننال بركته ؛ وصار خطية بخطيتنا بحيث نستطيع أن نصير أبرارا ببره . وفي موضع آخر يكتب بولس عن هذا النقل بأسلوب "العزو" . فمن جهة تجنب الله أن يعزو خطايانا إلينا أو أن يحسبها لنا (٢كو٥:١٩) ، مع الإشارة ضمنا الى أنه عزاها الى المسيح بدلا منا. من جهة أخرى ، عزا الله بر المسيح إلينا.[٣٧] كثيرون أزعجوا بهذا المفهوم ، حاسبين أنه مصطنع ، وأنه ليس عدلا من جانب الله أن يرتب مثل هذا النقل. مع ذلك فإن الاعتراض ناجم عن سؤ فهم ، أزاله توماس كراوفورد Thomas Crawford إذ كتب ، إن العزو " لا يقتضي ضمنا نقل الصفات الأخلاقية من شخص ما الى شخص آخر". مثل هذا الأمر سيكون مستحيلا، ثم يمضي ليقتبس من جون أون John Owen حقيقة " أننا نحن لم نفعل شيئا مما عزي إلينا ، وكذلك المسيح لم يفعل شيئا مما عزي اليه". وسيكون أمرا سخيفا وغير قابل للتصديق ، كما يتابع كراوفورد، " أن نتصور أن الفساد الأخلاقي لخطايانا نقل الى المسيح بحيث جعله في ذاته خاطئا وغير لائق ، وأن التفوق الأخلاقي لبره نقل إلينا ، بحيث جعلنا بذاتنا شخصيا ، مستقيمين ومستحقين الثناء. لا، ليس الأمر كذلك ، فما نقل الى المسيح لم يكن الصفات الأخلاقية بل النتائج الشرعية : لقد قبل طوعا المسؤولية القانونية عن خطايانا . هذا ما يعنيه تعبيرا "صار خطية " و "صار لعنة ". وبصورة مماثلة ، فإن "بر الله" الذي نصير إياه عندما نكون " في المسيح " ليس هنا

[٣٧] رو ٤: ٦ ؛ ١كو ١: ٣٠ ؛ في ٣: ٩

برالخُلُقِ والسلوك (مع أن هذا ينمو في داخلنا بعمل الروح القدس) ، ولكنه بالأحرى وِقْفَةٌ بارة أمام الله.[٣٨]

حين نعيد النظر في كل هذه المادة من العهد القديم (سفك الدم ورشه ، وذبيحة الخطية ، والفصح ، ومعنى "حمل الخطية "، وتيس الفداء وأشعياء ٥٣)، ونتأمل في تطبيقها في العهد الجديد على موت المسيح، نضطر الى الاستنتاج بأن الصليب كان ذبيحة بدلية . المسيح مات لأجلنا. المسيح مات بدلا منا. بالحقيقة ، إن هذا الاستخدام للمجاز القرباني ، وفقا لتعبير جرماياس ، " يقصد به التعبيرعن حقيقة كون يسوع مات بدون خطية بدلا منا لأجل خطايانا ".[٣٩]

من هو البديل ؟

السؤال الرئيس الذي علينا أن نطرحه الآن هو: من كان بديلنا بالضبط ؟ من الذي أخذ مكاننا، وحمل خطايانا وصار لعنتنا، وتحمل عقوبتنا ومات موتنا ؟ صحيح "أننا ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا" (رو٥:٨) ، مثل هذا يكون جوابا بسيطا سطحيا. ولكن من كان هذا المسيح ؟ وكيف يجب أن نفكر فيه ؟

هل كان المسيح مجرد انسان ؟ إذا كان كذلك ، فكيف استطاع انسان واحد، من باب الإمكانية ـ أو العدل ـ أن يحل محل أناس آخرين ؟ إذاً، فهل كان مجرد الله ، باديا أنه انسان ولكنه لم يكن انسانا كما بدا ؟ وإذا كان كذلك فكيف استطاع أن يمثل الجنس البشري ؟ بالإضافة الى هذا، كيف استطاع أن يموت ؟ وفي تلك الحالة ، هل يجب أن نفكر في المسيح ، ليس بوصفه انسانا فقط ، وليس بوصفه الله فقط ، بل بالأحرى بوصفه الله ـ الانسان الواحد والوحيد الذي بسبب شخصه الفريد المنصب ، كان مؤهلا بصورة فريدة ليتوسط بين الله والانسان ؟ أما كون مفهوم الكفارة الإبدالية منطقيا وأخلاقيا وقابلا للتصديق ومقبولا وكتابيا قبل كل شيء ، فمسألة تتوقف على إجابتنا عن هذه الأسئلة . إن إمكانية الإبدال تعتمد على هوية البديل . لذلك يلزمنا أن نفحص بصورة أعمق التفسيرات الثلاثة التي وضعت مخططها آنفا.

أول اقتراح هو أن البديل كان *الانسان يسوع المسيح* ، وهذا الاقتراح ينظر الى يسوع باعتباره انسانا ، ويتصوره كفرد منفصل عن الله وعنا، وكطرف ثالث

---

38 See T. J. Crawford, *Doctrine of Holy Scripture,* pp. 444-445.

39 Joachim Jeremias, *Central Message,* p. 36.

مستقل. والذين يبدأون بهذا الافتراض يعرضون أنفسهم الي مفاهيم، مشوهة الى حد خطير، عن الكفارة وهكذا يشوهون سمعة حقيقة الإبدال. إنهم يميلون الى عرض الصليب بإحدى طريقتين ، تبعا لكون المبادرة مبادرة المسيح أم مبادرة الله. ففي الحالة الأولى يصور المسيح وكأنه يتدخل لكي يهديء إلها غاضبا وينتزع منه بقوة خلاصا يضن به. أما في الحالة الثانية فيعزى التدخل الى الله الذي يشرع في معاقبة يسوع البريء عوضا عنا نحن الخطاة المذنبين الذين استحقينا القصاص. وفي كلا الحالين يفصل المسيح والله عن بعضهما : فإمّا أن يقنع المسيح الله أو أن يعاقب الله المسيح. الصفة المميزة للعرضين كليهما أنهما يشوهان سمعة الآب. فنظرا الى أنه يمانع في أن يتألم هو نفسه فإنه يجعل من المسيح ضحية بدلا منه. ونظرا الى أنه يمانع في الغفران يقنعه المسيح بعد إلحاح بأن يفعل ذلك. إنه يصور كغول عديم الشفقة ينبغي تهدئة غضبه وينبغي التغلب ، على نفوره من أن يفعل شيئا، بوساطة تضحية يسوع بذاته بدافع المحبة .

مثل هذه التفسيرات غير البارعة للصليب ما زالت تبرز في بعض إيضاحاتنا الإنجيلية ، مثلما نفعل حينما نصف المسيح باعتباره قد جاء لينقذنا من دينونة الله، أو عندما نتصور أنه غلام المَفَشَّةِ whipping - boy * الذي عوقب بدلا من المجرم الحقيقي، أو أنه مترسة الصاعقة التي تنحرف إليها الشحنة الكهربائية القاتلة. حتى أن بعضا من ترانيمنا التي تتمتع بقداسة القدم ، تعبر عن هذه النظرة :

لقد رفع يهوه عصاه ؛
فوقعت عليك أيها المسيح !
لقد ضربك الله ضربا موجعا ؛
و لم أتلق أنا حتى ضربة واحدة .

يوجد في الكتاب المقدس طبعا بعض التبرير لكلتا الصيغتين ، وإلا لما طورهما المسيحيون الذين يرغبون في أن يكونوا كتابيين ويدعون ذلك.

وهكذا يقال ، أن يسوع المسيح " كفارة لخطايانا " و " شفيعنا " عندالآب (ايو ١ : ٢) ، مما يوحي لأول وهلة بأنه مات ليهديء غضب الله ، وهو الآن

* غلام المفشة : غلام يكون مع الشريف في المدرسة ، فإذا أذنب الشريف عوقب الغلام. (قاموس المغني الأكبر) [المترجم]

يتوسل إليه لكي يقنعه بأن يغفر لنا. لكن أجزاء أخرى من الكتاب تمنعنا من أن نفسر لغة الكفارة والتشفع بهذه الطريقة ، كما سنرى في الفصل التالي . هناك نظرية، تصور يسوع كمسيح رؤوف يحرض إلها ممانعا ليعمل بالنيابة عنا، ولكنها تنهار بكاملها أمام حقيقة محبة الله. لم يكن لدى الله *Umstimmung* * ، لم يكن هناك تغير في الذهن أو القلب ضمنه المسيح . الأمر بالعكس ، فالله هو أصل المبادرة الخلاصية . لقد جاء المسيح " بسبب أحشاء رأفة إلهنا " (لو ١:٧٨) و "بسبب محبة الله الكثيرة ".[٤٠] وبسبب " نعمة الله المخلصة " (تي٢:١١) .

أما بالنسبة للصيغة الأخرى (وهي أن الله عاقب يسوع بسبب خطايانا)، فصحيح أن خطايا اسرائيل كانت تنقل الى تيس الفدية ، وأن " الرب وضع عليه" ، أي على عبده المتألم ، إثم جميعنا (أش٥٣:٦) ، وأن " الرب سر بأن يسحقه " (أش٥٣:١٠) ، وأن يسوع طبق على نفسه نبوة زكريا وهي أن الله سوف "يضرب الراعي".[٤١] وصحيح أيضا أنه يقال في العهد الجديد أن الله " أرسل" ابنه ليكفر عن خطايانا (ايو ٤:٩-١٠)، و" أسلمه" لأجلنا،[٤٢] و " قدمه ذبيحة كفارة " (رو٣:٢٥) و " دان الخطية " في جسده (رو٨:٣) ، و "جعله خطية لأجلنا " (٢كو٥:٢١) . هذه بيانات مذهلة . ولكننا لسنا أحرارا في تفسيرها بحيث تشير ضمنا إما الى أن الله أرغم يسوع على فعل مالم يكن هو راغبا في فعله ، أو أن يسوع كان ضحية لعدالة الله القاسية دون أن يريد ذلك . لقد حمل يسوع عقوبة خطايانا بالحقيقة ، ولكن الله كان فاعلا في المسيح وعن طريقه أثناء قيام المسيح بذلك ، وكان المسيح يقوم بدوره بمحض حريته (مثلا عب١٠:٥-١٠).

ينبغي إذا ألا نقول ، أن الله عاقب يسوع أو ، أن يسوع أقنع الله ، لأن هذا القول هو بمثابة جعل كل منهما معارضا للآخر وكأنهما كانا يتصرفان مستقلين أحدهما عن الآخر أو كأن الأمر بلغ بهما حد النزاع . فلا يجوز أن نجعل المسيح مستهدفا لعقوبة الله أونجعل الله الطرف المقصود إقناعه من قبل المسيح ، لأن الله والمسيح كليهما كانا فاعلين لا مستهدفين إذ أخذا بزمام المبادرة معا لتخليص الخطاة . مهما يكن ما حدث على الصليب بحسب " لغة الترك - من قبل الله " فقد

---

* كلمة ألمانية تعني : حدوث تغير في ذهن المرء نتيجة تأثير شخص آخر.

[٤٠] أف ٢: ٤ ؛ قارن يو٣: ١٦ ؛ ١ يو٤: ٩-١٠

[٤١] زك ١٣: ٧ ؛ مر ١٤: ٢٧

[٤٢] أع ٢: ٢٣ ؛ رو ٨: ٣٢

قبلاه كلاهما طوعا بالمحبة المقدسة نفسها التي جعلت الكفارة ضرورية. كان " الله الذي اتخذ طبيعتنا متروكا من الله ".[43] فإذا كان الآب قد "بذل ابنه" ، فقد "بذل الابن نفسه". واذا كان كأس جثسيماني قد رمز الى غضب الله ، فإنه مع ذلك قد " أعطي" من قبل الآب (يو١٨ : ١١) ، و" أخذ " طوعا من قبل الابن . إذا كان الآب قد " أرسل " الابن ، فإن الابن نفسه قد "جاء". لم يضع الآب على الابن محنة كان يتمنع عن حملها ، ولم يستخلص الابن من الآب خلاصا كان الآب متمنعا عن منحه . ليس ثمة اشتباه في أي موضع في العهد الجديد بوجود خلاف بين الآب والابن ، " سواء كان الاشتباه في أن الابن انتزع الغفران من آب غير مريد أو في أن الآب طلب التضحية من ابن كاره لها ".[44] لم يكن لدى أي منهما معارضة . الأمر بالعكس ، فقد اتفقت إرادتاهما في التضحية ـ بالذات ، التي هي التضحية الكاملة ، بدافع المحبة.

فإذا لم يكن بديلنا المسيح وحده كفريق ثالث مستقل عن الله ، فهل الحقيقة هي أن *الله وحده* أخذ مكاننا وحمل خطايانا ومات موتنا ؟ إذا أمكننا ألا نعظم مبادرة المسيح بحيث نحذف عمليا إسهام الآب ، فهل يمكننا أن نعكس دوريهما فننسب مجمل المبادرة والإنجاز الى الآب ، وهكذا نحذف دورالمسيح واقعيا ؟ لأنه اذا كان الله نفسه قد فعل كل شيء ضروري لخلاصنا ، أليس من شأن ذلك أن يجعل المسيح زائدا عن الحاجة ؟

هذا الحل المقترح للمشكلة يبدو لأول وهلة جذابا من وجهة لاهوتية ، لأنه يتجنب جميع التشوهات التي تنشأ حين يصور المسيح باعتباره طرفا ثالثا. إن الله، كما رأينا في الفصل السابق ، هو الذي يجب أن يرضي نفسه بوصفه المحبة المقدسة . لقد كان معارضا للتصرف بالمحبة على حساب قداسته أو التصرف بالقداسة على حساب محبته . وهكذا يمكننا القول انه أرضى محبته المقدسة بموته هو ، الموت الذي كان الخطاة يستحقونه ، وهكذا حمل الدينونة التي يستحقونها. لقد طالب بعقوبة الخطية البشرية وقبل تحملها. وفعل ذلك " ليكون بارا ويبرر من يؤمن بيسوع " (رو٣:٢٦). لا مجال الآن للتساؤل بشأن ما اذا كان الآب ينزل العقوبة بالابن أو بشأن ما اذا كان الابن يتدخل بالنيابة عنا لدى الآب ، لأن الآب نفسه هو الذي يأخذ المبادرة بمحبته ، ويحمل بنفسه عقوبة الخطية ، وهكذا يموت. فليست الأولوية لـ:

---

[43] John Murray, *Redemption Accomplished*, p. 77.

[44] I. H. Marshall, *Work of Christ*, p. 74.

"مطلب البشر من الله" و لا لـ: " لمطلب الله من البشر"، ولكنها بالأولى مطلب الله من الله ، وتلبية الله لمطلبه هو".[45]

كثيرون من اللاهوتيين القدامى والمحدثين ، الذين يمثلون كنائس مختلفة ، رأوا ضرورة التأكيد على ان الله نفسه كان هناك على الصليب ، ولهذا عبروا عن فهمهم للكفارة بهذه التعابير . ففي القصيدة الانكليزية القديمة " حلم الصليب " The Dream of the Rood ، التي ربما يرجع تاريخها الى فترة مبكرة تصل الى القرن السابع أو القرن الثامن ، يخبرنا المؤلف كيف رأى " أغرب الأخشاب " في " أغلى حلم يعتز به " :

انتصبت عاليا في الهواء ، يحيط بها الضوء من كل ناحية ،
فبدت أكثر تألقا من جميع الأخشاب . لقد انتصبت كمنارة ،
مشربة بالذهب ؛ و تنضدت الجواهر المومضة
بصورة جميلة حول قاعدتها...

ثم تكلم الصليب في الحلم ، وروى قصته . فبعد أن قطع من الغابة ، حمل الى التلة . ثم رأى ماذا سيكون مصيره :

ملك كل البشر آت على عجل ،
متحمسا بشجاعة لكي يتسلقني .

ثم إن البطل الشاب ـ الذي هو الله القدير ـ
القوي والثابت ، خلع ملابسه متهيئا للمعركة ؛
وتسلق الخشبة المرتفعة ، ثابت العزم ،
وصعد عليها أمام أنظار كثيرين ليفدي الجنس البشري .

في ختام القصيدة ، بعد أن رأى الحالم الله يموت لأجله ، صلى الى " تلك العارضة الخشبية المباركة " وصرح ، واضعا ثقته فيها، " الصليب هو ملجأي." [46]

---

[45] P. T. Forsyth, *Justification of God,* p. 35 .

كتب ب. ت. فورسيث، " إنني لا أخشى من النطق بعبارة ، الله يموت لأجل الانسان ، لا أستطيع أن أستغني عنها . الله يموت لأجل البشر ، لأجل هؤلاء البشر ـ المعادين ، المعادين بخبث." ٤٧ كذلك كتب ، " نظرا الى أن قداسة الله...لا معنى لها بدون دينونة "، فإن الأمرالوحيد الذي لا يستطيع الله أن يفعله في مواجهة عصيان الانسان هو ألا يفعل شيئا . فيلزم إما أن ينزل العقوبة[بمن يستحقها]، أو أن يأخذها على عاتقه . وقد اختار الطريق الأخير، باعتبار أنه يكرم الشريعة في حين أنه يخلص المذنب . لقد تحمل بنفسه الحكم الذي أصدره ." ٤٨

إن" الله بذاته " وهب ذاته لأجلنا. لم يجفل كارل بارث من استعمال هاتين الكلمتين . وأضاف " لقد تألم قلب الله بالذات على الصليب . ما من أحد آخر تألم سوى الله وبالتالي الله الأزلي نفسه..." ٤٩ كتب الأسقف ستيفن نيل شيئا مماثلا: " إذا كان صليب يسوع هو ، بطريقة ما كما يؤمن المسيحيون ، موت الله نفسه ، عندئذ نستطيع أن نفهم طبيعة الله." ٥٠ وقد رددت هذا ترانيم العبادة الشعبية، كترنيمة تشارلز وسلي Charles Wesley ،التي وردت فيها عبارة ،" أيعقل هذا ؟

يا للمحبة المذهلة ! أيعقل هذا
أن تموت أنت ، يا إلهي ، من أجلي ؟

إن السبب الذي جعل علماء المسيحيين وعامتهم يشعرون بأنهم قادرون على استخدام هذا النوع من اللغة هو بالطبع أن الكتاب المقدس يسمح بها. عندما كتب الرسل عن الصليب أشاروا مرارا بتعبير مُبَلِّغ الى من هو الذي مات هناك و منح الصليب فعاليته . وهكذا ، فإن الذي وضع نفسه حتى الموت ، موت الصليب ، لم يكن سوى ذاك الذي " إذ كان في صورة الله " أخلى نفسه لكي يصبح انسانا

---

٤٦ هذه الشواهد مقتبسة من ترجمة هيلن غاردنر . 'Rood' مشتقة من الكلمة الانكليزية القديمة *rod* التي كانت تشير إلى أعواد المشانق ، وبخاصة إلى صليب المسيح.

47 P. T. Forsyth, *Work of Christ*, p. 25.

48 P. T. Forsyth, *Cruciality of the Cross*, pp. 205-206.

49 Karl Barth, *Church Dogmatics*, II. 1 , pp. 446 ff. See also pp. 396-403.

50 S. C. Neill, *Christian Faith Today*, p. 159.

ويموت (في ٢:٦-٨) . فـ: "رب المجد" هو الذي صلبه حكـام هـذا العـالم (١كـو٢ : ٨). والدم الذي غسلت به ثياب المفديين وغدت طاهرة هـو دم الحمـل الـذي يشـارك في مركز عرش الله (رؤ٥:٦،٩؛ ٧:٩). بالإضافة الى ذلك فإن منطق الرسـالة الـى العبرانيين يتطلب منـا أن نقول أن اللـه هـو الـذي مـات . إنـه يسـتخدم التشـابه بيـن "عهد" و " وصية ". إن شروط الوصية تصبـح نـافذة ، فقـط بعـد مـوت الموصـي. و هكذا فإن مـن يقطـع وعـودا فـي وصيتـه ينبغـي أن يمـوت قبـل أن يصبـح بالإمكـان نوال الميراث . فنظرا الى أن الوعود المقطوعة هي وعـود اللـه ، فينبغـي أن يكـون الموت موت الله (عب ٩:١٥-١٧).

ثمة آية أخرى ينبغي ألا نغفلها. إنها ترد في خطبـة بولـس الوداعيـة فـي ميليتـس أمام أسـاقفة كنيسـة أفسس . قـال بولـس للأسـاقفة ، إن الرعيـة التـي أقـامهم الـروح القدس نظارا عليها و رعاة ليست سوى " كنيسـة اللـه التـي اقتناهـا بدمـه " (أع ٢٠: ٢٨). صحيح أن النص غير مؤكد (فقد ورد في بعض المخطوطات " كنيسة الـرب" إشـارة الـى المسـيح ، عوضـا عـن " كنيسـة اللـه ") ، كمـا أن الترجمـة غيـر مؤكـدة (فيمكن أن تعني ، كنيسة الله التي اقتناها بدمه، مشيرة ايضا الى المسيح). مـع ذلـك فإن القرينة تتطلب ، فيما يبدو، أن نقرأ " كنيسة الله" و "بدمـه" . لأن بولـس قصـد أن يذكـر الشـيوخ بالقيمـة الغاليـة للكنيسـة التـي دعـوا ليخدموهـا . إنهـا كنيسـة اللـه. وروح الله كان قد أقامهم نظارا عليها ، والثمـن الـذي دفـع لشـرائها هـو فـي الواقـع " دم اللـه " ـ عبـارة تكـاد تصيـب بالصدمـة اسـتخدمها بعـض آبـاء الكنيسـة أمثـال أغنـاطيوس و ترتوليـان ،[٥١] واسـتمر رجـال الكنيسـة فـي اسـتعمالها فـي العصـور الوسطى ، وإن كان ذلك كَقَسَمٍ في كثير من الأحيان.

بالرغم من هذا التبريرالكتابي ، على أي حال ، لا توجد آية تصرح بصورة دقيقة أن " الله نفسه " قد مات على الصليب . يشهد الكتاب المقدس لألوهة الشخص الـذي بذل نفسه لأجلنا ، لكنه لا يصل الى حد التأكيد المطلق بـأن " اللـه مـات". والأسـباب لهذا ليست أبعد من أن نبحث عنها. أولا، الخلود مختص بكينونة اللـه الجوهريـة ("

---

[٥١] يشير أغناطيوس إلى "دم الله" و إلى " آلام إلهي" في النسخ المختصـرة مـن رسـائله إلـى أهـل أفسس (الفصل ١) و إلى الرومانيين (الفصل ٦) على التوالي . بل إن ترتوليـان أكثر وضوحـا في كتابه *De Carne Christi* حيث يسأل : " ألم يصلب الله حقـا ؟ " بالحقيقـة كـان هـو أول مـن استخدم التعبير المذهل "الله المصلوب" (الفصل ٥). المثال الثاني هو غريغوري Gregory of Nazianzus, الذي كتب عن "الدم الرباني الثمين لإلهنا ..." .(*Orat*. xlv. 22)

الله...الذي وحده له عدم الموت" ١تي ٦:١٦) ، ولذلك لا يمكن أن يموت . لهذا صار انسانا ، لكي يصبح بإمكانه أن يموت : " فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضا كذلك فيهما لكي يبيد بموته ذاك الذي له سلطان الموت ـــ أي إبليس" (عب ٢:١٤). كذلك صار انسانا لكي يكون " الوسيط الوحيد بين الله والناس" (١تي ٢:٥).

السبب الثاني الذي يجعل قولنا "إن الله مات" أمرا مضللا، هو أن " الله " في العهد الجديد يعني في أغلب الأحيان "الآب" (مثلا "الله أرسل ابنه") ، والذي مات على الصليب لم يكن الآب بل الابن. في مطلع القرن الثالث الميلادي أنكر البعض هذا الأمر. لقد واجهوا صعوبات من جهة عقيدة الثالوث ولم يستطيعوا أن يدركوا كيف يؤمنون بالآب والابن والروح القدس دون أن يصبحوا بذك مثلثين. tritheists وهكذا بدأوا بالتأكيد على وحدة الله ، ثم تحدثوا عن الآب والابن والروح القدس ، ليس باعتبارهم أقانيم متميزين أزليا في اللاهوت، بل بالأحرى بوصفهم: " أشكالا " وقتية أعلن الله نفسه بها على التوالي. ومن هنا جاء اسمهم "الموداليست" Modaists. فعلّموا أن الآب صار الابن، والابن بغد ذلك صار الروح. وأشير إليهم بوصفهم "السابليين" نسبة الى سابليوس Sabellius أحد قادتهم . وكان براكسياس Praxeas قائدا آخرعرفنا تعليمه عن طريق دحض ترتوتليان العنيف له. لقد علم براكسياس (أو، كما قال ترتوليان ، علم الشيطان عن طريقه) "أن الآب نفسه نزل الى العذراء وهو نفسه ولد منها، وهو نفسه تألم ، بالحقيقة كان هو نفسه يسوع المسيح ". وبالنظر أيضا الى أن براكسياس قاوم المونتانيست Montanists ، الذين كانوا يوصفون بصورة غير دقيقة بانهم مواهبيو Charismatics تلك الحقبة ، فقد تابع ترتوليان ، " لقد أدى تراكسياس في روما خدمة للشيطان ثنائية الجانب ، لقد أقصى البنوة و كثّر الهرطقة ، لقد طير البارقليط وصلب الآب".[٥٢] إن النظرية المضحكة القائلة أن الآب قد صلب قادت نقاد تابعي بركسياس الى إطلاق لقب عليهم هو "الباتريباسيون" Patripassians (الذين علموا أن الآب تألم) . وفي معارضة لهذا الرأي ألح ترتوليان على رأيه: " لنقنع بالقول أن المسيح ، ابن الآب ، قد مات ؛ و *ليكن هذا كافيا* ، لأن الكتاب أخبرنا بهذا القدر".[٥٣]

---

[52] Tertuullian , *Advesus Praxean* , ch. I

[53] *Ibid.*, ch. XXIV.

في القرن السادس ظهر في مدينة القسطنطينية انحراف مماثل ، عرف بـ: " ثيوباسكيتيسم" theopaschitism (عقيدة تألم الله). ورفض أتباعها تعريف مجمع خالقيدونية (٤٥١ م) الذي نص على أن يسوع ، مع أنه أقنوم واحد، يملك طبيعتين، لكونه إلها حقا وإنسانا حقا. وبدلا من ذلك كانوا "وحديطبيعيين" Monophysites وعلموا أن للمسيح طبيعة واحدة مركبة ، كانت إلهية في أساسها. وإذ قللوا بذلك من أهمية انسانية يسوع أكدوا طبعا على أن الله تألم فيه و به.

مع أن هذه المجادلات تبدو بعيدة جدا عنا نحن الذين نعيش في القرن العشرين، يلزمنا أن نرى فيها تحذيرا لنا . إن الإفراط في التأكيد على آلام الله على الصليب يمكن أن يضللنا ، فإما أن نخلط بين أقانيم الثالوث وننكر التميز الأزلي للابن كما فعل الموداليست والباتريباسيون ، أو أن نخلط بين طبيعتي المسيح ، وننكر أنه كان أقنوما واحدا ذا طبيعتين ، كما فعل الوحديطبيعيون أو الثيوباسكيون . صحيح أن مجمع أفسس ، بالنظر الى أن يسوع كان إلها وإنسانا معا ، قد صرح (٤٣١م) أن من الصواب الإشارة الى مريم العذراء بصفتها *ثيوتوكوس* *theotokos* ("أم الله"، أي حرفيا حاملة ـ الله). ويبدو مسموحا ، بصورة مماثلة ولنفس الأسباب الإشارة الى الله متألما على الصليب . لأنه إذا كان بوسع الله أن يولد ، فلماذا لا يكون بوسعه أن يموت ؟ قيمة هذه التعابير هي في كونها تحذف إمكانية التفكير في يسوع باعتباره طرفا ثالثا مستقلا . غير أن كلمتي "ثيوتوكوس" و "ثيوباسكيت" مضللتان ، حتى وإن كانتا شرعيتين من الناحية التقنية ،لأنهما تؤكدان ألوهة الأقنوم الذي ولد ومات ، دون أن تشيرا بالمقابل الى ناسوته . بدلا من ذلك سيكون أكثر حكمة أن نقول ما قاله كتبة العهد الجديد ، و ردد صداه بأمانة قانون إيمان الرسل ، أي أن الذي "حبل به من الروح القدس و ولد من مريم العذراء وتألم على عهد بيلاطس البنطي ، وصلب ومات ودفن " لم يكن "الله" ، بله الآب، بل "يسوع المسيح ابنه الوحيد، ربنا ". و قد أوضح الرسل المزيد عن هذا الأمر بتشديدهم على طاعة الابن بكل إرادته للآب.[٥٤]

الله في المسيح

---

[٥٤] مثلا رو٥: ١٢-١٩ ؛ غل ٤: ٤ ؛ في ٢: ٧-٨ ؛ عب ٥: ٨

إن بديلنا ، إذاً، الذي حل محلنا ومات موتنا على الصليب ، لم يكن المسيح وحده (لأن ذلك كان سيجعله طرفا ثالثا يقحم بين الله وبيننا) ولم يكن الله وحده (لأن ذلك كان سيقوض التجسد التاريخي)، ولكنه *الله في المسيح* ، الذي كان حقا وبكل ما في الكلمة من معنى الله وانسانا معا، وكان بناء على ذلك مؤهلا بصورة فريدة ليمثل الله والانسان وليتوسط بينهما. اذا قلنا أن المسيح وحده هو الذي تألم ومات ، أغفلنا مبادرة الآب. وإذا قلنا أن الآب وحده هو الذي تألم ومات ، أغفلنا توسط الابن . إن كتبة العهد الجديد لا ينسبون الكفارة مطلقا إما إلى المسيح بحيث يفصلونه عن الآب أو الى الله بحيث يستغنون عن المسيح ، لكنهم بالأحرى ينسبونها الى الله والمسيح أو الى الله عاملا في المسيح وبوساطة موافقته القلبية الكاملة .

إن الدليل على ذلك واضح في العهد الجديد . ولفحص هذا الدليل يبدو منطقيا البدء بإعلان مولد المسيا. كان الاسمان ، اللذان أعطيا له ، يسوع ("المخلص الإلهي" أو "الله يخلص") وعمانوئيل ("الله معنا") . لأنه في ميلاد المسيح وعن طريقه أتى الله بنفسه لينقذ شعبه ، وليخلصهم من خطاياهم (مت١:٢١-٢٣) . وشبيه بذلك ، ما ورد في إنجيل لوقا ، فإن المخلص الذي ولد ، لم يكن بحسب التعبير المألوف ، مسيح الرب ، أي الممسوح من الرب، فحسب، بل كان فعلا المسيح الرب ، أي أنه هو ذاته كان المسيح [المسيا] والرب معا (لو٢:١١).

لما بدأت خدمة يسوع العامة ، أكد إدراكه الشخصي لذاته ، أن الله كان يعمل فيه و به . فمع أنه تكلم عن " إرضاء" الآب (يو ٨:٢٩) و"إطاعته" (يو١٥:١٠) وعمل إرادته وتكميل عمله ،[٥٥] إلا أن هذا التسليم كان طوعيا تماما، بحيث أن إرادته وإرادة الآب كانتا دوما في انسجام تام.[٥٦] بالإضافة الى ذلك ، فإنه وفقا لإنجيل يوحنا تحدث عن " ثبات " متبادل ، فهو في الآب والآب فيه ، بل وتحدث عن" اتحاد " بينهما.[٥٧]

هذا الاقتناع بأنه لا يمكن الفصل بين الآب والابن ، ولا سيما عندما نفكر في الكفارة ، بالنظر الى أن الآب كان فاعلا عن طريق الابن ، ــ هذا الاقتناع يعبر عنه بولس أكمل تعبير في بعض من بياناته القوية عن المصالحة . مثلا " الكل من الله "(مشيرا الى الخليقة الجديدة التي أوجدها الله ٢ كو٥:١٧-١٨)، الذي "صالحنا

---

٥٥ مثلا يو ٤: ٣٤ ؛ ٦: ٣٨-٣٩ ؛ ١٧: ٤ ؛ ١٩: ٣٠

٥٦ مثلا يو ١٠: ١٨ ؛ مر ١٤: ٣٦ ؛ عب ١٠: ٧ (مز ٤٠: ٧-٨)

٥٧ مثلا يو ١٤: ١١ ؛ ١٧: ٢١-٢٣ ؛ ١٠: ٣٠

لنفسه بيسوع المسيح " و " كان في المسيح مصالحا العالم لنفسه" (الآيتان١٨-١٩). يبدو أنه لا يهم كثيرا ، أثناء ترجمة الأصل اليوناني ، المكان الذي نضع فيه تعبيري " بيسوع المسيح" و " في المسيح". الأمر المهم هو أن الله والمسيح كانا فاعلين معا في عمل المصالحة ، وأن الله بالحقيقة كان بالمسيح وفي المسيح ينجز المصالحة.

هناك آيتان أخريان كتبهما بولس تشكلان رابطة لا تنفصم بين شخص المسيح وعمله ، وهكذا تشيران الى أنه استطاع أن يفعل ما فعله فقط لأنه كان من كان . وكلاهما تتحدثان عن حلول "ملء" الله فيه وعن عمل الله بوساطته (كو١: ١٩-٢٠ و٢:٩). هذا العمل يرسم بصور متنوعة ، لكنه يعزى بجملته الى ملء الله الحال في المسيح ـ مصالحا كل الأشياء لنفسه ، صانعا السلام بدم صليبه ، مقيما إيانا مع المسيح ، غافرا كل خطايانا ، ماحيا الصك الذي كان ضدا لنا، مزيلا إياه ، ومسمرا إياه بالصليب، ونازعا أسلحة الرياسات والسلاطين ، منتصرا عليهم "به" (الصليب) أو " فيه " (المسيح).

كان أنسلم Anselm محقا في رأيه الذي مفاده أنه *ينبغي على الانسان* فقط أن يقوم بالتعويض عن خطاياه ، لأنه هو الذي أهمل أداء واجباته . و كان محقا بنفس القدر في رأيه الذي مفاده أن الله فقط *يستطيع* أن يقوم بالتعويض الضروري لأنه هو الذي طالب به . فيسوع المسيح هو المخلص الوحيد ، لأنه الشخص الوحيد الذي اتحدت فيه " الاستطاعة " و " الوجوب"، لكونه الله وانسانا معا. إن نقطة الضعف في صيغة أنسلم ، ومردها على الأرجح الى خلفيته الثقافية المرتبطة بالنظام الإقطاعي الذي ساد في القرون الوسطى ، هي أنه بالغ في التشديد على (ناسوت) المسيح ، فالانسان هو الخاطيء لذا يجب أن يدفع الدين الذي جلبه على نفسه ، ويجب أن يصلح العطب الذي أحدثه . ولكن تأكيد العهد الجديد هو بالأكثر على مبادرة الله ، الذي " أرسل" ابنه أو " بذله " أو " أسلمه " لأجلنا، [٥٨] ولهذا تألم في آلام ابنه.

كتب جورج باتريك George Buttrick حول صورة معلقة في إحدى كنائس إيطاليا، مع أنه لم يستعرفها identify. تبدو الصورة لأول وهلة كأي صورة زيتية أخرى تمثل الصلب. إلا أنك اذا دققت النظر، أدركت الفرق، " لأن ثمة شكلا ظليلا

[٥٨] مثلا غل ٤: ٤ ؛ ايو ٤: ١٤ ؛ يو ٣: ١٦ ؛ رو ٨: ٣٢

ضخما يظهر وراء شكل يسوع . والمسمار الذي يخترق يد يسوع يصل الى يد الله وينفذ فيها. والرمح الذي طعن به جنب يسوع ينفذ منه ويصيب جنب الله".٥٩

في البداية أظهرنا أنه يلزم أن "يرضي الله نفسه" استجابة لحقائق العصيان البشري بطريقة تتوافق تماما مع طبيعته. هذه الضرورة الباطنية هي نقطة البدء الثابتة التي بدأنا بها. نتيجة لذلك ، كان سيستحيل علينا نحن الخطاة أن نبقى ، الى الأبد، الأهداف الوحيدة لمحبته المقدسة ، نظرا الى أنه لا يستطيع أن يعاقبنا ويسامحنا في الوقت نفسه . ومن هنا جاءت الضرورة الثانية ، أي الإبدال . إن الطريقة الوحيدة التي تضمن إرضاء محبته المقدسة هي أن تتجه قداسته نحو البديل الذي عينه وتفرض عليه الدينونة ، لكي تتجه محبته نحونا وتمنحنا الغفران . فالبديل يحمل الجزاء لكي ننال نحن الخطاة الصفح . فمن هو البديل إذاً ؟ من المؤكد أنه ليس المسيح إذا اعتبر كطرف ثالث . إن أي نظرية حول الإبدال الجزائي يلعب فيها ثلاثة أطراف مستقلون أدوارهم - الطرف المذنب، والقاضي المُعَاقِبُ و الضحيةالبريء - ينبغي إنكارها بأشد ما يكون الإنكار. فلن تكون هذه النظرية بحد ذاتها غير منصفة فقط ولكنها ستعكس أيضا خريستولوجيا*مشوهة، لأن المسيح ليس شخصا ثالثا مستقلا ، ولكنه الابن الأزلي للآب ، الذي هو واحد مع الآب في كينونته الجوهرية.

ما نراه إذا في دراما الصليب ليس ثلاثة ممثلين ، بل اثنين ، نحن من جهة والله من جهة أخرى. ليس الله كما هو بذاته (الآب)، لكنه مع ذلك الله ، الله الذي صار انسانا في المسيح(الابن). من هنا تأتي أهمية تلك المقاطع من العهد الجديد التي تتحدث عن موت المسيح على أنه موت ابن الله: مثلا " هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد "، " لم يشفق على ابنه" و " صولحنا مع الله بموت ابنه ".٦٠ لأنه ببذل ابنه كان يبذل نفسه . فالقاضي نفسه ، والحالة هذه ، بدافع محبته ، أخذ على عاتقه هو دور الضحية البريء لأنه في شخص ابنه و به حمل هو نفسه الجزاء الذي أنزله . هذا ما عبر عنه ديل " إن الوحدة السرية بين الآب والابن جعلت

---

[59] George A. Buttrick, *Jesus Came Preaching*, p. 207.

* Christology: علم دراسة المسيح

٦٠ يو ٣: ١٦ ؛ رو ٨: ٣٢ و ٥: ١٠

بالإمكان أن يتحمل الله الألم الجزائي وأن يفرضه في وقت واحد".[61] فليس في ذلك جور قاس ، ولا محبة مجردة من المباديء الخلقية ولا هرطقة خريستولوجية Christological ؛ هناك فقط رحمة لا يسبر غورها . لكي يخلصنا الله بطريقة ترضيه ، أبدل الله في المسيح نفسه بنا. وعن طريق التضحية الإلهية الذاتية انتصرت المحبة الإلهية على الغضب الإلهي. كان الصليب في آن واحد فعل قصاص وعفو ، فعل قسوة ونعمة ، فعل عدالة ورحمة.

هذه النظرة الى الكفارة البدلية تؤدي الى تبخر الاعتراضات عليها. فلا يوجد هنا أي تصرف لاأخلاقي مهما كان ضئيلا لأن البديل الذي حل محل المخالف للقانون ليس سوى المشرع الإلهي نفسه الذي صنع القانون. وكذلك ليس هناك تعامل آلي ، بالنظر الى أن التضحية بالذات حبا هي فعل ذو طابع شخصي أكثر من أي فعل آخر. وما أنجز بالصليب ليس مجرد تغيير خارجي للوضع القانوني، نظرا الى أن الذين يرون محبة الله هناك ويتحدون مع المسيح بروحه ، يتحولون جذريا من حيث استشرافهم outlook وطبيعتهم.

لذلك نرفض بشدة كل تفسير لموت المسيح لا يشغل فيه مبدأ " الإرضاء بالإبدال "، مكان المركز، أي بالحقيقة مبدأ " الإرضاء الإلهي بالإبدال الإلهي". لم يكن الصليب مساومة تجارية مع الشيطان ، بله مساومة احتالت عليه أو أوقعته في شرك؛ ولا تعويضا دقيقا أي بدلا *quid pro quo* a ، مراعاة لمباديء الشرف ، أو لميزة فنية من ميزات الشريعة ؛ ولا خضوعا إجباريا ، من قبل الله لسلطة أخلاقية ما أعلى منه، لم يكن بوسعه ، بغير ذلك الخضوع ، أن يهرب منها ؛ ولا عقوبة مسيح وديع يفرضها عليه أب عقوبي قاس ؛ ولا تدبير مسيح محب للحصول على الخلاص من أب بخيل ممانع ؛ ولا فعلا قام به الآب فتجاوز المسيح كوسيط . بدلا من ذلك ، اتضع الآب المحب البار فأصبح ، في ابنه الوحيد وعن طريقه ، جسدا وخطية ولعنة لأجلنا ، لكي يفدينا دون أن يعرض طبيعته للشبهة . من الواجب تحديد كلمتي "الإرضاء" و "الإبدال" اللاهوتيتين بدقة وصيانتهما ، ولكن لا يمكن التخلي عنهما في أي ظرف. إن انجيل الكفارة الكتابي هو أن الله أرضى نفسه بإبدال نفسه بنا.

---

[61] R. W. Dale, *Atonement* , p. 393.

يمكن أن يقال إذاً ، أن مفهوم الإبدال يكمن في قلب الخطية والخلاص . لأن جوهر الخطية هو إبدال الانسان نفسه بالله ، بينما جوهر الخلاص هو إبدال الله نفسه بالانسان. يؤكد الانسان نفسه قبالة الله ، ويضع نفسه حيث يستحق الله وحده أن يكون ؛ الله يضحي بنفسه لأجل الانسان ويضع نفسه حيث يستحق الانسان وحده أن يكون. يطالب الانسان بامتيازات تخص الله وحده ؛ ويقبل الله جزاءات تخص الانسان وحده .

إذا كان الإبدال هو جوهر الكفارة ترتب على ذلك على الأقل استنتاجان مهمان، أولهما لاهوتي والثاني شخصي . الاستنتاج اللاهوتي هو أنه من المستحيل الاعتقاد بالتعليم التاريخي المتعلق بالصليب دون الاعتقاد بالتعليم التاريخي الذي مفاده أن يسوع المسيح هو الله ـ الانسان الخصيص والوحيد، والوسيط الخصيص والوحيد أيضا. وكما رأينا لا يستطيع المسيح وحده كإنسان أن يكون بديلنا ولا الآب وحده كإله يستطيع ذلك . فالله في المسيح فقط ، الذي هو ابن الله الخصيص والوحيد الذي تأنس ، استطاع أن يأخذ مكاننا. في أصل كل صورة ساخرة للصليب تكمن خريستولوجيا مشوهة . إن شخص المسيح وعمله لا ينفصلان . فلو لم يكن هو من قال عنه الرسل أنه هو لما كان بوسعه أن يفعل ما قالوا أنه فعله . التجسد ضربة لازب للكفارة . إنه جوهري بخاصة ليؤكد أن محبة الآب وقداسته وإرادته مماثلة لمحبة الابن وقداسته وإرادته . لقد كان الله في المسيح مصالحا العالم لنفسه .

ربما لم ير هذا الأمر بوضوح ، أو يعبر عنه بقوة ، أي لاهوتي آخر في القرن العشرين مثلما رآه و عبر عنه كارل بارث.[62] لقد أصر على أن علم دراسة المسيح Christology(خريستولوجيا) هو المفتاح لفهم عقيدة المصالحة . و كرر مرارا أن الخريستولوجيا تعني الاعتراف بيسوع المسيح الوسيط على اعتبار أنه " إله حق ، وانسان حق وإله ـ انسان حق". هناك إذاً "ثلاثة جوانب خريستولوجية" أو " ثلاث وجهات نظر" لفهم الكفارة . الأول هو أننا "في يسوع المسيح نتعامل مع إله حق. فالمصالحة بين الانسان والله تتم بالنظر الى أن الله نفسه يتدخل بفعالية" (ص١٢٨). الجانب الثاني هو أننا " في يسوع المسيح نتعامل مع انسان حقيقي...فهو انسان تماما ، مثلما هو الله تماما...وهو بهذه الكيفية المصالح بين الله والانسان" (ص١٣٠). الجانب الثالث هو أن "يسوع المسيح نفسه واحد"، مع أنه إله حق وانسان حق ، "

[62] Karl Barth, *Church Dogmatics*, IV. 1.

فهو الله ـ الانسان" (ص١٣٥). حين يُؤَكِّدُ هذا الوصف الكتابي ليسوع المسيح عندئذ فقط يمكن أن يُفْهَمَ تفرد ذبيحته الكفارية. لقد توقفت المبادرة على " الله الأزلي نفسه الذي بذل نفسه في ابنه ليصير انسانا، وليحمل على عاتقه، كإنسان ، هذه الآلام البشرية التي انتهت بالموت... ففي هذه الآلام passion يأخذ القاضي مكان أولئك الذين ينبغي أن يدانوا ، ويسمح لنفسه في هذا الآلام* بأن يدان بدلا منهم" (ص٢٤٦) "إن ألم يسوع المسيح هو دينونة الله التي كان القاضي فيها هو نفسه المدان (ص٢٥٤).

الاستنتاج الثاني ، شخصي . إن عقيدة الإبدال لا تؤكد فقط حقيقة واقعة (الله في المسيح أبدل نفسه بنا) بل تؤكد ضرورتها (لم تكن هناك طريق أخرى يمكن بها إرضاء محبة الله المقدسة وتخليص البشرالعصاة) . لهذا، فإننا حين نقف أمام الصليب نبدأ باكتساب رؤية أوضح لله ولأنفسنا معا ، ولاسيما من حيث علاقة كل طرف بالآخر. إن الله في المسيح حمل عنا العقوبة التي كنا نستحقها عوضا عن أن ينزلها بنا . وجهنم هي الخيار الوحيد الآخر . هذه هي" الفضيحة "، أي عثرة الصليب. لأن قلوبنا المتكبرة تثور عليه . فنحن لانطيق تحمل الإقرار بخطورة خطيتنا وذنبنا ولا الإقرار بمديونيتنا الكاملة للصليب . ونحن نقول ، ينبغي أن يكون هناك ، بالتأكيد ، شيء ما نستطيع أن نفعله ، أو نسهم فيه على الأقل لكي نتلافى النقص ؟ وإذا لم نقل ذلك فإننا نعطي الانطباع غالبا بأننا نفضل أن نتحمل عقوبتنا على أن نتحمل الإذلال الذي نشعر به عندما نرى الله في المسيح يحملها عوضا عنا.

لقد استطاع جورج برنارد شو، الذي تميز بتبصر insight جدير بالاعتبار ينفذ الى أعماق الكبرياء البشرية ، أن يعبر عن هذا بطريقة مسرحية في الكوميديا التي كتبها (عام ١٩٠٥) حول جيش الخلاص بعنوان ، *الرائد بربارة Major Barbara*. بيل ووكر Bill Walker "زبون فظ يناهز الـ ٢٥ "، يصل الى ملتجأ جيش الخلاص في وست هام West Ham صباح يوم قارس من أيام كانون الثاني سكرانا ومحنقا، لا لأن صديقته موغ Mog قد اهتدت الى المسيح فحسب ، بل لأنها أيضا صادقت

* آلام passion كلمة أنكليزية قديمة وهي ترجمة للكلمة اللاتينية " passio " التي تعني التألم"suffering". أما آلام المسيح passion of christ فتعني بالحقيقة " التألم و الموت".(توضيح خطي من المؤلف) [المترجم]

رجلا آخر اهتدى الى المسيح بدوره ، هو تودجر فيرمايل Todger Fairmile ، بطل المصارعة في مسرح منوعات في بلدة كاننغ Canning. وبعد أن اتهم بيل فتاة حديثة السن في جيش الخلاص ، هي جني هيل Jenny Hill بتحريض رفيقته عليه، أمسكها بشعرها حتى راحت تصرخ ، ومن ثم ضربها بقبضة يده على وجهها فجرح شفتها . أما المشاهدون فقد سخروا منه بسبب جبنه. وقالوا، إنه يهاجم فتاة ، لكنه لا يملك الشجاعة الكافية ليضرب تودجر فيرمايل . وأخذ ضميره وكبرياؤه يضايقانه الى حد أنه لم يعد يستطيع تحمل الإهانة. فقرر أن يفعل شيئا لينقذ سمعته ويكفر عن ذنبه . فقال بلهجة حي فقير من أحياء لندن:

" إنني ذاهب الى بلدة كاننغ ، لكي أبصق في عين تودجر فيرمايل . لقد ضربت جيني هيل على وجهها ؛ والآن سوف أُضْرَبُ أنا على وجهي... سوف يضربني ضربة أقوى من ضربتي لها. وهذا يجعلني وإياها متعادلين..."

لكن تودجر يرفض التعاون. وهكذا يعود بيل خجلا:

" لقد فعلت ما قلت أني سأفعله. لقد بصقت في عينه. وها هو يرفع نظره الى السماء و يقول "يا ليتني أحسب مستحقا أن يبصق علي لأجل الإنجيل ! " .. وتقول موغ " مجدا هللويا ! ".

وتقول جيني هيل ، إنها آسفة وأنه لم يؤذها حقا ، مما جعله أشد غضبا:

" لا أريد أن تسامحيني أنت ، ولا أن يسامحني أحد. سوف أدفع تعويضا عما فعلته . فقد حاولت أن يُكْسَرَ فكي لكي أسترضيك ـ ". ونظرا الى أن هذه الطريقة قد فشلت ، على أي حال ، يحاول خدعة أخرى . فيعرض أن يدفع غرامة قد فرضها للتو أحد زملائه ، و يخرج من جيبه جنيها ذهبيا.

"ها هو المال فخذيه ؛ ولْنُنَحِّ جانبا بعد الآن غفرانك وصلاتك وكلام رائدتك السليطة باربارا الذي وجهته . لقد فعلت فعلتي ولنعتبر أنني دفعت تعويضا مقابلها وانتهى الأمر...إن هذا الغفران الحقير والإزعاج والكلام السليط يغيظ المرء بحيث تصبح حياته ثقلا عليه . لن أقبل بهذه الحياة ، أقول لك ...لقد عرضت أن أدفع تعويضا ولا أقدر أن أفعل أكثر من ذلك . خذيه أو اتركيه ، دونك إياه" ـ و يرمي الجنيه على الأرض.

هنا يظهر القلب البشري المتكبر . إننا نلح على أن ندفع تعويضا عما فعلنا. لا نستطيع أن نتحمل الإذلال الذي يرافق إقرارنا بالإفلاس وسماحنا لشخص آخر

بالدفع عنا. أما فكرة كون الله نفسه هو ذلك الشخص فهي أكبر من أن نتحملها. نفضل أن نهلك على أن نتوب ، ونفضل أن نخسر نفوسنا على أن نتواضع .

علاوة على ذلك ، فالإنجيل وحده يتطلب مثل هذا الاتضاع المذل من جانبنا، لأنه الوحيد الذي يعلم عن الإبدال الإلهي بوصفه الطريق الوحيد للخلاص. تعلم باقي الديانات أشكالا أخرى من تخليص النفس . فالهندوسية مثلا تدعي الفضل لنفسها في رفض الإقرار بكينونة الانسان الخاطئة sinfulness. قال سوامي فيف كانندا Swami Vivekananda في محاضرة ألقاها في شيكاغو عام ١٨٩٣، أمام برلمان الديانات: "يرفض الهندوسي أن يسميكم خطاة . أنتم أولاد الله؛ أنتم الشركاء في البركة الخالدة . أنتم كائنات مقدسة وكاملة. أأنتم الآلهة على الأرض، خطاة ؟ إنك ترتكب خطيئة حينما تقول لانسان أنه خاطيء. هذا طعن دائم في الطبيعة البشرية". بالإضافة الى ذلك إذا كان لا بد من التسليم بأن البشر يخطئون، فإن الهندوسية تصرعلى أنهم يستطيعون تخليص أنفسهم.[٦٣]

هذا ما عبر عنه برونر، "جميع أشكال الدين الأخرى - بله الفلسفة - تعالج مشكلة الإثم بصورة منفصلة عن تدخل الله، و لذلك فإنها تصل الى استنتاج 'رخيص'. بحسب تلك الديانات يُجَنِّبُ الانسان الإذلال النهائي الناجم عن معرفته أن الوسيط ينبغي أن يحمل العقوبة نيابة عنه. إنه ليس بحاجة الى أن يخضع لهذا النير. إنه لا يعرى على نحو قاطع".[٦٤]

لكننا لا نستطيع أن نتجنب الارتباك الناجم عن وقوفنا عراة تماما أمام الله. لا فائدة من محاولتنا التستر كما فعل آدم و حواء في الجنة. إن محاولات التبرير الذاتي التي نقوم بها عديمة الجدوى كأوراق التين التي حاولا التستر بها. علينا أن نقر بعرينا، ونرى البديل الإلهي يلبس خرقنا البالية بدلا منا ، ونسمح له بأن يلبسنا برّه هو.[٦٥] إن أحدا لم يعبر عن ذلك قط بأفضل مما عبر عنه أوغسطوس توبلايدي Agustus Toplady في ترنيمته الخالدة ، "صخر الدهور":

ليس لدي ما أقدمه لك،

---

[63] From *Speeches and Writings* by Swami Vivekananda , pp. 38-39. *Cf.* p. 125. See also *Crises of Belief* by S. C. Neill. p. 100.
[64] Emil Brunner, *Mediator* , p. 474.

[٦٥] قارن رو ٣: ١٧-١٨

إنني ببساطة ألتصق بصليبك ؛
آتي إليك عاريا لتكسوني؛
عاجزا أتطلع نحو نعمتك؛
قذرا أجري نحو نبعك؛
فاغسلني يا مخلصي، وإلا، فإنني أموت.

الجزء الثالث

إنجاز الصليب

٧

خلاص الخطاة

إن الله في المسيح ، متأثرا بكمال محبته المقدسة ، أبدل نفسه بنا نحن الخطاة. هذا هو قلب صليب المسيح. وهو يقودنا الى الانتقال الآن من الحدث الى نتائجه، ومما حدث على الصليب الى ما تم إنجازه بوساطة ما حدث . لماذا أخذ الله مكاننا وحمل خطيتنا ؟ مالذي أنجزه بذبيحته الذاتية ، وإبداله الذاتي ؟

يقدم العهد الجديد ثلاثة أجوبة عن هذه الأسئلة ، يمكن أن تلخص بثلاث كلمات هي، " الخلاص" و " الإعلان" و "الغلبة " . فما فعله الله في المسيح عن طريق الصليب هو إنقاذنا ، والكشف عن ذاته والتغلب على الشر. سوف نركز في هذا الفصل على الخلاص بالصليب.

من الصعب المبالغة في تقييم جسامة التغييرات التي جرت نتيجة للصليب ؛ من جهة الله ومن جهتنا ، ولاسيما في تعاملات الله معنا وفي علاقاتنا معه . حقا لقد أشرق يوم جديد ، عندما مات المسيح وقام من الأموات ، لقد بدأ عصر جديد.

هذا اليوم الجديد هو "يوم الخلاص" (٢ كو ٦:٢)، وإن بركات "خلاص هذا مقداره" (عب ٢:٣) لغنية في تنوعها بحيث لا يمكن تحديدها بدقة . ويتطلب وصفها عدة صور. وكما تعرض كنيسة المسيح في الكتاب المقدس باعتبار أنها عروسه وجسده ، وخراف قطيع الله وأغصان كرمته ، وإنسانيته الجديدة وبيته أو عائلته ، وهيكل الروح القدس ، وعمود الحق وقاعدته ، هكذا يوضح خلاص المسيح بصور مجازية زاهية مثل " الكفارة " و" الفداء" و" التبرير" و" المصالحة " التي ستشكل موضوع هذا الفصل . فضلاعن ذلك ، وكما أن الصور المجازية للكنيسة

متنافرة في الظاهر (لا يستطيع المرء أن يتصور في آن واحد جسد المسيح وعروس المسيح) ، إلا أن ثمة حقيقة تكمن في أساسها جميعا هي أن الله يدعو لنفسه شعبا ، كذلك فإن الصور المجازية للخلاص متنافرة (التبرير والفداء يستحضران في الذهن على التوالي عالمين متباعدين هما عالم القانون وعالم التجارة) ، مع أن ثمة حقيقة تكمن في أساسها جميعا وهي أن الله في المسيح قد حمل خطيتنا ومات موتنا ليحررنا من الخطية والموت . هذه الصور المجازية وسائل مساعدة ضرورية لتمكن البشر من فهم العقيدة . وما تبلغه صادق ، لكونه معطى من الله. مع ذلك لا يجوز أن نستنتج من هذا أننا إذا فهمنا معنى هذه الصور نكون قد عالجنا معنى العقيدة معالجة كاملة . لأن وراء الصور المجازية للكفارة يكمن سر الكفارة ، الذي أظن أننا سنمضي الأبدية في استكشاف عجائبه العميقة.

" الصور المجازية " للخلاص (أو للكفارة) تعبير أفضل من " النظريات". لأن النظريات عادة مفاهيم مجردة تأملية ، في حين أن الصور المجازية الكتابية للإنجاز الكفاري الذي حققه المسيح صور واقعية تنتمي الى معطيات الإعلان . فهي ليست تفسيرات للصليب تمثل مجالا واسعا من البدائل يمكن الاختيار من بينها ، بل هي متكاملة ، يسهم كل منها بدور حيوي هو جزء من كل . فالصورة المجازية لـ " الكفارة " تقودنا الى الطقوس على المذبح ، وصورة " الفداء" الى المعاملات في السوق ، و" التبرير" الى الاجراءات في قاعة المحكمة و" المصالحة " الى الخبرات في بيت أو عائلة . رأيي الذي أجادل لأجله هو أن "الإبدال" ليس " نظرية " أخرى أو " صورة مجازية " يجب أن تُصَفَّ بجانب غيرها، ولكنها بالأحرى أساس كل الصور الأخرى ، وبدونها تفتقر كل صورة منها الى قوة الحجة . فلو لم يمت الله في المسيح عوضا عنا ، لما كانت هناك كفارة ولا فداء ، ولا تبرير ، ولا مصالحة. بالإضافة الى ذلك أن جميع الصور المجازية تبدأ حياتها في العهد القديم ، لكنها تطور وتغنى في العهد الجديد ولا سيما بربطها مباشرة ربطا ذهنيا بالمسيح وصليبه .

الكفارة / الاسترضاء *

كان المسيحيون الغربيون في أجيالهم الباكرة على اطلاع تام بلغة الكفارة ، فيما يتعلق بموت المسيح . لأن النسخة المجازة KJV من الكتاب المقدس التي نشأوا عليها تضمنت ثلاثة تأكيدات صريحة لها من قبل بولس و يوحنا:

بولس: "...المسيح يسوع الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه" (رو ٣:٢٤-٢٥).
يوحنا: " فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار: وهو كفارة لخطايانا ". و ورد في رسالته أيضا ، في هذا هي المحبة ، ليس أننا أحببنا الله ، بل أنه هو أحبنا، وأرسل ابنه كفارة لخطايانا " (١يو ٢:١-٢ ؛ ٤:١٠).

مع أن هذه اللغة كانت معروفة تماما لدى أجدادنا ، لكنهم لم يكونوا بالضرورة مرتاحين لاستعمالها . إن " استرضاء " شخص ما يعني تسكين غضبه أو تهدئته . فهل يغضب الله ؟ إذا كان الأمر كذلك ، فهل تستطيع التقدمات أو الطقوس أن تهديء غضبه ؟ هل يقبل الله رشاوى ؟ مثل هذه المفاهيم تبدو وثنية أكثر مما هي مسيحية . من المفهوم أن يعتبر الأرواحيون animists البدائيون أن استرضاء غضب الآلهة أوالأرواح أوالأسلاف أمر أساسي . ولكن هل تليق مثل هذه الأفكار بإله المسيحيين ؟ ألا يجب علينا أن نكون قد أقلعنا عنها بعد أن كبرنا ؟ ألا يجب علينا بخاصة أن نؤمن حقا بان يسوع بموته استرضى الآب الغاضب مقنعا إياه بأن يتحول عن غضبه وينظر إلينا بدلا عن ذلك نظرة الرضى ؟

إن المفاهيم الفجة عن الغضب والقربان والاسترضاء يلزم أن ترفض بالحقيقة. فهي لا تنتمي الى ديانة العهد القديم ، بله العهد الجديد. إلا أن هذا لا يعني أنه لا توجد مطلقا فكرة كتابية عامة عن هذه الأمور. ما أعلن لنا في الكتاب هو تعليم نقي (حذفت منه كل الفظاظات الوثنية) عن غضب الله المقدس وتضحيته الذاتية الحبية في المسيح ومبادرته ليحول غضبه . من الواضح أن " الغضب " و " الاسترضاء "

---

* هاتان الكلمتان ، ترجمتان لـ Propitiation المقابلة لكلمة *هيلاسموس* اليونانية التي تحمل معنين هما الكفارة و الاسترضاء . ونلاحظ في السياق الحالي أن الترجمة العربية تفرق بين دلالتي هذه الكلمة.

(تهدئة الغضب) متلازمان . عندما يطهر الغضب من الأفكار غيز اللائقة فمن شأن ذلك أن يطهر الاسترضاء . والعكس صحيح أيضا. إن الذين لا يستطيعون أن يتقبلوا أي فكرة عن غضب الله هم الذين يرفضون الاعتراف بأي فكرة عن الاسترضاء . ها هو الأستاذ أ.ت. هانسون A. T. Hanson مثلا يكتب: " إذا كنت تنظر الى الغضب كموقف يتخذه الله ، فلن تستطيع أن تتجنب نظرية استرضاء من نوع ما . ولكن العهد الجديد لا يتحدث أبدا عن استرضاء غضب الله لأنه لا يعتبر كموقف يتخذه الله ".[1]

هذا الانزعاج من تعليم الغضب وتعليم الاسترضاء ، قاد بعض اللاهوتيين الى إعادة فحص مجموع المفردات الكتابية . لقد ركزوا على وجه الخصوص على مشتقات كلمة ترجمت بتعابير " كفارية " ، أي الاسم *هيلاسموس* (١يو٢:٢ ؛ ٤:١٠) والصفة *هيلاستريوس* (رو ٣: ٢٥ ، حيث ربما تدل على معنى الاسم)، والفعل *هيلاسكوماي* (عب٢:١٧؛ و كذلك لو١٨:١٣، حيث ربما يجب ترجمة الكلمة بصيغة المبني للمجهول " كن مسترضى - أو كن راضيا - عني ؛ أنا الخاطيء"). السؤال الحاسم هو ما إذا كان المفعول ، الذي يقع عليه فعل التكفير ، هو الله أم الانسان . فإذا كان الله ، فإن الكلمة الصحيحة هي " استرضاء " propitiation (تهدئة الله) ؛ وإذا كان الانسان، فالكلمة الصحيحة هي " التكفير" expiation (معالجة الخطية والذنب).

كان اللاهوتي البريطاني سي. ه. دد C. H. Dodd في طليعة من حاولوا إعادة التفسير هذه .[2] وفيما يلي تفسيره لرومية ٣:٢٥: " المعنى الذي تبلغنا إياه هذه الآية ...هوالتكفير/ [الكفارة] expiation وليس الاسترضاء . معظم المترجمين والمفسرين مخطئون".[3] و يعبر عن رأي مماثل بشأن ١يو ٢:٢ ، فترجمة هذه الآية بعبارة " استرضاء لأجل خطايانا " هي ترجمة " غير شرعية هنا مثلما هي غير شرعية في

---

1 A. T. Hanson, *Wrath of the Lamb* , p. 192.

٢ كتب سي. ه. دد C. H. Dodd, مقالة حول *Hilaskesthai* في مجلة *the Journal of Theological Studies* وأعيد نشرها لاحقا في كتابه *Bible and the Greeks.* . وقد عبر عن محاولته لإعادة تفسير "استرضاء" على أساس أنها "كفارة" في تفسيريه *للرسالة إلى الرومانيين* و *رسائل يوحنا* من تفاسير موفات للعهد الجديد *Moffatt New Testament Commentaries*

3 C. H. Dodd, *Bible and the Greeks* , p. 94. See also his *Ronans* , pp. 54-55.

أي مكان أخر".[4] ونظرا الى أن سي.ه. دد Dodd كان مديرا لهيئات المستشارين التي أخرجت الترجمة الانكليزية الجديدة للكتاب المقدس NEB (العهد الجديد عام ١٩٦١)، فليس من المدهش أن تنعكس نظرته في ترجمة الآيات المشار إليها آنفا. وهكذا ترجمت رو٣:٢٥ " لقد خصصه الله ليكون وسيلة التكفيرعن الخطية بموته القرباني"، أما العبارة المفتاحية في ١يو٢:٢ و ٤:١٠ فترجمت "هو نفسه العلاج للتدنس الناتج عن خطايانا ". أما الترجمة القياسية المنقحة RSV التي كان العهد الجديد منها قد طبع قبل ذلك بعدة سنوات (١٩٤٦) فتستخدم كلمة " كفارة " expiation في الآيات الثلاث جميعها.

كانت حجة سي. ه. دد ، التي تطورت مع معرفته الواسعة المعتادة ، حجة لغوية. لقد أقر بأن المعنى الاعتيادي لفعل *هيلاسكوماي* في اليونانية الوثنية (الفصحى والعامية كليهما) هو "يسترضي" propitiate أو "يهدىء" placate شخصا قد أغضب ، ولا سيما إذا كان إلها . ولكنه أنكر أن هذا كان معناها ، سواء في اليهودية الهيللينية ، كما هو ثابت من الترجمة السبعينية ، أو في العهد الجديد ، الذي أعقبها. وحاول أن يبرهن أن كلمة كيبر(الفعل العبراني المقابل للفعل "يكفر") الواردة في الترجمة السبعينية ترجمت أحيانا بكلمات يونانية ، غير كلمة *هيلاسكوماي* ، تعني "يطهر" أو "يلغي" ؛ وأن *هيلاسكوماي* في السبعينية ترجمة لكلمات عبرية أخرى ، غير كلمة كيبر، تعني " ينظف " أو " يغفر" ؛ وأن كلمة *هيلاسكوماي* عندما تكون ترجمة لكلمة كيبر فالمعنى هو كفارة أو إزاحة التدنيس. وهكذا يخلص الى القول: "إن اليهودية الهيللنية ، ممثلة بالسبعينية ، لا تعد العبادة وسيلة لتهدئة استياء الألوهة ، بل وسيلة لإنقاذ الانسان من الخطية ".[5] بالحقيقة كان يعتقد عموما في العصور القديمة أن " أداء الشعائر المنصوص عنها كان له ، كما يقال ، مفعول المطهر القوي".[6] لذلك ، كما يقول في الختام ، فإن ظهورات مشتقات كلمة *هيلاسكوماي* في العهد الجديد ، يجب أن تفسر بالطريقة نفسها . إن يسوع المسيح لم يسترض الله بصليبه ؛ بل كفر عن الخطية.

---

[4] C. H. Dodd, *Johannine Epistles*, p. 25.
[5] C. H. Dodd, *Bible and the Greeks*, p. 93.
[6] C. H. Dodd, *Johaninine Epistles*, pp. 25-26

رغم أن إعادة الصياغة التي قام بها الأستاذ دُدْ لاقت قبولا لدى كثيرين من معاصريه و خلفائه ، فقد تعرضت لنقد شديد من قبل آخرين ، ولا سيما الأستاذ ليون موريس[٧] والدكتور روجر نيكول Roger Nicole.[٨] وقد أظهر كلاهما أن استنتاجاته اعتمدت إما على أدلة ناقصة أو على استدلالات مشكوك فيها. فتقييمه مثلا لمعنى مجموعة *هيلاسكوماي* في اليهودية الهيللينية لا يشير أي إشارة الى، (١) كتب المكابيين ، مع أنها تنتمي الى السبعينية وتحوي عدة مقاطع تتحدث عن تحويل " غضب القدير"، أو (٢) كتابات يوسيفوس وفيلو ، مع أن معنى " يهدىء " يسود فيها ، كما بين فريدريك بوشل F. Buchel.[٩] أما من جهة مفهوم هذه الكلمات في العهد الجديد ، فإن ف.بوشل يشير الى ما أغفله الأستاذ دُدْ ، والى أن كلمة *هيلاسكوماي* ، كما وردت في رسالة كليمنت Clement الأولى (نهاية القرن الأول) والعمل الذي أُطْلِقَ عليه* راعي هرماس the Shepherd of Hermas (بداية القرن الثاني) ، استعملت بوضوح للدلالة على استرضاء الله. وهكذا لكي تكون نظرية دُدْ بشأن استعمال السبعينية والعهد الجديد نظرية صحيحة كان لا بد له من الاعتقاد أنهما "يشكلان نوعا من الجزيرة اللغوية ، لا سابقة لها تقريبا فيما مضى ، ولا تأكيد لها في الأزمنة المعاصرة ، ولم يتبعها شيء مماثل في السنوات اللاحقة !".[١٠]

---

[٧] كتب ليون موريس Leon Morris موضوعا حول *هيلاسكيشاي* في The Expository Times ، ثم وسع نظريته في كتابه *الوعظ الرسولي* Apostolic Preaching ، كذلك قام بمزيد من التطوير والتبسيط لهذا الكتاب في كتاب *الكفارة* Atonement.

[٨] عنوان مقالة الدكتور روجر نيكول هو "سي. ه. دد وعقيدة الاسترضاء C. H. Dodd and the Doctrine of propitiation" التي ظهرت في صحيفة the *Westminster Theological Journal* , xvii.2 (1955), pp. 117-157 . وهو يقر ببعض المديونية للدكتور ليون موريس ، مع أن مقالة نيكول عبارة عن دراسة مستقلة .

[9] See the article on the *Hilaskomai* word -grorp by F. Buchsel and J. Hermann in Kittel's *Theological Dictionary of the New Testament,* vol. III , pp. 300-323.

* توضيح خطي من المؤلف [المترجم]

[10] Roger Nicole, ' C. H. Dodd ' , p. 132.

لكن لا بد لنا من أن نصرح بأن نظريته غير صحيحة . فحتى في لائحة الأسفار المعترف بها في العهد القديم هناك شواهد عديدة تستعمل فيها *كيبر* و *هيلاسكوماي* للدلالة على تهدئة الغضب ، إما غضب الناس (كيعقوب الذي استعطف [هدأ] عيسو بالهدايا ، والرجل الحكيم الذي يستعطف [يهديء] غضب الملك[١١]) ، أو غضب الله (كهرون وفينحاس اللذين ردا غضب الله عن الإسرائليين[١٢]). وحتى في المقاطع التي تكون فيها الترجمة الطبيعية " يكفر عن الخطية "، فإن القرينة في أغلب الأحيان تتضمن ذكرا واضحا لغضب الله ، مما يفيد ضمنا بأنه يمكن التكفير عن خطية الانسان فقط برد الغضب الإلهي عنه.[١٣] يشير روجر نيكول الى أن هذه الشواهد تنسجم مع " الاستخدام الغالب في اليونانية الكلاسيكية و يونانية الـ*كوينيه* ، وفي كتابات يوسيفوس وفيلو وآباء الكنيسة الكتاب والمكابيين".[١٤] أما استنتاج ليون موريس فيما يخص العهد القديم فهو: مع ان كلمة *هيلاسكوماي* " كلمة مركبة " ، إلا أن " تحويل الغضب يمثل على ما يبدو الأساس الصلب للمعنى الذي منه يمكن أن تفسر بصورة طبيعية كل الاستعمالات ".[١٥]

والأمر نفسه يصدق على ورودات الكلمة في العهد الجديد . إن وصف يسوع بـ *هيلاسموس* فيما يتعلق بخطايانا (١يو ٢:٢؛ ٤:١٠) يمكن أن يفهم على أنه يعني ببساطة أنه نزعها أو أبطلها . ولكنه أيضا يدعى " شفيعنا لدى الآب " (٢:١)، مما يتضمن انزعاج ذاك الذي يتوسل أمامه من أجل قضيتنا. أما بشأن المقطع الوارد في رومية ٣ فالسياق محدد . وسواء ترجمنا *هيلاستريون* في الآية ٢٥ " مكان الاسترضاء " (أعني الغطاء ، كما في عب ٩:٥) أو " وسيلة الاسترضاء " (أعني ذبيحة استرضاء)، فقد بين الله ، أن يسوع الذي يوصف هكذا ، هو العلاج للذنب البشري الشامل الذي استوجب غضب الله ، الذي كتب بولس اصحاحين و نصف ليشرحه . و كما علق ليون موريس بحق ، " لقد شغل الغضب مكانا مهما في المناقشة المؤدية الى هذا المقطع إلى حد أن هناك مايبرر بحثنا عن تعبير ، يدل

---

[١١] تك ٣٢: ٢٠ ؛ أم١٦: ١٤

[١٢] عد ١٦: ٤١–٥٠ و ٢٥: ١١–١٣ قارن أيضا زك ٧: ٢ ؛ ٨: ٢٢ ؛ ملا ١: ٩

[١٣] مثلا خر ٣٢: ٣٠ (قارن الأية ١٠) ؛ تث ٢١: ١–٩ ؛ ١صم ٣: ١٤ ؛ ٢٦: ١٩

[14] R. Nicole, 'C. H. Dodd', P. 134.

[15] L. Morris, *Apostolic Preaching*, p. 155.

على إبطاله في العملية التي تحقق الخلاص ".[16] صحيح أن فعل *هيلاسكوماي* في عب ٢:١٧ فعل متعد ومفعوله " خطايا الشعب ". لذلك يمكن أن يترجم بـ " يكفر" أو "يصنع كفارة لأجل" إلا أن هذا المعنى ليس ثابتا ، ويترجم بحسب هامش الترجمة العالمية الجديدة NIV " لكي يتمكن من صرف غضب الله، مزيلا " خطايا الشعب.

وإذا سلمنا بأن حجة سي. ه. دد اللغوية قد فشلت ، أو على الأقل بأن قضيته لم " تبرهن "، وأن مشتقات كلمة *هيلاسكوماي* تعني " استرضاء " وليس " كفارة "، فما يزال علينا أن نقرر كيف نصور غضب الله ، و كيف نصور تحويله . سيكون من السهل رسم صورة ساخرة لهما بحيث يصرف النظر عنهما بسخرية . وهذا ما فعله وليم نيل William Neil في المقطع التالي :

> جدير بالملاحظة أن مدرسة " النار والكبريت " اللاهوتية التي يجد أصحابها متعة بالغة في أفكار لا تلقى أي دعم من بولس كالفكرة القائلة أن المسيح قدم قربانا ليهديء إلها غاضبا ، أو أن الصليب ، كان إجراء قانونيا أجبر بموجبه ضحية بريء على تحمل العقوبة من جرّى جرائم الآخرين ، أو كان استرضاء لإله صارم . لقد دخلت مثل هذه الأفكارالى اللاهوت المسيحي عن طريق آراء ناموسية لرجال الكنيسة في العصور الوسطى ؛ إن المسيحية الكتابية براء من هذه الآراء.[17]

ولكن هذا بالطبع ليس مسيحية الكتاب المقدس بعامة، ولامسيحية بولس بخاصة. ومن المشكوك فيه ما إذا كان أحد قد آمن بتفسير فج كهذا. لأن هذه أفكار وثنية عن الاسترضاء مغلفة بقشرة مسيحية رقيقة . وإذا كنا سنطور تعليما كتابيا حقيقيا عن

---

[16] في الكتاب نفسه المشار إليه آنفا ص ١٦٩ . يكتب ليون موريس في كتابه، *الصليب في العهد الجديد* Cross in the New Testament، الذي يمثل مسحا شاملا : "في كل مكان من الأدبين اليونانيين ، الكتابي وغير الكتابي على السواء ، تعني كلمة *هيلاسموس* ' استرضاء' . ولا نستطيع الآن أن نقرر تفضيل معنى آخر (ص ٣٤٩) .

[17] William Neil , *Apostle Extraordinary* , pp. 89-90

الاسترضاء ، فسيكون من الضروري أن نميز بينه وبين الأفكار الوثنية من ثلاث نواح حاسمة تتعلق بسبب كون الاسترضاء ضروريا ، وبمن قام به ، وبفحواه .

أولا، إن السبب الذي يجعل الاسترضاء ضروريا هو أن الخطية تثير غضب الله . وهذا لا يعني (كما يخشى الأرواحيون) أنه يحتمل أن يستشيط غضبا لدى أتفه إغضاب ، بل إنه أمر أقل احتمالا أن يخرج عن طوره لغير ما سبب ظاهر. لأنه ليس ثمة في ذات الله القدوس شيء نزوي أو اعتباطي . وهو لا يمكن أن يكون أبدا سريع الغضب ، ماكرا ، حاقدا ، انتقاميا. وغضبه لن يكون غامضا و لن يكون لا عقلانيا. وهو ليس أمرا يستحيل التنبؤ به ، بل يمكن التنبؤ به دوما ، لأنه يثار بالشر ، وبالشروحده . إن غضب الله ، كما تأملنا بتفصيل أكبر في الفصل الرابع هو عداؤه للشر بكل أشكاله ومظاهره ، وهذا العداء ثابت وصارم ومتواصل وعنيد . وبالاختصار إن غضب الله ينأى عن غضبنا بقدر ما ينأى القطبان عن بعضهما. فما يثير غضبنا (غرورنا الجريح) لا يثيرغضبه مطلقا ؛ وما يثيرغضبه (الشر) لا يثير غضبنا إلا نادرا.

ثانيا، من الذي يقوم بالاسترضاء ؟ البشر دوما ، في الإطار الوثني ، هم الذين يسعون الى صرف الغضب الإلهي ، إما عن طريق أداء للشعائر شديد التدقيق في التوافه والتفاصيل ، أو عن طريق تلاوة صيغة سحرية ، أو بتقديم القرابين (النباتية أو الحيوانية ، أو حتى البشرية). ويعتقد بأن هذه الممارسات يمكن أن تهديء الإله المُغْضَبِ. لكن الإنجيل يبدأ بتأكيد صريح على أن ما من شيء يمكن أن نفعله أو نقوله أونقدمه أوحتى نسهم به يمكن أن يعوض عن خطايانا أو يصرف غضب الله عنا . ليس ثمة إمكانية في إقناع الله بمسامحتنا والتملق إليه أورشوه ليسامحنا ، لأننا لا نستحق شيئا آخرمن يديه سوى الدينونة . ولم يقم المسيح ، كما رأينا ، بفضل قربانه بإقناع الآب بعد إلحاح بمسامحتنا . لا ، فالمبادرة اتخذها الله نفسه برحمته و نعمته المطلقتين.

كان هذا واضحا قبل الآن في العهد القديم ، حيث أقر بأن الذبائح لم تكن أعمالا بشرية ، بل كانت عطايا إلهية . فهي لم تجعل الله رؤوفا ؛ لكن الله الرؤوف هو الذي دبرها لكي يتصرف بالرأفة نحو شعبه الخاطيء . قال الله عن دم الذبائح "وأنا أعطيتكم إياه على المذبح للتكفيرعن نفوسكم " (لا ١٧ :١١). وهذه الحقيقة

يعترف بها بصورة أوضح في العهد الجديد ، ولا سيما في المقاطع الرئيسية التي تتحدث عن الاسترضاء والكفارة . الله نفسه " قدم " يسوع المسيح كقربان استرضائي (رومية٣:٢٥). فنحن لم نحب الله ، ولكنه هوالذي أحبنا وأرسل ابنه كفارة لأجل خطايانا (١يو ٤:١٠). ولن نكون مبالغين مهما أكدنا على أن محبة الله هي مصدر الكفارة ، لا نتيجتها. وقد عبر ب.ت. فورسيث عن هذه الحقيقة: "إن الكفارة لم تجلب النعمة ، لكنها تدفقت من النعمة ".[١٨] إن الله يحبنا، لا لأن المسيح مات لأجلنا ؛ وإنما مات المسيح لأجلنا لأن الله أحبنا. إذا كان غضب الله بالحقيقة هو الذي ينبغي أن يسترضى ، فإن محبة الله هي التي قامت بالاسترضاء . إذا كان يمكن القول أن الاسترضاء " غَيَّرَ " الله، أو أن الله غير نفسه بالكفارة ، فعلينا أن نوضح أنه لم يتحول من الغضب الى المحبة ، أو من العداوة الى النعمة ، نظرا الى أن طبيعة الله لا تتغير. فما غيره الاسترضاء هو معاملته لنا . كتب ب. ت. فورسيث، " إنني أطالبكم بالتفريق بين تغير الشعور والتغيير في المعاملة . ما كان يلزم مطلقا تغير مشاعر الله نحونا . لكن كان يلزم تغيير معاملة الله لنا ، أي علاقته العملية بنا ".[١٩] لقد غفر لنا و رحب بعودتنا الى البيت.

ثالثا، ماذا كان القربان الاسترضائي ؟ لم يكن حيوانا ولا نباتا ، ولا جمادا . لم يكن شيئا على الإطلاق بل شخصا. والشخص الذي قدمه الله ، لم يكن أحدا آخر، سواء أكان انسانا أم ملاكا ، ولم يكن حتى ابنه كأحد آخر خارج ذاته أو مميز عنه. إنه لم يقدم أحدا آخر، بل قدم نفسه . فبإعطائه ابنه إنما كان يعطي نفسه . وهذا ما عبر عنه كارل بارت بصورة متكررة: " لقد كان ابن الله، أي الله نفسه ". فكتب مثلا، " إن حقيقة أن ابن الله ، أي الله نفسه ، هو الذي أخذ مكاننا في الجلجثة، وبذلك حررنا من الغضب والدينونة الإلهيين ، تظهرأولا المعنى الضمني الكامل لغضب الله ، ودينونته وعدالته التي تدين وتعاقب ". وكتب أيضا ، " نظرا الى أن ابن الله ، أي الله نفسه ، هوالذي أخذ مكاننا ، يوم الجمعة العظيمة ، فقد أمكن أن يكون الإبدال فعالا وأمكنه أن ينجز مصالحتنا مع الله البار ...فالله وحده ربنا

---

[١٨] ب. ت. فورسيث في كتابه حسمية *الصليب* *Cruciality of the Cross* ص ٧٨ . قارن مع قول كالفن: "إن عمل الكفارة مستمد من محبة الله ؛ فهو لم يرسخها" (*Institutes*, II.xvi.4) .

[19] P.T. Forsyth, *The Work of Christ* , p. 105.

وخالقنا استطاع أن يضمننا ، واستطاع أن يحل محلنا ، واستطاع أن يقاسي الموت الأبدي نيابة عنا نتيجة لخطيتنا بحيث قاسى هذا الموت وتغلب عليه نهائيا ".[٢٠] ويوضح بارت أن كل هذا لم يكن تعبيرا عن قداسة الله وعدالته فقط ، بل عن " كمالات المحبة الإلهية " ، وبالحقيقة عن " محبة الله المقدسة ".

فالله بذاته إذا موجود في قلب إجابتنا عن الأسئلة الثلاثة المتعلقة بالاسترضاء الإلهي . الله الذي يتصف بالغضب المقدس هو بذاته الذي يجب أن يسترضى ، والله الذي يطفح قلبه بالمحبة المقدسة هو بذاته الذي أخذ على عاتقه أمر القيام بالاسترضاء ، والله نفسه في شخص ابنه هو الذي مات كفارة عن خطايانا . فالله هو الذي بادر بمحبته ليهديء غضبه البار بتحمله إياه بنفسه في ابنه عندما أخذ مكاننا ومات نيابة عنا . لا توجد هنا أي فجاجة تستدعي سخريتنا ، بل يوجد فقط عمق المحبة المقدسة التي تشوقنا الى أن نعبده .

إذا ، عندما نسعى الى الدفاع عن عقيدة الاسترضاء الكتابية وإعادتها الى مكانتها ، لا نفعل ذلك بقصد إنكار عقيدة الكفارة الكتابية . ومع أن علينا أن نقاوم كل محاولة لإحلال الاسترضاء محل الكفارة ، فإننا نرحب بكل محاولة للنظر إليهما باعتبارهما متلازمين في الخلاص . وهكذا كتب ف. بوشل F. Buechsel ، "إن *هيلاسموس* هوالفعل الذي حقق استرضاء الله والتكفيرعن الخطية ".[٢١] لقد توسع الدكتوردافيد ويلز David F. Welll في هذه النقطة بصورة بليغة حين كتب:

> إن الانسان ، بحسب الفكر البولسي ، مغترب عن الله بسبب الخطية والله مغترب عن الانسان بسبب الغضب . فخلال موت المسيح البدلي تم التغلب على الخطية وتم صرف الغضب ، بحيث يستطيع الله أن ينظر الى الانسان دون استياء ويستطيع الانسان أن ينظر الى الله دون خوف . لقد تم التكفير عن الخطية وتم استرضاء الله.[٢٢]

---

[20] Karl Barth, *Church Dogmatics*, Vol. II, Part 1, pp. 398 and 403 .
[21] F. Buchsel, *'hilaskomai'*, p. 317
[22] David F. Wells, *Search for Salvation* , p. 29.

الفداء

الآن ننتقل من " الاسترضاء " الى " الفداء". عندما نحاول أن نفهم إنجاز الصليب تنتقل الصورة. المجازية من دار الهيكل الى السوق ، ومن المجال الطقسي الى المجال التجاري ، ومن الشعائر الدينية الى المعاملات التجارية . لأن كلمة " يفدي" في أساسها تعني يشتري أو يشتري شيئا كان قد باعه ، سواء أكان ذلك بدفع ثمن أو بدفع فدية. فتركيز صورة الفداء هو، حتما ، على حالتنا التعيسة ــ بالحقيقة على أسرنا ــ في الخطية ، الذي جعل الإنقاذ الإلهي فعلا ضروريا. يركز " الاسترضاء" على غضب الله الذي هديء بالصليب ؛ أما " الفداء " فيركز على بلوى الخطاة التي دُفِعَتْ فدية لفكاكهم منها بوساطة الصليب.

" الفدية " هي الكلمة الصحيحة التي ينبغي أن نستخدمها. إن الكلمتين اليونانيتين *ليترو* (تترجم عادة "يفدي") و *أبوليتروزيس* (" فداء ") كلمتان مشتقتان من *ليترون* (" فدية " أو " ثمن فكاك ")، التي كانت كلمة تقنية تقريبا في العالم القديم تدل على شراء عبد أو إعتاقه . في ضوء " استخدام الكتاب الوثنيين بصورة ثابتة " لهذه المشتقات للإشارة الى "عملية تتضمن تحريرا بدفع قيمة فدية "[٢٣] باهظة في كثير من الأحيان ، يرى ليون موريس أنه ليس لنا الحق في إضعاف معنى كلمة *ليترون* لتصبح نجاة غامضة بل ورخيصة. إن المسيح لم " ينقذنا " بل " دفع فدية عنا ". كان ب. ب. وارفيلد محقا عندما أشار الى أننا " نشهد ساعات الاحتضار الأخيرة لكلمة . من المحزن أن يشهد الانسان موت أي شيء قيم ــ وحتى موت كلمة قيمة. والكلمات القيمة تموت ــ كأي شيء قيم آخر ــ إذا لم نولها العناية الكافية ". والأمر الأكثر مثارا للحزن هو "أن تموت في قلوب الناس الأشياء التي تمثلها الكلمات".[٢٤] وبهذا كان وارفيلد يشير الى أن جيله فقد الإحساس بالامتنان لذاك الذي دفع فديتنا.

---

23 Leon Morris, *Apostolic Preaching* , p. 10 . See also chapter 5, 'Redemption' , in his *Atonement,* pp. 106-131.

24 From an article on 'Redemption ' by B. B. Warfield , first published in *The Princeton Theological Review* (Vol . xiv, 1916) , and riprinted in his *Person and Work* , pp. 345 and 347.

كانت الممتلكات في العهد القديم ، وكذلك الحيوانات والأشخاص والأمة " تفدى " بدفع قيمة. إن ما جرى مع بوعز وإرميا يوضح حق " الولي في الفكاك "(بل واجبه)، واسترداد ملك ، كان قد سلخ، ليبقى في حوزة العائلة أو العشيرة.[٢٥] وفيما يتعلق بالحيوانات ، كانت ذكور الماشية حقا شرعيا ليهوه ؛ إلا أن الحمير والحيوانات غير الطاهرة كان يمكن فداؤها (أي شراؤها من جديد) من قبل المالك.[٢٦] كذلك كان على كل فرد من الإسرائيليين أن يدفع " فدية عن حياته " في وقت الإحصاء الوطني ؛ وأما الأبكار الذكور (الذين كانوا لله منذ الفصح الأول)، ولا سيما أولئك الذين كانوا زيادة عن عدد اللاويين الذين حلوا محل الأبكار، فكان يلزم فداؤهم ؛ وإذا كان لأحدهم ثور نطاح وخطر وجرح بقرنه رجلا فأماته ، فكان ينبغي أن يقتل صاحب الثور إلا إذا افتدى حياته بدفع غرامة كافية ؛ وإذا افتقر اسرائيلي وباع نفسه عبدا فبوسعه أن يفتدي نفسه فيما بعد أو يفتديه أحد أقاربه.[٢٧] في كل حالات " الفداء " هذه كان هناك تدخل حاسم ومكلف . فهناك شخص يدفع الثمن الضروري لفكاك الأرض من الرهن ، ولفكاك الحيوانات من الذبح ، وفكاك الأشخص من العبودية ، وحتى من الموت.

وماذا عن الأمة ؟ من المؤكد أن مشتقات كلمة الفداء كانت مستخدمة لوصف إنقاذ يهوه لإسرائيل من العبودية في مصر[٢٨] ومن الأسر في بابل .[٢٩] ولكن في هذه الحالة وبالنظر الى أن الفادي لم يكن إنسانا بل الله نفسه ، فهل يمكننا أن نتمسك باعتقادنا بأن كلمة " يفدي " تعني " يدفع فدية " ؟ ما الثمن الذي دفعه يهوه ليفدي شعبه ؟ يبدو أن الأسقف ب. ف. وستكوت B. F. Westcott كان أول من اقترح جوابا عن هذا السؤال: " إن فكرة بذل قوة جبارة ، أي فكرة أن ' الفداء '

---

[٢٥] لا ٢٥: ٢٥-٢٨ ؛ راعوث ٣ و ٤ ؛ إرميا ٣٢: ٦-٨ . قارن لا ٢٧ للاطلاع على فكاك أرض كانت قد قدست للرب بنذر خاص.

[٢٦] خر ١٣: ١٣ ؛ ٣٤: ٢٠ ؛ عد ١٨: ١٤-١٧ .

[٢٧] خر ٣٠: ١٢-١٦ ؛ ١٣: ١٣ ؛ ٣٤: ٢٠ و عد ٣: ٤٠-٥١ ؛ خر ٢١: ٢٨-٣٢ ؛ لا ٢٥: ٤٧-٥٥ .

[٢٨] مثلا خر ٦: ٦ ؛ تث ٧: ٨ ؛ ١٥: ١٥ ؛ ٢ صم ٧: ٢٣

[٢٩] مثلا أش ٤٣: ١-٤ ؛ ٤٨: ٢٠ ؛ ٥١: ١١ ؛ إر ٣١: ١١

يكلف كثيرا موجودة في كل مكان."[30] ويسهب وارفيلد في هذا: إن الفكرة التي مفادها أن الفداء من مصر كان نتيجة لصرف قدر هائل من القوة الإلهية ، وبهذا المعنى كلف كثيرا ، بارز في التلميحات الى الفداء ، ويبدو أنها تؤلف الفكرة المركزية المراد إيصالها."[31] لأن الله فدى إسرائيل " بذراع ممدودة " و" بيد شديدة ".[32] ونستنتج أن الفداء تضمن *دوما* دفع ثمن وأن فداء يهوه لإسرائيل ليس استثناء من القاعدة . ويوجز وارفيلد فيقول ، " إن فكرة دفع ثمن باقية حتى في هذه الحالة لأنها متضمنة في كلمة *لوتروستاي* ...إن فداء دون ثمن يدفع صفقة شاذة كعملية بيع دون قبض ثمن ".[33]

عندما ندخل الى العهد الجديد لندرس تعليمه بشأن الفداء ، نصدم للتو بتغييرين. فمع أنه ما يزال في صلب مفهوم الفداء فكرتان ، أولاهما أن الذين يحتاجون الى فداء ، هم في شر حال ، والأخرى أنه لا يمكن فداؤهم إلا بدفع ثمن ، إلا أن البلاء الآن ليس ماديا بل بالأحرى أخلاقي . والثمن هو الموت الكفاري لابن الله . هذا واضح في قول يسوع الشهير " القول ـ الخاص بالفدية " الذي هو أساسي بالنسبة لعقيدة الفداء في العهد الجديد: " لأن ابن الانسان لم يأت لِيُخْدَم، بل لِيَخْدُمَ، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين" (مر ١٠:٤٥). تفيد هذه الصورة المجازية ضمنا أننا قيد الأسر الذي لا يمكن أن نتحرر منه إلا بدفع فدية عنا وبأن الفدية ليست أقل من حياة المسيا نفسه . حياتنا مقضي عليها . وحياته تبذل عوضا عنا . من المؤكد أن، ف. بوشل محق ، حين يرى أن القول المشار اليه " يتضمن الإبدال من غير شك ". وهذا موضح بجمع نعتين في التعبير اليوناني *أنتي ليترون هيبر بولن* (أي حرفيا " فدية عوضا عن كثيرين ولأجل كثيرين "). " إن موت يسوع يعني أنه حدث هناك ما كان لا بد أن يحدث لكثيرين . فهو قد أخذ مكانهم ."[34] يوجد في العهد الجديد

---

[30] B. F. Westcott, *Epistle to the Hebrews*, p.298.

[31] B. B. Warfield, *Person and Work* , p. 448. Leon Morris makes the same point in his *Apostolic Preaching* , pp. 14-17 and 19-20.

[32] مثلا خر ٦: ٦ ؛ تث ٩: ٢٦ ؛ نحميا ١: ١٠ ؛ مز ٧٧: ١٥ .

[33] B. B. Warfield, *Person and Work* , pp. 453-454.

[34] F. Buchsel, '*hilaskomai*' , p. 343.

تعبير مماثل لقول يسوع (وربما كان صدى له) ورد في ١ تي٢: ٥-٦ "المسيح يسوع ... بذل نفسه فدية لأجل الجميع."

مما يوضح لنا هذا الأمر أن المؤرخ اليهودي يوسيفوس استخدم لغة مشابهة عندما وصف زيارة الجنرال الروماني كراسوس Crassus الى الهيكل في أورشليم في ٥٤-٥٣ ق. م. و قد عقد العزم على أن ينهب المقدس* sanctuary . فالكاهن المدعو أليعازر الذي كان حارسا للخزنة المقدسة أعطاه قضيبا كبيرا من الذهب (قيمته ١٠،٠٠٠ شاقل) كـ: *ليترون أنتي بانتون* " فدية عن الجميع " أي أن قضيب الذهب قدم كبديل عن كل كنوز الهيكل.[٣٥]

إذا ، ما هي أولا البلوى البشرية ، التي لا نستطيع أن نخلص أنفسنا منها ، والتي تجعل من الضروري أن نفدى ؟ لقد رأينا أن الناس في العهد القديم كانوا يُفْدَوْنَ من مواقف اجتماعية خطيرة متنوعة كالدين ، والأسر والعبودية والسبي، والتعرض للإعدام. لكن المسيح فدانا من العبودية الأخلاقية . وهذه توصف أحيانا بأنها " آثامنا " أو " خطايانا " (لأن " الفداء "، في آيتين رئيستين ، مرادف لغفران الخطايا "[٣٦]) ، وتوصف حينا بأنها " لعنة الناموس" (أي الدينونة الإلهية التي تصدر بحق مخالفي الناموس)،[٣٧] وتوصف حينا آخر بأنها " طريقة الحياة الباطلة التي تقلدتموها من آبائكم ".[٣٨] و مع ذلك فحتى تحريرنا من هذه الضروب من الأسر لا يكمل فداءنا . وسنختبر مزيدا من الفداء فيما بعد لأن المسيح " بذل نفسه لأجلنا ليفدينا من كل إثم "،[٣٩] وليحررنا من *كل* تخريبات السقوط . وهذا لم نختبره بعد. وكما أن أفراد شعب الله في العهد القديم كانوا قد افتدوا من قبل من الأسر في مصر ومن السبي في بابل ، إلا أنهم مع ذلك كانوا ينتظرون الوعد بفداء أكبر، " متطلعين

---

* أطلق هذا التعبير على الأغلب على خيمة الاجتماع و كذلك على الهيكل و الأماكن الوثنية المقدسة (أش ١٦:١٢ ؛ حز ٢٨:١٨ ؛ قارن مع خر ١٥:١٧) The Zondervan Pictorial Encyclopedia of the Bible , Vol 5. p 267 . [المترجم]

[35] Josephus, *Antiquities* xiv. 107.

[٣٦] أف ١: ٧ و كو ١: ١٤ قارن عب ٩: ١٥ .

[٣٧] غل ٣: ١٣ ؛ ٤: ٥ .

[٣٨] ١ بط ١: ١٨

[٣٩] تي ٢: ١٤ الاسم هو *anomia* , "الإثم" .

الى فداء أورشليم "،[٤٠] كذلك فإن شعب الله في العهد الجديد ، مع أنهم قد افتدوا من الذنب والإدانة فإنهم ما زالوا ينتظرون " يوم الفداء " حيث سنُكَمّل. وهذا سوف يتضمن " فداء أجسادنا ". وكل الخليقة التي تئن سوف تعتق ، عند تلك المرحلة ، من عبوديتها للفساد وتحضر لكي تشارك في حرية مجد أولاد الله . وفي غضون ذلك يشكل الروح القدس الحالُّ فينا الختم ، والضمان والعربون لفدائنا الأخير.[٤١] عندئذ فقط سيكون المسيح قد فدانا (وفدى العالم) من كل خطية وألم وبطل وفساد.

ثانيا ، بعد أن تأملنا البلوى التي افتدينا *منها* يلزمنا الآن أن نتأمل الثمن الذي افتدينا *به*. لا يشدد العهد الجديد على الصورة المجازية بحيث تشير الى الذي دفعت له الفدية ، لكنه لا يتركنا في شك من جهة الثمن: فقد كان المسيح نفسه هو الثمن . أولا، كان هناك ثمن التجسد ، أي الدخول في حالتنا لكي يصل إلينا. يقال لنا بالتأكيد أنه عندما أرسل الله ابنه " ولد تحت الناموس ، ليفتدي الذين هم تحت الناموس " (غل ٤:٤-٥). ويتساءل Jeremias جرمياس عما إذا كان بولس يلمح الى " الفعل الدرامي ، ألا وهو الدخول في العبودية لإعتاق عبد "، تماما مثلما يمكن أن يشير تسليم الجسد لكي يحترق (١كو ٣:١٣) الى تقبل الوسم بـ سِمَةِ العبد".[٤٢] إلا أن الأمر يتجاوزالتجسد الى الكفارة . فلكي يحقق هذا بذل " نفسه " (١تي ٦:٢؛ تي ١٤:٢) أو " حياته "(*بسيشه* ، مر ٤٥:١٠) مائتا تحت لعنة الناموس ليفدينا منها (غل ١٣:٣).

إلا أن الكلمة التي اعتاد كتبة العهد الجديد استعمالها أكثرمن غيرها عند الإشارة الى الثمن الغالي الذي دفعه المسيح لفدائنا ، لم تكن " نفسه " ولا " حياته " بل " دمه ". كتب بطرس ، " لقد افتديتم ، لا بأشياء تفنى كالذهب والفضة...بل بدم كريم هو دم المسيح ، ذلك الحمل الذي بلا عيب ولا دنس" (١بط ١٨:١-١٩). إن كاتب

---

[٤٠] لو ٢: ٣٨ . قارن ١: ٦٨ ؛ ٢٤: ٢١

[٤١] لو ٢١: ٢٨ ؛ أف ١: ١٤ ؛ ٤: ٣٠ ؛ رو ٨: ١٨-٢٣

[42] Jeremias , *Central Message* , pp. 37-38. *Cf.* 1 Clem. lv.

الرسالة الى العبرانيين المشبع بالمجاز القرباني قد أكد على أن المسيح كان الذبيحة مثلما كان الكاهن ، نظرا الى أنه "بدم نفسه دخل مرة واحدة الى الأقداس ".[٤٣]

ولكن ما هو المقصود بـ: " دم " المسيح ؟ كل امرىء يقبل بانه يشير الى موته، ولكن بأي معنى ؟ إن اللاهوتيين البريطانيين في نهاية القرن الماضي استندوا الى التأكيد الثلاثي الوارد في لاويين ١٧: ١١-١٤بأن " نفس الجسد هي في الدم " أو أن " نفس كل جسد هي دمه هو "، وإلى البيان الأكثر صراحة الوارد في تث ١٢: ٢٣ وهو أن "الدم هو النفس[الحياة] "، فابتدعوا هذه النظرية التي استغرب شعبيتها، ومفادها أن دم المسيح لا يمثل موته بل حياته ، التي تخلى عنها بالموت وهكذا أصبحت متاحة لنا . كان فنسنت تايلور و سي. ه. دد Dodd من بين أولئك الذين ابتدعوا هذه الفكرة . إلا أنه يمكن تتبع تاريخ الفكرة رجوعا الى كتاب الأسقف ب. ف. وستكوت B. F. Westcott *تفسير رسائل يوحنا* (١٨٨٣) حيث كتب:

بسفك الدم لم تدمر الحياة التي كانت في الدم ، مع أنه انفصل عن المتعضية التي كان يحييها من قبل... وهكذا فإن تضحية ضحية كانت تتضمن فكرتين متميزتين ، موت الضحية بسفك دمها ، وإعتاق مصدر الحياة ، إذا جاز التعبير، الذي كانت تحيا به ، بحيث أصبحت هذه الحياة صالحة لغاية أخرى.[٤٤]

وهكذا فإن دم المسيح كان حياته التي بذلت *لأجلنا* أولا ثم أعطيت *لنا* .

وعندما كتب وستكوت بعد ذلك تفسيره للرسالة الى العبرانيين ظل يعلم الفكرة نفسها. أي أن الدم هو الحياة " باعتبارها ما زالت قائمة " و" الدم المسفوك هوالقدرة .. المتاحة للآخرين ".[٤٥]

لقد أعلن جيمس ديني بجرأة وصراحة رفضه لهذه النظرية . كما يتضح من كتابه *موت المسيح* *The Death of Christ* (١٩٠٢) حيث ألح على قرائه ألا يتبنوا

---

[٤٣] عب ٩: ١٢ . راجع أيضا الشواهد التي تشير إلى موت المسيح من حيث علاقته بفدائنا في رومية ٣: ٢٤-٢٥ و أف ١: ٧

[44] B. F. Westcott, *Epistles of John*. Additional Note on 1 John 1: 7, 'The Idea of Christ's Blood in the New Testament', pp. 34 ff.

[45] B. F. Westcott, *Epistle to the Hebrews*. Additional Note on Hebrews 9:9 , pp. 283 ff.

" النزوة الغريبة التي سحرت وستكوت "، الذي ميز في دم المسيح بين موته وحياته ، بين دمه المسفوك ودمه المقدم ، بين حياته المبذولة وحياته المحررة لأجل البشر. وتابع، " إنني أتجرأ على القول ، أنه لم تعلق بتفسير أي جزء من الكتاب المقدس صورة ذهنية مخيفة ومزعجة كهذه الصورة الذهنية التي لا أساس لها " (ص١٤٩).

ثم في عام ١٩٤٨ نشرت دار تندال دراسة ممتازة لآلان ستيبس Alan Stibbs بعنوان *معنى كلمة* "دم" *في الكتاب المقدس* ، وهذه الدراسة لابد أن تكون قد دفنت شبح هذا التفسير إلى الأبد . لقد قام باستقصاء شامل لورودات كلمة دم في العهدين القديم والجديد ، ولم يجد أي صعوبة في أن يظهر بوضوح " أن الدم ، كلمة ـــ رمز تشير الى الموت". صحيح "أن الدم هو حياة الجسد". لكن "هذا يعني أنه إذا انفصل الدم عن الجسد ، سواء أكان ذلك لدى انسان أم حيوان ، فإن الحياة الطبيعية الحالية في الجسد سوف تنتهي . الدم المسفوك، إذا، لا يمثل إعتاق الحياة من عبء الجسد، بل يمثل إنهاء حياة الجسد. إنه شهادة على الموت الجسدي . وليس دليلا على البقاء الروحي". إن " شرب دم المسيح "، إذا، " لا يصف مشاركة في حياته ، بل يصف امتلاك منافع حياته المبذولة ".[٤٦] لا نستطيع أن نختم بأفضل مما ختم به ستيبس، إذ اقتبس من مقالة يوهانز بيم Johannes Behm حول الدم في معجم كيتل: " ' دم المسيح ' هو (كـ: ' الصليب ') تعبير آخر، وإنما أكثر ضوحا يعبر عن موت المسيح بمعناه الخلاصي" أو " دلالته الفدائية ".[٤٧]

إن لصورة " الفداء " تأكيدا ثالثا . فبالإضافة الى البلوى التي افتدينا منها والثمن الذي افتدينا به ، فهي تلفت الانتباه الى شخص الفادي الذي له حقوق الملكية على ما اشتراه . وهكذا فإن " ربوبة " يسوع على الكنيسة وعلى الفرد المسيحي تعزى

---

[٤٦] Alan B. Stibbs, *Meaning of the Word 'Blood' in Scripture* , pp. 10, 12, 16 and 30 . كتب ليون موريس في كتابه *الوعظ الرسولي* (Apostolic Preaching (pp. 108-124 فصلا بعنوان "الدم" ، وكتب في كتابه *الصليب في العهد الجديد* Cross in the New Testament " ما يلي: " لقد فهم العبرانيون 'الدم '، عادة على أنه يعني ' الموت العنيف ' "(ص ٢١٩). كذلك ينتقد ف. د. كيدنر F.D. Kidner ، في كتابه Sacrifice in the Old Testament ، نظرية وستكوت ويشير إلى أن حظر استخدام الدم في الطعام "ينسجم مع فكرة نفاسته ، وقليلا ماينسجم مع فكرة فعاليته." (ص٢٤).

[47] Johannes Behm, *'haima'* , p. 173.

الى كونه قد اشترانا بدمه . فالأساقفة مثلا مدعوون الى الإشراف بضمير حي على الكنيسة على أساس أن الله في المسيح قد اشتراها بدمه (أع ٢٠:٢٨). وإذا كانت الكنيسة جديرة بدمه أليست جديرة بتعبنا ؟ إن امتياز خدمة الكنيسة أسسته نفاسة الثمن الذي دفع لشرائها. ويبدو هذا تفكيرا مقنعا. كذلك فإن جماعة المفديين في السماء يرنمون ترنيمة جديدة احتفالا بجدارة الحمل:

مستحق أنت أن تأخذ السفر
وتفك ختومه
لأنك ذبحت
واشتريتنا لله بدمك
من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة.[٤٨]

إن تذكرنا لحقيقة أن المسيح قد اشترانا بدمه ، وأننا نتيجة لذلك نخصه ، يجب أن يحثنا كأفراد مسيحيين على القداسة ، مثلما يحث الأساقفة على الخدمة الأمينة والجند السماوي على السجود . إننا نكتشف نغمة حنق في صوت بطرس حينما يتحدث عن المعلمين الكذبة الذين ، بسلوكهم المخزي " ينكرون السيدَ الرب الذي اشتراهم " (٢بط ٢:١). ونظرا الى أنه اشتراهم ، فهم له . ينبغي أن يعترفوا به ولا ينكروه . إن دعوات بولس الملحة لنا كي " نهرب من الزنى" تستند الى التعليم المتعلق بالجسد الانساني وبمن يملكه . فهومن جهة يسأل معبرا عن الشك " ألستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله ؟ " ومن جهة أخرى يقول " إنكم لستم لأنفسكم ؛ لقد اشتريتم بثمن . فمجدوا الله في أجسادكم "[٤٩]. فجسدنا لم يخلقه الله وسيقيمه ذات يوم فحسب ، ولكن المسيح اشتراه بدمه ، والروح القدس حال فيه . فهو إذا يخص الله ثلاث مرات متتالية ، بخلقه إياه وفدائه له وحلول روحه فيه . وبما أن جسدنا لا يخصنا ، فكيف إذا نستطيع أن نسيء استخدامه ؟ إن الأجدر بنا ، بدلا من ذلك ، أن نستخدم جسدنا لإكرام الله بالطاعة

---

[٤٨] رؤ ٥: ٩ ؛ قارن ١: ٥-٦ و ١٤: ٣-٤ .
[٤٩] ١كو ٦:١٨-٢٠ ؛ قارن ٧:٢٣

وضبط النفس . فبعد أن اشترانا المسيح لاحق لنا في أن نصير عبيدا لأحد آخر أو لشيء ما . كنا فيما مضى عبيدا للخطية ؛ أما الآن فنحن عبيد المسيح ، وخدمة المسيح هي الحرية الحقيقية.

التبرير

الصورتان اللتان تأملناهما حتى الآن أخذتانا الى دور الهيكل (الاسترضاء) والسوق (الفداء). أما الصورة الثالثة (التبرير) فتأخذنا إلى قاعة المحكمة . لأن التبرير هو عكس الإدانة (مثلا رو ١٨:٥ و ٣٤:٨) وكلاهما نطقان بالحكم يعلنهما القاضي بحق المتهم ، فإما الحكم بالبراءة أو الحكم بالإدانة . ثمة منطق في الترتيب الذي ننظر به الى هذه الكلمات العظيمة التي تصف إنجاز الصليب . إن الاسترضاء يأتي حتما أولا، فلا يمكن أن يكون هناك خلاص لأي انسان مطلقا ما لم يُسْتَرْضَ الله (أي ما لم تجد محبته طريقة لصرف غضبه). ثانيا، عندما نكون مستعدين لفهم معنى الخلاص نبدأ سلبا بالفداء ، الذي يعني إنقاذنا بدفع ثمن غال هو دم المسيح الذي ينقذنا من الأسر المروع للخطية والإثم . أما التبرير فهو نظيره الإيجابي . صحيح أن بعض العلماء قد أنكروا هذا. فكتب ساندي Sandy و Headlam عن التبرير أنه " مجرد غفران ، غفران مجاني"،[٥٠] وأكد جرمياس مؤخرا أن " التبرير هو غفران ، لا شيء سوى الغفران".[٥١] إلا أنه من المؤكد أن المفهومين متتامان، وليسا متماثلين . فالغفران يسدد ديوننا ويبطل مسؤوليتنا القانونية التي توجب علينا تحمل القصاص ؛ أما التبرير فيمنحنا وقفة بارة أمام الله.

إن المصلحين في القرن السادس عشر ، الذين أنارهم الله فاكتشفوا من جديد الإنجيل الكتابي ، الذي فحواه " التبريربالإيمان "، كانوا مقتنعين بأهميته المركزية. لقد دعاه لوثر " الموضوع الرئيس في مجمل العقيدة المسيحية ، الذي يصنع مسيحيين حقيقيين بالفعل ".[٥٢] وكتب كرانمر Cranmer :

---

[50] Sanday and Headlam , *Romans* , p. 36.

[51] Jeremias , *Central Message* , p. 66.

[52] Martin Luther, *Galatians* , p. 143 (on Gal . 2: 16) . *Cf* p. 101 (on Gal. 2: 4-5).

هذا هو الإيمان الذي يعلمه الكتاب المقدس: هذه هي الصخرة الصلبة وأساس الديانة المسيحية: هذا التعليم يوافق عليه جميع الكتاب القدامى في كنيسة المسيح: هذا التعليم يرفع و ينشر المجد الحقيقي للمسيح ، ويبطل كل مجد بشري: كل من ينكر هذا لا يجوز أن يحسب مسيحيا حقيقيا...بل عدوا للمسيح...[٥٣]

دعني أضيف بيانا أدلى به بعض الانكليكان المعاصرين:

يبدو لنا التبرير بالإيمان، كما يبدو لكافة الإنجيليين ، بمثابة قلب مجمل التدبير الإلهي و محوره و نموذجه وجوهره وهو التدبير الكامل الذي أعدته نعمة الله. فهو، كأطلس ، يحمل عالما على كتفيه ، أي يحمل مجمل المعرفة الإنجيلية لمحبة الله في المسيح للخطاة .[٥٤]

رغم الإهمية العظمى لهذه الحقيقة ، فقد قدمت عدة اعتراضات عليها. هناك أولا الذين يكنون كراهية فطرية للمقولات القانونية في كل حديث عن الخلاص ، على أساس أنها تعرض الله كقاض و كملك ، وليس كأب ، ولذلك لا تستطيع أن تصور بكفاءة معاملاته الشخصية معنا ولا علاقتنا الشخصية به . هذا الاعتراض يمكن قبوله إذا كان التبرير هو الصورة الوحيدة للخلاص . لكن صفة الخلاص القضائية المميزة توازن بالمجازين اللذين يغلب عليهما الطابع الشخصي، وهما " المصالحة " و" التبني " (وبموجبهما يكون الله أبا لا قاضيا)، اللذين سندرسهما لاحقا. ثانيا، يحاول نقاد آخرون أن ينبذوا عقيدة التبرير باعتبارها خصوصية مزاجية بولسية نشأت في ذهنه القضائي على نحو مميز. إلا أنه ينبغي علينا ألا نتردد في نبذ هذا النبذ نظرا الى أن ما هو بولسي هو رسولي ومن ثم فهو ذو سلطة . وقول هؤلاء النقاد زائف على أي حال . فبولس لم يخترع مفهوم التبرير. إنه يرجع الى يسوع، الذي قال في مثله عن العشار إنه " مضى الى بيته مبررا أمام الله " بخلاف الفريسي (لو ١٨: ١٤). بالحقيقة إنه يعود الى زمن أقدم ، أي الى العهد القديم . حيث يذكر أن

[53] From Cranmer's 'Sermon on Salvation' in the *First Book of Homilies* , pp. 25-26.
[54] R. T. Beckwith, G. E. Duffield and J I. Packer, *Across the Divide* , p. 58.

عبد الله البار والمتألم " سوف يبرر كثيرين " لأنه " سوف يحمل آثامهم " (إش٥٣: ١١).

ثالثا، يلزمنا أن ننظر الى الأسباب التي تجعل الكاثوليك يرفضون تعليم المصلحين بشأن التبرير بالإيمان . و لن نكون غير منصفين إذا ما لخصنا عقيدة مجمع ترنت* بثلاثة عناوين فرعية تتناول طبيعة التبريرهي، ما الذي يسبقه وما الذي يحدثه ، وما الذي يعقبه . أولا لقد علم المجمع أن التبرير يتم عند المعمودية و يتضمن الغفران والتجديد . فالشخص الذي اعتمد تطهر من كل الخطايا ، الأصلية والفعلية ، وتشرب في الوقت نفسه ببر جديد فائق للطبيعة . ثانيا ، تعمل نعمة الله الواقية ، قبل المعمودية ، وتعد الناس قَبْلِيًّا لكي "يهتدوا الى تبريرهم عن طريق موافقتهم بحرية على تلك النعمة والتعاون معها ". ثالثا، إن خطايا ما بعد المعمودية (التي إذا كانت "مميتة "، سببت فقدان النعمة) ليست متضمنة في مجال التبرير. فينبغي التطهر منها بفعل الندامة والاعتراف والعمل التكفيري penance**(وكذلك ، بالمطهر، إذا بقي أي منها عند الموت)، بحيث يمكن القول إن قيام المرء بهذه الأعمال، وبأعمال صالحة أخرى بعد المعمودية يجعله "مستحقا للحياة الأبدية ".[٥٥]

لدى الكنائس الإنجيلية سبب وجيه للانزعاج الشديد بسبب هذا التعليم . في الوقت نفسه لم يكن أي من الجانبين يصغي باهتمام الىَ الجانب الآخر، وتميز كلاهما بالروح الجدلية اللاذعة التي سادت ذلك العصر. أما اليوم فإن الموضوع الأساسي ، الذي يظل موضوعا حاسما ، فهو طريق الخلاص. هناك الكثير من القضايا المتنازع عليها . إلا ان الجو قد تغير. كما أن الدراسة المدهشة التي أعدها هانز كونغ Hans

---

* مجمع ترنت: مجمع عقدته الكنائس الكاثوليكية في مدينة ترنت بإيطاليا عام ١٥٤٥ وقد شرح العقائد الكاثوليكية بجلاء ولا سيما التي ثار حولها جدل مع البرتستانتت . ودعا إلى تعليم القساوسة و تدريبهم وإلى تعليم الشعب.(عشرون قرنا في موكب التاريخ ، تأليف حبيب سعيد) [المترجم]

** العمل التكفيري: عقوبة ذاتية ينزلها الآثم بنفسه ، وبخاصة بتوجيه من الكاهن، تعبيرا عن توبته. (قاموس المورد) [المترجم]

[٥٥] راجع مجمع ترنت Council of Trent في الجزء الرابع من الكتاب و بياناته بشأن الخطية الأصلية والتبرير و العمل التكفيري .

Kung حول تعليم كارل بارت بشأن التبرير[٥٦] فتحت إمكانات جديدة للحوار. وكذلك فعل مجمع الفاتيكان الثاني في أوليات الستينيات (١٩٦٠).[٥٧]

يقع كتاب هانز كونغ في جزئين. كتب كارل بارت نفسه الى هانز كونغ حول أولهما، الذي يفسر " لاهوت التبرير عند كارل بارت"، فقال: " قد أخرجت آرائي بصورة تامة ودقيقة كما أفهمها أنا نفسي... إنك تجعلني أقو ل ما أقوله فعلا ...وأعنيه بالطريقة التي تجعلني أقوله بها (p. xvii) أما عن الجزء الثاني ، الذي يعرض " محاولة لإجابة كاثوليكية " ويدعى في خاتمته وجود اتفاق أساسي بين اللاهوت الكاثوليكي واللاهوت الإنجيلي ، في مسألة لاهوت التبرير على وجه الدقة "(ص ٢٧١)، فقد كتب بارت: "إذا كان هذا هو تعليم الكنيسة الكاثوليكية فيجب أن أسلم بأن نظرتي في التبرير تتفق مع النظرة الكاثوليكية ، لسبب وحيد هو أن التعليم الكاثوليكي سيكون عندئذ متفقا مع تعليمي بصورة تثير أكبر قدر من الدهشة !" ثم يسأل ، كيف " أمكن لهذا الاتفاق أن يبقى مخبأ عن كثيرين كل هذا الوقت"، ثم يتساءل من باب الدعابة عما إذا كان هانز كونغ قد اكتشف ذلك قبل قراءته لكتاب *عقائد الكنيسة* (pp.xvii-xviii) أو أثناءها أو بعدها !

لا ريب أن هانز كونغ يدلي ببعض الأقوال الهامة ، مع أن مما يدعو للشفقة أن نظريته تسعى لإيضاح اتفاق ترنت مع بارت وليس بالأحرى مع لوثر الذي يبدو أن هانز كونغ أقل تعاطفا معه. في الفصل ٢٧ يحدد النعمة بحسب الكتاب المقدس بأنها "سخاء"، أو "رضى" من الله، أو" لطفه الكريم" . " فليست القضية هي *امتلاكي للنعمة* بل *كونه* منعما " (ص١٨٩-١٩٠). و يقول في الفصل ٢٨ ، "يجب أن يعرف التبرير بأنه *إعلان براءة من قبل هيئة محكمة*"، وأن " اقتران الخلاص بموقف قضائي ليس غائبا أبدا " من العهد الجديد (ص٢٠٠). كذلك يقول عن الخلاص، " أنه حدث قضائي" و " عدالة مخلصة سخية عجيبة " (ص٢٠٥-٢٠٦). ثم يؤكد

---

[56] Hans Kung, *Justification* (1957)

[57] For sympathetic but critical Protestant assessments of recent Roman Catholic thinking see *Revolution in Rome* by David F. Wells ; *Across the Divide* by R. T. Beckwith, G. E. Duffield ; *Justification Today: 'The Roman Catholic and Anglican Debate* by R. G. England; George Carey's contribution entitled 'Justification by Faith in Recent Roman Catholic Theology' to *Great acquittal* ; and James Atkinson's *Rome and Reformation Today* .

هانز كونغ في الفصل ٣١ على حقيقية *سولا فيده* (بالإيمان وحده) ، ويقول أن لوثر كان محقا وقويم الرأي بصورة تامة بإضافته كلمة " وحده " الى نص رومية ٢٨:٣، نظرا الى أن هذه الكلمة لم تكن من اختراع لوثر، فقد ظهرت من قبل في عدة ترجمات أخرى ، ولم يقصد مجمع ترنت Trentأبدا أن يناقضها (ص٢٣٧). وهكذا يكتب ، "علينا أن نقر بوجود اتفاق أساسي فيما يختص بصيغة *سولا فيده*...إن الانسان يبررمن قبل الله على أساس الإيمان " وحده ". (ص٢٤٦). بالإضافة الى ذلك " إن التبرير ' بالإيمان وحده' ينم عن عجزالانسان التام وعدم كفاءته للقيام بأي نوع من تبريرالنفس" (ص٣٠١) . "وهكذا فإن الانسان يتبرر بنعمة الله وحدها؛ والانسان لا ينجز شيئا ؛ فليس ثمة فعالية بشرية. وكل ما يفعله الانسان بالأحرى هو مجرد الخضوع لتبريرالله . إنه لا يعمل أعمالا ؛ إنه يؤمن" (ص٢٤٠).

إلا أن البروفسور كونغ لا يتوقف عند هذا الحد. فرغم تأكيده على الطبيعة القضائية في التبرير باعتبارها إعلانا إلهيا ، يصر على أن كلمة الله فعالة دوما، بحيث أن ما يقوله الله يكون . لذلك عندما يقول الله للخاطيء ، " أنت بار "، فإن "الخاطيء *يكون* بارا حقا و فعلا، ظاهريا وباطنيا، بصورة سليمة وكاملة. و *تكون* خطاياه مغفورة ، ويكون هذا الانسان بارا في قلبه...وبالاختصار إن *إعلان* الله للعدالة ، هو بحد ذاته وفي الوقت نفسه تصييرالانسان بارا "(ص٢٠٤). التبرير هو الفعل الوحيد الذي يعلن أن الانسان بار ويصيره بارا، في الوقت نفسه " (ص٢١٠).

لكن يوجد هنا غموض خطير، ولا سيما في العبارة البلاغية التي تذكر عن الخاطيء المبرر أنه "بار" بصورة سليمة و كاملة. فماذا يعني هذا ضمنا ؟

إذا كانت كلمة " بار" هنا تعني أنه " مسامح ومقبول ومصالح مع الله "، فإننا بالحقيقة نصبح مباشرة ، بصورة سليمة و كاملة ما يعلن الله أننا إياه ؛ إننا ننعم بالوقفة البارة التي أسبغها علينا. هذا هو المعنى الحقيقي لـ " التبرير".

وإذا استخدمت " بار" للدلالة على أننا "جددنا، وأحيينا "، فإن كلمة الله الخلاقة أيضا تجعلنا نكون ما يعلن الله أننا إياه . إلا أن هذا سيكون استعمالا سيئا لكلمة " بار"، لان ما يوصف الآن ليس التبرير بل التجديد regeneration .

أما إذا كانت كلمة " بار" تعني " امتلاك طبيعة بارة " أو "اختبار التغير الى صورة المسيح "، فإعلان اللـه لا يضمن ذلك مباشرة ، بل يبدؤه . لأن هذا ليس تبريرا بل تقديسا ، وهوعملية مستمرة تدوم مدى الحياة .

وحتى الذيل التفسيري الثاني ، الذي كتبه هانز كونغ تحت عنوان " التبرير والتقديس في العهد الجديد " ، لا يجلو الغموض عما يعنيه بقوله أن الله " يجعل " الخاطيء " بارا ". وهو يقر بالمشكلة القائمة ، وهي أن لغة " التقديس " تستخدم في العهد الجديد بمعنيين متميزين . فأحيانا يكاد التقديس يكون مرادفا للتبرير، لأنه يشير الى قداسة *وضعنا* الشرعي ، وليس الى طبيعتنا. وبهذا المعنى نصبح " قديسين " في لحظة تبريرنا ذاتها، لأننا " تقدسنا في المسيح يسوع "، وفرزنا لكي ننتمي الى شعب الله.[٥٨] وأحيانا أخرى يصف "التقديس" عملية النمو في القداسة والتغير الى صورة المسيح.[٥٩]

يبدو أن نشؤ الارتباك يعود الى أن هانز كونغ لا يحافظ على هذا التمييز بصورة ثابتة . فهو يشير الى التبرير والتقديس حينا، باعتبار أنهما يحدثان معا وبصورة فورية (" الله يبرر و يقدس في آن واحد " ص ٣٠٨) و حينا باعتبار أنهما قابلان للنمو معا (تحدث مجمع ترنت عن " ضرورة النمو في التبرير" ص ٢٢٨). إلا أن هذا مضلل جدا. فمن الحكمة ، عند النقاش حول التبرير ، أن نذخر كلمة تقديس لمعناها المتميز وهو " النمو في القداسة ". لأننا عندئذ نستطيع أن نؤكد أن التبرير(إعلان الله بأننا أبرار بموت ابنه) فوري و تام ، دون أن نقر بوجود درجات فيه ، في حين أن التقديس (الله يجعلنا أبرارا بحلول روحه فينا)، تدريجي ويظل غير كامل في هذه الحياة ، مع أنه ابتدأ في لحظة تبريرنا ، لأننا نتابع تحولنا الى صورة المسيح " من مجد الى مجد " (٢ كو ١٨:٣).

وإذ أرغب في زيادة الإيضاح عند هذه المرحلة ، لا أود أن أنتقص من نجاح هانز كونغ في *التغلب على العقبة* *tour de force* . في الوقت نفسه ، لا يلاحظ المرء في الكنيسة الكاثوليكية أي إعلان على نطاق واسع لإنجيل التبرير بالنعمة وحدها وبالإيمان وحده ، مع أنه قد مر ما يزيد عن ربع قرن منذ أن نشر كتابه.

---

[٥٨] مثلا أع ٢٠: ٣٢ ؛ اكو ١: ٢ ؛ ٦: ١١ ؛ عب ١٠: ٢٩ ؛ ١٣: ١٢

[٥٩] مثلا رو ٦: ١٩ ؛ ٢كو ٧: ١ ؛ اتس ٤: ٣، ٧ ؛ ٥: ٢٣ ؛ عب ١٢: ١٤

فإذا عرضنا أنفسنا لخطر الإفراط في تبسيط المسألة الى حد يؤدي الى سؤ فهمها، أمكن أن نقول أن الكاثوليك والإنجيليين معا يعلّمون أن الله بنعمته هو المخلص الوحيد للخطاة ، وأن من المستحيل علىالمرء أن يخلص نفسه وأن موت يسوع المسيح كقربان استرضائي هو الأساس الجوهري للتبرير. أما ما هو التبرير على وجه الدقة ، وماذا يربط ذهنيا بينه وبين بقية أوجه الخلاص وكيف يحدث ـ فهذه مجالات للنقاش القلق المستمر.

يشعر الإنجيليون بالحاجة الى الإلحاح علىالكاثوليك بشأن الخطية والنعمة والإيمان والأعمال . ويشعر الكاثوليك بعدم ارتياح عندما نتحدث عن "الفساد الكلي" (أي أن كل جزء في بشريتنا قد تشوه بالسقوط) الذي يكمن وراء إصرارنا على الحاجة الى خلاص جذري والى النعمة التي لا نسهم فيها بشيء . فهم يجدون هذه النظرة الى حالة الانسان نظرة تشاؤمية ، تتضمن عقيدة عن الخلق غير ملائمة . ويضيفون قولهم أن البشر لم يفقدوا إرادتهم الحرة ، فهم قادرون على التعاون مع النعمة والمساهمة في الخلاص . إلا اننا نحن نرى الحاجة الى توكيد نقائض antitheses العهد الجديد المتعلقة بالخلاص . " بالنعمة أنتم مخلصون ، بالإيمان ـ وهذا ليس منكم ، هو عطية الله ـ ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد ". " نعلم أن الانسان لا يتبرر بأعمال الناموس بل بالإيمان بيسوع المسيح ". وكذلك " خلصنا، لا بأعمال بارة عملناها نحن بل برحمته ".[٦٠] ولا نستطيع أن نتجنب الخيار الشديد الوضوح الذي تضعه هذه النصوص أمامنا . ليس الأعمال بل النعمة. ليس الناموس بل الإيمان. ليس أعمالنا البارة بل رحمته . فلا يوجد هنا تعاون بين الله وبيننا ، وإنّما خيار فقط بين طريقين ضدين لا يجتمعان ، طريقه وطريقنا . بالإضافة الى ذلك ، من المؤكد أن الإيمان الذي يبرر ليس عملا آخر. لا ، لأن القول "التبرير بالإيمان" إنما هو مجرد طريقة أخرى للقول "التبرير بالمسيح". فالإيمان بحد ذاته لا قيمة له ؛ و قيمته تكمن فقط في موضوعه . الإيمان هو العين التي تتطلع الى المسيح واليد التي تمسك به و الفم الذي يشرب من ماء الحياة . وكلما رأينا بوضوح أكثر الكفارة المطلقة لشخص يسوع المسيح الإلهي ـ الانساني

[٦٠] أف ٢: ٨-٩ ؛ غل ٢: ١٦ ؛ تي ٣: ٥

و موته الحامل للخطية ، بدا أكثر بعدا عن الانسجام افتراض أي شخص بأن لديه ما يقدمه . ولهذا فإن التبرير بالإيمان وحده ، حسب قول كرانمر الذي نقتبسه للمرة الثانية ، هوالذي "يعلي مجد المسيح الحقيقي ويسحق مجد الانسان الباطل".

إلا أننا إذا رغبنا في الإلحاح على الكاثوليك ليقبلوا بهذه النقاط يلزمنا أيضا أن نستجيب لإلحاحاتهم علينا. وأهمها ربما تكون سلسلة من الأسئلة كهذه: " هل ما زلتم تصرون على أن الله حين يبرر الخطاة ' ينطق بحكم البراءة ' لكنه لا يجعلهم ' أبرارا ؟ وأن التبرير إعلان قانوني ، وليس تغييرا أخلاقيا ؟ وأن البر يعزى إلينا '، ولكنه لا 'يسكب ' فينا، ولا حتى 'يضفى' علينا ؟ وأننا نلبس بر المسيح كرداء ، يخبيء حالتنا الخاطئة sinfulness المستمرة ؟ وأنه في حين أن التبرير يغير وضعنا الشرعي ، فهو يترك طبيعتنا وسلوكنا دون تغيير؟ وأن كل مسيحي مبرر، بحسب ما علم المصلحون ، شخص بار وخاطيء *simul justus et peccator* في الوقت نفسه ؟ إذا كان الأمر كذلك أفليس التبرير تخيلا قانونيا ، بل خدعة كبرى ، وصفقة زائفة تتم خارج ذاتك ، وتتركك غيرمتجدد داخليا ؟ ألست تدعي بأنك تغيرت في حين أنكِ بالحقيقة لم تتغير ؟ أليس تعليمك عن ' التبرير بالإيمان وحده ' إذنا مطلقا بارتكاب الخطية مقنعا بقناع رقيق ؟ ".

هذه أسئلة فاحصة . وقد سَمِعْتُ جميع هذه الأسئلة تطرح بطريقة أو بأخرى .

ولا ريب في أننا نحن الإنجيليين في غمرة حماسنا في التأكيد على مجانية الخلاص ، كنا في بعض الأحيان غير حريصين في اختيار عباراتنا ، وتركنا انطباعا بأنه لا أهمية للأعمال الصالحة . ولكن يمكن القول في هذه الحالة أن بولس الرسول أيضا كان غير حريص حتما ، نظرا الى أن نقاده وجهوا اليه بالضبط التهمة نفسها ، مما قاده الى إطلاق صيحته: " فماذا نقول ؟ أنمضي في الخطية لكي تكثر النعمة ؟ "(رو٦:١) . جوابه اللاذع السريع الساخط على سؤاله البلاغي هو تذكير قرائه بمعموديتهم . ألم يعلموا حين اعتمدوا للمسيح يسوع ، أنهم اعتمدوا لموته ؟ وإذ ماتوا هكذا معه للخطية ، فكيف يمكنهم أن يعيشوا فيها بعد ؟ (ع ٢-٣).

أراد بولس بجوابه هذا أن يبين أن التبرير ليس الصورة الوحيدة للخلاص. وسيكون من الخطأ تماما كتابة هذه المعادلة "الخلاص يساوي التبرير". "الخلاص"

هو الكلمة الشاملة ، لكن لها عدة أوجه تتضح بصورمختلفة ، والتبرير واحدة منها فقط . والفداء ، كما رأينا واحدة أخرى ، وهو يشهد عن نجاتنا الجوهرية من الخطية وكذلك عن نجاتنا من الإثم . وهناك صورة ثالثة هي الخلق من جديد recreation بحيث أنه "إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة "(٢ كو١٧:٥). مع ذلك فهناك صورة أخرى هي التجديد regeneration أوالولادة الجديدة ، التي هي عمل الروح القدس الباطني الذي يبقى بعدئذ كحضور كريم مقيم ، يعمل على تغيير المؤمن الى صورة المسيح ، وهذه هي عملية التقديس. هذه كلها متلازمة . فالتجديد ليس مظهرا للخلاص، ولا يمكن لأي منهما أن يتم دون الآخر. بالحقيقة إن التوكيد العظيم " خلصنا " يجزأ الى مكونيه اللذين هما "غسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس" من جهة و"كوننا متبررين بنعمته " من جهة أخرى (تي٣:٥-٧). إن عمل الابن التبريري وعمل الروح التجديدي لايمكن فصلهما. لهذا السبب تتبع أعمالُ المحبة الخيرية التبريرَ و الولادةَ الجديدة كدليل ضروري لإثباتهما . لأن الخلاص، الذي لا يكون أبدا "بأعمال"، هو دوما "لأعمال". اعتاد لوثر أن يضع الترتيب الصحيح للأحداث بالإشارة الى الشجرة وثمرها: " ينبغي أن توجد الشجرة أولا، وبعدئذ الثمر. لأن التفاح لا يصنع شجرة ، ولكن الشجرة تحمل تفاحا. هكذا الإيمان يصنع أولا الشخص الذي يثمر بعدئذ أعمالا ".[61]

حالما نقبل بصورة ثابتة أن عمل الابن لأجلنا وعمل الروح فينا ، أي التبرير والتجديد توأمان لا ينفصلان ، نكون بمأمن إذا مضينا في الإلحاح على أن التبرير هوإعلان قانوني خارجي بأن الخاطيء قد صولح مع الله وغفر له وأعيد الى مركزه السابق . وهذا واضح من الاستعمال الشعبي للكلمة . وكما أشار ليون موريس، "عندما نتحدث عن تبرير فكرة ، أو فعل ، لا نعني أننا نغيرها أو نحسنها. بل نعني بالأحرى أننا نضمن حكما لصالحها ، إننا نبررها ".[62] وبصورة مماثلة ، عندما يقول لوقا أن الجميع ، لدى سماعهم تعليم يسوع " برروا الله "، فهو يعني أنهم " أقروا بأن طريق الله بارة " (لو ٢٩:٧).

---

[61] Martin Luther, *Epistle to the Galatians* , p. 247 , on Gal 3: 10
[62] L. Morris, *Cross in the New Testament*, p. 242.

إن مشتقات التبرير والإدانة ترد بصورة منتظمة في العهد القديم . لقد أعطى موسى تعليمات الى القضاة الإسرائيليين ، بأنه كان عليهم أن يبتوا في القضايا المرفوعة إليهم " فيبرروا البار ويحكموا على المذنب " (تث ٢٥:١) كان كل انسان يعرف أن يهوه " لن يبرر المذنب" (خر ٢٣:٧)، وأن " تبرئة المذنب وإدانة البريء ــ كلاهما مكرهة الرب" (أم ١٧:١٥). وقد نطق النبي أشعياء بويل شديد للقضاة " الذين يبررون الشرير من أجل الرشوة . أما حق الصديقين فينزعونه منهم " (أش ٥:٢٣) . إن إدانة البار وتبرئة الفاجر يعني قلب العدالة رأسا على عقب . قبالة هذه الخلفية ، وهي الممارسة القضائية المقبولة ، لابد أن يكون بولس قد صدم قراءه الرومانيين عندما كتب "الله يبرر الفاجر"(رو ٤:٥). ترى كيف يستطيع الله أن يفعل شيئا كهذا ؟ كان.أمرا شائنا أن يفعل القاضي الإلهي ما كان ــ بحسب الكلمات اليونانية ذاتها ــ قد نهى القضاة البشريين عن فعله. بالإضافة الى ذلك كيف استطاع البار أن يعلن أن الفاجر بار ؟ كانت الفكرة بحد ذاتها منافية للعقل.

لكي ألخص دفاع بولس عن التبرير الإلهي للخطاة ، سأختار أربعا، من عباراته المفتاحية ، تتعلق على التوالي بمصدر التبرير، وأساسه، و وسيلته، ومفاعيله. أولا، إن مصدر تبريرنا يشار إليه بتعبير *متبررين بنعمته* (رو٣:٢٤) أي معروفه الذي لا نستحقه مطلقا . ولما كان مؤكدا أنه " ليس بار ولا واحد" (رو٣:١٠) فمن المؤكد بالمثل أنه ما من انسان يستطيع أن يعلن أنه بار في نظر الله.[٦٣] فتبرير الذات مجرد شيء مستحيل (رو٣:٢٠) لذلك فإن " الله هو الذي يبرر"(رو٨:٣٣)؛ هو وحده يستطيع ذلك. وهو يفعل ذلك "مجانا" (رو٣:٢٤، *دوريان*، كـ "هبة مجانية، منحة ")، وليس بسبب أي أعمال قمنا بها ، بل بسبب نعمته . وبحسب حكمة توم رايت Tom Wright البارعة المعبرة عن الفكرة ، " إذا لم تكن هناك خطية. فليس ثمة حاجة الى التبرير. إذا لم تكن هناك نعمة ، فليس ثمة إمكانية للتبرير".[٦٤]

إلا أن النعمة شيء و العدالة شيء آخر. والتبرير يحتاج إلى العدالة. قولنا إننا " متبررون بنعمته " يخبرنا عن مصدر تبريرنا ، لكنه لا يقول شيئا عن الأساس

---

[٦٣] مز ١٤٣:٢ قارن مز ١٥١:٤ ؛ ١٣٠:٣ ؛ أي ٢٥:٤

[64] From his essay 'Justification: The Biblical Basis and its Relevance for Contemporay Evangelicalism', in *Great Acquittal*, p. 16

البار لذلك ، الذي كان اللـه بدونـه سيناقض عدالتـه . وهكـذا فـإن التعبـير المفتـاحي الآخر، الذي يعرفنا بولس به بأسـاس تبريرنـا، هـو *متبررين بدمـه* (رو٥:٩). ليس التبرير مرادفا للعفو العام الذي يعنـي بـالمعنى الضيـق ، المسـامحة مـن دون مبـدأ ، أي الغفران الـذي يتغـاضى عـن الخطـأ ـــ بـل وينسـاه (*أمنيستيا* تعنــي "النسـيان") ويرفض تقديمـه للمحاكمـة . ليس الأمـر كذلـك ، فـالتبرير فعـل محاكمـة ، محاكمـة رؤوفة . والمرادف له هو "بر الله" (رو١:١٧؛ ٣:٢١)، الذي يمكن أن نفسـره حاليـا بأنه " طريقة الله البارة في تبرير الأشرار". ويعرفه الدكتور جي. أي. باكر J. A. Paker بأنه " عمل الله الرؤوف الذي يمنح الخطاة المذنبيـن تـبريرا مـبررا ، مبرئـا إياهم في محكمة السماء، بوصفه قاضيهم ، دون أن يُلْحِقَ أذى بعدالته ".[٦٥] وعندمـا يبرر الله الخطاة ، فليس هذا بمثابة إعلان أن الأشرار صـالحون ، أوبمثابة القول أنهم ليسوا خطاة برغم كل شيء ؛ إنه يصرح بأنهم أبرار قانونيا ، أحرارمن المسـؤولية القانونية الناجمة عن انتهاكهم للناموس ، لأنه هو نفسه في ابنه حمل عقوبة انتهـاكهم للناموس . ولهذا يتمكن بولس من أن يجمع في جملة واحـدة مفـاهيم التـبرير والفداء والكفارة (رو٣:٢٤-٢٥) . إن السببين اللذين جعلانا " متبررين مجانـا بنعمـة اللـه " هما أن المسيح يسوع دفع قيمة الفدية وأن الله قدمه قربانا " تكفيريا ". بعبـارة أخرى ، نحن " مبررون بدمه ". لا يمكن أن يكون هناك تبرير بدون كفارة .

ثالثا، يشار الى *وسيلة* تبريرنا في عبارة بولس المفضلـة *تبررنـا بالايمـان*.[٦٦] إن النعمة والإيمان أمران متلازمان لا ينفصلان ، نظرا الى أن الوظيفة الوحيدة للإيمان هي أنه يَنالُ ما تقدمه النعمة مجانـا. لذلـك ، لسـنا مـبررين "بــ" إيماننـا مثلمـا نحـن مـبررون "بــ" نعمـة اللـه و "بــ" دم المسـيح. إن نعمـة اللـه هـي مصـدر تبريرنـا ودم المسيح أساسه ؛ الإيمان هو الوسيلة الوحيدة التي نتحد بها مع المسيح . وكمـا عـبر ريتشارد هوكـر Richard Hooker عـن ذلـك بدقتـه المعهـودة " إن اللـه يـبرر حقـا الانسان المؤمن ، لكن ليس لأجل جدارة إيمانه ، بل لأجل جدارة من آمن به".[٦٧]

---

[65] Frm his article ' Justification' in *New Bible Dictionary*, p. 647.

[٦٦] مثلا رو ٣: ٢٨ ؛ ٥: ١ ؛ غل ٢: ١٦ ؛ في ٣: ٩

[67] From Hooker's 'Definition of Justification' , being Chapter xxxiii of his *Ecclesiastical Polity* , which began to be published in 1593.

بالإضافة الى ذلك ، إذا كان الإيمان هو الوسيلة فقط ، فإنه الوسيلة الوحيدة . ومع أن كلمة " وحده " لا ترد في رومية ٣:٢٨ بحسب النص اليوناني ، فإن لوثر، بحس سليم ، كما رأينا، وفي الواقع بترجمة صحيحة ، ترجم تعبير بولس ." نؤمن بأن الانسان يتبرر بالإيمان وحده بمعزل عن أعمال الناموس ". سبب كتابته " بالإيمان وحده بمعزل عن أعمال الناموس" هو أن ينفي أعمال الناموس بجملتها، تاركا الإيمان باعتباره الوسيلة الوحيدة للتبرير. وقد وضح بولس سبب ذلك في الآية السابقة ، أي نفي الافتخار. ولن ينفى الافتخار ما لم تنتف ، دون رأفة ، جميع الأعمال البشرية ، والاستحقاقات ، والتعاون ، والاسهامات ، وينظر الى موت المسيح لحمل الخطايا، وما تفرد به ذلك الموت من مجد ، باعتبار أنه الأساس الوحيد لتبريرنا. وقد أدرك كرانمر هذا بوضوح: " هذا القول ، أننا نتبرر بالإيمان وحده ، مجانا ، ودون أعمال ، إنما يقال لكي يبعد بوضوح كل استحقاق لأعمالنا، باعتبار أننا غير مستحقين لتبريرنا على يدي الله ،...وبذلك ننسب الأهلية والاستحقاق في تبريرنا كليا الى المسيح وحده والى سفك دمه الثمين...ونحن نستخدم هذه الطريقة في الكلام لكي نتضع أمام الله ولنعطي كل المجد الى مخلصنا المسيح الذي هو خير من يستحقه ".[٦٨]

رابعا، ما هي *مفاعيل* تبريرنا ؟ أظن أن بوسعنا استخلاصها من تعبير بولسي آخر، يهمل أحيانا، وهو أننا *مبررون في المسيح*.[٦٩] حين نقول أننا مبررون "بالمسيح" نشير الى موته التاريخي ، وحين نقول أننا مبررون "في المسيح" نشير الى علاقتنا الشخصية به التي نستمتع بها الآن بالإيمان .هذه الحقيقة البسيطة تجعل من المستحيل علينا أن ننظر الى التبرير كمجرد إجراء خارجي ؛ فلا يمكن عزله عن اتحادنا بالمسيح و كل الفوائد التي يجلبها هذا. أولى هذه الفوائد هي العضوية في جماعة يسوع المسيانية . إذا كنا في المسيح ، وكنا بناء على ذلك مبررين ، فنحن أيضا أولاد الله ، وذرية ابراهيم الحقيقية (الروحية). علاوة على ذلك لا يستطيع أن يفرق بيننا حاجز عرقي أو اجتماعي أو جنسي . هذا هو موضوع غلاطية ٣:٢٦-٢٩. لا شك أن توم رايت Tom Wright على حق في تأكيده بأن " التبرير ليس

---

[68] From Cranmer's 'Sermon on Salvation' in the *First Book of Homilies*, pp. 25 and 29.

[٦٩] غلا ٢: ١٧ ؛ قارن رو ٨: ١ ؛ ٢كو ٥: ٢١ ؛ أف ١: ٦

لائحة فردانية Individualist ، بل إعلان من الله بأننا ننتمي الى جماعة العهد ".[٧٠]
ثانيا هذه الجماعة الجديدة التي بذل المسيح نفسه على الصليب ليخلقها ينبغي أن تكون " تواقة الى فعل الخير"، وعلى أعضائها أن يكرسوا أنفسهم لأعمال صالحة.[٧١] فلا يوجد خلاف أساسي بين بولس ويعقوب. وربما كانا يستخدمان الفعل " يبرر" بمعنيين مختلفين. ومن المؤكد أنهما كانا يكتبان ضد هرطقتين مختلفتين ، فكتب بولس ضد ناموسية البر- الذاتي التي نادى بها المُهَوِّدُون؛ وكتب يعقوب ضد الأرثوذكسية الميتة التي نادى بها المعقلنون intellectualizers. مع ذلك علم كلاهما أن الإيمان الأصيل يعمل، فشدد بولس على الإيمان الذي ينتج أعمالا، وشدد يعقوب على الأعمال التي تنتج من الإيمان.[٧٢]

إن جماعة يسوع الجديدة جماعة أخروية eschatological تعيش الآن في العصر الجديد الذي دشنه . لأن التبرير حدث أخروي . إنه يستحضر الحكم الذي يخص الدينونة الأخيرة . لهذا فإن الكنيسة مجتمع الرجاء ، الذي يتطلع بثقة متواضعة الى المستقبل . صحيح أننا نستطيع أن نقول مع بولس أن الناموس يديننا . لكن " لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع ". لماذا ليس عليهم دينونة ؟ لأن الله فعل لأجلنا ما لم يستطع الناموس أن يفعله . فبإرسال ابنه في شبه طبيعتنا الخاطئة ليكون ذبيحة خطية دان خطيتنا بالفعل في يسوع الإنساني. لقد أمكن تبريرنا لسبب وحيد فقط هو أن يسوع قد دين . فماذا نخاف إذا ؟ " من سيشتكي على مختاري الله ؟ الله هو الذي يبرر. من هو الذي يدين ؟ المسيح يسوع ، الذي مات ــ وأكثر من ذلك الذي قام حيا ــ الذي هو أيضا عن يمين الله، الذي أيضا يشفع فينا ". لهذا ، وما دمنا قد تبررنا ، فلا شيء يقدر أن يفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا.[٧٣]

المصالحة

---

[٧٠] Tom Wright , 'Justification : The Biblical Basis' from *Great Acqittal*, p. 36.
[٧١] تي ٢: ١٤ ؛ ٣: ٨
[٧٢] مثلا غل ٥: ٦ ؛ ١ تس ١: ٣ ؛ يع ٢: ١٤-٢٦
[٧٣] رو ٧: ٧-٢٥ ؛ ٨: ١ ، ٣، ٣٣-٣٤، ٣٩

الصورة الرابعة للخلاص ، التي توضح إنجاز الصليب ، هي " المصالحة ". إنها الصورة الأكثر شعبية على الأرجح من بين الصور الأربع لأنها الأكثر تميزا بالطابع الشخصي . لقد خلفنا وراءنا أفنية الهيكل ، وسوق العبيد ، وقاعات المحاكم ، ونحن الآ في بيتنا ، مع عائلتنا وأصدقائنا . صحيح أن هناك خصومة ، بل " عداوة "، ولكن المصالحة تعني إعادة العلاقة ، وتجديد الصداقة. لذلك يفترض مسبقا وجود علاقة أصلية ، استعيدت بالمسيح ، بعدما كانت قد قطعت.

ثمة سبب آخر يجعل الناس يشعرون بالارتياح تجاه هذه الصورة ، هو أن المصالحة عكس الاغتراب alienation ، وكثيرون من الناس هذه الأيام يشيرون الى أنفسهم على أنهمْ مغتربون مع أنهم يعيشون في مجتمعهم . يستمر الماركسيون في التحدث عن الاغتراب الاقتصادي بين العمال وبين نتاج عملهم . ويتحدث آخرون عن انسلاخ سياسي ، إحساس بالعجز عن تغيير المجتمع . ولكن بالنسبة لكثيرين هناك مزيد من "الاغتراب" يلخص المزاج العصري. فهم لا يرتاحون في مادية العالم الغربي ، وفراغه وسطحيته . إنهم ، بالعكس ، يشعرون بعدم الاكتفاء وبالارتباك ، عاجزون عن إيجاد أنفسهم أو هويتهم أو حريتهم . فالحديث عن المصالحة له وقع البشارة في نفوسهم.

إلا أن أول ما يجب أن يقال عن إنجيل المصالحة الكتابي أنه يبدأ بالمصالحة مع الله، ويستمر بمجتمع مصالح في المسيح . ليست المصالحة تعبيرا يستخدمه الكتاب ليصف " تفاهم الانسان مع ذاته " مع أنه يلح فى أننا لا نستطيع أن نجد ذواتنا حقا إلا عن طريق فقدان ذواتنا في المحبة لله وللقريب.

إذا، المصالحة مع الله هي البداية. وهذا معنى " الكفارة ". فهي تلمح الى الحدث الذي عن طريقه يصير الله والبشر " في وفاق " ، بعد ما كانوا سابقا مغتربين بعضهم عن بعض . ترد كلمة الكفارة مرة واحدة في العهد الجديد من الكتاب المقدس بحسب الترجمة القياسية (King James' Version) حيث البيان الذي يذكر أننا بالمسيح " نلنا...الآن الكفارة atonement " (رو١١:٥) ، يعني " المصالحة ". إنه لأمر هام ، في رومية ٥: ٩-١١ وهو أحد أربعة مقاطع هامة حول المصالحة في العهد الجديد ، أن المصالحة والتبرير متوازيان . فعبارة " بما أننا الآن مبررون بدمه " تتوازن مع عبارة " إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه ". إلا

أن الحالتين ، مع أنهما تحققتا بالصليب ، ليستا متماثلتين . التبرير هو وقفتنا القانونية أمام قاضينا في المحكمة ؛ أما المصالحة فهي علاقتنا الشخصية مع أبينا في البيت . المصالحة ، حقا ، هي نتيجة التبرير وثمرته . فتمتعنا بالسلام مع الله، الذي هو المصالحة ، رهن فقط بتبريرنا بالإيمان (رو٥:١).

هناك تعبيران آخران في العهد الجديد يثبتان هذا التأكيد على أن المصالحة تعني السلام مع الله، وهما "التبني" و "الدخول". ففيما يتعلق بالتعبير الأول، فإن يسوع نفسه، الذي خاطب الآب دوما بصورة حميمة، يا "أبا، الآب"، هو الذي أعطانا الإذن بأن نفعل الشيء نفسه مقتربين منه باعتباره "أبانا الذي في السموات". وتوسع الرسل في ذلك المفهوم . فيوحنا الذي يعزو كوننا أولاد الله الى ولادتنا من الله، يعبر عن إحساسه بالعجب من أن الآب لا بد أن يكون قد أحبنا كل الحب بحيث يدعونا، وبالحقيقية يجعلنا، أولاده.[٧٤] يتتبع بولس ، من ناحية أخرى، منزلتنا كأولاد الله ، ليس الى ولادتنا الجديدة ، بل بالأحرى الى تبني الله لنا . ويؤكد الامتيازات التي لنا لكوننا أولادا ، بدلا من عبيد ، ولكوننا بالتالي ورثة الله أيضا.[٧٥]

إن "الدخول" (*بروساغوجه*) الى الله بركة أخرى من بركات المصالحة . ويبدو أنه يشير الى الشركة الفعالة مع الله ، ولاسيما في الصلاة ، التي يتمتع بها أولاده المصالحون. يجمع بولس مرتين عبارتي " الدخول الى الله " و " السلام مع الله "، فيعزوهما في المرة الأولى الى تبريرنا وليس بالأحرى الى مصالحتنا (رو٥:١-٢)، وفي المرة الثانية يفسر" القدوم " [ترجمة أخرى لكلمة *بروساغوجه*] كخبرة ثالوثية Trinitarian من حيث أننا نقدم الى الآب عن طريق الابن بالروح القدس (أف ٢: ١٧-١٨)، " به لنا قدوم الى الله بجراءة و ثقة " (أف٣:١٢). ويستخدم بطرس الفعل الذي هو أصل المصدر، قدوم ، معلنا أن المسيح ، لكي يقربنا (*بروساغو*) الى الله مات لأجلنا مرة واحدة ، البار لأجل الأثمة (١بط ٣:١٨). ويستعير كاتب الرسالة الى العبرانيين من طقس يوم الكفارة لكي يصور القرب من الله الذي جعله المسيح ممكنا بذبيحته وكهنوته . فيكتب ، " فإذ لنا ثقة بالدخول الى قدس الأقداس بدم يسوع ، فلنتقدم الى الله بقلب صادق في يقين الإيمان..." (١٠:١٩-٢٢).

---

[٧٤] يو ١: ١٢-١٣ ؛ ١ يو ٣: ١-١٠

[٧٥] مثلا رو ٨: ١٤-١٧ ؛ غل ٣: ٢٦-٢٩ ؛ ٤: ١-٧

وهكذا فإن المصالحة ، والسلام مع الله ، والتبني في عائلته ، والدخول الى حضرته ، تشهد جميعها للعلاقة الجديدة ذاتها التي أدخلنا الله فيها.

لكن المصالحة ذات بعد أفقي مثلما هي ذات بعد شاقولي. لأن الله صالحنا بعضنا مع بعض في جماعته الجديدة ، مثلما صالحنا مع نفسه . هناك مقطع ثان هام في العهد الجديد (أف ٢ :١١-٢٢) يركز على هذه المسألة، ولاسيما على رأب الصدع بين اليهود والأمم ، بحيث لا يكون من الواضح أحيانا الى أي المصالحتين يشير بولس . فهو يذكرقراءه المسيحيين الأمميين بأنهم كانوا فيما مضى "ممنوعين من الدخول في رعوية اسرائيل وغرباء عن عهود الموعد " ، ومن جهة أخرى " بدون مسيح ...و بلا إله في العالم " (الآية ١٢). وهكذا كانوا " بعيدين " عن الله وعن اسرائيل، أي مغتربين اغترابا مضاعفا ؛ ويتابع قائلا، " لكن الآن في المسيح يسوع ، أنتم الذين كنتم قبلا بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح " – قريبين الى الله وقريبين الى اسرائيل (الآية ١٣). بالحقيقة ، إن المسيح الذي " هو نفسه سلامنا " قد أزال الحاجز بين هذين الشقين من الجنس البشري ، و" جعل الاثنين واحدا " (الآية١٤). لقد " أبطل " فرائض الناموس التي كانت تفصل بينهما وكذلك " خلق " في نفسه " من الاثنين انسانا واحدا صانعا سلاما " (الآية ١٥). و نظرا إلى الشعور بالمرارة والازدراء الذي كان متبادلا بين الأمم واليهود، ندرك أن هذه المصالحة كانت معجزة أنجزتها نعمة الله وقوته . لقد أدت الى قيام انسانية واحدة جديدة ، تصالح أفرادها ، عن طريق الصليب ، مع الله ومع بعضهم بعضا . وبعد ما كانوا أعداء فيما سبق أماتوا عداوتهم المتبادلة . وهم الآن مواطنون متساوون في ملكوت الله ، وإخوة وأخوات في عائلة الله (الآية ١٩). وأعضاء متساوون في جسد المسيح، وشركاء معا في الوعد المسياني (٣: ٦). هذه المساواة التامة بين اليهود والأمم في الجماعة الجديدة هي " السر" الذي ظل مكتوما لعدة قرون ، ولكن الله أعلنه الآن للرسل ولاسيما لبولس الرسول المبعوث الى الأمم (٣: ٤-٦).

حتى هذا لا يكمل المصالحة التي أنجزها الله بالمسيح . إن الرسالة الى *الكولوسيين* رسالة شقيقة للرسالة الى *الافسسيين* ، لأن الرسالتين تحويان عدة أجزاء متوازية . وفي رسالة كولوسي يضيف بولس بعدا كونيا الىعمل المسيح . وسواء أكان المقطع الخريستولوجي العظيم (كو١ :١٥-٢٠) ترنيمة مسيحية باكرة ،

كما يعتقد كثير من العلماء ، أم مقطعا كتبه بولس نفسه بالأصل ، فإنه بيان فائق يصف تفوق يسوع المسيح المطلق في الخليقة والفداء ، في الكون وفي الكنيسة . وهو، في الوقت نفسه ، موجه بصورة ملائمة الى الهراطقة في كولوسي الذين يبدو أنهم كانوا يُعَلِّمُونَ عَن وجود وسطاء ملائكيين ("عروش ، سيادات ، رياسات، سلاطين") بين الخالق و بين الخليقة المادية ، وربما كانوا قد اقترحوا أن يسوع كان واحدا منهم. أما بولس فما كان ليقبل بذلك. إن توكيده على تعبير " كل شيء "، الذي يستخدمه خمس مرات ، يعني عادة الكون cosmos ، لكنه هنا يتضمن حتما، الرؤساء و القوات . جميع الأشياء خلقها الله " في" المسيح و " به " و " لأجله " (الآية ١٦). فهو " قبل " كل شيء ، في الزمان والرتبة ، و " فيه" يقوم الكل ويتكامل (الآية ١٧). و لما كانت جميع الأشياء توجد في المسيح و به و لأجله، وتحت سلطانه، فهو الرب الأسمى بالحق . بالإضافة الى ذلك هو رأس الجسد، الكنيسة ، لكونه بكرا من الأموات ، لكي يكون متقدما في كل شيء (الآية ١٨). و هذا المجال الثاني لتفوقه مرده الى حقيقة أن الله سر بأن يحل فيه ملء الله (الآية١٩) و أن ينجز عمل المصالحة عن طريقه ، صانعا السلام بدمه المسفوك على الصليب . وهذه المرة أيضا تشمل المصالحة " كل شيء " وهو ما يوصف بعد ذلك بأنه " ما على الأرض أو ما في السماء " (الآية٢٠) .

لا نستطيع أن نتأكد مما كان بولس يلمح إليه. هناك افتراض ضمني بأن " الكل" الذي صولح (الآية ٢٠) هو نفسه " الكل " الذي خلق (١٦-١٧). ولكن إذا كان ما خلق بالمسيح قد احتاج فيما بعد الى أن يصالح بالمسيح ، فلا بد أن يكون قد حصل خطأ ما في الزمن الفاصل بين الفعلين . هذا ما يعبر عنه بيتر أو بريان Peter O'Brien "إن الافتراض الضمني هو ان وحدة وانسجام الكون قد أصابهما تشويش هام ، بل تمزق ، وهكذا أصبح الكون بحاجة الى مصالحة ".[٧٦] إذا كان هذا إشارة إلى النظام الطبيعي ، فربما كانت "مصالحته" هي "عتقه من عبودية الفساد" (رومية ٢١:٨)، مع أن هذا حدث مستقبلي. أما ، من جهة أخرى ، إذا كانت الإشارة الى الكائنات العاقلة الشريرة الكونية ، أو الملائكة الساقطين ، فليس ثمة أي مسوغ في

---

[76] Peter T. O'Brien, *Colossians*, p. 53.

العهد الجديد لتوقع أنهم قد صولحوا مع الله بـالخلاص (أو أنهم سوف يصـالحون). لذلك ، فإن الأكثر ترجيحا، حسبما يبدو ، هو أن الرياسات والسـلاطين قد صولحـوا بالمعنى الوارد في الاصحاح التالي، أي أن المسيح "جردهم" من سلاحهم و"أشـهرهم جهارا ظافرا بهم في الصليب" (كو٢:١٥). مـن المسلم بـه أن هـذا استخدام غريـب لكلمة " صولح "، ولكن ، نظرا الى أن بولس يصف هذا أيضا بأنـه " صنـع سـلام " (كو ١:٢٠) ، فربما كان ف. ف. بروس F. F. Bruce محقـا فـي التفكير بـ" تهدئـة " الكائنات الكونية "مخضعا إياها ، رغم إرادتها ، الـى قـوة لا تستطيع تلك الكائنـات مقاومتها ".[٧٧] وفي هذه الحال ربما يفكر المرء في نفس الموقـف الـذي يوصـف فـي مكان آخر بأنه جثو كل ركبة ليسوع واعتراف كـل لسـان بربوبيتـه (فـي٢:٩-١١) ، وقيام الله بوضع كل الأشياء تحت قدميه الى الوقـت الـذي توضـع فيـه معـا، " تحـت الرأس الذي هوالمسيح " (أف١:١٠،٢٢).

حتى الآن كنا نتحرى عن أهداف عمل اللـه الصلحي عن طريـق المسـيح . لقد صالح الخطاة لنفسه وصالح اليهود والأمم ، حتى أنه صـالح القـوات الكونيـة بمعنـى أنه جردها من سلاحها وهَدَّأَهَا. ويلزمنا الآن أن نتأمل فـي الطريقـة التـي تمت بهـا المصالحة ، وما هي الأدوار في هذه الدراما الصلحيـة العظيمـة التـي قـام بهـا علـى التوالي ، الله والمسيح ونحـن . لإلقاء الضـوء علـى هـذه الأسـئلة ننتقـل الـى المقطـع الصلحي الرابع ، وهو ٢كو ٥:١٨-٢١ .

الكل من الله، الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح وأعطانا خدمـة المصالحـة ، أي أن الله كان في المسيح مصالحـا العـالم لنفسـه ، غير حاسـب للنـاس خطايـاهم . و قد عهد إلينا بكلمة المصالحة. لذلك نحن سفراء المسيح ، كـأن اللـه يعـظ بنـا ـ نطلب إليكم نيابة عن المسيح: تصالحوا مع الله. إن الله قد جعل الذي لم يعـرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه.

---

[77] E. K. Simpson and F. F. Bruce, *Ephesians and Colossians*, p. 210. Peter O'Brien follows F. F. Bruce in this interpretation (*Colossians*, p. 56).

إن الحقيقة الأولى التي يوضحها هذا المقطع هي أن *الله هو مبدع المصالحة* . بالحقيقة هذا هو التأكيد الأساسي خلال المقطع كله." الكل(*تا بانتا* ' كل الأشياء ') من الله ". ربما تعود " كل الأشياء " الى " الأشياء الجديدة " التي تخص الخليقة الجديدة التي انتهت بها الآية السابقة . الله هو الخالق؛ والخليقة الجديدة تأتي منه . في هذا المقطع تتوالى ثمانية أفعال فاعلها جميعا هو الله . إنها تصف مبادرة الله الرؤوفة ـ الله يصالح ، الله يعطي ، الله يناشد ، الله يجعل المسيح خطية لأجلنا . وتترجم العبارة الأولى من الآية ١٨ بحسب الترجمة الآنكليزية الجديدة NEB : " وهذا من بدايته الى نهايته عمل الله ".

لهذا فإن أي تفسير للكفارة لن يكون كتابيا إذا أخذ المبادرة من الله وأعطاها إما لنا أو للمسيح . فالمبادرة ليست منا بالتأكيد . ليس لدينا ما نقدمه أو نسهم به أو نترافع به. وكما قال ويليام تمبل في جملته الجديرة بأن تذكر، " الكل من الله ؛ والشيء الوحيد الذي أسهمت به في فدائي هو الخطية التي أحتاج الى أن أفدى منها ". ولم تكن المبادرة الأولية من قبل المسيح . وما من تفسير للكفارة يلبي الحاجة إذا كان يعزو المبادرة الى المسيح *بحيث يأخذها من الآب*. المسيح فعلا أخذ بزمام المبادرة بالمجيء ، ولكن فقط بمعنى أنه استطاع أن يقول، " هأنذا قد جئت لأفعل مشيئتك يا الله " (عب١٠:٧) . إن مبادرة الابن كانت خاضعة لمبادرة الآب . فلم يكن هناك أي ممانعة من جانب الآب . ولم يكن هناك أي تدخل من جانب المسيح كطرف ثالث . فمحبة الله حبلت بالمصالحة وولدتها. " لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد ".

نلاحظ هنا أنه حيثما يرد الفعل "يصالح" في العهد الجديد، يكون الله هو الفاعل (صالحنا لنفسه) أو نكون نحن نائب الفاعل إذا كان الفعل مبنيا للمجهول(صولحنا معه). ولا يكون الله المفعول به أبدا. فلا يقال أبدا أن " المسيح صالح الآب معنا ". هذه حقيقة واقعة من الناحيتين الشكلية واللغوية. لكن يجب أن ننتبه كي لا نبني عليها الشيء الكثير من الوجهة اللاهوتية . لأنه إذا كنا محقين في قولنا أن الله هدأ غضبه بالمسيح فبوسعنا بالتأكيد أن نقول أنه قد صالحنا لنفسه بالمسيح . و إذا كان بحاجة الى أن يُسْتَرْضَى فقد كان بالمثل بحاجة الى أن يُصَالَحَ. بعبارة أخرى إن من الخطأ الظن بأن الحاجز بين الله وبيننا، الذي اقتضى عمل المصالحة، كان كله

من جانبنا ، بحيث كنا بحاجة الى مصالحة ، ولم يكن الله بحاجة الى ذلك. صحيح أننا كنا "أعداء الله"، معادين له في قلوبنا.[٧٨] ولكن " العداوة " كانت من الجانبين. لقد تشكل الجدار أو الحاجز بيننا وبين الله بسبب تمردنا عليه وكذلك بسبب غضبه علينا من جراء عصياننا. هناك ثلاث حجج تؤيد هذه المناقشة.

أولا، *اللغة* ،إن كلمتي، "أعداء" و "عدواة "، بحد ذاتهما، تدلان ضمنا على التبادل. في رومية١١: ٢٨ مثلا، كلمة "أعداء" خبر للمبتدأ هم ، نظير كلمة "أحباء" التي هي خبر للمبتدأ هم ، لكنها بحسب السياق في محل مفعول به . كما أن " العداوة " بين اليهود والأمم في أفسس٢: ١٤ كانت تبادلية، مما يوحي بأن "العداوة " الأخرى (بين الله والخطاة) كانت تبادلية أيضا. وهكذا ، وفقا لما كتبه ف. بوشيل ، ينبغي ألا نفسر كلمة أعداء "بصورة وحيدة الجانب"، وكأنها تعني فقط " أعداء الله"، بل كأنها تتضمن "وقفة تحت غضب الله".[٧٩] الحجة الثانية ، تعنى *بسياق* كل مقطع و *سياق* الكتاب المقدس ككل . ففي كل مقطع رئيس حول المصالحة أو قريب منه توجد إشارة الى غضب الله . وأكثر هذه المقاطع لفتا للانتباه موجود في رومية ٥ حيث ترد عبارة " نخلص به من الغضب " (الآية ٩) متبوعة مباشرة بعبارة " كنا أعداء الله " (الآية ١٠). ثم هناك القرينة الكتابية الأوسع. يشدد ليون موريس على هذا الأمر بخاصة: "هناك، من وجهة نظرالكتاب، عداوة واضحة من جانب الله تجاه كل ما هو شر...وهكذا ، وبمعزل تماما عن تفاصيل تفسير مقاطع خاصة ، هناك تعليم قوي ومتناغم يفيد أن الله فعال في مقاومته لكل ما هو شر".[٨٠] ثالثا ، هناك *اللاهوت*. بحسب منطق بولس تَصَرَّفَ الله موضوعيا في المصالحة *قبل* المناداة برسالة المصالحة. وهكذا فإن " السلام " الذي يكرز به المبشرون (أف ٢: ١٧) لا يمكن أن يكون معناه أن عداوتنا *نحن* قد تم التغلب عليها (إنهم بالأحرى يكرزون لكي يمكن تحقيق ذلك) ، بل يعني أن الله قد تنحى عن عداوته هو بسبب

---

[٧٨] توجد شواهد على عداوة البشر لله في الآيات التالية: رو ٥: ١٠ ؛ ٨: ٧ ؛ أف ٢: ١٤، ١٦ ؛ كو١: ٢١ ؛ يع ٤: ٤

[79] From the article on *allasso* and *katallasso* by F. Buchsel, p. 257.

[80] L. Morris, *Apostolic Preaching*, p. 196. See Dr Morris' chapters on 'Reconciliation' in both *Apostolic Preaching*, pp. 186-223 and *Atonement*, pp. 132-150.

صليب المسيح . لقد كان مُصَالِحًا نفسه معنا ؛ فينبغي علينا الآن أن نكون مُصَالَحِينَ معه.

لقد عبر إميل برونر عن نفسه بصراحة في هذه المسألة:

إن المصالحة تفترض وجود عداوة بين طرفين. ويمكن أن نعبرعن ذلك بدقة أكثر فنقول: المصالحة ، أي المصالحة الحقيقية ، فعل المصالحة الموضوعي، يفترض وجود عداوة بين الجانبين ؛ أي أن الانسان هو عدو الله وأن الله هو عدو الانسان.[81]

ويمضي برونر فيشرح فكرته ، إن عداوتنا تجاه الله تُرى في عدم استقرارنا الذي يتجلى في مواقف متنوعة، فهناك من يتخذ موقف العبث و هناك من يتخذ موقف الرفض الصريح وفريق ثالث يتخذ موقف البغض لله ، في حين أن عداوة الله لنا هي غضبه . بالإضافة الى ذلك " الله حاضر في هذا الغضب ، إنه في الواقع غضبه" (ص٥١٧).

ثانيا ، إذا كان الله هو مبدع المصالحة *فالمسيح هو وسيط المصالحة*. و هذا واضح غاية الوضوح في ٢ كورنثوس٥:١٨-١٩ " الله...صالحنا لنفسه بيسوع المسيح " و " الله كان في المسيح مصالحا العالم لنفسه ". كلا البيانين يخبراننا أن الله أخذ بزمام المبادرة ليصالح ، وأنه فعل ذلك في المسيح وبالمسيح . فالجملتان متماثلتان من هذه الناحية . لكن في الجملة الأولى " نحن " المستفيدون ، أما في الجملة الثانية فـ" العالم " هوالمستفيد ، وهذا التغيير يبين المجال العالمي للمصالحة، كما يتغير حرف الجر أيضا ، فهو " الباء" في الجملة الأولى ، والـ" في" في الجملة الثانية لبيان أن الله لم يكن يعمل عن طريق المسيح باعتباره وكيله عن بعد بل كان حاضرا فيه حين قام بالعمل .

[81] Brunner, *Mediator* , p. 516.

علينا أن نلاحظ الآن الأفعال التي ووردت في صيغة الماضي و لا سيما زمن الفعل " صالحنا " (ع ١٨) الذي هو aorist*. الفعلان كلاهما يدلان على أن الله كان يعمل ، وبالحقيقة ، قد عمل شيئا في المسيح . لندع جيمس ديني يستخلص مضمون هذا:

إن عمل المصالحة، وفق المعنى الذي أراده العهد الجديد ، هو العمل الذي *أكمل*، وهو العمل الذي ينبغي أن ندرك أنه اكتمل *قبل الكرازة بالإنجيل*....المصالحة ليست شيئا في طور العمل؛ إنها شيء قد عمل. لا شك أنه يوجد عمل يعمله المسيح الآن، ولكن أساسه هو عمل المسيح المُكَمَّلُ. فبفضل أمر قد اكتمل قبل الآن على الصليب يستطيع المسيح أن يناشدنا، وهو يناشدنا فعلا، ويستطيع أن يحظى بالاستجابة التي *تنال* بها المصالحة.[٨٢]

بعد بضع سنوات عبر ب. تي. فورسيث عن الحقيقة نفسها أدق تعبير:

" إن الله في المسيح كان مُصَالِحَاً "، مصالحا فعلا ، مكملا العمل . لم تكن المصالحة شأنا تجريبيا بدئيا. فالمصالحة أكملت بموت المسيح . لم يبشر بولس بمصالحة تدريجية . لقد بشر بما اعتاد علماء اللاهوت القدماء أن يسموه العمل المكمل... لقد بشر بشيء عمل مرة وإلى الأبد ــ مصالحة هي الأساس لحالة الصلح لكل نفس وليس مجرد دعوة فقط .[٨٣]

فما الذي فعله الله أو أنجزه في المسيح وبالمسيح ؟ يجيب بولس عن هذا السؤال بطريقتين متتامتين ، سلبية وإيجابية . فمن وجهة سلبية ، تجنب الله أن يحسب لنا خطايانا (الآية١٩ ب). طبعا نحن نستحق أن يحسب لنا خطايانا. ولو أنه

---

* زمن فعل في اليونانية الكلاسيكية يشير إلى فعل action حدث في الماضي دونما إشارة إلى أنه كان وقتيا أو دائما. (Collins Dictionary) [المترجم]

[82] James Denney, *Death of Christ*, pp. 85-86. *Cf*. also p. 128.

[83] P. T. Forsyth, *Work of Christ*, p. 86.

جاء بنا الى الدينونة لمتنا. " إن كنت تراقب الآثام يا سيد يا رب فمن يقف ؟ " (مز ١٣٠:٣). وهكذا رفض الله برحمته أن يحسب لنا خطايانا أو أن يطلب منا أن نحمل جزاءها. فما الذي فعله بها ؟ إذ لا يمكن أن يتساهلَ تجاهها . لا يمكن ذلك . هذا من وجهة سلبية ، أما النظير الإيجابي فيعطى في الآية ٢١: " الله جعل الذي لم يعرف خطية ، خطية لأجلنا ، لنصير نحن بر الله فيه ". هذا البيان مّن أكثر البيانات بعثا على الذهول في الكتاب المقدس، ولكن لا يجوز لهذا السبب أن نتهرب منه. ولم يكن جيمس ديني مبالغا عندما كتب عنه: " مع كون هذه الفكرة غامضة ومرعبة فهي المفتاح لفهم العهد الجديد كله ".[٨٤] فمن أجلنا جعل الله ، بالفعل ، المسيح الخالي من الخطية ، خطية بخطايانا . الله الذي رفض أن يحسب لنا خطايانا ، حسبها للمسيح بدلا منا. بالحقيقة إن خلو المسيح وحده من الخطية يؤهله بصورة فريدة ليحمل خطايانا نيابة عنا.

بالإضافة الى ذلك صار المسيح خطية لأجلنا ، لكي " نصير نحن بر الله فيه ". بعبارة أخرى ، إن خطايانا عزيت الى المسيح الخالي من الخطيئة ، لكي ننال نحن الخطاة ، عن طريق اتحادنا بالمسيح ، وقفة بر أمام الله ، هبة مجانية بلا مقابل. لقد تأمل التلاميذ المسيحيون عبر العصور، في هذه المبادلة بين المسيح الخالي من الخطية وبين الخطاة ، وتعجبوا منها. أول مثال على الأرجح ، هو من القرن الثاني وهو *رسالة الى ديوغنيتوس* *Epistle to Diognetus* ، الفصل التاسع: "يا للمبادلة الحلوة ! يا للعملية التي لا تفحص ! يا للفوائد التي تتفوق على كل توقع. أن يخبأ شر الكثيرين في الواحد البار، وأن يُبَرِّرَ الواحد أثمة كثيرين". ثم هناك لوثر الذي كتب الى راهب كان يعاني من كرب بسبب خطاياه : " تعلم أن تعرف المسيح وإياه مصلوبا. تعلم أن ترنم له وتقول ' يارب يسوع أنت بري وأنا خطيئتك. لقد حملت ما يخصني ؛ ومع ذلك وضعت علي ما يخصك. صِرْتَ ما لم تكن إياه لكي أصبح أنا ما لم أكن إياه ' ".[٨٥]

---

[84] James Denney, *Death of Christ*, p. 88
[85] Luther, *Letters of Spiritual Counsel*, p.110.

بعد نصف قرن أو نحو ذلك (في عام ١٥٨٥) قال ريتشارد هوكر في عظة عن حبقوق ١: ٤ :

هكذا نحن في نظر الله الآب ، كابن الله ذاته. وليحسب ذلك حماقة أو جنونا أو غضبا أو أي شيء آخر. هذه حكمتنا وهذه راحتنا ؛ إننا لا نبالي بأي معرفة في العالم سوى هذه ، أن الانسان أخطأ والله تألم ؛ وأن الله جعل نفسه خطيئة البشر، وأن البشر صاروا بر الله.[٨٦]

أما كمثال من هذا القرن ، فدعني أختارحكمة إميل برونرالمعبرة بطريقة بارعة: "التبرير يعني هذه المعجزة : أن المسيح يأخذ مكاننا ونحن نأخذ مكانه ".[٨٧]

إذا أعدنا النظر في الفقرة التي ندرسها ، فمن المهم أن نلاحظ التناقض الظاهري الذي يشكله البيان الأول والبيان الأخير فمن جهة كان الله في المسيح مصالحا . ومن جهة أخرى ، الله جعل المسيح خطية لأجلنا. أما كيف تحققت إمكانة أن الله كان في المسيح عندما جعله خطية لأجلنا فهذا هو السر الأساسي في الكفارة . ولكن ينبغي أن نتمسك بإصرار بالتأكيدين، كما ينبغي ألا نشرح أيا منهما بطريقة تناقض شرحنا للآخر.

ثالثا، إذا كان الله هو مبدع المصالحة والمسيح وسيطها، *فنحن سفراء المصالحة*. في دراستنا للآيتين ١٨ و ١٩ تأملنا حتى الآن الجزء الأول فقط من كل عبارة . ولكن كلا من العبارتين تقع في جزئين ، أولهما يبين إنجاز المصالحة (الله كان في المسيح مصالحا العالم لنفسه)، والثانية إعلانها (وأعطانا خدمة المصالحة ورسالتها). بالإضافة الى ذلك ، فإن خدمة المصالحة هذه عينها تتم على مرحلتين. فهي تبدأ بالإعلان أن الله في المسيح كان مُصَالِحًا وأنه جعل المسيح خطية لأجلنا. وتتابع بمناشدة الناس لكي " يتصالحوا مع الله "، أي، " استفيدوا من شروط المصالحة مع الله المقدمة لكم " (قارن مت ٥: ٢٤) أو ببساطة " نالوها " (قارن

---

86 Hooker's 'Sermon on Habakkuk i.4', pp. 490f.
87 E. Brunner, *Mediator*, p. 524.

رو ١١:٥).^٨٨^ يجب أن نبقي هذين الأمرين متميزين. لقد كمل الله عمل المصالحة على الصليب ، ولكن ما يزال لزاما على الخطاة أن يتوبوا ويؤمنوا وهكذا " يتصالحون مع الله ". كذلك يحتاج الخطاة الى أن "يتصالحوا مع الله "، مع ذلك يجب ألا ننسى أن الله ، من جهته، قد أتم عمل المصالحة فعلا. فإذا لزم إبقاء هذين الأمرين متميزين، فينبغي أن يظلا معا في كل كرازة أصيلة. فلا يكفي أن نشرح عقيدة المصالحة شرحا أورثوذكسيا كاملا، إذا كنا لا نتوسل قط الى الناس كي يأتوا الى المسيح . ولا يجوز أن تقتصر العظة على مناشدة مطولة إذا لم تكن مسبوقة بتفسير للإنجيل. ينبغي أن تكون القاعدة " لا مناشدة بدون إعلان، ولا إعلان بدون مناشدة ".

عندما نقدم هذه المناشدة فنحن " سفراء المسيح " (الآية ٢٠). وكان هذا يصدق على بولس وأقرانه الرسل: لقد كانوا المبعوثين الشخصيين ليسوع المسيح و الممثلين عنه. مع ذلك وبمعنى ثانوي يصدق هذا على جميع الشهود والوعاظ المسيحيين الذين يذيعون الانجيل: نتكلم باسم المسيح ونيابة عنه. ثم وبينما نتوجه بمناشدتنا ، يُسْمَعُ في كثير من الأحيان صوت آخر ، لأننا عندما نتكلم " فكأن الله يعظ بنا ". ثمة حقيقة لافتة للنظر هي أن الله الذي عمل "عن طريق المسيح" ليحقق المصالحة هو نفسه الذي يعمل الآن " عن طريقنا " ليعلن المصالحة.

لقد درسنا أربعا من صور الخلاص التي يرسمها العهد الجديد، مأخوذة من المذبح والسوق وقاعة المحكمة والبيت . وطبيعتها التصويرية تجعل من المستحيل دمجها بإحكام الواحدة مع الأخرى . فذبائح الهيكل والأحكام القانونية ، والعبد في سوق العبيد والولد في البيت تنتمي جميعها بوضوح الى عوالم مختلفة . مع ذلك فإن بعض الموضوعات تبرز من الصور الأربع جميعا .

أولا تركز كل منها الانتباه على جانب من جوانب حاجتنا البشرية. فالاسترضاء يؤكد غضب الله علينا ، الفداء يؤكد أننا أسرى الخطية ، التبرير يؤكد ذنبنا،

---

[88] T. J. Crawford, *Doctine of Holy Scripture* , p. 75.

والمصالحة تؤكد عداوتنا لله واغترابنا عنه. هذه تشبيهات لا تطرينا. إنها تكشف عظم حاجتنا.

ثانيا، هذه الأمور الأربعة جميعها تؤكد أن الله في محبته أخذ بزمام المبادرة الخلاصية. وهو الذي هدأ غضبه، وفدانا من أسرنا التعيس، وأعلن أننا أبرار في نظره ، وصالحنا لنفسه. والنصوص المتعلقة بهذه الموضوعات لا تترك لدينا أي شك بهذا الخصوص: "الله أحبنا ، وأرسل ابنه ليكون كفارة عن خطايانا." " الله افتقد وصنع فداء لشعبه." " الله هوالذي يبرر." "الله صالحنا لنفسه بيسوع المسيح."[٨٩]

ثالثا، إن الصور الأربع جميعها تعلم بوضوح أن عمل الله الخلاصي أنجز بسفك الدم ، أي بذبيحة المسيح البدلية ، وفيما يتعلق بدم المسيح نرى المقاطع أيضا جلية. "قدمه الله كفارة propitiation بالإيمان بدمه" "فيه لنا الفداء بدمه" " نحن متبررون الآن بدمه" "انتم الذين كنتم قبلا بعيدين صرتم قريبين (أي مصالحين) بدم المسيح".[٩٠] ولما كان دم المسيح رمزا لحياته المبذولة في موت عنيف ، فمن الواضح أيضا في كل من الصور الأربع أنه مات عنا كبديل . كان موت يسوع ، ذبيحة كفارية حول الله غضبه عنا بسببها ، وقيمة الفدية التي افتدينا بها ، وكان إدانة للبريء لتبريرالمذنب ، ولجعل الذي لا خطية له خطية لأجلنا.[٩١]

وهكذا فإن الإبدال ليس " نظرية في الكفارة atonment " ولا حتى صورة إضافية تأخذ مكانها كخيار بجانب الخيارات الأخرى. إنه بالأحرى جوهر كل صورة وقلب الكفارة ذاتها. ولا يمكن لأي من الصور الأربع أن تقف بدونه. أنا لا أقول بالطبع أن من الضروري أن نفهم ، بله أن نوضح بالتفصيل ، ماهي الكفارة البدلية قبل أن نستطيع أن نخلص ، ومع ذلك فإن مسؤولية المعلمين المسيحيين والوعاظ والشهود الآخرين هي طلب نعمة لشرحها بوضوح واقتناع ، وكلما فهم الناس ، بصورة أفضل ، مجد الإبدال الإلهي كلما سهل عليهم أن يثقوا بالبديل.

---

[٨٩] ايو ٤: ١٠ ؛ لو ١: ٦٨ ؛ رو ٨: ٣٣ ؛ ٢كو ٥: ١٨

[٩٠] رو٣: ٢٥ ؛ أف١: ٧ ؛ رو٥: ٩ ؛ أف٢: ١٣ (قارن كو١: ٢٠).

[٩١] رو ٣: ٢٥ ؛ ١ بط ١: ١٨–١٩ ؛ رو ٨: ٣ ، ٣٣ ؛ ٢ كو ٥: ٢١

٨

إعلان الله

ينبغي أن يُنْظَر إلى صليب المسيح في إطار الإعلان مثلما ينظر إليه في إطار الخلاص . وإذا جاز لنا القول، فهو حدث "إعلاني" مثلما هو حدث " خلاصي". لإن الله من خلال ما فعله هناك لأجل العالم كان يكلم العالم أيضاً؛ وكما أن أفعال الناس تكشف عن أخلاقهم ، هكذا أظهر الله نفسه لنا في موت ابنه . هدف هذا الفصل أن نتحرى بدقة كيف كان الصليب كلمة مثلما كان عملاً، وأن نصغي بانتباه الى هذه الكلمة.

مجد الله

أشار يسوع الى موته ، حسبما ورد في إنجيل يوحنا ، باعتبار أنه " تمجيد "، أي باعتباره الحدث الذي سيتمجد به هو وأبوه ، أو سيظهران بأسمى بهاء . وهذا يبدو مفاجأة لكثير من الناس . لقد ظهر مجد الله أو بهاؤه في العهد القديم في الطبيعة والتاريخ ، أي في العالم المخلوق وفي الأمة المفدية . فالسموات والأرض مملوءتان من مجده ، بما في ذلك (كما قال يسوع) أزهار الجليل الربيعية التي فاقت سليمان في مجده.[1] هذا من جهة ؛ ومن جهة اخرى أظهر الله مجده في إنقاذ بني إسرائيل من أسرهم المصري ثم من أسرهم البابلي ، وفي إعلان طبيعته الرحومة العادلة.[2] وهكذا أظهر الله جلاله في عالمه وفي شعبه.

---

[1] مز ١٩:١ ؛ ٢٩:٩ ؛ أش ٦:٣ ؛ مت ٦:٢٩

[2] عد ١٤:٢٢ ؛ مز ٩٧:٢-٦ ؛ أش ٣٥:٢ ؛ ٤٠:٥ ؛ خر ٣٣:١٨-٣٤:٧

و ليس هناك أي مجال للدهشة في أنه عندما يستهل العهد الجديد يقترن المجد بيسوع المسيح . وكما كتب اللورد رمزي رئيس أساقفة كنتربري ، " ومن حيث أن *الدوكسا* هي البهاء الإلهي ، فيسوع المسيح هو ذلك البهاء".[٣] ومع أن مجد يسوع المسيح قد بدت منه لمحة لدى تجليه ، وفق ما ورد في الأناجيل المتوازية ، فإن ظهور مجده الكامل لن يتم حتى مجيئه الثاني Parousia ومجيء الملكوت الذي سيكتمل عندئذ.[٤] سيكون هذا الظهور إعلانا " للقوة والمجد". والذي يلفت النظر في عرض يوحنا هنا هو أن مجد يسوع ، مع كونه قد أظهر بقوة في عجائبه أو " آياته"،[٥] كان سيرى قبل كل شيء في ضعفه الحالي، وفي اتضاع تجسده ."والكلمة صار جسدا وحل بيننا ، ورأينا مجده مجدا كما لوحيد من الآب مملوءا نعمة وحقا " (يو ١:١٤). و ينبغي ألا تفوت المرء تلميحات العهد القديم . إن مجد الله الذي خيم على خيمة الاجتماع في البرية وملأها قد أظهر الآن في ذاك الذي ، "حل بيننا " (*اسكينوسن*، "خيم": أقام مؤقتا). و كما أظهر يهوه مجده لموسى بإعلان اسمه أنه رحيم و بار، هكذا كان المجد، الذي رأيناه في يسوع المسيح ، "مملوءا نعمة وحقا ". مع ذلك فالأمر الأكثر أهمية هو التضاد المقصود بين "جسد" و "مجد" ، وهو بالتالي *التناقض الظاهري* الأساسي ، تناقض مجد الاتضاع الإلهي".[٦]

إن الاتضاع الذاتي لابن الله، الذي ابتدأ في التجسد اكتمل في موته. و مع ذلك فإنه في الحط من قدر نفسه قد " رُفِّعَ " ، فهو لم يُرْفَعْ جسديا فقط على الصليب بل رُفِّعَ روحيا أمام أعين العالمين.[٧] بالحقيقة لقد " مُجِّدَ". فالصليب الذي بدا " مخزيا" كان بالحقيقة "مجدا". إن الألم ، في الأناجيل المتوازية ، هو الطريق الى المجد المستقبلي،[٨] أما في إنجيل يوحنا فهو أيضا المجال الذي يحدث فيه التمجيد فعلا.[٩]

---

[3] A. M. Ramsey, *Glory of God*, p. 28.

٤ اقرأ لو ٩:٣٢ و ٢بط ١:١٦ اللتين تتحدثان عن مجد التجلي ؛ و مر ١٣:٢٦ التي تتحدث عن مجد عودة المسيح ؛ و مر ١٠:٣٧ ؛ ومت ٢٥:٣١ اللتين تتحدثان عن مجد الملكوت النهائي.

٥ يو٢:١١ ؛ ١١:٤ ، ٤٠

[6] F. Donald Coggan, *Glory of God*, p. 52.

٧ لا يستخدم يوحنا الفعل "صلب" حتى الاصحاح ١٩، حيث يرد عشر مرات. وقبل ذلك يستخدم ثلاث مرات تعبير "رفع/ارتفع" بتورية متعمدة (٣:١٤ ؛ ٨:٢٨ ؛ ١٢:٣٢).

٨ لو ٢٤:٢٦ . قارن ١بط ٤:١٣ ؛ ٥:١ ، ١٠ و رو٨:١٧-١٨

٩ كتبت "أيضا" لأن من الواضح أن يوحنا يفكر في طرق أخرى مُجِّدَ بها المسيح أيضا، مثلا بعمل الروح (١٦:١٤) ، وفي الكنيسة (١٧:١٠) و في السماء (١٧:٥، ٢٤).

ليتمجد ابن الانسان"، وراح للتو يتحدث عن موته مستخدما تعبير حبة الحنطة التي تقع على الأرض وعن تمجيد الآب لاسم ابنه. ثانيا ،حالما ترك يهوذا العلية ومضى في الليل، قال يسوع: " الآن تمجد ابن الانسان وتمجد الله فيه". ثالثا، لقد بدأ صلاته العظيمة ، التي أنهت سهرتهم في العلية ، بالكلمات التالية، " أيها الآب أتت الساعة. مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضا".[10] الجدير بالذكر في هذه المقاطع الثلاثة هو أولا أن كلا منها يُفْتَتَحُ بكلمة "الآن" أو "أتت الساعة"، مما يجعل الإشارة الى الصليب أمرا لا جدال فيه ، وهو ثانيا أن التمجيد سيكون للآب وللابن معا.

وهكذا فإن الآب والابن قد أعلنا بالصليب . ولكن ما الذي أعلناه عن نفسيهما ؟ من المؤكد أن الاتضاع الذاتي ومنح الذات بالمحبة ، واضحان هناك . ولكن ماذا بشأن قداسة تلك المحبة التي جعلت لزاما أن يرفع حمل الله خطية العالم وأن يضع الراعي الصالح نفسه لأجل خرافه ، وجعلت من الأنسب (كما تنبأ قيافا بصورة صحيحة) "أن يموت واحد عن الأمة ولا تهلك الأمة كلها" ؟ [11] كانت هذه البيانات متممة لفهم يوحنا للموت الذي كان سيتمجد به الآب والابن . إن المجد الذي يشع من الصليب هو تلك المجموعة المؤتلفة نفسها من الصفات الإلهية التي أعلنها لموسى وهي الرحمة والعدل ، والتي رأيناها في الكلمة الذي صار جسدا وهي "النعمة والحق" [12] هذه هي جودة الله التي رآها كالفن تتكشف على مسرح الصليب:

ففي الصليب ، وكأنه في مسرح فخم ، تجلت جودة الله بطريقة لا نظير لها أمام أعين العالم . إن مجد الله يشرق ، بالحقيقة ، في كل الخلائق في السماء وعلى الأرض ، ولكنه لا يشرق أبدا ببهاء أكثر مما يشرق في الصليب...

إذا أمكن الاعتراض بأنه ما من شيء أقل مجدا من موت المسيح ..أجيب بأننا نرى في ذلك الموت مجدا لا حدود له مخفيا عن أعين الأشرار.[13] .

---

[10] يو ١٢: ٢٠-٢٨ ؛ ١٣: ٣٠-٣٢ ؛ ١٧: ١ .

[11] يو ١: ٢٩ ؛ ١٠: ١١ ؛ ١١: ٤٩-٥٢ و ١٨: ١٤ .

[12] خر ٣٤: ٦ ؛ يو ١: ١٤، ١٧

[13] Calvin's *St John*, p. 68 (on Jn . 13:31) and p. 135 (on Jn 17:1).

عندما ننتقل من يوحنا الى بولس نجد فكرة إعلان الله عن ذاته بالصليب وفي الصليب أشد وضوحا. فإظهار manifestation مجد الله، بحسب يوحنا، هو، بحسب بولس ، تبيين[تقديم الدليل] demonstration* ، وبالحقيقة إثبات لِ ، طبيعته التي هي العدل والرحمة . وربما يفيدنا ، قبل أن ندرس المقطعين الرئيسين منفصلين ، أن ننظر إليهما جنبا الى جنب. وكلاهما واردان في الرسالة الى أهل رومية:

لقد فعل الله هذا (أي قدم المسيح كفارة) ليظهر بره [عدالته]، لأنه في إمهاله صفح عن الخطايا السالفة – لقد فعل ذلك ليظهر بره [عدالته] في الزمن الحاضر، ليكون بارا و يبرر من له إيمان بيسوع (٣: ٢٥-٢٦).

لكن الله بين محبته لنا في هذا: لأننا ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا (٥: ٨).

إن الفعلين اليونانيين، المترجمين "أظهر" و "بين" في الاصحاحين٣ و٥ على التوالي، مختلفان . ولكن استخدام مترجميNIV للفعل الانكليزي نفسهdemonstrate كان نتيجة امتلاكهم لإحساس لغوي سليم . فالفعلان يعنيان الشيء نفسه ، وبولس يعلن أن الله أعطانا في موت المسيح ، تبيينا علنيا واضحا لعدالته وبره . رأينا مثلا كيف لبى الله مطالب غضبه ومحبته ، ومطالب عدالته و رحمته ، ببذل نفسه في المسيح ليحمل خطيتنا و إدانتنا . و سنرى الآن كيف عرض الله هذه الصفات وبينها بتلبية مطالبها في الصليب.

عدالة الله

ما زال ذوو الحساسية الروحية من الرجال و النساء يرتبكون بسبب عناية الله الجائرة في الظاهر. وهذا الأمر بعيد عن أن يكون مشكلة حديثة . فمنذ أن توسل ابراهيم ـ إذ كان ساخطا من عزم الله على تدمير سدوم وعمورة وقتل البار مع الأثيم ـ وأطلق صرخته المكروبة "أديان كل الأرض لا يصنع عدلا ؟ " (تك ١٨: ٢٥) ، منذئذ صارعت شخصيات الكتاب المقدس و كتبته هذا السؤال . إنه أحد

* توضيح خطي من المؤلف لكلمتي manifestation و demonstration[المترجم]

الموضوعات الواردة في أدب الحكمة ، ويغلب على كتاب أيوب . لماذا يزهو الأشرار، ولماذا يتألم الأبرار؟ يقال أن الخطية والموت يُقْرَنان ، وكذلك التعدي البشري والدينونة الإلهية ، بل ويُثَبتان معا ، فلماذا لانرى الخطاة يقهرون بتكرار أكثر ؟ يبدو، بدلا من ذلك ، أن الخطاة ينجون دون عقوبة في أكثر المرات . أما الأبرار، من جهة أخرى، ففي كثير من الأحيان تحل بهم الفاجعة . إن الله لا يكتفي بالامتناع عن حمايتهم ، فهو لا يستجيب صلواتهم بل ويبدو و كأنه لا يهتم بمصيرهم . من الواضح إذا أن ثمة حاجة الى "إثبات عدالة الله" "theodicy"، وتبرئة الجنس البشري من طرق الله الجائرة ظاهريا.

يلبي الكتاب المقدس هذه الحاجة بطريقتين متتامتين ، أولا بالتطلع الى الدينونة النهائية وثانيا (من وجهة نظر مؤمني العهد الجديد) بالرجوع الى الدينونة الحاسمة التي جرت عند الصليب . فيما يتعلق بالأولى ، كان هذا هو الجواب النظامي الذي قدمه العهد القديم عن هذه المشكلة ، مثال ذلك ما نجده في مزمور ٧٣ . فالأشرار يفلحون . هم أصحاء و أغنياء . وبالرغم من عنفهم ، وغطرستهم وتحديهم الوقح لله ، فإنهم يفلتون دون عقاب . ولا تنزل عليهم صاعقة من السماء . ويقر المرنم بأنه إذ يحسدهم على حريتهم في ارتكاب الخطية ومناعتهم عىالألم ، كاد يرتد عن الله الحي ، لأن أفكاره كانت أفكار بهيم أكثر مما كانت أفكار اسرائيلي تقي . وفشل في التوصل الى أي فهم مقنع حتى دخل الى مقادس الله . لكنه عندئذ فهم " مصيرهم النهائي". فالأرض التي يقفون عليها واثقين من أنفسهم أعظم الثقة هي أكثر انزلاقا مما كانوا يحسبون ، وذات يوم سوف يسقطون ويهلكون بدينونة الله العادلة .

هذه اليقينية ذاتها بالدينونة النهائية ، حيث ستصلح اختلالات ميزان العدالة ، تكرر مرارا في العهد الجديد . يقول بولس للفلاسفة الأثينيين أن الله قد تغاضى عن عبادة الأصنام في الماضي لا لشيء سوى "أنه أقام يوما فيه سيدين المسكونة بالعدل برجل"قد عينه"، ويحذر قراءه في رومية كي لا يستغلوا "غنى لطف الله وإمهاله وطول أناته"، التي تعطى لهم كفترة للتوبة . ويوجه بطرس الرسالة نفسها الى "المستهزئين" الذين يسخرون من يوم الدينونة في المستقبل ؛ وسبب عدم حلول ذلك

اليوم هو أن صبر الله يبقي باب الفرصة مفتوحا لفترة أطول ، " وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع الى التوبة ".[١٤]

إذا كان الجزء الأول من إثبات عدالة الله الكتابي هو التحذير من المستقبل والدينونة النهائية ، فالجزء الثاني هو الإعلان أن دينونة الله قد أخذت مجراها من قبل على الصليب . ولهذا فإنه قد سمح للخطايا ، إذا جاز القول ، أن تتراكم في أيام العهد القديم دون أن تلقى جزاءها (كما كانت تستحق) أو تغفر (نظرا الى أنه " لايمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا"). ولكن الآن كما يقول كاتب العبرانيين ، المسيح "مات فدية ليحررهم من التعديات التي تمت في العهد الأول".[١٥] بعبارة أخرى إن سبب عدم قيام الله بفعل سابقا في مواجهة الخطية لم يكن لا مبالاة أخلاقية بل كان تحملا شخصيا الى أن يأتي المسيح و يعالجها على الصليب . إن المقطع الكلاسيكي الذي يتحدث عن هذا الموضوع هو رومية ٣:٢١-٢٦ الذي ننتقل الآن الى دراسته.

أما الآن فقد ظهر بر من الله ، بدون الناموس ، مشهودا له من الناموس و الأنبياء . هذا البر من الله يناله بالإيمان بيسوع المسيح جميع الذين يؤمنون . لأنه لا فرق ، إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله ، فهم يبررون مجانا بنعمته بالفداء الذي بالمسيح يسوع ، الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه. وقد فعل هذا ليبين بره [عدالته] ، لأنه بطول أناته قد ترك الخطايا المرتكبة سابقا دون عقاب – فعل هذا ليبين بره [عدالته] في الزمان الحاضر، ليكون بارا و يبرر من يؤمن بيسوع.

وصف تشارلزكرانفيلد Charles Cranfield هذه الآيات بأنها " مركز وقلب " الرسالة الى الرومانيين بأكملها. لكي نفهم هذه الآيات سوف نبدأ على الأقل بمناقشة موجزة لتلك الجملة المُلْغَزة في الآية ٢١ "إن برا من الله قد ظهر".إن طريقة التعبير مماثلة تقريبا لما ورد في ١: ١٧ " لأن برا من الله معلن" (ما عدا زمن الفعل في اللغة اليونانية ، فهو الماضي في الآية الأولى والمضارع في الآية الثانية . .مهما

[١٤] أع ١٧:٣٠-٣١ ؛ رو ٢:٤ ؛ ٢بط ٣:٣-٩ .
[١٥] عب ١٠:٤ و ٩:١٥.

يكن هذا "البر من الله"، فمن الواضح أن الإعلان عنه وارد في الإنجيل . لقد أُعْلِن في الانجيل أول ما تمت صياغته واستمر الإعلان عنه كلما كرز بالإنجيل . صحيح أن هذا ليس الإعلان الوحيد الذي يذكره بولس . فقد سبق له أن أكد أن قدرة الله وألوهته معلنتان في الخليقة (١٩:١-٢٠)، وأن غضبه معلن من السماء على الفجارالذي يكتمون حق الله (١٨:١)، ولا سيما في التحلل الأخلاقي للمجتمع . لكن الله نفسه الذي أعلن قدرته في الخلق وغضبه في المجتمع هو الذي أعلن أيضا بره في الإنجيل.

إن معنى "برالله" كان موضوعا لنقاش لا ينتهي . وقدمت ثلاثة تفسيرات رئيسة. أولا، بحسب تقليد القرون الوسطى ، كان يقال أنه صفة البر أوالعدل الإلهية ، بحسب الآيتين ٢٥ و ٢٦، حيث يقال أن الله أراد " تبيين" هذا البر. المشكلة في هذا التفسير هي أن عدالة الله عادة تفضي الى الدينونة (مثلا رؤيا١٩:١١) التي يصعب أن تكون "الأخبار السارة " المعلنة في الإنجيل . لقد اعتقد لوثر أول الأمر بهذه النظرة ، وكادت تصل به الى اليأس . من الطبيعي أنه اذا أمكن إظهار أن عدالة الله تؤدي في بعض الظروف الى التبرير وليس بالأحرى الى الدينونة، فستكون هذه مسألة مختلفة . لكنني أستبق الموضوع .

ثانيا، رأى المصلحون أن تعبير "بر الله" يعني الوضع الشرعي المُبَرَّرَ الذي من الله بمعنى الممنوح منه . إنه بدون الناموس (الآية ٢١)، لأن وظيفة الناموس هي أن يدين ، لا أن يبرر، مع أن "الناموس والأنبياء يشهدان" له ، فهو تعليم من العهد القديم . ونظرا الى أننا جميعا لسنا أبرارا (١٠:٣) و لا نستطيع أن نثبت بر أنفسنا (٢٠:٣؛ ١٠:٣)، فإن بر الله عطية مجانية (١٧:٥)، "نخضع" لها (١٠:٣)، و " ننالها " (٩:٣٠)، و " نملكها " (في٩:٣) ، بل و " نصيرها " (٢كو٥:٢١) . ونظرا إلى أن " بر الله" عطية تمنح لغيرالأبرار وتنال بالإيمان بالمسيح وحده (الآية٢٢)، فإنه بالحقيقة ليس سوى تبرير.

ثالثا، لفت عدد من العلماء في السنوات الأخيرة الانتباه الى نصوص من العهد القديم ، ولاسيما في المزامير وأشعياء ، حيث يكون "بر الله" و "خلاص الله" مترادفين ، ويشيران الى مبادرة الله بالمجيء لينقذ شعبه ولينصفهم عندما يقع

عليهم ظلم .[16] في هذه الحال ليس "بر الله" صفة العدالة لديه ولا هبة وضع التبرير الشرعي التي منحها ، بل نشاطه الخلاصي الدينامي . الاعتراض الوحيد على هذا التفسير هو أن بولس، لا يقتبس أيا من الآيات المؤيدة لرأي أولئك العلماء ، مع أنه يصرح أن الناموس والأنبياء يشهدان لبر الله.

إن التفسير الثاني يلائم أفضل ملاءمة كل سياق يرد فيه الاصطلاح ، و يبدو صحيحا بصورة مؤكدة تقريبا . من جهة أخرى قد لا يكون من الضروري أن نرفض التفسيرين الآخرين رفضا تاما . لأنه إذا كان بر الله هو وقفة البر التي يمنحها لأولئك الذين يؤمنون بيسوع ، فإن عطية كهذه تصبح متاحة و تُمْنَحُ بفضل نشاطه الخلاصي الدينامي ، وتكون العملية بكاملها منسجمة مع عدالته . فيمكن إذا تعريف "بر الله" بأنه " طريقة الله في تبرير غير البار"؛ إنه وضع البر الذي يمنحه للخطاة الذين يبررهم . بالإضافة الى ذلك ، وكما رأينا في الفصل السابق ، إن فعل التبرير الرؤوف والمجاني الذي يقوم به ، إنما يتم " بالفداء الذي بالمسيح يسوع" (الآية ٢٤)، الذي " قدمه الله (البعض يعتقدون " قَصَدَهُ ") كفارة [ذبيحة كفارية] " (الآية ٢٥) . ولو لم يدفع الله في المسيح على الصليب قيمة فديتنا، ويهدىء غضبه على الخطية ، لما كان بوسعه أن يبررنا.

أما سبب " قيامه بهذا " أي تقديم المسيح كفارة ، فقد كان " لِيُبَيِّنَ بره [عدالته] ". كان هذا الهدف الإلهي بالغ الأهمية بحيث صرح به الرسول مرتين بكلمات متماثلة في الواقع ، مع أنه أضاف في كل مرة تفسيرا مختلفا. في المرة الأولى يرجع بنظرته الى الماضي ويقول إن الله بين بره [عدالته] على الصليب " لأنه بإمهاله ترك الخطايا المرتكبة سابقا دون عقاب" (الآية ٢٥، حسب NIV). وفي المرة الثانية يتطلع من الصليب الى الحاضر والمستقبل ويقول أن الله بين (بالحقيقة يستمر مبينا) بره [عدالته] " في الزمن الحاضر، ليكون بارا ، ويبرر من يؤمن بيسوع " (الآية٢٦).

بإمهال الله السالف تجاه الخطاة خلق لنفسه مشكلة . من المفترض أن الخطية والجرم والدينونة مرتبطة في عالم الله الأخلاقي ارتباطا وثيقا متينا. فلماذا لم يُدَنْ

---

[16] مثلا مز ١٥:٧١ ؛ ٢:٩٨ ؛ أش ٢١:٤٥ ("إله بار ومخلص") ؛ ١٣:٤٦ ؛ ٥:٥١-٦ ؛ ١:٥٦ . See, for example, C.H. Dodd in *Romans*, pp. 10-13.

الخطاة بحسب أعمالهم ؟ كانت ثمة حاجة للدفاع عن عدالة اللـه ، لكـي يبريء هذه العدالة . ومع أنه ، كان بإمكان اللـه ، أن يرجـيء دينونتـه بكبـح ـ ذاتـه ، فلـم يكـن بوسعه أن يترك تجمع الخطايا البشرية يتفاقم الى ما لا نهاية ، دون معالجـة، بلـه أن يحذف الدينونة جملة . فلو أن الله لم يعاقب الخطية بعدل لكان "غير بار تجاه نفسه "، كما يقول أنسلم ANSELM ، أو لما " أنصف نفسه "، كما يقول جيمـس دنـي، بـل بالحري لـ:"ظلم نفسه ".[١٧] بالحقيقة ، لو أن الله لم يعاقب الخطية بعـدل لدمر نفسـه ودمرنا، وكف عن أن يكون الله و كففنا عن أن نكون بشرا بكل مـا فـي الكلمـة مـن معنى . كان سيدمر نفسه بمناقضة طبيعته الإلهية بوصفه المشرع والقـاضي البـار، وكان سيدمرنا بمناقضـة كرامتنـا البشـرية كأشـخاص مسـؤولين أخلاقيـا خلقنـا علـى صورته . ومما لا يمكن تصوره أن يفعل الله أيا من هذين الأمرين . وهكذا ، مـع أنه بإمهاله ترك الخطايـا مؤقتـا دون عقـاب ، إلا أنـه لمـا آن الوقـت عـاقب الخطايا بعدالته بالحكم عليها في المسيح . لقد بين عدالته بتنفيذها . ونفذ عدالته علنا (ويظـن البعض أن هذا ما يؤكده الفعل " قدم ")، ليس فقـط ليكـون بـارا ، بـل ليظهـر للجميـع أنه بار. إن الله ، سبب ما بدا جـورا مـن جانبـه فـي المـاضي ، وهـو عـدم معاقبـة البشر على خطاياهم ، قد قدم الآن برهانا منظورا على العدالة إذ أنه هو في المسـيح حمل العقوبة.

لا يستطيع أحد الآن أن يتهم الله بغض النظرعن الشر، ولا باللامبـالاة الأخلاقيـة أو الجـور . الصليب يظهـر، بنفس القـدر مـن الجـلاء ، برالـلـه بإدانتـه الخطيـة ، ورحمته بتبرير الخاطـيء ، لأن الله يستطيع ، نتيجة لموت ابنـه الكفـاري، أن يكـون " بارا و يبرر" من يؤمنون به . يستطيع أن يسبغ وضعية البر علـى غير الأبـرار ، دون أن يعرض بره للشبهة .

ينبغي علينا الآن أن نرى بجـلاء أكثر ، العلاقـة بيـن إنجـاز الصليـب (الموضـح في الصور المجازية الأربع التي استعرضناها فـي الفصـل السـابق) ، و بيـن إعـلان الله . عندما حمل الله في المسيح العقاب الرهيب الذي تستحقه خطايانا ، لـم يهـديء غضبه ، ويفدينا من العبودية ، ويبررنـا فـي نظـره ، ويصـالحنـا مـع نفسـه فحسـب ، لكنه بذلك دافع أيضا عن بره وبيَّـنَه . فبالطريقة التي بررنا بهـا بـرر نفسـه أيضـا . هذا هو موضوع الكتاب الذي ألفه فورسيث، وهو *تبرير الله* الـذي نشرعام ١٩١٦، ووضع له عنوانا ثانويا "محاضرات لزمن الحرب حول الدفاع المسيحي عن عدالـة

[17] Anselm, *Cur Deus Homo ?*, 1 xiii, and James Denney *Death of Christ*, p. 188

الله lectures for wartime on a Christian theodicy". كتب يقول: " ليس ثمة دفاع عن عدالة الله يُقَدَّمُ للعالم سوى الدفاع الذي يكمن في لاهوت الصليب . إن الدفاع النهائي الوحيد عن عدالة الله هو ذلك التبرير الذاتي من جانب الله ، الذي كان أساسيا لكي يبرر البشر. ما من عقل بشري يستطيع أن يبرر الله في عالم كهذا . كان يلزم أن يبرر نفسه ، وقد فعل ذلك في صليب ابنه ." [١٨]

محبة الله

ليست عدالة الله وحدها هي التي تبدو متعارضة مع المظالم السائدة في العالم ، بل محبته أيضا . فالمآسي الشخصية ، والفيضانات والزلازل ، والحوادث التي تسبب موت مئات الضحايا ، والجوع والفقر على نطاق عالمي ، واتساع الكون الذي يبعث القشعريرة في النفس ، وضراوة الطبيعة ، والطغيان والتعذيب ، والمرض والموت ، ومجمل شقاء القرون ــ كيف يمكن التوفيق بين هذه الأشياء المرعبة وبين إله المحبة ؟ لماذا يسمح الله بتلك الأشياء المرعبة ؟

لا تقدم المسيحية إجابات سطحية عن هذه الأسئلة المعذبة. لكنها تقدم الدليل على محبة الله ، التي يجب أن ينظر الى ضيقات هذا العالم في ضوئها ، وهذا الدليل ، أي الصليب ، تاريخي وموضوعي كالدليل الذي يبدو أنه ينكر تلك المحبة سواء بسواء . دعني أبدأ بآيتين من رسالة يوحنا الأولى .

أولا، " بهذا قد عرفنا المحبة : لقد وضع ذاك [يسوع المسيح] نفسه لأجلنا " (١ يو٣:١٦) معظم الناس لا يجدون صعوبة في إخبارنا ، ما هي المحبة ، برأيهم . وربما كانوا يعرفون أن كتبا بكاملها كتبت بقصد التمييز بين مختلف أنواع المحبة ، ككتاب أندرز نيغرن Anders Nygren *المحبة المضحية والمحبة الجنسية* *Agape and Erros* (١٩٣٠) و كتاب سي. إس. لويس *الأنواع الأربعة من المحبة* *The Four Loves*(١٩٦٠). مع ذلك ، يدعون بأن معنى المحبة يظهر نفسه . إلا أن يوحنا لا يتفق مع أولئك الناس . فهو يجرؤ على القول أن العالم ما كان ليعرف ما هي المحبة الحقيقية لولا المسيح وصليبه . من الطبيعي أن يكون كافة أفراد البشر قد اختبروا بعض أنواع المحبة وبعض درجاتها. لكن يوحنا يقول أن عملا فريدا

---

[١٨] P. T. Forsyth, *Justification of God*, pp. 124-125. Barth also wrote that the Justification of man is the self -justification of God (*Church Dogmatics*, V.1, pp. 559-564) .

في تاريخ العالم قامت به المحبة الخالصة ، لم تلطخه أية لوثة من دافع خفي ، هو بذل ـ ذات الله في المسيح على الصليب لأجل الخطاة غير المستحقين. لهذا إذا كنا نبحث عن تعريف للمحبة ، فينبغي ألا نبحث عنه في المعجم ، بل في الجلجثة .

مع ذلك فإن آية يوحنا الثانية أكثر دقة . " في هذا هي المحبة: ليس أننا نحن أحببنا الله ، بل أنه أحبنا وأرسل ابنه كفارة (*هيلاسموس*) لخطايانا " (ايو ٤: ١٠). في المقطع ، الذي أنهينا دراسته من رومية ٣ قبل قليل ، يتناول بولس الطبيعة الكفارية للصليب (*هيلاستيريون*) كتبيين لعدالة الله؛ اما هنا فيعتبرها يوحنا كإظهار لمحبة الله . وهي تعني كليهما سواء بسواء . المحبة الحقيقية هي محبة الله لا محبتنا ، وقد أظهرها فينا (الآية ٩) بإرسال ابنه الوحيد الى العالم لكي يموت عنا فنحيا به . إن كلمتي " نحيا " (الآية ٩) و " كفارة " (الآية ١٠)، كلاهما تكشفان عن حاجتنا الماسة . فلأننا كنا خطاة ، حق علينا أن نموت تحت غضب الله المحق . لكن الله أرسل ابنه الوحيد ، وبإرساله له جاء الله نفسه ، ليموت ذلك الموت وليحمل ذلك الغضب عنا. كان ذلك العمل محبة ، مجرد محبة خالصة ، غير مستحَقة .

نتعلم من يوحنا ، إذا ، أننا سنكون حكماء إذا لم ندع انتباهنا ينحرف عن الصليب ، حيث أظهرت محبة الله بصورة منظورة وعلنية ، رغم أن مشكلات الشر والألم في هذا العالم تستوقف انتباهنا ، وتبدو مناقضة لمحبة الله . وإذا قيل عن الصليب أنه " مأساة "، فقد كان مأساة تلقي ضوءا على كل المآسي الأخرى.

كذلك يكتب بولس عن محبة الله في النصف الأول من الاصحاح الخامس من الرسالة الى الرومانيين . فيشير اليها مرتين وبذلك يزودنا بطريقتين متنامتين نتيقن بوساطتهما من حقيقة هذه المحبة . الأولى: " إن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس الذي أعطانا إياه " (الآية ٥) . والثانية " بهذا بين الله محبته لنا : لأنه ونحن بعد خطاة ، مات المسيح لأجلنا " (الآية ٨). إن واحدا من أكثر الجوانب إقناعا في الإنجيل هو الطريقة التي يجمع بها بين الموضوعي و الذاتي ، بين التاريخي والتجريبي ، بين عمل ابن الله و عمل روح الله . يقول بولس ، أن بإمكاننا أن نعرف أن الله يحبنا لأنه قد برهن على محبته تاريخيا بموت ابنه ولأنه يستمر في سكبها في قلوبنا بالروح القدس الحال فينا. ومع أننا سنركز، كما يركز بولس ، على التبيين الموضوعي لمحبة الله على الصليب ، فإننا لن ننسى أن الروح القدس يؤكد تلك الشهادة التاريخية بشهادته الشخصية والباطنية ، حيث أنه يملأ قلوبنا حتى تفيض بمعرفتنا أننا محبوبون . وهي مشابهة لخبرتنا بالروح القدس

الذي يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله ـ يشهد عندما نصلي ، إذ يمكننا من أن نهتف " *آبا* ، الآب "، لأننا عندئذ نعرف أننا أولاد الله ، المبررون ، المصالحون ، المفديون ، المحبوبون (رو٨:١٥-١٦).

إلا أن "الله بين محبته لنا"، بسبب الصليب (رو٥:٨). إنها محبته هو *سووي جينيريس*، لأنه لا توجد محبة شبيهة بها. وعلى أي شيء يقوم التبيين ؟ إنه يتكون من ثلاثة أجزاء، تشكل معا قضية مُقْنِعة.

أولا، لقد بذل الله *ابنه* لأجلنا. صحيح أن بولس في الآية ٨ يؤكد ببساطة أن المسيح مات لأجلنا. لكن السياق يخبرنا من كان هذا...المسيا الممسوح . لأن موت المسيح ، بحسب الآية ١٠ ، كان " موت ابنه ". لو أن الله أرسل الينا انسانا كما أرسل الأنبياء الى اسرائيل ، لكنا شاكرين ممتنين . ولو أنه أرسل إلينا ملاكا ، مثلما أرسل ملاكا إلى مريم العذراء ليبشرها بحبلها بيسوع لحسبنا هذا امتيازا عظيما. ولكنه يكون في الحالين قد أرسل فريقا ثالثا . لأن الناس والملائكة خلائق من صنعه . لكنه بإرسال ابنه المولود من كيانه قبل كل الدهور، لم يرسل مخلوقا ، أي طرفا ثالثا ، بل بذل نفسه . والمنطق في هذا لا يمكن التهرب منه . فكيف كان يمكن إظهار محبة الآب لو أنه أرسل إلينا شخصا آخر؟ ما كان ذلك ممكنا ، نظرا الى أن المحبة في جوهرها بذل ـ للنفس، فإذا كانت محبة الله قد تجلت ببذل ابنه ، فلا بد أنه كان بذلك يبذل نفسه . "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد" (يو٣: ١٦). كما أن الله " لم يشفق على ابنه ، بل بذله لأجلنا أجمعين"(رو٨:٣٢) . لقد كان فورسيث محقا في التفسير الذي أضافه " لم يشفق على ابنه، أي على نفسه ".[١٩] وبسبب سمو تلك المحبة الباذلة للنفس أضاف بولس اقتناعه بأن الله سيهبنا "بسخاء كل شيء" مع المسيح . فجميع الهبات الأصغر مشمولة ضمن " عطيته التي لا يعبر عنها"، التي هي ابنه (٢ كو ٩:١٥).

ثانيا، لقد أعطانا الله ابنه *ليموت* عنا. فلو أن الله أعطانا ابنه ، وبالتالي ذاته ليتجسد لأجلنا وليحيا بيننا ويعطينا ويخدمنا على الأرض لَحُسِبَ ذلك أيضا أمرا رائعا. لكن التجسد كان بداية بذل ـ الذات . فبعد أن " أخلى نفسه " من مجده واتخذ طبيعة عبد، "وضع نفسه" و " أطاع حتى الموت – الموت على الصليب ! " (في٢: ٧-٨). وذلك لكي يبذل نفسه غاية البذل ، لعذاب الصليب و رعب حمل الخطية،

---

[19] P. T. Forsyth , *Justification*, p. 154.

والترك من قبل الله . " المسيح مات لأجلنا ". لقد مات جسده ، وماتت نفسه ، كما رأينا ، مات موت الانفصال عن الله . إن الخطية والموت لا ينفصلان ، وبينما يكون الشخص الذي يخطيء عادة هو نفسه الذي يموت ، ففي هذه المناسبة لم يكونا واحدا ، نظرا لأننا *نحن* الذين أخطأنا ، ولكنه هوالذي مات لأجل خطايانا. هذه هي المحبة ، المحبة المقدسة ، التي أنزلت عقوبة الخطية ، لا بأحد آخر بل ، بنفسها. ولا نملك أي وسيلة لنتصور الرعب أو الألم اللذين تنطوي عليهما خبرات كهذه — أن يصير الذي بلا خطية خطية ، وأن يموت الذي لا يموت.

ثالثا، لقد بذل الله ابنه لكي يموت *لأجلنا*، أي لأجل خطاة غير مستحقين نظيرنا. كلمة " خطاة " هي أول كلمة يستخدمها بولس ليصفنا ، نحن الفاشلين الذين أخطأنا الهدف ، وبصورة ثابتة " أعوزنا مجدالله " (رو٣:٢٣). ثم أننا كنا " فجارا " (الآية ٦)، لأننا لم نقدم لله المجد اللائق باسمه ، وكذلك لم يكن خوف الله قدام عيوننا (رو٣:١٨). اللقب الوصفي الثالث الذي يستخدمه بولس هو" أعداء "(الآية١٠). أي أننا ، بحسب NIV كنا "أعداء الله"، لأننا تمردنا على سلطته ، ورفضنا محبته وتحدينا شريعته (رو٨:٧) . أما الكلمة الرابعة والأخيرة فهي " ضعفاء " (الآية٦): المسيح مات لأجلنا " إذ كنا بعد ضعفاء ". لم تكن لدينا قوة لتخليص أنفسنا ؛ كنا ضعفاء . هذه الكلمات الأربع تصنع عنقودا بشعا من النعوت . ويجادل بولس بالقول في الآية ٧، أنه نادرا ما يريد شخص ما أن يموت لأجل "بار" (بره بارد ، صارم ، مُنفّر)، مع أنه ربما يجسر أحد أن يموت لأجل "الصالح" (الذي صلاحه دافيء ، ودي ، جذاب)." لكن الله بين محبته لنا " — محبته الفريدة — حيث ، مات لأجل أناس خطاة ، بلا إله ، عصاة ، ضعفاء نظيرنا.

تقدر قيمة هبة — المحبة بما تكلف الواهب ، وبدرجة استحقاق المتسلم . إن الشاب الذي وقع في حب فتاة ، مثلا، سيقدم لحبيبته هدايا غالية الثمن ، غالبا ما تفوق قدرته ، كرموز لمحبته الواهبة لذاتها ، لأنه يعتقد أن حبيبته تستحقها ، بل تستحق أكثر منها . لقد خدم يعقوب سبع سنين لأجل راحيل بسبب محبته لها . لكن الله ، ببذل ابنه ، بذل نفسه ليموت لأجل أعدائه . لقدأعطى كل شيء لمن لا يستحقون منه شيئا . " وهذا هو برهان الله على محبته لنا " (رو٥: ٨ ، بحسب NEB).

إن الكانن ويليام فانستون Canon Wiliam Vanstone مؤلف كتاب ، *سعي المحبة ، نفقة المحبة* *Love's Endeavour, Love's Expense* وضع عنوانا لأحد فصول

الكتاب، "علم ظاهرة المحبة The Phenomenology of Love" (الصفحات ٣٩-٥٤). وفرضيته هي أن جميع بني البشر، حتى الذين حرموا من المحبة منذ طفولتهم ، قادرون بصورة غريزية ، على تمييز المحبة الأصيلة . ثم يقترح أننا " إذا كنا قادرين على وصف صيغة المحبة الأصيلة ، فإننا لا نستطيع أن نبحث في مكان آخر عن وصف لمحبة الله " (ص٤٢). ومع أن هذا يتعارض مع ما كتبته سابقا ، وهو أن محبة الله تحدد محبتنا ، وليس *العكس* بالأحرى ، فأنا أعلم ما يعنيه هذا ولا أريد أن أعارضه . إنه يعدد ثلاث صفات مميزة للمحبة الزائفة ، يكشف بها عن زيفها. وهذه الصفات المميزة هي صفة التقييد(شيء ما يُقَتَّرُ)، وعلامة التحكم (التلاعب بالناس)، وصفة الانفصال (نبقى مكتفين بذاتنا دون أن يضعفنا أو يؤذينا شيء). وبالمفارقة تتميز المحبة الأصيلة بمنح الذات على نحو لا محدود، وبالإقدام على المخاطرة دون أن تكون هنالك ثقة بالنجاح ، وبقابلية التعرض للأذى بسهولة . لقد صدف أن كنت أقرأ كتاب الكانن فانستون بينما كنت أكتب هذا الفصل ، وكان من الصعب أن يتعذر علي أن ألاحظ الشبه (مع أنه ليس دقيقا) بين الصفات الثلاث المميزة للمحبة الأصيلة ، كما حددها وبين الصفات الثلاث المميزة لمحبة الله كما كشف عنها بولس في رومية٥: ٨. وفيما يلي الخلاصة النهائية للكاهن فانستون (ص ١١٥). إن محبة الله " قد انفقت ببذل النفس ، أنفقت بكاملها، دون بقية أو احتياط ، استنزفت ، استنفدت ، صرفت " أي أنه ببذل ابنه بذل نفسه. ثم إن محبة الله " أنفقت في سعي متوازن دائما على حافة الفشل...". لأنه بذل ابنه مجازفا بالتخلي عن التحكم بنفسه. ثالثا، إن محبة الله تُرَى وهي" تنتظر في النهاية عاجزة أمام من تحب منتظرة الاستجابة التي ستكون مأساتها أو انتصارها ". لأن الله ببذل ابنه ليموت عن الخطاة جعل نفسه قابلا للانجراح بحيث يمكن أن يرفضوه بازدراء ويتحولوا عنه.

يمضي الأستاذ جورغن مولتمان Jurgen Moltman الى أبعد من هذا بمحاولته أن يفسر كيف كشف الله محبته في الصليب . إنه يتناول تعبير لوثر المثير " الله المصلوب " (الذي كان لوثر قد استعاره من لاهوت أواخر القرون الوسطى)، ويؤكد كما أكد لوثر على أن الله يُعَرِّفُ بنفسه ، كما أننا نتوصل الى معرفته ، عند الصليب . لذا فإن *لاهوت الصليب theologia crucis* الذي تبناه لوثر " ليس فصلا

واحدا من اللاهوت ، بل هو دليل المقام* key signature لكل اللاهوت المسيحي".
إن لاهوتا لا ينشأ من الصليب ولايركز على الصليب لا يمكن أن يكون لاهوتا مسيحيا أصيلا . والأستاذ مولتمان عنى بالصليب ، بصورة خاصة ، صرخة الترك أكثر مما عنى أي شيء آخر. فهي تظهر، كما كتب مولتمان ، أن يسوع لم يرفض فقط من قبل اليهود كمجدف ويعدم من قبل الرومان كمتمرد ، ولكنه في الوقع دين وحكم عليه من قبل أبيه (ص١٤٩-١٥٢). لذلك فإنها تحث على السؤال التالي: "من هوالله في صليب المسيح ، الذي ترك من قبل الله ؟ " "إن مجمل اللاهوت المسيحي ، ومجمل الحياة المسيحية إنما هما بصورة أساسية جواب للسؤال الذي سأله يسوع وهو يعاني سكرات الموت " (ص ٤). ولهذا ينبغي أن يطور اللاهوت " على مرمى السمع من صرخة الموت التي أطلقها يسوع " (ص٢٠١). فماذا نفهم عن الله عندما نرى يسوع المصلوب ونسمع صرخة الترك التي أطلقها ؟ لا شك أننا نرى استعداده بدافع المحبة ليقترن بالمنبوذين من الناس . لأن " رمز الصليب في الكنيسة يشير الى الله الذي صلب ، ليس بين شمعتين على مذبح ، بل بين لصين في موضع الجمجمة ، مكان المنبوذين ، خارج أبواب المدينة " (ص٤٠). وفي تلك الخبرة المروعة التي " فصلت الله عن الله الى أقصى درجة من العداوة والتفريق" (ص ١٥٢). ينبغي أن ندرك أن الآب والابن كليهما دفعا ثمن تسليمهما ، ولو بصورة مختلفة . " الابن عانى الموت ، والآب عانى من موت الابن . وحزن الآب هنا مهم كموت الابن . ولاأبوة ** Fatherlessness الابن تكافيء لا بنوة Sonlessness الآب " (ص٢٤٣). إنها عبارة تستوقفنا. وأعترف أنني كنت أود لو أن الاستاذ مولتمان أكد بصورة أشد على أن يسوع على الصليب اقترن بالمنبوذين روحيا و ليس بالمنبوذين اجتماعيا فقط ، أي بالخطاة وليس بالمجرمين فقط. لو أكد مولتمان هذا الأمر، لاستطاع بذلك أن يوضح طبيعة تلك الحالة الرهيبة ، الترك من قبل الله ، وسببها. مع ذلك فقد قبل بصراحة وجرأة ، بأن الترك كان حقيقيا، وأنه أعظم برهان عن محبة الله . وقبوله هذا أمر مؤثر فعلا.

---

* دليل المقام : علامات الرفع أو الخفض الموسيقية التي توضع في بداية القطعة الموسيقية فتحدد مقامها مثلا Do majeur , Si bemol majeur ويسري مفعوله على القطعة بكاملها ، قاموس كوللينز الموسيقي Collins Gem, Dictionary of Music (1980) (المترجم).

[20] Jurgen Moltmann, *Crucified God*, p. 72.

** لا أبوة : كون الابن بدون أب ولابنوة : كون الآب بدون ابن. (المترجم).

نظرية " التأثير الأخلاقي"

يظل الصليب عرضا وإظهارا لمحبة الله بهذا القدر من الوضوح مما جعل عدة لاهوتيين في حقب مختلفة من تاريخ الكنيسة يحاولون أن يجدوا قيمته الكفارية في هذاالمجال . فقوة الصليب ، لا تكمن ، في رأيهم ، في إجراء موضوعي لحمل الخطية . بل في إيحاء الصليب الذاتي إنها لا تكمن في كفاءته القانونية (تغيير وضعنا قدام الله) ، بل في تأثيره الأخلاقي (تغييرمواقفنا وأفعالنا).

يدعى عادة ، أن أشهر نصير لهذه الفكرة ، كان الفيلسوف اللاهوتي بيتر أبلارد Peter Abelard (١٠٧٩-١١٤٢). اشتهر أبلارد بعلاقته العاطفية بهيلواز (التي تزوجها سرا بعد ولادة ابنهما)، التي كان لها نتائج مأساوية عليهما كليهما . إلا أنه في حياته الأكاديمية العامة وفي محاضراته المحركة للمشاعر وفي مناقشاته اجتذب جماهير كثيرة من المستمعين والقراء . وكمعاصر لأنسلم أصغر سنا منه وافقه في نبذ فكرة أن موت المسيح كان فدية تدفع للشيطان . لكنه خالف بشدة تعليمه الذي مفاده أن موت المسيح كان تكفيرا عن الخطية . كتب أبلارد: " كم يبدو أمرا قاسيا وشريرا أن يطلب أحد دم شخص بريء ثمنا لأي شيء ، أو أن يرضيه بأي حال أن يذبح رجل بريء — فكيف يعتبر الله موت ابنه مقبولا بحيث أنه سيتصالح به مع العالم كله ! " ٢١

بدلا من ذلك وصف أبلارد يسوع بانه كان معلمنا وقدوتنا في المقام الأول . ومع أنه استمر في استعمال عبارات تقليدية مثل ، "مفديون بالمسيح " و "مبررون بدمه " و "مصالحون مع الله ". فقد فسر كفاءة موت المسيح بتعابير شخصية على وجه الحصر. فتقديم ابن الله نفسه ذبيحة بصورة طوعية يحفزنا لنستجيب بالمحبة الممتنة و بالتالي بالانسحاق والتوبة.

إن الفداء هو تلك المحبة العظمى التي أضرمتها آلام المسيح فينا ، إنها محبة لا تخلصنا من أسر الخطية فحسب ، لكنها أحرزت لنا حرية الأبناء الحقيقية ، حيث تصبح المحبة العاطفة السائدة بدلا من الخوف.٢٢

[21] Abelatrd's Commentary on Romans 3·19-26 , in *A Scholastic Miscellany* , ed. Eugine Fairweather, p. 283

[22] *Ibid.*, p. 284. *cf* . James Orr , *Progress of Dogma* . pp. 229-230.

تأييدا لهذه الفرضية اقتبس أبلارد كلمات يسوع : " غفرت خطاياها لأنها أحبت كثيرا " (لو ٧:٤٧). لكنه أخطأ في فهم النص ، فجعل المحبة أساس الغفران عوضا عن أن تكون نتيجة له . فالغفران في نظره كان بالحقيقة نتيجة لموت المسيح ولكن بصورة غيرمباشرة ، أي أن الصليب يثير محبتنا للمسيح ، وعندما نحبه يغفر لنا . وأصبح التبرير في نظر أبرالد تشريبا إلهيا بالمحبة . وفق تعبير روبرت فرانكس " لقد صغر مجمل عملية الفداء الى مبدأ بسيط واضح ، أي إظهار محبة الله لنا في المسيح ، التي توقظ محبة جوابية ".[٢٣]

أصبح بيتر لومبارد *Peter Lombard* أسقفا لباريس عام١١٥٩ وقد وصف بأنه تلميذ أبلارد. قال لومبارد في كتابه الشهير، *كتاب الجمل* *Book of Sentences*:

لقد مُنِحْنا عربونا عظيما للمحبة ، فقد تأثرنا عاطفيا وأُثِرْنا لنحب الله الذي عمل أشياء عظيمة لأجلنا ؛ وبهذا نتبرر أي أننا بتحررنا من خطايانا نُجْعَلُ أبرارا. لذا فإن موت المسيح يبررنا ، نظرا لأن المحبة تستثار بوساطته في قلوبنا.[٢٤]

ثم في مطلع القرن الثاني عشر اتضح نقاش بالغ الأهمية كان زعيماه أنسلم و أبيلارد. فتعليم أنسلم مفاده أن موت يسوع المسيح كان تكفيرا موضوعيا عن الخطية ، أما تعليم أبلارد فمفاده أن كفاءة موت المسيح كانت ذاتية الى حد كبير من حيث التاثيرالأخلاقي الذي تمارسه علينا .إن الأساس الذي بموجبه يغفر الله الخطية

---

[٢٣] كتاب *عمل المسيح*، تأليف روبرت س. فرانكس. Robert S. Franks, *Work of Christ*, p. 146 .
بعد كتابة هذه الفقرات جذب انتباهي موضوع قوي التأثير كتبه الدكتور أليستر ماك غراث Alister McGrath عنوانه "النظرية الأخلاقية في الكفارة : نقد تاريخي ولاهوتي The Moral Theory of the Atonement: An Historical and Theological Critique". وهو يعتقد أن اعتبار نظرية "التأثير الأخلاقي" نظرية "أبلاردية" اعتبار خاطيء ؛ وأن منشأ الخطأ هو من اعتبار أن جزءا صغيرا وحيدا في تفسيره لرومية *Expsition in Epistolam ad Romanos* يمثل مجمل تعليمه " (ص ٢٠٨)؛ وأن تقليد المسيح الذي أكده لم يكن وسيلة فدائنا بل بالأحرى نتيجته. مع ذلك ، فإن المقطع المشار إليه في تفسيره لرسالة رومية واضح جدا ، بحيث أنني لا أرى كيف يستطيع المرء بإنصاف أن يحذف هذا العنصر من نظرة أبلارد. ومهما يكن من أمر فقد علم قادة الاستنارة الألمان بالتأكيد نظرية التأثير الأخلاقي كما بين الدكتور ماك غراث وكذلك فعل هاستنغز راشدال ، الذي سأتناول رأيه بعد قليل.

[24] Peter Lombard's *Book of Sentences*, iii , Dist. xix.1 (quoted by Rashdall, pp. 371, 438) .

في نظر أنسلم ، كان موت المسيح الكفاري ؛ أما في نظر أبرالد فالأساس هو محبتنا وتوبتنا وطاعتنا التي تثار فينا بينما نتأمل في موت المسيح .

إن بطل نظرية "التأثير الأخلاقي" الأكثر جرأة في هذا القرن كان على الأرجح الدكتورهاستينغز راشدالDr Hastings Rashdall الذي ألقى محاضرات بامبتن* Bampton Lectures عام ١٩١٥ ونشرت تحت عنوان *فكرة الكفارة في اللاهوت المسيحي* . *The Idea of Atonement in Christian Theology*وقد ألح على وجوب الاختيار بين فهم أنسلم الموضوعي للكفارة وفهم أبلارد الذاتي للكفارة ، ولم يكن في ذهنه أي شك في صواب رأي أبلارد . لقد اعتقد راشدال أن الشرط الوحيد للخلاص ، بحسب ما علم يسوع ، هو التوبة: فالانسان الذي يتوب حقا ويعترف الى الله بخطاياه ينال غفرانا فوريا " (ص ٢٦). "إن الله أب محب يغفر الخطية بناء على شرط وحيد هو التوبة الحقيقية "، أما موت يسوع المسيح ، " فيعمل عن طريق المساعدة فعليا في إحداث تلك التوبة " (ص٤٨). و فوق ذلك "يمكن فقط الافتراض بأن الله يغفر بجعل الخاطيء في حالة أفضل ، وبذلك يزيل أي مطالبة بالقصاص" (ص ٣٥٩). بعبارة أخرى ، إن توبتنا واهتداءنا ، الناجمين عن تأملنا في الصليب ، هما اللذان يمكنان الله من مسامحتنا . فدلالة الصليب ليست في أنه يعبر عن محبة الله في التعامل مع خطايانا ، بل في أنه قد أثار محبتنا وهكذا جعل أي تعامل إلهي مع خطايانا غير ضروري . وأعمال الخير الحبية تصبح أساسا بموجبه يمنح الخلاص ، عوضا عن أن تكون نتيجة للخلاص .

هنالك ثلاثة أسباب تدعو للتصريح بكل ثقة بأن نظرية "التأثيرالأخلاقي" أوالنظرية "النموذجية" ، نظرية لا يمكن الدفاع عنها ، على الأقل من قبل الذين يأخذون الكتاب المقدس مأخذ الجد . أول هذه الأسباب هو أن الذين يأخذون بهذا الرأي لا يأخذونه مأخذ الجد . لقد رفض راشدال كل نص كتابي لا يتفق مع نظريته . فأعلن أن حديث ـ الفدية الذي تحدث به يسوع (مر ١٠:٤٥) ، إنما هو " إقحام متحيز عقائديا "، كما أن كلماته أثناء العشاء الأخير عن دم العهد الجديد ومغفرة الخطايا، إنما هي كلمات ثانوية . على أي أساس ؟ بكل بساطة على أساس أن "ربنا لم يعلم أبدا أن موته كان ضروريا لمغفرة الخطايا" (ص٤٥)، وهذا مثل

---

* محاضرات ينفق عليها من وصية الكاهن جون بامبتن (المتوفى ١٧٥١). تلقى هذه المحاضرات مرة كل عامين في أكسفورد . ويشترط أن تتعلق بشرح الإيمان المسيحي والدفاع عنه . (توضيح خطي من المؤلف) [المترجم]

بارز عن التفكير الدائري الذي يفترض مسبقا مـا يـود إثباتـه . ويبدو راشدال أكثر نزاهة عندما يقول أن اعتقادنا بوحي الكتاب ينبغي ألا يمنعنا من أن " نرفض بجراءة أي صيغة يبدو أنهـا تقـول أن الخطيـة لا يمكـن أن تغفـر دون ذبيحـة كفاريـة " (ص ٢٠٧). بعبارة أخرى ، أنشيء أولا نظريتك في الكفارة ، ثم دافـع عنهـا مقـابل كـل الاعتراضات ، ولا تسمح لأي مسألة صغيرة كالوحي الإلهي أن تقف فـي طريقـك . و بدلا من ذلك حافظ فقط على حجتك بأن رسالة يسوع النقيـة قد حرفت من قبـل المسيحية مـا قبـل البولسية ، المستندة الـى أشـعياء ٥٣ ، وأن بولـس تمـم عمليـة التحريف.

ثانيا، يلزمنا للرد علـى أبـلارد و راشـدال أن نقتبس كلمـات أنسـلم ، " إنكمـا لـم تفكرا مليا بعد في جدية الخطية ". إن نظرية "التأثير الأخلاقي" تقدم علاجـا سطحيا لأنها قامت بتشخيص سطحي . إنها تروق لانسان حركة التنويرالفلسفية لأنهـا تملـك ثقة لا محدودة في العقل الانساني و المقدرة الانسـانية . إنهـا تفتقـر تمامـا الـى فهـم كتابي عميق ، لعصيان الانسان الجذري علـى اللـه ، ولغضـب اللـه باعتبـاره عـداءه الحانق على خطية الانسان ، ولضـرورة التكفير عـن الخطية الـذي يرضـي طبيعـة الله عينها ، التي هي العدالة والمحبة . لقد كان جيمس أرJames Orr محقـا عندمـا قال:"إن نظرة أبلارد الى الكفارة كانت قاصرة في الجانب الذي كانت فيه نظرة أنسلم قوية "، [٢٥] اي في تحليله للخطية والغضب والتكفيرعن الخطية.

ثالثا، إن نظرة التأثير الأخلاقي تتضمن في تأكيدهـا المركـزي خلـلا قـاتلا . إنهـا تركز على محبة المسيح التي تشرق من الصليب وتحـدث محبتنـا المستجيبة . نريـد أن نضع تأكيدا متماثلا على هـاتين الحقيقتين . إننـا نعـرف كذلـك أنـه بسـبب محبـة المسيح لنا بذل نفسه لأجلنا.[٢٦] كذلك وجدنـا أن محبتـه توقـظ محبتنـا ، " نحـن نحبـه لأنه هو أحبنا أولا " (١يو ٤:١٩). ونحن نوافق دني Denny عندما كتب: " لن أتردد في القول أن إحساسنا بأننا مدينون للمسيح هو الشعور الأكثر عمقا وانتشارا من بيـن كل الانفعالات في العهد الجديد".[٢٧] حتى هذا الحد نحن متفقون . فالصليب هو مثـال محبة المسيح والموحي لمحبتنا. ولكن السؤال الذي نود أن نشدد عليه هو هذا: كيـف يكشف الصليب محبة المسيح ويظهرهـا ؟ مـالذي يظهـر المحبـة فـي الصليـب ؟ إن المحبة الحقيقية هادفة في بذل ذاتها ؛ إنها لا تقوم بإيماءات عشوائية أو غير هادفة .

[25] James Orr, *Progressof Dogma*, p. 229.

[٢٦] مثلا غل ٢:٢٠ ؛ أف٥:٢، ٢٥ ؛ ١يو ٣:١٦

[27] James Denney, *Death of Christ*, p. 158

فلو أنك قفزت من فوق طرف رصيف ممتد في البحر وغرقت أو رميت بنفسك في بناء يحترق ومت محترقا ، ولم يكن الهدف من تضحيتك بالنفس تخليص شخص ما ، لأقنعتني بحماقتك ، لا بمحبتك . ولكن لو كنت أغرق في البحر أو حُبِسْتُ في بناء يحترق وضحيت بحياتك في محاولة لإنقاذي لَرَأَيْتُ عندئذ بالحقيقة في عملك هذا محبة لا حماقة . هكذا تماما لا يمكن اعتبار موت يسوع على الصليب بحد ذاته تبيينا للمحبة. وإنما يمكن اعتباره كذلك في حال بذل حياته لإنقاذ حياتنا. ولا بد لنا أولا من إدراك الهدف من موته قبل إدراك مناشدة هذا الموت لنا . لقد رأى بولس و يوحنا محبة في الصليب لأنهما، فهما هذه المحبة باعتبار أنها على التوالي موت عن الخطاة (رو٥:٨) وكفارة عن الخطايا(١يو٤:١٠). أي لا يمكن رؤية الصليب كبرهان عن محبة الله ، إلا إذا رؤي في الوقت نفسه كبرهان عن عدالته . من ثم احتاج الأمر الى إبقاء هذين الإظهارين معا في أذهاننا ، كما ألح بركوور Berkouwer على أنه " في صليب المسيح أعلنت، *وفي آن واحد* محبة الله وعدالته ، بحيث أننا لا نستطيع أن نتحدث عن محبة الله إلا وهي مرتبطة بحقيقة الصليب." [٢٨] وأضاف، "إن رأفة الله وعدالته أعلنتا فقط في الإبدال الحقيقي وفي الذبيحة الجذرية وفي عكس الأدوار (ص٣١١). وشبيه بذلك ما كتبه بولس في ٢كو٥:١٤-١٥ ،

محبة المسيح تلزمنا (حرفيا "تستحوذ علينا"، وهكذا لا تترك لنا أي خيار)، لأننا مقتنعون بأن واحدا مات لأجل الجميع فالجميع إذا ماتوا . وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم و قام.

يقول بولس ، إن إلزام محبة المسيح يستند الى قناعة . فلأننا مقتنعون بغرض الصليب وغلاء كلفته ، أي لأننا مدينون بحياتنا لموته ، نشعر بمحبته التي تشدد قبضتها علينا ولا تترك لنا خيارا بديلا سوى أن نعيش له.

لقد ألف ر. و. دال R.W. Dale كتابه القيِّم *الكفارة The Atonement* لكي يثبت أن موت المسيح على الصليب كان موضوعيا قبل أن يكون بالإمكان أن يصبح ذاتيا ، وأنه " ما لم ينظر الى الذبيحة العظمى بأشكال موضوعية ، فإن القوة الذاتية

---

[28] G. C. Berkouwer, *Work of Christ*, pp. 277-278.

ستفقد (p. li) . الصليب هو الإعلان الأسمى لمحبة اللـه . ولكـن " الفـداء لايتوقـف على إعلان ، بل بالأحرى يتوقف الإعلان أساسا على فداء".[٢٩]

لذلك ينبغي ألا نسمح لأنسلم و أبلارد بـأن يحتـلا قطبيـن متقـابلين . يمكـن القـول بتعابير عامة ، أن انسلم كان محقا عندما فهم أن الصليب كان تكفيرا عـن الخطيـة ، ولكن كان يجب عليه أن يضع مزيـدا مـن التشـديد علـى محبـة اللـه . وكـان أبـلارد محقا عندما رأى أن الصليب إظهار للمحبة ، لكنه أخطأ عندما أنكر ما أكده انسلم . فكل من أنسلم و ابيلارد يحتاج الـى الشـهادة الإيجابيـة للآخـر ، فأحدهمـا يحتـاج الـى عدالة الله ، والآخر يحتاج الى محبته . لقد تم إظهار محبة الله في تقديم تكفير عادل عن الخطية وليس في شيء سواه .

إلا أنه حتى بعد نشر هذه الحجج ، يعتبر المدافعون عن نظرية "التـأثيرالأخلاقي" أنهم ما زالوا يملكون ورقة رابحة . وهي أن يسوع نفسه ، في ثلاثة على الأقل مـن أمثاله ، علم عن الغفران دون كفارة ، على أساس التوبة وحدها. ففي مثـل الفريسـي والعشار، صرخ الأخير "اللهم ارحمني أنا الخاطيء"، وفورا "تبرر" (لو١٨:٩-١٤). وفي مثل العبد العديم الرحمـة ، سامح الملـك عبده دون مقـابل ، ملغيا دينـه دون إصرار على وفائه (مت ١٨:٢٣-٣٥). وفي مثل الابن الضال رحب الأب برجـوع الابن الأصغر الى البيت وأعاده الى مركزه ، حين رجع نادما؛ ولم تفرض عليـه أي عقوبة (لو ١٥:١١-٢٤). فهذه الأمثال الثلاثة جميعها توضح رحمة اللـه الغـافرة ، كما يقال ، ولا تتضمن أي إلماع الى الحاجة الى ذبيحة كفارية . إلا أنه يمكـن تقديـم ثلاث نقاط ردا على ذلك الرأي.

أولا، إن الأمثال التـي نحـن بصددهـا لا تغفـل الإشـارة الـى الكفـارة فحسـب، بـل تغفل الإشارة الى المسيح أيضـا. أفنستنتج من هذا أن المسيح أيضـا، كـالصليب، غيـر ضروري لنوالنا الغفران ؟ لا يجوزذلك . فالأمثال ليست استعارات؛ ولا حق لنا فـي أن نتوقع تطابقا تاما، نقطة بنقطة، بين القصة و رسالتها.

ثانيا، يتضمن كل من الأمثـال الثلاثـة مُمَثِّلَيْـنِ ، تجـري المفارقـة بينهمـا بتعمـد- هنـاك شـخصان يسـجدان فـي الهيكـل (الفريسـي الـذي يـبرر نفسـه ، والعشـار الـذي يتضـع)، وعبدان في البلاط (أحدهما يسامحه مليكه دون مقابل ، والآخر يرفض العبد رفيقه أن يسامحـه) ، و ابنان في البيت (أحدهما غير بار لكنـه نـادم ، و الآخـر بـار لكنه متعجرف) . تؤكد الأمثال الثلاثة ، عن طريق المفارقة ، على شرط الغفـران ،

---

[29] H. W. Robinson, *Suffering Human and Divine* .

وليس على أساسه . إنها تقول لنا ما يجب أن نفعله ولكنها لا تقول مباشرة ما الذي فعله الله لأجل مسامحتنا.

مع ذلك ، هناك نقطة ثالثة ، وهي أن المسيحيين يرون الصليب ، في الأمثال الثلاثة لأن الرحمة المسامحة التي أظهرت نحو العشار المتواضع، والعبد المفلس ، والابن الضال نالت إظهارها التاريخي الفائق في المحبة الباذلة للنفس ، محبة الله – في – المسيح الذي مات لكي ينال الخطاة الغفران.

من بين هذه الأمثال الثلاثة انفرد مثل الابن الضال الذي بدا لكثيرين أنه يعلم بمنتهى الوضوح " إنجيلا " للغفران دون كفارة . كانت هذه حجة هاستنغز راشدال في محاضرات بامبتن التي ألقاها عام ١٩١٥ كما أسلفنا. قال راشدال ، لقد علم يسوع أن الله أب محب يسامح جميع الخطاة التائبين . فهذا هو " التعليم البسيط حول غفران الله الذي يعلمه مثل الابن الضال" ، الذي شرعت الكنيسة في تحريفه (ص٢٧) . بعد بضع سنوات اعتقد دوغلاس هوايت بهذه النظرية نفسها: "..علم يسوع أن الله يحبنا و يشتاق الى أن نتصالح معه. و إذا كان قد علم شيئا على الإطلاق ، فهو لاشرطية الغفران* Freedom of forgiveness ... إن العمل التكفيري أو الجزاء مسألة غير واردة . كل ما يرد هو المحبة والغفران. والإيضاح العظيم لذلك هو الابن الضال... وبحسب هذا التعليم ، ليس ثمة شيء ضروري سابق لنوال غفران الله ، ما عدا روح التوبة ". وبولس هو الذي حرف هذه الرسالة البسيطة ، جاعلا الصليب ضروريا للخلاص مستخدما أسلوبا " بغيضا " ، وبالتالي "معميا تعليم يسوع بشأن حق الاستفادة غير المقيد وغير المشروط من غفران الله ٣٠."

لهذا فإن الدكتور كنيث بيلي الذي ألف كتاب *الصليب والابن الضال* ، ودرّس العهد الجديد عدة سنوات في كلية اللاهوت للشرق الأدنى في بيروت ، ينظر نظرة جديدة الى لوقا ١٥ ، " كما ينظر إليه قرويون من الشرق الأوسط ". يقول في تفسيره ، أن القرية بأجمعها لابد أن تعرف أن الابن الضال العائد لحق به الخزي، وأن فرض عقوبة ما عليه كان أمرا محتوما ، لا لسبب آخر سوى المحافظة على

---

* توضيح خطي من المؤلف . [المترجم]

30 Douglas White, 'Nature of Punishment', pp.6-9.

شرف الأب . ولكن الأب يتحمل الألم عوضا عن أن ينزله بابنـه . ومع أن " رجلا في مثل سنه ومكانته يمشي *دائما* ببطء ووقار" ، ومع أنه " لم يركض أبدا إلى *أي مكان* ولأي غرض قط طوال الأربعين سنة الماضية ، فإنـه الآن يعدو في الطريق وكأنه مراهق "يشترك في سباق" ليرحب بابنـه العائد الى البيت . وهكذا يغامر بتعريض نفسه لسخرية صبية الأزقة ، " إنـه يأخذ على عاتقه الخـزي والإذلال اللذين يستحقهما الابن الضال". ويتابع كنيث بيلي ، " نرى في المثل والدا يترك الراحة والطمأنينة اللتين يشعر بهما في بيته و يعرض نفسه بطريقة مذلة في شوارع القرية . إن فقد مكانته ومغادرة منزله ليلاقي ابنه يلمحان الى التجسد، ومشهد الإذلال في شارع القرية يلمح الى معنى الصليب " (ص ٥٤-٥٥). وهكذا " فإن الصليب والتجسد حاضران في القصة بوضوح ، بل بصورة درامية ". لأن " ألم الصليب ، لم يكن العذاب الجسدي في المقام الأول بل كان بالأحرى كرب المحبة المرفوضة ". الأمر الجوهري الذي كانت تتطلبه مصالحة الابن الضال هو " إظهارمادي للمحبة التي تفرغ ذاتها في الألم ...أليست هذه هي قصة طريقة تعامل الله مع الانسان في الجلجثة ؟ " (ص٥٦-٥٧).

نستنتج إذا أن الصليب كان إظهارا لمحبة الله لامثيل له ؛ أن الله أظهر محبته بحمل عقابنا وبالتالي ألمنا ، لكي يتمكن من مسامحتنا ومصالحتنا معه ، إن مثال الابن الضال ، وهو أبعد ما يكون عن أن يناقض هذا ، إنما يثبته بصورة ضمنية . وأظن أن ت. ج. كروفورد كان محقا في التعبير عن ذلك ، حيث يقول ، إننا قبل أن نتمكن من أن نرى في آلام المسيح أي برهان عن محبة الله " لا بد أن نمتلك بفضلها خيرا ، لا يمكن الحصول عليه بطريقة أخرى ، أو ننجو بفضلها من شر، لا يمكن إزالته أو معالجته بطريقة أخرى".[٣١] فهذا "الشر الذي لايمكن تجنبه بطريقة أخرى"، هو دينونة الله المخيفة ، وهذا "الخير الذي لا يمكن الحصول عليه بطريقة أخرى"، هو تبنينا في عائلته (٣٧٥). فبتأمين هذه البركات العظيمة لنا لقاء آلام عظيمة كهذه ، قدم الله دليلا على محبته لنا منقطع النظير.

حكمة الله و قوته

---

[31] T. J. Crawford, *Dotrine of Holy Scripture*, p. 335.

عندما أنهى بولس شرحه الجزمي للإنجيل في الاصحاحات الأحد عشر الأولى من رسالته الى رومية ، مبينا كيف قدم الله المسيحَ ذبيحة كفارية ، وكيف يبرر الخطاة بالإيمان بالمسيح و يحولهم بعمل الروح الباطني خالقا جماعة جديدة يقبل فيها الأمميون بنفس الشروط التي يقبل فيها اليهود ، يتوقف فجأة مطلقا تسبيحة جذلة : "يا لعمق غنى حكمة الله و علمه ! ما أبعد أحكامه عن الفحص و طرقه عن الاستقصاء !...لأن منه وبه و له جميع الأشياء. له المجد الى الأبد آ مين". (١١: ٣٣-٣٦) . فيماسبق من الرسالة رأى الرسول موت المسيح الكفاري باعتباره تبيينا لعدالة الله ومحبته ؛ والآن يطغى عليه إحساس بحكمة الله ـ الحكمة التي استنبطت مثل هذه الخطة الباهظة للخلاص التي تلبي حاجاتنا كما ترضي طبيعته تعالى.

إن الصليب بوصفه حكمة الله وقوته هو الموضوع الرئيس لـ:١كو١:١٧-٢:٥، ولاسيما بالمفارقة مع حكمة العالم وقوته . فذكر بولس لـ: " الإنجيل" هو الذي يفجر تَفَكُّرَهُ ، لأنه يعلم للتو أنه أمام قرار بشأن محتواه ، والخيار هو بين " كلمات الحكمة الانسانية " و " صليب المسيح ". فلو اختار الحكمة الانسانية لـ" أُفْرِغَ " الصليب وعري وبالحقيقة دمر (١:١٧). لذلك يختار " كلمة الصليب" التي يعلم أنها جهالة للهالكين ، ولكنها في الوقت نفسه قوة الله للذين يخلصون(١:١٨). كان الخيارالمصيري (وما يزال) بين حكمة عاجزة وقوة جاهلة: والتوافقيةcombination الوحيدة غير المتاحة للخيارهي حكمة العالم مضافا إليها قوة الله .

إن السبب الذي يجعل بولس يفضل القوة على الحكمة أي قوة الله على حكمة العالم ، هو أن الله قد أَعْلَنَ من قَبْلُ في العهد القديم قصده في تدمير حكمة الحكماء وإبطال فهم الفهماء (١:١٩). وهكذا إذا كان الله قد وقف ضدهم ، فأين الحكماء وأين العلماء وأين فلاسفة هذا العصر؟ ألم يحكم الله عليهم بتجهيل حكمتهم (١: ٢٠) ؟ وقد فعل ذلك بالطريقة التالية . لقد قضى الله أولا بحكمته أن لا يعرفه العالم بحكمته[حكمة العالم] ، ثم سر بان يخلص المؤمنين بجهالة الانجيل المعلن والمبشر به (١:٢١) وهكذا يتضح أيضا أن القوة (القوة المخلِّصة) ليست في حكمة العالم ، بل في جهالة الله ، أي إنجيل المسيح المصلوب .

هذا المبدأ يظهر في طور العمل في تبشير اليهود واليونانيين ، لأن الفريقين كليهما يضعان شروطا لقبول الإنجيل . " اليهود يطلبون آيات واليونانيون حكمة "

(١: ٢٢). أي أنهم بعبارة أخرى يصرون على أن توثق الرسالة نفسها لهم بالقوة وبالحكمة على التوالي . إلا أننا في مفارقة مع مطالبهم " نكرز بالمسيح مصلوبا " (١:٢٣)، وهو المسيح الذي لا يشاكل معاييرهم حتى أقل مشاكلة . فالأمر بالعكس، لأن اليهود يجدون الصليب " عثرة " واليونانيين [الأمم] يجدونه " جهالة " ، لأنه يزعجهم عوضا عن أن يؤثر فيهم ، أما للمدعويين من الله ، سواء أكانوا يهودا أم يونانيين فالأمر بعكس ذلك تماما . فمع أن المسيح صلب في ضعف فإنه قوة الله ، ومع انه جاهل في الظاهر فإنه حكمة الله (١:٢٤). لأن ما يعده الناس جهالة الله هو أحكم من حكمتهم وما يعدونه ضعف الله هو اقوى من قوتهم (١:٢٥). وبالاختصار تتباين القيم الإلهية والقيم البشرية تباينا تاما. فالصليب ، الذي يبدو ، كطريق للخلاص ، قِمةً في الضعف والجهالة ، هو في الواقع أعظم إظهار لحكمة الله وقوته .

يتوج بولس حجته بإيضاحين ، أولهما مأخوذ من خبرة الكورنثيين ، فقد اختبروا الدعوة والاهتداء إلى المسيح (١:٢٦-٣١)، والثاني من خبرته هو في التبشير (٢: ١-٥). أما من جهتهم فلم يكن كثيرون منهم بحسب المعايير البشرية حكماء أو أقوياء . بالحقيقة لقد اختار الله بتعمد أناسا يحسبهم العالم جهلاء أو ضعفاء ، لكي يخزي الحكماء والأقوياء ؛ بل إنه اختار الوضيعين والمحتقرين وغير الموجودين ليبطل ما هوموجود . فكان هدفه من ذلك أن ينفي كل افتخار بشري . لم يكن هناك مطلقا مجال للافتخار، لأن الله هو الذي وحدهم بالمسيح ، والمسيح هو الذي صار حكمتهم (معلنا الله لهم) وقوتهم (مقدما لهم التبرير والقداسة والوعد بالفداء النهائي). لذلك ، كما يقول الكتاب ، من افتخر فلا يفتخرن بنفسه ، ولا بالآخرين ، بل بالرب وحده .

أما من جهة بولس المبشر، فإنه حينما أتى الى كورنثوس ، لم يأت برسالة الحكمة الانسانية ، ولم يأت بقوته . وبدلا من ذلك أتى برسالة الصليب الجاهلة المعلنة ، وجاءهم بضعفه الشخصي ، وخوفه ورعدته ، معتمدا على قوة الروح القدس لتعزز الكلمة. وكان جل قصده من المجيء اليهم بهذه الجهالة وهذا الضعف أن يكون إيمانهم مستندا بثبات على قوة الله ، وليس على حكمة البشر.

ما سمعناه حتى الآن من أول هذا المقطع حتى آخره هو موضوع حكمة الله وقوته بأشكالهما المختلفة ، حكمته من خلال الجهالة الانسانية وقوته من خلال الضعف البشري . إن إنجيل الصليب لن يكون أبدا رسالة رائجة لأنه يذل كبرياء

ذكائنا وخلقنا . مع ذلك فإن المسيح المصلوب هو حكمة اللـه (١كو ١: ٢٤) وحكمتنـا (١كو ١: ٣٠). لأن الصليب هو وسيلة الله لخلاص الخطـاة بحيث ترضـى محبتـه و عدالته. لذلك فهو يظهر قوته أيضا " قوة الله للخلاص لكل من يؤمن" (رو ١: ١٦).

وهكذا فإننا حين نتطلع الى الصليب تـدرك عدالـة اللـه ومحبتـه وحكمتـه وقوتـه. ليس من السهل أن نقرر أي الحقـائق أعلنـت بوضـوح أكـثر ، أهـي عدالـة اللـه فـي إدانة الخطيئة ، أم هي محبة الله التي تجلت في حمل الدينونة عوضـا عنـا ، أم هـي حكمة الله التي جمعت بين الاثنين جمعا تامـا ، أم هـي قـوة اللـه فـي تخليـص الذيـن يؤمنون ؟ لأن الصليب ليس مجرد حقائق مدركة بـل هـو فعـل أيضـا سـواء بسـواء. ولذلك فهو إظهار لعدالة الله ومحبتـه ، وحكمتـه وقوتـه. الصليـب يؤكـد لنـا أن هـذا الإله (الله) هو الحقيقة في داخل هذا العالم و وراءه وأسمى منه.

في إحدى ترانيمه الرائعة أشاد اسحق واتس Isaac Watts بإعلان اللـه لذاتـه فـي الخلق وفي الصليب . وبعد أن تحدث عن عمل يديه في الطبيعة ، تابع قائلا:

لكن مجده بأبهى صوره يشرق
في النعمة التي أنقذت الانسان .
هنا على الصليب يُرْسَمُ مجده بأجمل وأوضح ما يمكن ،
بالدم الثمين وبخطوط قرمزية .

هنا يتجلى اسمه الكامل:
فلا ذكاء يستطيع أن يحزرولاعقل أن يثبت ،
أي تلك الحروف (الصفات) كتب بصورة أفضل ،
القوة أم الحكمة أم المحبة .

٩

الانتصار على الشر

يستحيل على المرء أن يقرأ العهد الجديد دون أن يتأثر بجو الثقة الجذلانة التي تتخلله ، وتبرز بوضوح مقابل الديانة التافهة التي ينظر اليها اليوم على أنها المسيحية . إن المسيحيين الأولين لم يعرفوا الانهزامية؛ لكنهم بالأحرى تحدثوا عن النصر فهناك مثلا " شكرا لله ! الذي يعطي.. الغلبة..." وكذلك " في هذه جميعها (أي المحن والأخطار) يعظم انتصارنا.." ومرة أخرى ، " شكرا لله الذي يقودنا في موكب نصرته ...كل حين..". وكل من رسائل المسيح الى الكنائس السبع في آسيا تنتهي بوعد خاص، "من يغلب".[1] النصر والإخضاع واحتفال النصر والغلبة ـ هذه مجموع مفردات الذين اتبعوا الرب المقام أولا. لأنهم إذا تحدثوا عن النصر فلأنهم كانوا يعلمون أنهم مدينون به ليسوع الغالب . لقد قالوا ذلك في النصوص التي اقتبستها حتى الآن بشكل مقتضب فقط . أما ما كتبه بولس بالفعل فهو: " يعطينا الغلبة *بربنا يسوع المسيح* "، " يعظم انتصارنا *بالذي* أحبنا، و"الله يقودنا في موكب نصرته *في المسيح*". فهو الذي "غلب" وهو الذي " قادنا في موكب نصرته" ، ثم أنه فعل ذلك " بالصليب ".[2]

إن أي ملاحظ عاصر المسيح ، وشاهده وهو يموت ، كان سيصغي طبعا بشكوكية تمازجها الدهشة الى الإدعاء بأن المصلوب كان منتصرا . ألم يرفض من قبل شعبه ، ويسلم وينكر ويترك من قبل تلاميذه ، ويقتل بسلطة من الحاكم الروماني ؟ انظر إليه ممددا على الصليب باسطا ذراعيه و رجليه ، مجردا من أي حرية في التحرك ، معلقا بمسامير أو حبال أو بها معا ، مثبتا واهنا . يبدو الأمر هزيمة تامة ، وإذا كان هناك انتصار فهو انتصار الكبرياء والإجحاف والغيرة والبغضاء والجبن والقسوة . مع ذلك فإن الادعاء المسيحي هو أن الحقيقة هي

---

[1] ١كو ١٥:٥٧ ؛ رو ٨:٣٧ ؛ ٢كو ٢:١٤ ؛ رؤ ٢ و ٣

[2] رؤ ٣:٢١ ؛ ٥:٥ ؛ ١٢:١١ ؛ كو ٢:١٥

(وبالحقيقة كان) هزيمة الخير من قبل الشر، هو أيضا، وبصورة أكثر تاكيدا ، هزيمة الشر من قبل الخير. فإذا غُلِبَ هناك ، فقد كان هو الغالب ، وإذا سحق بواسطة قوة روما التي لا ترحم ، فقد كان هو نفسه يسحق رأس الحية (تك٣:١٥). الضحية انتصر، وما زال يحكم العالم من عرشه الذي هو الصليب.

لقد تم ما أنبأ به داود
بأنشودة نبوية قديمة ،
كيف يمكن أن يكون الله ملكا للوثنيين ،
لأن الله يملك من على الخشبة.

هنا إذا فكرة رئيسة أخرى في الإنجاز الذي حققه صليب المسيح . فبالإضافة الى خلاص الخطاة (كما تشير اليه الصور الأربع التي تأملناها في الفصل ٧) وإعلان الله (ولا سيما محبته المقدسة ، التي تأملناها في الفصل السابق) ، فإن الصليب قد حقق الانتصار على الشر.

غوستاف أولن وكريستوس فيكتور

كان اللاهوتي السويدي غوستاف أولن Gustav Aulen بخاصة هو الذي ذَكَّرَ الكنيسة بهذه الحقيقة المهملة عن طريق كتابه المؤثر *كريستوس فيكتور Christus Victor* (١٩٣٠). ويعني العنوان السويدي الأصلي للكتاب شيئا من قبيل " المفهوم المسيحي للكفارة "، لكن *كريستوس فكتور*،أي المسيح المنتصر، يعبر بصورة أفضل عن الموضوع الذي يركز عليه الكتاب . ونظريته ، التي يعرضها في دراسة تاريخية أكثر مما هي دفاعية ، هي أن إعادة البناء التقليدية لنظريتي الكفارة الرئيستين خاطئة ، أي النظرة " الموضوعية " أوالنظرة " الشرعية " (موت المسيح لمصالحة الآب) المقترنة بأنسلم ، والنظرة " الذاتية " أو " الأخلاقية " (موت المسيح لإلهامنا وتغييرنا) ، المقترنة بأبيلارد . لأن ثمة نظرة ثالثة ، يدعوها أولن "درامية " و " تقليدية " معا . إنها " درامية " لأنه ترى الكفارة على أنها دراما كونية يحارب فيها الله في المسيح قوى الشر و يفوز بالانتصار عليها . وهي " تقليدية " لأنها ،

كما يدعي ، كانت الفكرة المسيطرة بشأن الكفارة طوال الألف الأول من التاريخ المسيحي(ص٢٢- ٢٣).

لهذا اجتهد أولن لكي يوضح أن مفهوم الكفارة هذا ، باعتبارها انتصارا على الخطيئة والموت والشيطان ، كان المفهوم السائد في العهد الجديد؛ وأن جميع الآباء اليونانيين ، من إيرينيوس في نهاية القرن الثاني الى يوحنا الدمشقي في مطلع القرن الثامن قد اعتنقوها ، ولذلك تؤمن بها الكنائس الأرثوذوكسية الشرقية اليوم ؛ وأن الآباء الغربيين القادة أيضا ، بمن فيهم أمبروز وأوغسطين والبابا ليو الكبير والبابا غريغوري الكبير اعتقدوا بها (مع أنهم في أغلب الأحيان ، والى جانب إيمانهم بها ، آمنوا بالنظرة " الموضوعية ")؛ وأن السكولاستية الكاثوليكية في القرون الوسطى أهملتها ؛ وأن لوثر استعادها ، ولكن السكولاستية الانجيلية اللاحقة أهملتها من جديد ورجعت الى المفهوم الأنسلمي Anselmian في التكفير عن الخطية.

لذا فإن أولن ينتقد بشدة عقيدة التكفير عن الخطية التي نادى بها أنسلم ، التي يدعوها " لاتينية " و " قضائية ". وهو ينبذها بشيء من الازدراء باعتبار أنها "بالحقيقة خط جانبي في تاريخ العقيدة المسيحية " (ص٣١) ، وانحراف في الواقع. إلا أن نقده لأنسلم ليس منصفا بالإجمال . إنه يؤكد حقيقة أن "عمل الكفارة يتم من قبل الله نفسه "، بحسب النظرة " الكلاسيكية "، وأن " الله نفسه هو الوسيط الفعال في العمل الفدائي من البداية الى النهاية " (ص٥٠) ، كما أنه يؤكد حقيقة أخرى وهي" أن الكفارة ، قبل كل شيء ، حركة الله نحو الانسان ، وليست ، في المقام الأول ، حركة الانسان نحو الله " (ص١٧٦). لكنه لم يكن منصفا في عرض نظرة أنسلم ، الى موت المسيح ، باعتبارها مناقضة لهذا ، أي باعتبار أنه ذبيحة قدمها المسيح كإنسان الى الله " (ص٢٢) ، " وكأنها من تحت" (ص٥٠)، أي " كأنها عمل بشري للتكفير عن الخطية أنجزه المسيح " (ص١٠٤)، لأن أنسلم ، كما رأينا في الفصل الخامس أكد بوضوح حقيقة هامة ، فمع أن الانسان *ملزم* بأن يكفر عن الخطية ، فإنه *عاجز* عن ذلك ، لأن الخطايا التي ينبغي التكفيرعنها هي خطاياه . إن الله وحده ، بالحقيقة قادر على ذلك ، لذا فإنه يقوم بالتكفير بوساطة المسيح. وبالرغم مما يكتبه أولن ، فإن تعليم أنسلم هو أن المسيح يسوع الإله ـ الانسان الفريد قام بعمل هو التكفير عن الخطية ، ولم يقم الانسان فقط بالتكفيرعن الخطية ؛ وإنما الله نفسه قام بالتكفير عن الخطية واسترْضِيَ أيضا بهذا التكفير.

غير أن غوستاف أولن كان محقا في لفت نظر الكنيسة الى الصليب على أنه انتصار ، وفي تبيينه أن يسوع بموته خلصنا ، ليس من الخطية والجرم فحسب ، بل من الموت ومن الشيطان ، وبالحقيقة من كل قوى الشر أيضا. وكانت نظريته ذات دلالة أيضا في قرن مزقته حربان عالميتان وفي ثقافة أوروبية مدركة للقوة الشيطانية . وكان على صواب أيضا إذ أشار الى أن " نغمة الانتصار" التي تتردد كهتاف بوق عبر تعليم الكنيسة الباكرة " (ص٥٩)، كانت غائبة الى حد كبير من منطق أنسلم البارد الذي ورد في كتابه *Cur Deus Homo?* . من جهة أخرى عزف لوثر النغمة نفسها. فترانيمه وكتبه العقائدية catechisms * صدى جذلان لحقيقة مفرحة هي ان الله قد أنقذنا من الشيطان ، ذلك " الغول " أو " الطاغية " الذي كان يمسك بنا سابقا في أسر الخطية والناموس واللعنة والموت .

ثمة نقد منصف آخر لنظرية أولن هو أنه أجرى مفارقة حادة بين موضوعي " التكفير عن الخطية " و " الانتصار" كما لو أنهما خياران متنافران متبادلان . لكن العهد الجديد لا يرغمنا على أن نختار بينهما لأنه يتضمنهما كليهما. وهكذا فإن الله أخذ بزمام المبادرة وأحرز النصر بالمسيح ، ولكن أحد الطغاة الذين حررنا منهم كان المعصية التي مات لكي يكفرعنها . لقد قام المفسر الاسكتلندي جون إيدي John Eadie في محاولة تبعث على الإعجاب للجمع بين المفهومين:

إن فداءنا عمل مكلف وعمل أنجز بقوة في آن واحد ــ عمل تكفير وانتصار. على الصليب تم الشراء وعلى الصليب أحرز النصر. هناك سفك الدم الذي يمحو الحكم الصادر بحقنا . وهناك تمت معاناة الموت ، الموت الذي كان ضربة لمملكة الشيطان .[3]

في الواقع إن كل تفسير من التفاسير الرئيسة الثلاثة لموت المسيح يتضمن حقيقة كتابية ويمكن الى حد ما التوفيق بينها ، ولاسيما إذا لاحظنا أن الفرق الرئيسي بينها هو أن عمل الله في المسيح في كل منها موجه نحو شخص مختلف. ففي النظرة " الموضوعية " يرضي الله ذاته ، وفي النظرة " الذاتية " يلهمنا ، وفي النظرة " التقليدية " يتغلب على الشر. وهكذا فإن يسوع المسيح هو ، على التوالي،

---

* ال catechism ، كتاب يحوي على خلاصة للعقيدة الدينية في قالب السؤال والجواب.(المترجم)

3 Quoted from John Eadie's Commentary on *Colossians* (p. 174) by T. J. Crawford in *Doctrine of Holy Scripture* , p. 127.

المخلص والمعلم والمنتصر، لأننا نحن مذنبون ، لامبالون وعبيد . لفت فورسيث الانتباه الى هذا الأمر في الفصل الأخير، من كتابه *عمل المسيح The Work of Christ*، الذي وضع له عنوانا هو ," الخيط المثلوث The Threefold Cord". وهو يشير الى الجانب "التكفيري" والجانب "التجديدي" والجانب " الانتصاري" من عمل المسيح ، ويقترح أن هذه الجوانب كانت مجدولة في ١كورنثوس ١: ٣٠. حيث صار لنا المسيح " برا وقداسة و فداء " (ص ١٩٩-٢٠٠). مع أن " بعض النفوس ستنجذب الى النجاة العظيمة والبعض الآخر الى الكفارة العظيمة وبعض ثالث الى التجديد العظيم " (ص ٢٣٣)، إلا أنها جميعا جزء من إنجاز المسيح الكلي ، " تدمير الشر، إرضاء الله ، وتقديس البشر" (ص ٢٠٢).

بينما نركز الآن على موضوع " النصر" قد يكون من المفيد أن ننظر أولا الى انتصار المسيح التاريخي على الصليب ، ثم الى انتصار شعبه الذي صار ممكنا بفضل انتصاره هو.

انتصار المسيح

إن ما يؤكده العهد الجديد ، بطريقته الخالية من التحرج ، هو أن يسوع انتصر على الشيطان وجرده من سلاحه ، عند الصليب ، وفعل الشيء نفسه بـ "الرياسات والسلاطين" التي بإمرته . وما كان سامعو الانجيل سيجدون صعوبة في قبول هذا الأمر ، لأنه " ربما يصعب على الانسان العصري أن يدرك كم كان العالم الذي جاء اليه المسيح مكتظا بالشياطين ".[4] وما زال الناس اليوم في كثير من البلدان يعيشون في خوف من الأرواح الحاقدة . وفي الغرب الذي يفترض أنه رفيع الثقافة تطور افتتان جديد بمسائل السحر والتنجيم ينذر بالخطر ، وَثّقَ له مايكل غرين Michael Green بمهارة في كتابه *أؤمن بسقوط الشيطان المفاجيء I Beleive in Satan's Downfall*. مع ذلك فإن كثيرين في الوقت نفسه يسخرون من استمرار الاعتقاد بشيطان ذي شخصية ، وأرواح شريرة تحت إمرته ، باعتبار هذا الاعتقاد مفارقة تاريخية خرافية . هناك تصريح عقائدي مشهور لرودولف بولتمان Rudolf Bultmann يقول فيه: " يستحيل علينا أن نستخدم النور الكهربائي والراديو ونستفيد من الطب الحديث والاكتشافات الجراحية، ونؤمن في الوقت نفسه بعالم الشياطين

---

[4] H. E. W. Turner, *Patristic Doctrine*, p. 47.

والأرواح الذي يتحدث عنه العهد الجديد".[5] يلخص مايكل غرين هذا الشذوذ المتمثل في تواجد الفضول والشكوكية باقتراحه أن ثمة موقفين متعارضين يسر بهما الشيطان: "أولهما هو الانهماك المفرط برئيس الشر. والثاني هو الشكوكية المفرطة بشأن وجوده الفعلي" (ص ١٦). ثم يمضي مايكل غرين فيقدم سبعة أسباب لإيمانه بوجود ذلك الكائن الماكر الشرير الشديد البأس المسمى إبليس أوالشيطان. وهي أسباب تتصل بالفلسفة وعلم اللاهوت والبيئة والخبرة ومسائل السحر والتنجيم وتتصل بالكتاب المقدس وبيسوع قبل كل شيء. إنها حجة مقنعة ؛ وليس لدي ما أضيفه إليها.

ولكن كيف أحرز الله بيسوع النصر على الشيطان ؟ يوصف الانتصار في الكتاب بأنه كَشْفٌ على ست مراحل، مع أن هزيمة الشيطان الساحقة جرت عند الصليب. المرحلة الأولى ، هي *التنبؤ عن الانتصار* على الشيطان، وكان من قبل الله نفسه في جنة عدن كجزء من حكمه على الحية: "وأضع عداوة بينك وبين المرأة بين نسلك ونسلها ؛ هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه" (تك٣:١٥). نتعرف نسل المرأة بأنه المسيا، الذي عن طريقه سيتوطد حكم الله البار ويستأصل حكم الشر. وما دام الأمر كذلك ، فإن كل مقطع من العهد القديم يعلن إما حكم الله الحالي (على سبيل المثال ، لك يارب العظمة والجبروت والجلال ..لك يارب الملك.." أو حكمه في المستقبل على الأمم عن طريق المسيا (مثلا "عجيبا مشيرا ، إلها قديرا، أبا أبديا ، رئيس السلام") يمكن أن يفهم كنبوءة إضافية عن سحق الشيطان النهائي.[٦]

المرحلة الثانية كانت *ابتداء الانتصار* في خدمة يسوع . ونظرا الى أن الشيطان عرف في يسوع المنتصر الذي سيغلبه في المستقبل فقد بذل عدة محاولات مختلفة ليتخلص منه ، مثلا عن طريق قتل هيرودس لأطفال بيت لحم ، وعن طريق تجارب البرية لجعله يتجنب طريق الصليب ، وعن طريق قرار الجمهور بإجبار يسوع على قبول ملك سياسي عسكري ، وعن طريق إنكار بطرس لضرورة الصليب ("ابعد عني، يا شيطان")، وعن طريق خيانة يهوذا الذي "دخله" الشيطان بالفعل.[٧] ولكن يسوع كان مصمما أن يتمم ما سبق أن كتب عنه . لقد أعلن أنه عن طريقه جاء ملكوت الله الى ذلك الجيل بعينه ، وأن أعماله العظيمة كانت برهانا

[5] Rudolf Bultmann, *Kerygma and Myth*, pp 4-5.

[٦] ١ أخ ٢٩:١١؛ أش ٩:٦-٧

[٧] رؤ ١٢:١ و ما يليها ؛ مت ٢:١-١٨؛ ٤:١-١١؛ يو ٦:١٥ ؛ مت ١٦:٢٣ ؛ يو١٣:٢٧

مرئيا على ذلك الملكوت . ونحن نرى ملكوته يتقدم وملكوت الشيطان يتراجع أمامه ، بينما كانت الشياطين تطرد ، والمرضى يشفون والطبيعة المضطربة نفسها تقر بربها.[8] إضافة الى ذلك أرسل يسوع تلاميذه لكي يكرزوا ولكي يشفوا بصفتهم ممثلين عنه ، وعندما رجعوا مثارين لكون الشياطين قد خضعت لهم باسمه أجاب يسوع بأنه رأى "الشيطان ساقطا مثل البرق من السماء". إلا أن أقوى تصريح ليسوع حول هذا الموضوع هو التالي: "حينما يحفظ القوي داره متسلحا ، تكون أمواله في أمان . ولكن متى جاء من هو أقوى منه فإنه يغلبه (*نيكاو* يحرز النصرعلى الخصم)، وينزع سلاحه الكامل الذي اتكل عليه ويوزع غنائمه". وليس من الصعب أن ندرك أن الرجل القوي صورة ذهنية للشيطان ، وأن " الرجل الأقوى منه " صورة ذهنية ليسوع المسيح ، وتوزيع الغنائم (أو بحسب مرقس نهب داره) صورة ذهنية لتحرير عبيده .[9]

إن " التغلب " على الرجل القوي و "ربطه" لم يحدثا إلافي المرحلة الثالثة والحاسمة ، *احراز الغلبة* ، عند الصليب . لقد أشار يسوع بحسب يوحنا ، ثلاث مرات الى الشيطان باعتباره "رئيس هذا العالم" ، مضيفا أنه على وشك أن "يأتي" (أي يشن هجومه الأخير) ولكنه "سيطرد" و "يدان".[10] من الجلي أن يسوع كان يتوقع أن يجري الصراع الأخيرعند موته حيث تهزم قوات الظلمة هزيمة منكرة . كان ، بموته ، "سيبيد[يدمر] ذاك الذي له سلطان الموت ـ أي إبليس ـ "وهكذا يحرر أسراه (عب ٢:١٤-١٥).

ربما كان أهم مقطع في العهد الجديد أعلن فيه انتصار المسيح هو كولوسي ٢: ١٣ -١٥ .

مسامحا لكم بجميع الخطايا [غفر لنا جميع خطايانا حسبNIV] ، إذ محا الصك الذي كان ضدا لنا ، مع فرائضه . وقد رفعه من الوسط مسمرا إياه بالصليب. وإذ جرد الرياسات والسلاطين [من أسلحتهم] أشهرهم جهارا [عرضهم أمام الملأ] منتصرا عليهم بالصليب .

---

[8] مثلا مر ١:٢٤ (الشياطين) ؛ مت ٤:٢٣ (الأمراض) و مر ٤:٣٩ (الطبيعة).
[9] لو ١٠:١٨ ؛ ١١:٢١-٢٢ ؛ مر ٣:٢٧
[10] يو ١٢:٣١ ؛ ١٤:٣٠ ؛ ١٦:١١

يجمع بولس هنا بين جانبين مختلفين من جوانب عمل صليب المسيح الخلاصي أي غفران خطايانا والإطاحة الكونية بالرياسات والسلاطين.[١١] وَيَسْتَخْدِمُ عَادَةَ إلغاء الديون قديما لتوضيح مجانية غفران الله وسخاءه (*كاريزوماي*) . من الصعب أن يكون المقصود بـ "الناموس الذي كان ضدا لنا وفرائضه" إشارة الى الناموس ذاته ، نظرا الى أن بولس اعتبر ان الناموس "مقدس وعادل وصالح" (رو١٢:٧)؛ فلا بد أنه كان يشير بالأحرى ، الى الناموس المنتهك ، الذي كان بناء على هذا الاعتبار "علينا وضدا لنا"، كما يشير الى إدانته لنا. الكلمة التي يستخدمها بولس لوصف " الصك " هي *كيروغرافون* ، وكانت "وثيقة تكتب باليد ، وتعني شهادة بدين على الخصوص، أو تعني سندا" (AG)* أو "اعترافا بالدين يحمل توقيعا، يقف كشهادة دائمة ضدنا".[١٢] ثم يستخدم الرسول ثلاثة أفعال ليصف الطريقة التي عالج الله بها ديوننا . لقد "أبطل" السند بمحوه تماما (كما تعني كلمة *إكزاليفاو* حرفيا) ثم "رفعه من الوسط ، مسمرا إياه بالصليب". ويعتقد جرماياس Jeremias

---

[١١] لقد جرى نقاش نشيط حول هوية "الرياسات والسلاطين " التي ذكرها بولس، و هذا النشاط بدأ تقريبا منذ الحرب العالمية الثانية ، وعلى الخصوص منذ نشر كتاب *المسيح والسلاطين* من تأليف هندريك برخوف Hendrik Berkhof's *Christ and the Powers* وكتاب جي. ب. كايرد بعنوان "الرياسات والسلاطين" G. B Caird's *Principalities and Powers*, . وقبل ذلك يبدو أن الجميع أقروا بأن بولس كان يعني وسطاء روحيين لهم صفة الأشخاص ، منهم ملائكة ومنهم شياطين. ولكن قدم اقتراح ليس أقل السبب في تقديمه أن بولس يستخدم كلمة أركايي *archai*(حكام) وكلمة *إكسوسيي* *exousiai* (السلطات) فيما يتعلق بالقوى السياسية ، ومفاد هذا الاقتراح أن بولس بدأ " يجرد العناصر الميثولوجية " ، من مفهوم الملائكة والشياطين ، ويراها بالأحرى كبنى ذات وجود وسلطة أرضيين ، تتمثل بالدولة على الخصوص ، ولكنها تشمل أيضا التقليد والعرف والناموس والاقتصاد وحتى الدين. ومع ان إعادة الفهم هذه التي جرت محاولة للوصول إليها شائعة في بعض المجموعات الانجيلية (والليبرالية أيضا) ، فإنها تظل غير مقنعة. ويبدو لي أن إضافة تعبير "في السماويات " ضمن مقاطع من رسالة أفسس و نقيضة antithesis "دم ولحم" في أفسس ١٢:٦ ، فضلا عن مدى تأثير الرياسات الواسع الانتشار ، إنما تتناسب بسولة بالغة مع مفهوم الكائنات الفائقة للطبيعة، مع أن هذه الكائنات بالطبع تستطيع أن تستخدم ، وهي تستخدم فعلا بنى ، وكذلك أفرادا ، لخدمتها كوسائل الإعلام . لمزيد من الدراسة راجع مناقشتي في كتاب الرسالة إلى أهل أفسس ص ٢٦٧-٢٧٥ . ؛ وراجع أيضا كتاب *سقوط الشيطان* تأليف أي. أم. بي.غرين E.M.B. Green in *Satan's Downfall*, pp.84 ولاسيما المناقشة المفصلة التي عنوانها "الرياسات والسلاطين" تأليف ب.ت. أوبريان ص١١٠-١٥٠ ' Principalities and Power' , by P T. O'Brien, pp. 110-150 .

* *AG* : معجم يوناني – انكليزي يتناول العهد الجديد وبقية الأدب المسيحي الباكر .

[12] F. F. Bruce , *Colossians* , p. 238.

أنه يوجد هنا تلميح الى *تيتولوس* ، التي هي اللوحة التـي تعلـق فـوق رأس الشـخص المصلوب و تكتب عليها جرائمه ، وأن خطايانا ، وليس خطايا يسوع هي التي كتبت على اللوحة *تيتولوس* التي علقت فوق رأسه .[١٣] وعلى أي حال ، فـإن اللـه يخلصنـا من إفلاسنا بطريقة واحدة وهي أنه وفـي ديوننـا علـى صليـب المسيح . ولكنـه فعـل أكثر من ذلك . فهو " لم يبطـل ديننـا فحسـب ، لكنـه أتلـف الوثيقـة التـي كـان الديـن مسجلا عليها ".[١٤]

ثم ينتقل بولس من غفـران خطايانـا الـى الانتصـار علـى قـوات الشـر، ويسـتخدم ثلاثة أفعال تصويرية ليصور هزيمتها. يمكن أن يعني أول هذه الأفعـال أن اللـه فـي المسيح "نزعها" عنـه كثيـاب قـذرة ، لأنهـا كـانت مطبقـة عليـه وملتصقـة بـه وهكـذا "طرحها". أو يعني ، وهذا هو المعنى الأفضـل ، أنـه "جردهـا مـن أسـلحتها" (حسـب NEB)، أو "من كرامتها وقوتها"،[١٥] وهكذا أهانـهـا. ثانيـا، "عرضهـا علـى مشـهد مـن المـلأ " بحيـث بـدت فـي وضعهـا الحـالي " كقـوات عـاجزة "،[١٦] وهكـذا ، فعـل بهـا الأمر الثالث ، وهو أنه "انتصر عليها بالصليب"، وهذا على الأرجح إشارة الى موكب الأسـرى الـذي كـان يحتفـل فيـه بـالنصر. وهكـذا كمـا يعلـق هـاندلي مـول Handley Moule، كـان الصليـب ، "منصـة إعدامـه مـن وجهـة نظـر أولـى ، وكـان عربتـه الامبراطورية مـن وجهـة نظـر أخـرى".[١٧] ويقـترح الكسـندر مـاك لارن Alexander Maclaren صورة موحدة للمسيح بوصفه المنتصر الذي يجرد أعداءه من أسـلحتهم وزينتهم وثيابهم ، ثم يعرضهم في موكب بصفتهم أسراه وبعدئذ يجرهم بعربة النصر التي يركبها ".[١٨]

هذا كله يمثل صورة زاخرة بالحيوية ، ولكن ماذا تعني فـي الواقـع ؟ هـل ينبغـي علينا أن نتصور معركة كونية حيث أحـاطت قـوات الظلمـة بالمسيح علـى الصليـب وهاجمتـه، وفـي هـذه المعركـة جردهـا و ألحق بهـا الخـزي و هزمهـا ؟ وإذا كـانت معركة غير منظـورة كمـا لابـد أن تكـون بصـورة مؤكـدة ، فكيـف "أشـهرهم يسـوع

---

13 J. Jeremias, *Central Message* , p. 37

14 Peter O'Brien, *Colossians*, p. 133. *Cf.* p. 124.

15 *Ibid.*, p. 127.

16 *Ibid* ., p. 129.

17 H. C. G. Moule, *Colossian Studies*, p. 159.

)كتب كالفن: "بدا وكأن الصليب، الذي كان مليئا بالعار، قد تبدل فأصبح عربة النصر!" (القوانين) , II. xvi. 6)

18 Alexander Maclaren, *Colossians and Philemon*, p. 222.

جهارا" ؟ يبدو أن علينا أن نفكر في انتصاره ، مع أنه حقيقي وموضوعي ، بتعابير أخرى .

من المؤكد أنه لأمر ذو دلالة أن يقرن بولس ما فعله المسيح بـ: *الكيروغرافون* (مبطلا و مزيلا إياه) مع ما فعله بالرياسات و السلاطين (مجردا إياهم ومنتصرا عليهم). لقد سمر الصك على الصليب؛ وأما السلاطين فقد انتصرعليهم بالصليب . ولا يبدو أن من الضروري التشديد على أن العمل الأخير كان فعليا أكثر مما كان العمل الأول . النقطة الهامة هي أنهما كليهما حدثا معا . أليس تسديد المسيح لديوننا هو الطريقة التي بها أطاح بالسلاطين؟ إنه بتحريرنا من هذه حررنا من أولئك.

ثانيا ، لقد غلب الشيطان بمقاومة إغراءاته بالكلية . ومع أن يسوع تعرض لإغراء تجنب الصليب ، إلا أنه ثابر على السير في طريق الطاعة، و " أطاع حتى الموت ، موت الصليب" (في٢:٨). كانت طاعته ضرورية لعمله الخلاصي ." لأنه كما أنه بعصيان الواحد جعل الكثيرون خطاة ، هكذا بإطاعة الواحد سيجعل كثيرون أبرارا" (رو٥:١٩). ولو أنه عصى بالانحراف قيد أنملة عن سبيل إرادة الله لكسب الشيطان موطيء قدم وأحبط خطة الخلاص. لكن يسوع أطاع ؛ وهزم الشيطان هزيمة منكرة . ومع أن يسوع أغضب بالشتائم والتعذيبات التي تعرض لها لكنه رفض الانتقام رفضا مطلقا. وبمحبته التي جعلته يبذل ذاته لأجل الآخرين "غلب الشر بالخير" (رو١٢:٢١). كذلك عندما نظمت قوات روما وأورشليم صفوفها ضده ، كان بوسعه أن يقابل القوة بالقوة . لأن بيلاطس لم يكن يملك سلطة مطلقة عليه ؛ ولو استدعى الملائكة لأسرع الى نجدته أكثر من اثني عشر جيشا منها ؛ كان بإمكانه أن ينزل عن الصليب ، وهو ما تحداه خصومه ساخرين أن يفعله.[١٩] لكنه رفض أي لجؤ الى القوة العالمية. " لقد صلب من ضعف "، مع أن ضعف الله كان أقوى من القوة البشرية. وهكذا رفض أن يعصى الله ، أو أن يكره أعداءه أو أن يقلد استخدام العالم للقوة . بطاعته ومحبته ووداعته أحرز نصرا أخلاقيا عظيما على قوات الشر. ظل حرا نظيفا ، لم يقبل بتسوية . ولم يستطع الشيطان أن يمسك به ، وكان عليه أن يسلم بالهزيمة .[٢٠] وهذا ما عبر عنه إف. إف. بروس:

---

[١٩] يو ١٩:١١ ؛ مت ٢٦:٥٣ ؛ مر ١٥:٣٠

[٢٠] ٢كو ١٣:٤ ؛ ١ كو ١:٢٥ ؛ يو ١٤:٣٠

بينما كان معلقا هناك ويداه و قدماه مربوطة بالخشبة في ضعف ظـاهر تصـورت قـوى الشـر أنـه أصبـح تحـت رحمتهـا. واندفعـت نحـوه بقـوة وعجلـة بنيـة عدوانية...لكنه صارعها وقهرها.[21]

وهكذا فإن انتصار المسيح، الذي تنبيء عنه عقب السقوط مباشرة، وابتدأ إبان خدمته العامة ، قد أحرزعلى الصليب على نحـو حاسم. أما مراحله الثلاث الباقية فهي إكمالات لهذا الانتصار.

رابعا، كانت القيامة *تأكيد الانتصار وإعلانه*. لايجوز أن نحسب الصليب هزيمة والقيامة انتصارا. كان الصليب بالأحرى إحرازالانتصار والقيامة تصديق الانتصار وإعلانه وإظهاره. " لم يكن الموت قادرا على أن يمسك بـه " ؛ لأن المـوت كـان قد هزم من قبل . نتيجـة لـذلك فـإن الرياسـات والسـلاطين ، التـي جـردت مـن أسلحتها وكرامتها عندالصليب ، وضعت تحت قدميه وأخضعت له .[22]

خامسا، *الانتصار يُوَسَّع* حيث تنطلق الكنيسة في إرساليتها ، بقوة الروح ، لكـي تبشر بالمسيح المصلوب ربا ، ولكي تدعو الناس الى التوبـة والإيمـان بـه . فـي كـل اهتداء حقيقي لا يحدث فقط رجوع عن الخطية وتوجه الى المسيح فحسب ، بل يحدث أيضا رجوع وتوجه "من الظلمـة الـى النـور"، و "مـن سلطان الشيطان الـى الله" ، و "من الأصنام الى عبادة الله الحي الحقيقي" ؛ هناك أيضا إنقاذ من " سلطان الظلمـة.. الـى ملكـوت الابـن الـذي يحبـه اللـه".[23] وهكـذا فـإن كـل اهتـداء مسـيحي conversion يتضمن صداما للقوى حيث يضطر إبليس الى إرخاء قبضته عن حياة

---

[21] F. F. Bruce, *Colossians*, p. 239.

[22] أع ٢:٢٤ ؛ أف ١:٢٠-٢٣ ؛ ١ بط ٣:٢٢

[23] أع ٢٦:١٨ ؛ ١ تس ١:٩ ؛ كو ١:١٣ . إن مفهوم "صدام القوى" مع يسوع المسيح مهم على وجه الخصوص في نظر الأرواحيين animists الذين يسمون الآن " المتدينين التقليديين " ويعيشون في خوف من الأرواح . " إن تحول شعب ما ليعبد الله الحي الحقيقي يكون عادة استجابة لبرهان جلي ومقنع يثبت سلطان المسيح على قوات الروح (برهان تجريبي) وليس بالأحرى لموافقة عقلية على الحقائق المتعلقة بيسوع المسيح (برهان إدراكي) " (*الشهادة المسيحية للمتدينين التقليديين في آسيا وأوسيانيChristian Witness to Traditional Religionists of Asia and Oceania* , Lausanne occasional paper No. 16, p. 10) انظر أيضا وثائق لوزان المناسبية المتعلقة بالشهادة المسيحية بين أقوام مشابهة في أميريكا اللاتينية والكاريبي (رقم ١٧) و أفريقيا (رقم ١٨).
أوسيانيا : جزر وسط وجنوبي المحيط الهادي تتضمن ميلانيزيا وميكرونيزيا وبولينيزيا وأحيانا تتضمن أيضا استراليا وأرخبيل الملايو. (معجم كولينز Collins English Dictionary)[المترجم]

انسان ما وتتجلى قوة المسيح الفائقة . وفي هذه الحال قد يجوز لنا أن نفسر "ربط" التنين لمدة ألف سنة باعتبار أنه يتوافق مع ربط الرجل القوي الذي جرى عند الصليب. لأن نتيجة ربط الشيطان هي منعه من أن "يضل الأمم فيما بعد"، مما يشير على ما يبدو الى تبشير الأمم الذي بدأ بعد الانتصار العظيم على الصليب ، والنتيجة المباشرة له وهي يوم القيامة ويوم الخمسين.[٢٤]

سادسا، نتطلع الى *اكتمال الانتصار* عند مجيء المسيح ثانية [ظهور المسيح] Parousia . وتشغل إرسالية الكنيسة الفترة الفاصلة بين المجيئين . إن مسيح الرب يملك الآن ، لكنه أيضا ينتظر حتى توضع أعداؤه موطئا لقدميه . في ذلك اليوم ستجثو له كل ركبة و يعترف كل لسان بأنه الرب ، سوف يطرح إبليس في بحيرة النار حيث ينضم إليه الموت والهاوية . لأن آخر عدو يدمر هو الموت . ثم بعد أن يكون قد تم تدمير كل سيادة وسلطة وقيادة شريرة ، يسلم الابن المُلك لله الآب ، فيكون هو الكل في الكل .[٢٥]

ولكن هل من الصواب ، أن نعزو انتصار المسيح إلى موته ؟ ألم يحرز ذلك الانتصار بالأحرى بقيامته ؟ أَلَمْ يهزم الموت بقيامته من الموت ألا يضع تشديد هذا الكتاب بجملته تركيزا على الصليب أكثر مما ينبغي وتركيزا أقل مما يكفي على القيامة ؟ أليست الحادثتان متلازمتين ، كما حاول مايكل غرين أن يحاج بقوة في كتابه الجديد *صليب يسوع الفارغ* *The Empty Cross of Jesus* ؟ من الضروري أن نتوجه الى بحث هذه الأسئلة .

نبدأ بالقول، إنها لحقيقة لا يعترها أي شك أن موت يسوع وقيامته متلازمان في العهد الجديد ، وأنه نادرا ما يذكر أحدهما دون الآخر ، ففي تنبؤات يسوع الثلاث المتعاقبة عن موته ، كما دونها مرقس ، أضاف يسوع في كل مرة أنه بعد ثلاثة أيام سيقوم .[٢٦] و يقال أيضا ، بحسب ما روى يوحنا ، أنه "سيضع نفسه" و "سيأخذها أيضا".[٢٧] فضلا عن ذلك ، حدث ما قال أنه سيحدث ، "أنا الحي ؛ وكنت ميتا ، وها أنا حي الى أبد الآبدين" (رؤ ١:١٨). ثم هناك أمر على نفس القدر من الوضوح وهو أن الرسل تكلموا عن الأمرين معا. إن أبكر كرازة رسولية Kerygma

---

[٢٤] رؤ ٢٠:١-٣ ؛ مت ١٨:٢٨-٢٠

[٢٥] مز ١١٠:١ ؛ في ٢:٩-١١ ؛ رؤ ٢٠:١٠، ١٤ ؛ ١كو ١٥:٢٤-٢٨

[٢٦] مر ٨:٣١ ؛ ٩:٣١ ؛ ١٠:٣٤

[٢٧] يو ١٠:١٧-١٨ ؛ قارن ٢:١٩

نصت بحسب بطرس على أنه "أسلم..بمشورة الله المحتومة و علمه السابق ، وقتل . لكن الله أقامه من بين الأموات" ، بينما أفاد بولس ، أن الانجيل الأصلي والعالمي ينص على أن "المسيح مات لأجل خطايانا..و دفن ...وأقيم ..و ظهر".[٢٨] وتزخر رسائل بولس بعبارات كهذه "تؤمن أن يسوع مات وقام أيضا"، " كي يعيش الأحياء ...للذي مات لأجلهم وقام".[٢٩] علاوة على ذلك ، أقر منذ البداية بأن الفريضتين المقدستين sacraments اللتين أوصى بهما الإنجيل تشهدان لموته وقيامته كليهما ، نظرا الى أن المرشح للعماد يموت ويقوم بصورة رمزية مع المسيح ، بينما يعرفنا الرب المقام بنفسه ، أثناء عشاء الرب ، عن طريق الرمزين emblems ذاتهما اللذين يتحدثان عن موته.[٣٠] فليس هذا مجالا للنزاع أو لا ينبغي أن يكون كذلك. لذا سيكون الموقف غير متوازن بصورة خطيرة إذا كانت المناداة ، إما بالصليب بدون القيامة(وهو ما أخشى أن يكون قد فعله أنسلم) أو بالقيامة بدون الصليب (كما يفعل أولئك الذين يقدمون يسوع باعتباره الرب الحي، وليس بالأحرى المخلص المُكَفِّر). فالرأي السليم هو الاعتقاد برابطة بينهما غير قابلة للفصم .

مع ذلك يلزمنا أن نكون واضحين من جهة العلاقة بين موت يسوع و قيامته ، وأن نحذر من أن ننسب فعالية خلاصية إليهما بالتساوي . يتجنب مايكل غرين الوقوع في هذا الفخ ، لأنه يؤكد بشدة أن "صليب يسوع هو لب الإنجيل الفعلي".[٣١] وهو كذلك بالفعل . عندما فحصنا الصور المجازية الأربع للخلاص في الفصل السابع اتضح لنا أنه "بدم يسوع" سُكِّنَ غضب الله على الخطية، وبذلك الدم عينه ، دم يسوع ، افتدينا ، وبررنا وصولحنا . إذ أن معالجة خطايانا تمت بموته وليس بقيامته . وحتى في الكرازة الرسولية Kerygma الأبكر التي اقتبسناها من قبل ، يكتب بولس "المسيح مات من أجل خطايانا". وليس مكتوبا في أي موضع من العهد الجديد أن "المسيح قام لأجل خطايانا". ولكن ألم ينتصر المسيح على الموت بقيامته ؟ كلا! لقد دمر بموته ذاك الذي له سلطان الموت (عب ٢:١٤).

---

[٢٨] أع ٢:٢٣-٢٤ ؛ ١ كو ١٥:١-٨

[٢٩] ١ تس ٤:١٤ ؛ ٢ كو ٥:١٥

[٣٠] رو ٦:١-٤ ؛ لو ٢٤:٣٠-٣٥

[31] E. M. B. Green, *Empty Cross*, p. 11.

كانت القيامة ضرورية ، بالطبع لتأكيد فعالية موته ، مثلما كان التجسد ضروريا للاعداد لإمكانية حدوث ذلك الموت . لكن ينبغي أن نصر على أن حمل الخطيئة عمل أكمله المسيح على الصليب ، وأن الانتصار على إبليس والخطيئة والموت أحرز هناك . وأن ما فعلته القيامة هو تبرئة يسوع الذي كان الناس قد رفضوه ، والإعلان بقوة أنه كان ابن الله ، والتأكيد علنا بأن موته لحمل الخطية كان فعلا لغفران الخطايا . ولو أنه لم يقم لكان إيماننا و كرازتنا باطلين ، نظرا الى أن عدم قيامته كان سيعني أن شخصه وعمله لم ينالا المصادقة الإلهية.[٣٢] هذه هو المعنى الضمني لـ رومية ٤:٢٥، التي يبدو لأول وهلة أنها تعلم أن قيامة المسيح هي وسيلة تبريرنا: "أسلم لأجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا". يفسر تشارلز كرانفيلد هذه الآية فيقول: إن ما اقتضته خطايانا ، في المقام الأول ، هو موت المسيح الكفاري ، ومع ذلك ، لو أن موته لم يتبع بقيامته ، لما كان يمثل العمل الجبار الذي عمله الله لتبريرنا "[٣٣] يضاف الى ذلك أن قيامته أثبتت أنه مسيح حي ، يمنحنا الخلاص الذي ربحه على الصليب ، ويُمكّننا بروحه لا من الاشتراك في فوائد موته فقط بل يمكننا من العيش بقوة قيامته أيضا ، وهوالذي يعدنا بأننا نحن أيضا سنملك أجساد القيامة في اليوم الأخير.

يعبر جيمس دني عن العلاقة بين موت يسوع و قيامته بالطريقة التالية:

> لن يكون هناك خلاص من الخطية ما لم يكن هناك مخلص حي: هذا يفسر التأكيد الذي يضعه الرسول بولس على القيامة . ولكن الواحد الحي يستطيع أن يكون مُخلِّصًا، بسبب واحد فقط وهو أنه قد مات: وهذا يفسر التشديد الموضوع على الصليب. يؤمن المسيحي برب حي، وإلا لما كان بوسعه أن يؤمن البتة ؛ لكنه يؤمن برب مات موتا كفاريا ، لأنه لايستطيع أحد سواه أن يحتفظ بإيمان نفس محكوم عليها بسبب الخطية.[٣٤]

والخلاصة ، يتضمن الإنجيل موت يسوع و قيامته كليهما ، لأنه ما من شيء كان سينجز بموته لو أنه لم يقم من هذا الموت . ومع ذلك يشدد الإنجيل على الصليب ،

---

[٣٢] مثلا أع ٢:٢٤ ؛ ٥:٣١ ؛ رو ١:٤ ؛ ١ كو ١٥:١٢ وما يليها
C. E. B. Cranfield, *Romans* , Vol . 1, p. 252.
James Denney, *Death of Christ*, p. 73.

نظرا الى أن الانتصار أحرز هنا: إن القيامة لم تحقق نجاتنا من الخطية و الموت ، لكنها جلبت لنا اليقين بكليهما . إن " إيماننا و رجاءنا هما في الله"، بسبب القيامة (١ بط ١:٣ ، ٢١)

الدخول الى انتصار المسيح

الحياة في نظرالمسيحيين ، كما في نظرالمسيح ، إنما تعني الصراع . وهي ؛ في نظرهم كما في نظر المسيح ، إنما تعني أيضا الانتصار. علينا أن ننتصر كما انتصر المسيح . ألم يكتب يوحنا ، "الى الأحداث" في الكنائس التي كان يشرف عليها لأنهم قد "غلبوا الشرير" ؟ ألم يعقد يسوع بتعمد مقارنة بيننا و بين نفسه في هذا الصدد ، واعدا من يغلب بأن يكون له الحق في مشاركة يسوع في عرشه، كما غلب هو وجلس مع أبيه في عرشه ؟[٣٥]

مع ذلك فإن الشبه جزئي فقط . لأنه سيكون من المستحيل تماما أن نحارب الشيطان بمفردنا وننتصر عليه : فنحن نفتقر الى المهارة والقدرة اللازمتين للقيام بذلك . وسيكون من غير الضروري بذل المحاولة لأن المسيح قد بذلها من قبل . فانتصار المسيحيين يقوم على الدخول الى انتصار المسيح والتمتع بمنافعه . يمكننا أن نشكر الله الذي "يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح". ونعلم أن يسوع بعدما إقيم من الأموات ، جلس في يمين الآب في السماويات . لكن الله " أحيانا مع المسيح..، وأقامنا مع المسيح، وأجلسنا معه في السماويات". بعبارة أخرى ، إننا نحن الذين شاركنا في قيامة المسيح بقوة الله الرؤوفة نشارك في عرشه أيضا. إذا كان الله قد وضع كل شيء تحت قدمي المسيح ، فلابد أن يكون كل شيء تحت أقدامنا نحن أيضا إذا كنا فيه . وإذا اقتبسنا الصورة المجازية التي استخدمها يسوع ، نقول : أما وأن الرجل القوي قد جرد من سلاحه و ربط ، فإن الوقت مؤات لنغير على قصره و ننهب أمتعته .[٣٦]

ألا أن الأمر ليس بهذه البساطة . فمع أن الشيطان قد هُـزِمَ ، لكنه لم يسلم بعد بالهزيمة . ومع أنه قد أطيح به ، فلم تتم إزالته بعد. بالحقيقة ما زال يستخدم قوة عظيمة . هذا هو سبب التوتر الذي نشعر به في مجال لاهوتنا وخبرتنا. نحن ، من

---

[٣٥] ١ يو ١٣:٢ ؛ رؤ ٢١:٣
[٣٦] ١ كو ٥٧:١٥ ؛ أف ١:٢٠-٣-٢ ؛ ٢:٤-٦ ؛ مر ٢٧:٣

جهة أحياء جالسون مع المسيح و نملك معه، كما رأينا قبـل قليل ، وليس هـذا كـل شيء فحتى الرياسات ، وقوات الشر جعلها الله موطئا لقدميه (وبالتالي لأقدامنا)؛ و من جهة أخرى نُحَذَّرُ (في رسالة أفسس أيضا) مـن أن هـذه القوى الروحيـة نفسـها عزمت على مقاومتنا ، بحيث أنه لا أمل لنا في الوقـوف ضدهـا ، مـا لـم نتقـوَّ بقـوة الرب ، و نتقلد سلاحه .[٣٧] ونجد التناقض الظاهري نفسـه فـي تعـابيرأخرى . فمـن جهة نحن متيقنون من أننا بعد أن نولد من الله فإن المسيح يحفظنا بأمان و "الشـرير لا يمسنا" ؛ ومن جهة أخرى نُنَبَّهُ الى ضرورة الاحتراس لأن الشرير نفسه " كأسـد زائر يجول ملتمسا من يبتلعه".[٣٨]

كثيرون من المسيحيين يختارون أحد هذين الموقفين أو يتذبذبـون بينهمـا دونمـا استقرار. بعضـهم انتصـاريون triumphalists لا يرون سوى انتصار المسيح الحاسـم، ويهملون التحذيرات الرسولية من قوات الظلمة. وآخـرون انهزاميـون defeatists لا يرون سوى مكر إبليس المخيف و يهملون الانتصار الذي أحـرزه المسيح عليـه .إن التوتر جزء من المعضلة المسيحية القائمة بين ال "قد/الآن" " already" و الـ " لم ... بعد" not yet . إن ملكوت الله قد دشن ، وهو الآن يتقدم . لكنه لم يكتمل بعـد . لقـد جاء العصر الجديد (العصر الذي سيأتي)، بحيث "ذقنا.. قوات الدهر الآتـي" ؛ ولكـن الدهر القديم لم يمض تماما بعد . الآن نحن أولاد الله و بناتـه ، ولسـنا بعـد عبيـدا و إماء ؛ لكننا لم ندخـل بعـد الـى "حريـة مجد أبنـاء اللـه".[٣٩] إن التـأكيد المغـالي علـى الـ" قد/الآن " يقود الى الانتصارية ، الإدعاء بالكمال ـ إما الأخلاقـي (عـدم ارتكـاب الخطيـة sinlessness) أو الجسـدي (الصحـة التامـة) ـ الـذي يخـص فقـط الملكـوت المكتمل، الـ " ليس بعد". إن التشديد المغالي على الـ " لم ...بعد/ليس بعـد" يقـود إلـى الانهزامية ، أي قبول باستمرار الشر يتنافر مع " قد " انتصـار المسيح.

ثمة طريقة أخرى للاقتراب مـن هـذ التوتـر، وهـو أن نتـأمل فـي مضـامين الفعـل *كاتارغيو* الذي يترجم غالبا بحسب ترجماتنا الانكليزيـة الـى "يدمـر" destroy ، لكنـه بالحقيقة يقصر عن بلوغ هذا المعنى . إنه يعني بالأحرى "يجعله غير فعـال أو غيـر عامل" ، ويستخدم للإشارة الى الأرض البور والأشجار غير المثمرة . إنها ما زالت

---

[٣٧] أف ١:٢٠-٢٣ ؛ ٦:١٠-١٧

[٣٨] ١ يو ٥:١٨ ؛ ١ بط ٥:٨

[٣٩] عب ٦:٥ ؛ ١ يو ٢:٨ ؛ رو ٨:٢١

هناك ، فهي لم تدمر ، ولكنها قاحلة ، وعندما يطبق هذا الفعل على إبليس، وعلى طبيعتنا الساقطة وعلى الموت ،[٤٠] فإننا نعرف أنها لم تدمر بعد تماما. لأن إبليس ما زال نشيطا جدا ، وطبيعتنا الساقطة تستمر في توكيد نفسها ، ويمضي الموت مطالبا بنا الىأن يجيء المسيح . فهذه جميعها لم تختف من الوجود ، ولكن قوتها قد حطمت . إنها لم تلغ و لكن أطيح بها .

إن التوكيد الهام الذي يؤكده يوحنا هو أنه "لهذا أظهر ابن الله لكي ' يبطل ' أو ينقض' أعمال إبليس" (ايو ٣:٨ حرفيا). لقد جاء ليواجه إبليس ويهزمه، وهكذا يبطل العطب الذي أحدثه إبليس. فما هي "أعمال إبليس"، أو مفاعيل نشاطها الشنيع ؟ لقد أحب لوثر، مثلا في تفسيره التقليدي *للرسالة الى الغلاطيين* أن يعطي سلسلة منها. كتب في أحد المواضع عن "الناموس والخطية والموت وإبليس وجهنم" أنها تؤلف "جميع شرور الجنس البشري وتعاساته" (ص ١٦٢)، وفي موضع آخر كتب عن "الخطية والموت واللعنة" على اعتبارأنها "تمثل أولئك الطغاة الجبابرة الذين لا يقهرون" والذين لا يستطيع سوى المسيح أن يحررنا منهم. (ص ٢٧٥). يقترح أندرس نيغرن Anders Nygren في تفسيره الشهير *للرسالة الى الرومانيين* أن الاصحاحات ٥ –٨ تصف حياة الشخص الذي تبرر بالإيمان: " الاصحاح الخامس يقول أنها تعني التحررمن *الغضب* . الاصحاح السادس يقول أنها تعني التحرر من *الخطية* . الاصحاح السابع يقول أنها تعني العتق[التحرر] من *الناموس*. الاصحاح الثامن يقول أننا تخلصنا من *الموت*" (ص ١٨٨). ما يهمني هو أن هذه القوائم تغفل أي إشارة الى " الجسد " (طبيعتنا البشرية الساقطة)، وإلى "العالم" (المجتمع الملحد) ، المألوفين على الأقل لجماعة الكنيسة في الثلاثي المكون من "العالم والجسد وإبليس". لذلك يبدو لي أن "أعمال إبليس" الأربعة التي يخلصنا منها المسيح و يركز عليها كُتّاب العهد الجديد هي الناموس والجسد والعالم والموت.

أولا، بالمسيح لسنا بعد تحت *طغيان الناموس* . الأمرالذي يدهش كثيرين هو كيف أمكن أن يصبح الناموس الذي هو عطية الله الصالحة لشعبه ، والذي هو بحد ذاته "مقدس وعادل وصالح" ـ كيف أمكن أن يصبح طاغية يستعبدنا. لكن هذا بالضبط ما يعلمه بولس . "قبلما جاء الإيمان كنا محروسين [مسجونين] تحت الناموس مغلقا علينا الى الإيمان العتيد أن يعلن". والسبب هو أن الناموس يدين عصياننا ، وهكذا

[٤٠] عب ٢:١٤ (الشيطان) ؛ رو ٦:٦ (ال "جسد" أو الطبيعة الساقطة) ؛ ٢ تي ١:١٠ (الموت).

يجعلنا تحت " لعنته " أو دينونته . لكن المسيح فدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا. وبهذا المعنى " المسيح هو غاية الناموس" ولسنا نحن بعد "تحت" الناموس .[41] وهذا بالتأكيد لا يعني أنه لا يوجد الآن أي حقائق أخلاقية مطلقة سوى المحبة ، كما علم دعاة " الأخلاقية الجديدة " في الستينيات من هذا القرن ، أو أنه لا يوجد علينا الآن أي إلزام بأن نطيع ناموس الله كما يعلم المضادون الآخرون للقانون antinomians. ليس الأمر كذلك ، فطالما أن طغيان الناموس هو لعنته ، فقد حررنا المسيح من هذه اللعنة بحيث أننا لسنا بعد " تحتها ". ولم يعد الناموس يستعبدنا بعد الآن بدينونته . وقد محي *الكيروغرافون* الذي فكرنا فيه فيما سبق . إن الآيات الأربعة الأولى من رومية ٨ تجمع هذه الخيوط معا . فهي تقول لأولئك الذي هم في المسيح أنه " لا دينونة " عليهم (الآية ١)، لأن الله قد دان خطايانا في يسوع المسيح (الآية ٣)، وأنه فعل ذلك لكي "تتم مطالب الناموس العادلة فينا" (الآية ٤). وهكذا فإن صليب المسيح الذي يحررنا من دينونة الناموس هو نفسه الذي يسلمنا الى طاعة الناموس .

ثانيا، بالمسيح لسنا بعد تحت *طغيان الجسد* . ما يعنيه بولس بـ"الجسد"(*ساركس*) هو طبيعتنا الساقطة أو بشريتنا غير البشرية ، كل ما نحن عليه بالولادة ، والميراث والتربية قبلما جددنا المسيح . لأن "جسدنا" هو "ذاتنا" في آدم ، وصفته المميزة هي التمركز حول الذات . يقدم بولس قائمة ببعض من أردأ وأبشع أعماله بما في ذلك الفجور الجنسي وعبادة الأصنام ، وممارسات البدع(عبادة منحرفة) والبغضاء والحسد و السخط و الطموح الأناني والانشقاقات والسكر. لما كنا نعيش هذا اللون من الحياة كنا "مستعبدين لشتى أنواع اللذات والشهوات". كما قال يسوع نفسه " كل من يفعل الخطية هو عبد للخطية". ولكنه أردف للتو: "ولكن إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحرارا ". إن التحرر من طبيعتنا الساقطة وأنانيتها يأتينا عن طريق الصليب: "لأننا نعلم أن انساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية، كي لا نعود نستعبد للخطية ".[42] لقد أحرز المسيح الانتصارعلى الجسد مثلما أحرزه على الناموس .

ثالثا ، بالمسيح لسنا بعد تحت *طغيان العالم*. إذا كان الجسد موطيء قدم لإبليس في داخلنا ، فإن العالم هو الوسيلة التي يستخدمها إبليس ليمارس الضغط علينا من

[41] غل ٣:٢٣ و ١٣ ؛ رو ٦:١٤ ؛ ١٠:٤ ؛ غل ٥:١٨
[42] غل ٥:١٩-٢١ ؛ تي ٣:٣ ؛ يو ٨:٣٤-٣٦ ؛ رو ٦:٦

خارج . لأن "العالم" في هذا السياق يعني المجتمع البشري الكافر، الذي يعبر عن عداوته للكنيسة بالاستهزاء المكشوف والاضطهاد حينا ، وبالتدمير الماكر ، وتسريب قيمه ومبادئه حينا آخر. يعلن يوحنا صراحة أن المحبة للعالم والمحبة للآب ضدان لا يتفقان . وهو يعني بالعالمية worldliness "الرغبات الملحة للانسان الخاطيء، شهوة العيون والافتخار بما يملكه أو يفعله" . "الانسان الخاطيء" في التعبير الأول ترجمة لكلمة *ساركس* . إن"الجسد" و "العالم" مرتبطان حتما نظرا الى أن العالم هو جماعة الناس غير المفديين الذين تملي عليهم طبيعتهم غير المفدية وجهة نظرهم. فإذا وضعنا التعابير الثلاث معا يبدو أن الصفات المميزة للعالم التي يؤكدها يوحنا هي رغباته الأنانية وأحكامه السطحية (ترى العيون المظهرالسطحي للأشياء فقط) وماديته المتعجرفة . إلا أن يسوع ادعى قائلا ، "أنا قد غلبت العالم". لقد رفض رفضا تاما قيم العالم المشوهة واحتفظ بنظرته النقية غير الملطخة. ثم يضيف يوحنا أننا نحن أيضا نستطيع أن نكون غالبين في المسيح :

> لأن كل من ولد من الله يغلب العالم . هذه هي الغلبة التي تغلب العالم إيماننا . من هو الذي يغلب العالم ؟ فقط الذي يؤمن أن يسوع هو ابن الله .[٤٣]

إن قيمنا تتغير عندما نؤمن بيسوع المسيح . لن نعمل وفق قيم العالم بعد الآن، لكننا بدلا من ذلك نجد أنفسنا نتغير بذهننا المتجدد الذي يدرك إرادة الله و يوافق عليها. لا شيء يستطيع أن يفطمنا عن العالمية أكثر مما يفطمنا صليب المسيح . لقد صلب العالم لنا عن طريق الصليب وصلبنا نحن للعالم ،[٤٤] بحيث تحررنا من طغيانه .

رابعا، عن طريق المسيح لم نعد تحت *طغيان الموت* . يقال أحيانا أنه بينما كان أسلافنا الفكتوريون يعانون من افتتان مرضي بالموت ، ولكنهم لم يتكلموا أبدا عن الجنس ، فإن الجيل المعاصر متخم بالجنس ، في حين أن الموت هو الأمر الذي يتجنب ذكره أكثر من أي أمر آخر. إن الخوف من الموت أمر شامل بصورة عملية . يروى عن دوق ولنغتون أنه قال "إن من يستطيع أن يفخر بأنه لم يشعر قط بالخوف من الموت لا بد أن يكون أنسانا جبانا أو كاذبا". وأضاف الدكتور صموئيل

---

[٤٣] ١ يو ٢:١٥-١٦ ؛ يو ١٦:٣٣ ؛ ١ يو ٥:٤-٥

[٤٤] رو ١٢:١-٢ ؛ غل ٦:١٤

جونسون Dr. Samuel Johnson أنه ما من انسان سليم التفكير يمكن ان يواجه الموت دون أن يشعر بالخشية والاضطراب.[٤٥] لكن يسوع المسيح يقدر أن يحرر حتى أولئك الذين ظلوا طوال حياتهم "تحت عبودية الخوف من الموت". وذلك لأنه بموته قد " أباد " (جرده من قوته) "ذاك الذي له سلطان الموت ـ أي إبليس" (عب ٢:١٤).

إن يسوع المسيح لم يُنزِلْ إبليس عن عرشه فحسب و لكنه سدد ضربة الى الخطية . إنه في الواقع بتسديد ضربة الى الخطية سدد ضربة الى الموت . لأن الخطية شوكة الموت ، وهي السبب الرئيس الذي يجعل الموت مؤلما وساما . إن الخطية هي التي تسبب الموت وبعد الموت تجلب الدينونة . من هنا جاء خوفنا منها. لكن المسيح مات من أجل خطايانا وأزالها . لذلك يتحدث بولس عن الموت بازدراء عظيم ويشبهه بعقرب نزعت شوكته، ومحارب منتصر حطمت قوته . أما وقد سومحنا ، فلن يستطيع الموت أن يؤذينا فيما بعد . وهكذا يهتف الرسول متحديا: "أين غلبتك يا موت ؟ أين شوكتك ياموت ؟ " [NIV] ليس ثمة جواب . وهكذا فإنه يهتف أيضا، ولكن بانتصار هذه المرة لا بازدراء: " شكرا لله ! إنه يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح" (١ كو١٥:٥٥-٥٧).

فماذا يجب أن يكون موقف المسيحي من الموت ؟ ما زال الموت عدوا غير طبيعي وحقيرا وبلا كرامة ـ إنه بالحقيقة "العدو الأخير الذي سيدمر". ومع ذلك فإنه عدو مهزوم . لقد فقد قدرته على الإيذاء وبالتالي على إحداث الرعب ، لأن المسيح قد أزال خطايانا . لقد لخص يسوع هذا في واحد من أهم توكيداته: " أنا هو القيامة والحياة . من آمن بي و لو مات فسيحيا ؛ و كل من كان حيا وآمن بي فلن يرى الموت الى الأبد".[٤٦] أي أن يسوع هو قيامة المؤمنين الذي سيموتون وحياة المؤمنين الأحياء . فوعده لأولئك هو "سوف تحيون" ولا يعني بذلك فقط أنكم سوف تبقون على قيد الحياة بل إنكم سوف تقومون . أما وعده لهؤلاء فهو " لن تموتوا أبدا "، ولا يعني بذلك أنكم ستنجون من الموت ، بل سيتبين لكم أن الموت حدث عرضي لا يؤبه له ، أي أنه انتقال الى ملء الحياة .

إن الاقتناع المسيحي بأن المسيح "قد أبطل الموت" (٢ تي١:١٠) قاد بعض المؤمنين الى الاستنتاج أنه قد أبطل المرض أيضا ، وأنه ينبغي علينا أن نطالب

---

[45] Boswell's *Life of Johnson* , Vol. II, p. 212.

[٤٦] ١ كو ١٥:٢٦ ؛ يو ١١:٢٥-٢٦

بالحصول على الشفاء من الصليب ، كما نطالب بالغفران . وهناك شرح شائع لهذا الموضوع و هو كتاب "*الشفاء الجسدي والكفارة* Bodily Healing and the Atonement (١٩٣٠) للكاتب الكندي ت. جي. ماك كروسان T. J. McCrossan أعيد تنقيحه ونشره حديثا من قبل كينيث . أ . هيجن Kenneth A. Hagin من كنيسة ريما Rhema الخمسينية . يبين ماك كروسان حجته بالعبارات التالية: " ينبغي على جميع المسيحيين اليوم أن يتوقعوا من الله أن يشفي أجسادهم لأن المسيح مات ليكفر عن خطايانا وعن مرضنا أيضا " (ص١٠). وهو يبني حجته على أشعياء ٥٣:٤ التي ترجمها كما يلي: " من غير ريب هو حمل أمراضنا وتحمل أوجاعنا ". ويؤكد بخاصة أن الفعل العبراني الأول (*نسأ*) يعني تحمل بمعنى "تحمل القصاص بسبب أمر ما". ونظرا الى أنه مستخدم في أشعياء ٥٣:١٢ ("هوحمل خطايا كثيرين") ، فإن هاجن يقول: "التعليم الواضح هو أن المسيح حمل أمراضنا بنفس الطريقة التي حمل بها خطايانا" (ص١٢٠).

إلا أنه توجد ثلاث صعوبات في طريق قبولنا لهذا التفسير. أولا، إن فعل *نسأ* يستخدم في قرائن متنوعة في العهد القديم تتضمن حمل تابوت العهد و بقية أثاث خيمة الاجتماع ، وحمل الدرع والأسلحة والأولاد . ويرد في أشعياء ٥٢ للإشارة الى أولئك الذين يحملون " آنية الرب". وهكذا فإن الفعل بحد ذاته لا يعني "حمل القصاص عن". فنحن مضطرون الى ترجمته هكذا فقط عندما تكون الخطية مفعولا به . أما حمل المسيح لمرضنا فيمكن أن يعني (وبالحقيقة يعني) شيئا مختلفا تماما .

ثانيا، إن المفهوم الذي يقدمه ماك كروسان لا معنى له. إن "حمل عقوبة الخطية" أمر يدرك بسهولة، نظرا الى أن عقوبة الخطية هي الموت والمسيح مات نيابة عنا الموت الذي نستحقه. ولكن ما هي عقوبة المرض ؟ ليس للمرض عقوبة. قد يكون المرض نفسه عقابا للخطية ، ولكن المرض بحد ذاته ليس جنحة تستدعي عقوبة . وهكذا فإن التحدث عن قيام المسيح "بالتكفير عن" أمراضنا هو تشويش للمقولات؛ إنه ليس نظرية مفهومة .

ثالثا، إن متى (الذي هو البشير الذي ينشغل أكثر من سواه بإتمام العهد القديم) لا يطبق أشعياء ٥٣:٤ على موت يسوع المكفر بل على خدمة يسوع الشفائية . و قد كتب عن يسوع أنه ، إتماما لما قيل عنه بأشعياء ، " شفى جميع المرضى". وهكذا فإننا لسنا أحرارا في أن نطبق النص من جديد على الصليب . صحيح أن بطرس

يقتبس الآية التالية "وبحبره شفينا"، ولكن القرينتين في أشعياء و بطرس توضحان أن "الشفاء" الذي يفكران فيه هو الخلاص من الخطية.[٤٧]

لذا لا يجوز أن نؤكد أن المسيح مات من أجل أمراضنا أيضا ، مثلما مات من أجل خطايانا ، أو أن "هنالك شفاء في الكفارة " ، أو أن الصحة متاحة بسهولة لكل انسان كالغفران .

إلا أن هذا لا يعني ، أن أجسادنا لا تتأثر بموت يسوع و قيامته . يجب علينا بالتأكيد أن نأخذ مأخذ الجد هذه البيانات بشأن الجسد التي كتبها بولس:

حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضا في جسدنا . لأننا نحن الأحياء نسلم دائما للموت من أجل يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضا في جسدنا المائت (٢ كو ٤: ١٠-١١).

يشير الرسول الى ضعف وفنائية أجسادنا البشرية ، ولا سيما (في هذه الحالة) فيما يتعلق بالاضطهاد الجسدي . يقول، كأننا نختبر في أجسادنا موت (أو إماتة) يسوع، والقصد من هذا هو كي تظهر حياة يسوع في أجسادنا . ولا يبدو أنه يشير الى قيامة جسده ، لأنه يتطرق الى ذلك فيما بعد . ولا تستنفد كلماته في التحدث عن بقائه بالرغم من الهجمات التي تعرض لها جسده ، والتي كان فيها "مطروحا وليس هالكا "(الآية ٩). كلا، فهو يقول على ما يبدو أن "حياة " يسوع بذاتها (تكررمرتين) " تظهر" (تكررمرتين أيضا) الآن في أجسادنا المائتة (التي مصيرها الموت). وحتى عندما نشعر بالإعياء والمرض ونضرب بعنف فإننا نختبر نشاطا وحيوية هما حياة يسوع المقام فينا . يعبر بولس عن الفكرة نفسها في الآية ١٦: "وإن كنا نفنى في الظاهر، لكننا في الداخل نتجدد يوما فيوما".

أما أن حياة يسوع ينبغي أن تظهر في أجسادنا باستمرار؛ وأن الله قد وضع في الجسد البشري عمليات علاجية مدهشة تحارب المرض وتستعيد الصحة ؛ وأن كل شفاء هو شفاء إلهي ؛ وأن الله يستطيع أن يشفي بصورة عجائبية ويفعل ذلك أحيانا (دونما وسيلة ، بصورة فورية ودائمة) ـــ فهذه أشياء ينبغي أن نؤكدها بثقة وفرح . ولكن عندما نتوقع شفاء المرضى و قيامة الموتى بصورة منتظمة مثلما نتوقع مسامحة الخطاة ، فإننا بذلك نشدد على الـ: " قد/الآن" على حساب الـ: " ليس

---

[٤٧] مت ٨: ١٦-١٧ ؛ أش ٥٣: ٥ ؛ ١ بط ٢: ٢٤

بعد" ، إذ أننا نستبق القيام . فلن تتحرر أجسادنا تماما من المرض والموت إلا عندئذ .

يلزمنا الآن أن نعود الى الطغاة الأربعة الذين انتصر عليهم المسيح ونتيجة لذلك حررنا منهم . إن الطغاة الأربعة يميزون الدهر" إيون" (العصر) القديم الذي دشنه آدم . وفيه ، الناموس يَستعبد والجسد يسيطر والعالم يضلل والموت يملك . إلا أن الدهر "إيون" الجديد الذي دشنه المسيح يتميز بالنعمة لا بالناموس ، وبالروح لا بالجسد ، وبإرادة الله وليس بطرق العالم ، وبالحياة الوافرة وليس بالموت . هذا هو انتصار المسيح الذي يَسْمَحُ المسيح لنا أن ندخل إليه .

كتاب الرؤيا

ما من كتاب آخر في العهد الجديد يحمل شهادة لانتصار المسيح أوضح وأقوى مما يحمله كتاب الكشف المسيحي الذي نعرف أنه " كتاب الرؤيا " ، أو " رؤيا يوحنا ". في هذا الكتاب ما يزيد عن نصف ورودات فعل يغلب *نيكاو* أو مشتقاته (مثلا غلبة *نايكه*) في العهد الجديد . كتب ه. ب. سوويت H.B.Swete ، الكتاب من أوله الى آخره هو *سورسوم كوردا* *Sursum corda* ، لأنه يدعو قراءه ليرفعوا قلوبهم القانطة ويتشجعوا ويحتملوا الى النهاية . لقد اقترح مايكل غرين أن نشيد التحرير "سوف نغلب" يمكن أن يكون قد كتب بصفته نغمة دليل المقام في العهد الجديد"؛ [٤٨] ومن المؤكد أن ألحان النصر تسمع من أول كتاب الرؤيا الى آخره .

كان يفترض في العالم القديم أن الآلهة هي التي تحرز كل انتصار في ساحة المعركة ، وليس البشر الفانون: " الإله فقط يغلب ولا يُغْلَبُ ولا يمكن أن يغلب".[٤٩]

ومن هنا جاءت شعبية الآلهة *نايكه*، التي كان رسمها ينقش في كثير من الأحيان على النصب التذكارية ، وتكريما لها بني الهيكل الصغير الجميل قرب مدخل البارثنيون . لقد تساءلت أحيانا عما إذا كان يسوع قد دعي في سفر الرؤيا ، من باب

---

[48] E. M. B. Green, *Satan's Downfall*, p. 220.

[49] O. Bauernfeind's article on the *nikao* word-group.

المفارقة المتعمدة ، " الغالب" *هونايكون* وان لقبه حُوِّلَ الى الغالبين المسيحيين أيضا.[٥٠]

لما كان سفر الرؤيا قد كتب بصورة شبه مؤكدة إبان حكم الامبراطوردوميتيان (٨١-٩٦ م)، فإن خلفيته هي ازدياد اضطهاد الكنيسة (الذي أصبح آنذاك منتظما ، وليس بالأحرى متقطعا) وازدياد ممارسة عبادة الامبراطور، التي كثيرا ما كان رفضها من قبل المسيحيين الشرارة التي تؤدي الى انفجار الاضطهاد . إن ما يفعله كتاب الرؤيا ، انسجاما مع أسلوبه الرؤيوي ، هو أنه يرفع الستار عن عالم الحقيقة الروحية غير المنظور و يظهر لنا ما يجري وراء الستار . وينبغي أن ينظر الى الصراع الذي يجري على المسرح العام بين الكنيسة والعالم باعتبار انه ليس سوى تعبيرعن النزاع غيرالمنظور بين المسيح والشيطان ، بين الخروف والتنين . هذه المعركة الدهرية تعرض في سلسلة من الرؤى الدرامية التي لقيت تفسيرات متنوعة باعتبار أنها تصف التطور التاريخي في ذلك الوقت (المدرسة " البريتيرية " praeterist) ، أو على مر القرون (المدرسة " التاريخية " historicist) أو كمقدمة للنهاية ("المستقبلية" the futurist) إلا أن أيا من هذه التفسيرات ليس مقنعا بجملته. لا يمكن لهذه الرؤى أن تصور مراحل متعاقبة في سلسلة متصلة ، نظرا الى أن الدينونة والغلبة النهائيتين تمثلان عدة مرات . فيبدو على الأرجح أن المشاهد تتداخل ، وأن مجمل تاريخ العالم الواقع بين مجيء المسيح الأول (إ حراز النصر) ومجيئه الثاني (الانتصار مسلما به) يعاد باختصار في الرؤيا عدة مرات ؛ وأن التأكيد هو على الصراع بين الخروف والتنين الذي كان له حتى ذلك الوقت (من تاريخ الكنيسة)* عدد من الاظهارات التاريخية ، وسيكون له المزيد من الاظهارات قبل النهاية .

يستهل الكتاب بإشارات الى يسوع المسيح بصفته "البكر من الأموات"، "رئيس ملوك الأرض" (١:٥)، "الأول والآخر" و "الحي" (١:١٧-١٨)، وبرؤيا فخمة ليسوع تبرر هذه الألقاب بصفته الرب المرفع والممجد و المالك . ثم تأتي الرسائل الى الكنائس السبع الواقعة في مقاطعة آسيا الرومانية ، حيث تختم كل منها بوعد ملائم لـ "من يغلب". ثم تتغير بؤرة الاهتمام من المسيح الذي يخفر كنائسه على الأرض الى

---

٥٠ لأجل *ho Nikon* راجع رؤ ٢:٧ ، ١١، ١٧ ، ٢٦ ؛ ٣:٥ ، ١٢ ، ٢١ (مرتين) ؛ ٦:٢ ؛ ٢١:٧

* توضيح خطي من المؤلف [المترجم]

المسيح الذي يشارك عرش الله في السماء . إن العرش مركزي في أربعة اصحاحات (٤- ٧) و كل شيء يوصف من حيث علاقته به . يصور يسوع المسيح كأسد وحمل معا (جمع الصورتين قد يدل على أن قوته تعود الى تضحيته بنفسه). وهو يرى "واقفا في وسط العرش". أما السبب الذي جعله المستحق الوحيد أن يفتح السفر المختوم (سجل التاريخ والمصير) ، فهو أنه " قد غلب" (٥:٥). وطبيعة انتصاره هي أنه قد ذبح واشترى بدمه شعبا لله من كل أمة (٩:٥). علينا أن نفهم أن الحوادث المروعة التي أعقبت فك الختوم والنفخ بالأبواق(الحرب ، الجوع، الوبأ، والاستشهاد، والزلزال، والكوارث الطبيعية) هي برغم ذلك تحت سيطرة الخروف الذي يملك الآن والذي سيحقق ملكه الكامل عما قريب (١١: ١٥- ١٨).

إلا أنني مهتم بالوصول الى الرؤيا المذكورة في الاصحاح ١٢ التي تبدو من بعض الوجوه أنها مركز الكتاب . لقد رأى يوحنا امرأة حبلى ، متسربلة بالشمس، والقمر تحت رجليها ، وعلى رأسها إكليل من اثني عشر كوكبا ، وكانت على وشك أن تلد ابنا ، مقرر له "أن يحكم جميع الأمم" (الآية ٥). من الواضح أن الولد هوالمسيا ، وأن المرأة هي كنيسة العهد القديم التي جاء منها المسيا. وهناك تنين أحمر ضخم، تحدد هويته في الآية ٩ "تلك الحية القديمة المدعوة إبليس أوالشيطان"، وقف قبالة المرأة مستعدا أن "يبتلع ولدها في اللحظة التي يولد فيها". ولكن الولد "اختُطِفَ الى الله والى عرشه" وهربت المرأة الى مكان في البرية أعده الله لها (الآيتان٥- ٦).

وأعقب ذلك حرب في السماء هُزِمَ فيها "التنين وملائكته". ولما كان المسيح قد خُطِفَ من الأرض الى السماء ، فإن التنين يُقْذَفُ الآن من السماء الى الأرض . من المؤكد أن الانتصار يجب أن يشير الى الصليب ، نظرا الى أن شعب المسيح غلب التنين "بدم الخروف" (الآية ١١). وما من سلاح آخر كان يمكن أن يكون كافيا ، لأن التنين "به غضب عظيم عالما أن له زمنا قليلا " (الآية ١٢).

هذا هو الموقف . إبليس قد هزم وأنزل عن عرشه . إلا أن أنشطته أبعد من أن تكون قد وضعت لها نهاية ، فإن سخطه الناجم عن معرفته بهلاكه القريب يقوده الى مضاعفة هذه النشاطات . لقد تمت الغلبة عليه ، ولكن الصراع المؤلم مستمر معه. وفي هذا الصراع يتكل على ثلاثة حلفاء يظهرون الآن (في رؤيا يوحنا) بزي وحشين بشعين و زانية فاسقة مبهرجة . ويتضح جليا أن الثلاثة يرمزون

للأمبراطورية الرومانية وإن يكن ذلك بثلاث مظاهر مختلفة ، أي ، روما المضطهِدة ، وروما المضلة ، وروما المُغوية.

الوحش الأول الذي يراه يوحنا طالعا من البحر ، له سبعة رؤوس وعشرة قرون كالتنين تماما ، ويسلم اليه التنين سلطته وعرشه وسيادته ، فيصبح له أتباع على نطاق عالمي . ليس ثمة ما يدعو للدخول في تفاصيل التفسير (مثلا أي من هذه الرؤوس والقرون يمثل هذا الأمبراطور أو ذاك) . أما الأمر الأول في الأهمية فهو أن الوحش ينطق بتجاديف وعظائم ضد الله (١٣:٥) ، وأنه يعطى سلطانا أن يصنع حربا مع القديسين (الآية ٧)، حتى أنه يغلبهم (مؤقتا) (الآية ٧)، وأن جميع الساكنين على الأرض ، ما خلا أتباع الخروف ، سوف يسجدون له (الآية ٨). هذه هي السلطة المطلقة للدولة الرومانية . لكن إتمام النبوة لم يكتمل في الأمبراطورية الرومانية . ففي كل حكومة قاسية ، تقاوم المسيح ، وتظلم الكنيسة وتتطلب من المواطنين ولاء تاما دون اعتراض ، يرفع " الوحش الطالع من البحر" ـ الوحش المخيف ، رؤوسه البشعة ، وكذلك قرونه العدوانية .

أما الوحش الثاني فيطلع "من الأرض" (الآية١١). إنه حتما التابع الأمين للوحش الأول نظرا الى أنه يمارس سلطته ويعزز عبادته ، ويجري آيات عجائبية لتحقيق ذلك . إذا كانت الصفة المميزة للوحش الأول هي أنه يضطهد ، فإن الصفة المميزة للوحش الثاني هي أنه يُضِلُّ (الآية١٤). و يُجْبِرُ الناس على أن يسجدوا لصورة الوحش الأول (إشارة واضحة الى عبادة الأمبراطور) وأن يحملوا سمة الوحش، التي لن يتمكنوا من دونها من الاشتراك في التجارة . يسمى هذا الوحش الثاني فيما بعد "النبي الكذاب" (١٩:٢٠) . ومع أنه في ذلك الجيل كان يمثل الذين يعززون عبادة الأمبراطور، فإنه في أيامنا يمثل كل ديانة أو إيديولوجية كاذبة ، تحرف العبادة الى أي هدف غير "الله الحي والحقيقي".

لا يعرض الحليف الثالث للتنين الا بعد عدة اصحاحات يُتَنَبَّأ فيها مرارا وبثقة عن الانتصار النهائي للخروف ويحتفل به.[٥١] هذا الحليف يدعى "الزانية العظيمة" (١٧:١)، وهي أيضا تمثل روما ، من غير شك ، لأنه يشار اليها بوصفها " بابل

---

[٥١] مثلا رؤ ١٤:١-٥ ؛ ١٥:١-٤ ؛ ١٦:٤-٧

العظيمة " (٨:١٤ و٥:١٧)، و"المدينة العظيمة التي لها مُلْكٌ على ملوك الأرض" (١٧: ١٨) ، وبوصفها مدينة تقع على "سبعة جبال" (الآية ٩). ولكن الأمر الذي يرمز له هذه المرة هو فساد روما الأخلاقي . إنها تجلس على وحش قرمزي (أحد الملوك الذين تستند سلطتها اليهم)، متسربلة بأرجوان وقرمز، ومتحلية بذهب وحجارة كريمة ولؤلؤ ، وتمسك بيدها كأسا من ذهب "مملوءة رجاسات ونجاسات زناها " (الآية ٤). إن قوة إغوائها شديدة بحيث انه يقال عن سكان الأرض أنهم "سكرى بخمر زناها" (الآية ٢). وسواء كان زناها فجورا جنسيا أوعبادة أصنام روحية ، فإنه ليس إثمها الوحيد . ونقرأ بعد ذلك "عن وفرة نعيمها" (٣:١٨) التي نجمت عن تجارتها العالمية التي تضمنت الاتجار بالعبيد (الآيات ١١– ١٣)، و "خطايا" و "جرائم" غير محددة (الآية ٥)، وغطرستها المتسمة بالتبجح (الآية ٧). ويشن ملوكها حربا على الخروف ، و " لكن الخروف يغلبهم "، لأنه " رب الأرباب وملك الملوك " (١٤:١٧) . وفي الاصحاحين ١٨ و ١٩ لا يوصف سقوط "بابل العظيمة " بتفصيل نابض بالحياة فحسب، لكنه أيضا يثبت باعتباره محتوما وعادلا. و يُلْمَحُ يسوع الغالب ممتطيا حصانا أبيض بصفته " بالعدل يحكم و يحارب" (١١:١٩–١٦). وفي الفصول الثلاثة الأخيرة ، يوصف التدمير النهائي للشيطان والموت ، والسماء والأرض الجديدتان ، وأورشليم الجديدة التي لن تكون فيها دموع أو موت أو وجع أو ليل ، بينما يوطد الله حكمه الكامل.

إن الشيطان لم يغير استراتيجيته . ورغم أن الأمبراطورية الرومانية زالت منذ زمن طويل ، فقد قامت بدلا منها بنى أخرى مضطهدة ومضلة ومفسدة . فعلى الرغم من إعلان الأمم المتحدة لحقوق الانسان ، فإن المناداة بالإنجيل والاعتراف بالإهتداء الى المسيح تعدان في بعض البلاد الهندوسية جريمتين يعاقب عليهما بالسجن وحتى بالموت . وما يزال مستشفى الأمراض النفسية في الاتحاد السوفياتي يستخدم كبديل للسجن . وتوضع في معظم البلاد الماركسية قيود صارمة على تعليم الشباب وكل الأنشطة الدينية التي تمارس خارج الأبنية المسجلة خصيصا لهذه الغايات . وحيثما تسود ثقافة لا مسيحية تقل الفرص للحصول على دراسة جامعية وإمكانات الترقية ، كما يحرم الناس من حقوق المواطنية الكاملة . أما من جهة "الوحش الخارج من الأرض" أو "النبي الكذاب" فهو ينشط عن طريق أديان أخرى و بدع جديدة وايديولوجيات علمانية . ويزودنا مايكل غرين في فصلين من كتابه /ومن

بسقوط الشيطان *I Beleive in Satan's Downfall* بمعلومات حسنة التوثيق حول "فتنة مسائل السحر والتنجيم" و "الدين المزيف". وأنا أتفق معه لأن هذين ما زالا من أقوى الأسلحة في خزانة أسلحة الشيطان" (ص ١٩٤). أما من جهة الزانية العظيمة ، أي الهجوم على الأخلاقية المسيحية التقليدية (أي الكتابية) فقد نفذ الآن الى دفاعات الكنيسة نفسها . وكثيرا ما يكون موقف الكنيسة غير حاسم بشأن قدسية الحياة الانسانية (مثلا ما يتعلق بالإجهاض وإجراء التجارب على الأجنة). ولا توجد شهادة متحدة ضد الفجور وأسلحة الدمار الشامل . ويتم التساهل بأمر الطلاق بصورة متزايدة ، حتى بين القادة المسيحيين . ولم تعد تشجب دوما أنماط الحياة الجنسية الخارجة عن نطاق الزواج الأحادي المتخالف الجنس . ونحن في الغرب نستمر في التمتع بمستوى من الوفرة بشعور متبلد تجاه ملايين المعدمين.

رسالة كتاب الرؤيا هي أن يسوع المسيح قد هزم الشيطان وسوف يدمره تماما ذات يوم . ففي ضوء هذه الحقائق علينا أن نواجه نشاطه الماكر المستمر، سواء أكان بدنيا(بالاضطهاد)، أو فكريا (بالخداع) أوأخلاقيا (بالإفساد). فكيف إذا نستطيع أن ندخل الى انتصار المسيح و ننتصر على قوة ابليس ؟ كيف يمكن أن نحصى في عداد "الغالبين" ؟ كيف يمكن أن نأمل في أن نرد العدو على أعقابه ، ليس فقط في حياتنا الخاصة بل في العالم الذي اغتصبه ؟

علينا أولا أن *نقاوم ابليس*. " قاوموه راسخين في الإيمان". وكذلك، " قاوموا ابليس فيهرب منكم ".[٥٢] فلا نخف منه . إن الكثير من عرضه للقوة خداع ، نظرا لأنه قد أطيح به عند الصليب، وتلزمنا الشجاعة لنعلن خداعه. فإذا لبسنا سلاح الله الكامل استطعنا أن نقف صامدين أمامه (أف ٦: ١٠-١٧). علينا ألا نهرب منه، بل بالعكس أن نقاومه كي يهرب منا. إلا أن صوتنا الضعيف لا يتمتع بسلطة كافية لطرده . لا نستطيع أن نقول باسمنا ، كما قال يسوع " اذهب ياشيطان ". لكننا نستطيع أن نفعل ذلك باسم يسوع . علينا أن نطالب بانتصار الصليب. "باسم يسوع المسيح ، باسم *المسيح الغالب*، الذي هزمك على الصليب ، اذهب يا شيطان". فيتحقق الأمر. إنه يعرف قاهره . وهو يهرب من أمامه.

ثانيا، لقد أمرنا بأن *ننادي بيسوع المسيح* . إن الكرازة بالصليب ما تزال هي قوة الله . إننا بالمناداة بالمسيح المصلوب والمقام نستطيع رد الناس "من الظلمة الى النور، ومن سلطان الشيطان الى الله " (أع ٢٦: ١٨)، وهكذا يتراجع ملكوت

---

[٥٢] ١بط ٥: ٨-٩ ؛ يع ٤: ٧

الشيطان أمام ملكوت الله المتقدم . ليس ثمة رسالة أخرى لها نفس القوة المتأصلة. وما من اسم آخر يدافع عنه الروح القدس ويكرمه بهذه الطريقة .

فصليب المسيح وحده إذا ، الذي به هُزِمَ الشيطان يستطيع أن يفوز على الشيطان في حياتنا وفي إرسالية الكنيسة . وما يزال صحيحا اليوم أنهم "غلبوه بدم الخروف وبكلمة شهادتهم ولم يحبوا حياتهم حتى الموت " (رؤ ١٢:١١) . إن شهادتنا الصلبة للمسيح أساسية . وكذلك استعدادنا إذا لزم الأمر، لبذل حياتنا لأجله. ولكن كليهما لا يستغنيان عن فحوى إيماننا ورسالتنا ألا وهي انتصار الخروف الموضوعي الحاسم على كل قوات الظلمة ، ذلك الانتصار الذي أحرزه عندما سفك دمه على الصليب.

الجزء الرابع

العيش تحت الصليب

١٠

جماعة الاحتفال

ربما يكون القاريء قد وجد حتى الآن أن هـذا العـرض لصليب المسيح فرداني individualistic جدا . فإذا كان الأمر كذلك ، فينبغي أن نعيد التعادل في هـذا الجزء (بين النظرة الفردانية والنظـرة الجماعيـة) . لأن العهـد الجديـد الـذي يتضمـن نظـرة بولس الفردانية " مع المسيح صلبت...أحيا بالإيمان بابن الله الذي أحبني وبذل نفسه لأجلي" هو نفسه ـ أي العهد الجديد ـ يلح أيضا على أن يسوع المسيح "بـذل نفسـه لأجلنا لكي يفدينا من كل إثم ويطهر لنفسه شعبا خاصا ، تواقا الى فعل ما هو صـالح ".[١] وهكذا فإن القصد الحقيقي من بذل نفسه على الصليب لم يكن فقط تخليص أفراد منعزلين فحسب ، وبذلك يخلد عزلتهم ، بل خلق جماعة جديدة ينتمي أفرادها إليـه ، ويحبون بعضهم بعضا، وفي نفوسهم لهفة ليخدموا العـالم . إن جماعـة المسيح هـذه ليست سوى انسانية مُجَدَّدَةٍ ومتحدة ، وهو رأسها ، بصفته آدم الثاني . وهـي تضـم اليهود والأمم عل قدم المساواة . بالحقيقة ، إنها تتضمـن ممثليـن مـن كـل أمـة . لقد مات المسيح في عزلة مذلة ، مرفوضا من أمته ومتروكا من تلاميذه ، ولكنه إذ رفع على الصليب جذب الجميع إليه . ومنذ يوم الخمسين فصاعدا أصبح من الواضح أن الاهتداء الى المسيح يعني أيضا الاهتداء الى جماعة المسيح حيث يرجـع النـاس مـن أنفسهم إليه ومن " هذا الجيل الملتوي" الى المجتمع البديل الـذي يجمعـه مـن حولـه . هذان الانتقالان ـ انتقال الولاء الشخصي وانتقال الانتمـاء الـى الجماعـة ـ لايمكـن الفصل بينهما.[٢]

[١] غل ٢:٢٠ ؛ تي ٢:١٤ ؛ أع ٢:٤٠-٤١

[٢] أف ٢:١٥ ؛ رو ٥:١٢-١٩ ؛ أف ٣:٦ ؛ رؤ ٧:٩ ؛ يو ١٢:٣٢ (قـارن ١١:٥٢) ؛ أع٢:٤٠-٤٧

يخصص حيز كبير من العهد الجديد لرسم صورة هذا المجتمع الجديد المفدي – تظهر فيها اعتقاداته وقيمه ، ومعاييره و واجباته ومصيره . موضوع هذا القسم هو أن جماعة المسيح هي جماعة الصليب . فبعد أن ظهرت الى حيز الوجود بالصليب ، فإنها تستمر في العيش بالصليب وتحت لوائه . إن الصليب الآن يقرر نظرتنا وسلوكنا . لقد تغيرت جميع علاقاتنا تغيرا جذريا بوساطته . ليس الصليب مجرد شارة تحدد هويتنا ، ولواء نسير تحته ؛ إنه أيضا البوصلة التي تحدد توجهاتنا في هذا العالم المرتبك . إن الصليب بخاصة يحدث ثورة في مواقفنا من الله ومن أنفسنا ومن الناس الآخرين ضمن الجماعة المسيحية وخارجها ، ومن مشكلتي العنف والألم الخطيرتين . سوف نخصص فصلا لكل من هذه العلاقات الأربع .

علاقة جديدة مع الله

إن صور الخلاص الأربع ، التي بحثناها في الفصل السابع ، تشهد جميعا عن علاقتنا الجديدة بالله . وحيث أنه قد تصرف بمحبته لكي يرد غضبه عنا ، فقد بررنا من قبله وافتدينا له وصولحنا معه . وتتضمن مصالحتنا مفهومي "الدخول" و "الاقتراب"، اللذين هما جانبان من جوانب معرفتنا الديناميية لله أو "الحياة الأبدية " (يو ١٧:٣). لهذه العلاقة الوثيقة بالله ، التي حلت محل الجفاء القديم والمؤلم ، عدة صفات مميزة .

أولا، إنها تتميز *بالجرأة* . والكلمة التي أحب الرسل استخدامها للدلالة عليها هي *باريسيا*، التي تعني " جرأة ، صراحة، وضوحا في الكلام " (AG) ، في شهادتنا للعالم وفي صلواتنا لله . إننا الآن بالمسيح قادرون أن " نقترب الى الله بجرأة (*باريسيا*) و ثقة ". إن لنا باريسيا بسبب رئاسة كهنوت المسيح أن نأتي الى "عرش النعمة " ، عرش الله ، وباريسا بدم المسيح " لندخل الى قدس الأقداس" حيث حضور الله ذاته.[٣] هذه الحرية في الدخول وهذه الجرأة على مخاطبة الله في الصلاة ليسا متنافرين مع التواضع لأنهما يعودان بتمامهما الى استحقاق المسيح ، لا الى استحقاقنا . لقد طهر دمه ضمائرنا (بطريقة لم تكن ممكنة في أيام العهد القديم)، وقد وعد الله بأن لا يذكر خطايانا فيما بعد . وهكذا نتطلع الآن الى المستقبل بيقين ، لا بخوف . إننا نحس بقوة منطق بولس ، فنظرا الى أننا بررنا وصولحنا مع الله بموت المسيح ، " فكم بالأحرى جدا " ونحن مبررون ومصالحون

[٣] أف ١٢:٣ ؛ عب ١٦:٤ ؛ ١٩:١٠

سنخلص من غضب الله في اليوم الأخير. وبما أننا الآن " في المسيح " فإننا واثقون من أن الله يعمل " في كل الأشياء " لخيرنا ، وأن لا شيء يستطيع أن يفصلنا عن محبته .[٤]

الميزة الثانية لعلاقتنا المميزة بالله هي *المحبة*. بالحقيقة "نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولا ". قبل الآن كنا نخاف منه . أما الآن فإن المحبة قد طردت الخوف . المحبة تولد المحبة . إن محبة الله في المسيح التي حررتنا من جهة ، تطوقنا من جهة أخرى لأنها لا تترك لنا خيارا بديلا سوى أن نعيش لأجله بقية عمرنا في خدمة متعبدة وشاكرة .[٥]

الفرح هو السمة الثالثة لأولئك الذين افتدوا بالصليب . عندما رجع المسبيون من بابل الى أورشليم ، "امتلأت أفواههم ضحكا" و "ألسنتهم ترنما". لقد انتهى الاغتراب القديم والاذلال ؛ إذ أن الله أنقذهم وأعادهم ، فشبهوا بهجتهم بالمرح الصاخب في الحصاد: "الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج . الذاهب ذهابا بالبكاء حاملا مبذر الزرع ، مجيئا يجيء بالترنم حاملا حزمه". فكم بالحري ينبغي علينا أن نفرح بالرب ، نحن الذين افتدينا من عبودية أشد قسوة بكثير؟ بالكاد استطاع المسيحيون الأولون أن يتمالكوا أنفسهم من الفرح: كانوا يتشاركون في تناول الطعام " بابتهاج و بساطة قلب ".[٦]

إلا أنه لا يجوز أن ينظر الى الجرأة و المحبة والفرح باعتبار أنها خبرات خاصة تماما وباطنية ؛ فيجب أن تميز عبادتنا العامة . إن الوقت القصير الذي نقضيه معا في يوم الرب ، الأبعد ما يكون عن أن يفصل عن بقية حياتنا، يقصد به أن يجلب حياتنا الى بؤرة واضحة . إننا نؤكد على الدخول الى حضرة الله بتواضع (كخطاة) ولكن بجرأة (كخطاة مسامحين) ، مستجيبين لمبادرته الحبية بمحبة نقدمها له . وغير مكتفين في عبادته باستخدام الأدوات الموسيقية بل مبينين فرحنا بترانيم الحمد . لقد كان و. م. كلو W. M. Clow محقا في لفت انتباهنا ، الى الترنيم بصفته مَعْلَمًا فريدا يميز العبادة المسيحية ، والى سبب ذلك :

---

[٤] عب ٩:١٤ ؛ ٨:١٢ و ١٠:١٧ (قارن أر ٣١:٣٤) ؛ رو ٥:٩-١٠ ؛ ٨:٢٨ ، ٣٨-٣٩

[٥] ١ يو ٤:١٨-١٩ ؛ ٢ كو ٥:١٤-١٥

[٦] مز ١٢٦ ؛ أع ٢:٤٦ (*أغالياسيس* ، "ابتهاج")

لا يوجد غفران في هذا العالم ولا في العالم الآتي الا عن طريق صليب المسيح. " فعن طريق هذا الانسان الذي كرز به لكم تتم مغفرة الخطايا ". إن الديانات الوثنية تكاد لا تعرف هذه الكلمة.

بالمفارقة ، لا يمكن أن يكف المسيحيون عن الترنيم كلما اجتمعوا معا . إن الجماعة المسيحية جماعة احتفال .

يعبر بولس عن إحساسنا المشترك بالابتهاج المفرح بالاشارة الى أشهر عيد يهودي: " لأن المسيح فصحنا [حمل فصحنا] قد ذبح. إذا لنعيد..." (١ كو ٥: ٧) .إن كلمة الفصح بالتحديد كانت تشير الى الوجبة المشتركة التي تؤكل في مساء الخامس عشر من نيسان ، مباشرة بعد ذبح حملان الفصح بعد ظهر ذلك اليوم (١٤ نيسان) ، مع أنه أصبح فيما بعد يطبق على كل أسبوع الفطير الذي يتبعه . كان أساس فرح الشعب فداؤهم، من مصر، الباهظ الثمن . ولكن ذبيحة يسوع المسيح الفدائية على الصليب كانت أغلى من ذلك بكثير. فلأن يسوع ، حمل فصحنا ، قد ذبح ولأننا حررنا بسفك دمه الثمين ، نُحَثّ على الاحتفال بالعيد . بالحقيقة ينبغي أن ينظر الى حياة الجماعة المسيحية بجملتها كعيد يحتفل فيه بمحبة و فرح و جرأة بما فعله الله في المسيح لأجلنا. وفي هذا الاحتفال نجد أنفسنا أثناء العبادة مخطوفين الى العبادة في السماء ، بحيث ننضم الى "الملا ئكة ورؤساءالملائكة وكل جماعة السماء" في تقديم المجد لله. وبما أن عبادة الله في جوهرها هي الإقرار باستحقاقه ، فإننا نتحد مع الجوقة السماوية مترنمين بجدارته باعتباره الخالق والفادي:

"أنت مستحق يا ربنا و إلهنا ،
أن تأخذ المجد و الكرامة و القدرة ،
لأنك أنت خلقت كل الأشياء،
وهي بإرادتك كائنة
وقد خلقت" (رؤ ٤:١١).

"مستحق هو الخروف المذبوح،
أن يأخذ القدرة و الغنى و الحكمة و القوة
والكرامة والمجد والحمد ! (رؤ ٥: ١٢).

من المدهش أن يشير بولس الى حمل الفصح وعيد الفصح في منتصف اصحاح بالغ المهابة ، كان لزاما عليه فيه أن يوبخ الكورنثيين بقسوة على انحلالهم الخلقي. فقد تورط أحد أعضاء الكنيسة في علاقة سفاح مع قريبة له . مع ذلك لم يبد الكورنثيون أي دلائل على الحزن المتواضع أو الندامة . وأمرهم بأن يحرموا المذنب ، وحذرهم من خطر انتشار الخطية في جماعتهم إذا لم تتخذ خطوات حاسمة لاستئصالها. وسألهم: "ألستم تعلمون أن خميرة صغيرة تخمر العجين كله؟ "(١كو ٥:٦). فهذا التلميح الى الخميرة هو الذي ذكره بالفصح وبخبز الفطير. فحينما "يُعَيِّدُ " المسيحيون، يجب ألا يعيدوا بخميرة عتيقة، خميرة الخبث والشر، بل بفطير، هو فطير الاخلاص والحق (الآية ٨). لأن العيد المسيحي يختلف أساسا عن الأعياد الوثنية التي ترافقها عادة نوبة تتردى غالبا الى طقوس عربيدة تتميز بالسكر والفجور. ينبغي أن يتميز الاحتفال المسيحي بالقداسة ، لأن غرض المسيح النهائي ، عن طريق الصليب ، هو "أن يحضركم قديسين بلا لوم ولا شكوى أمامه " (كو ١: ٢٢).

ذبيحة المسيح و ذبيحتنا

مع أن الحياة المسيحية عيد مستمر، فإن عشاء الرب هو[الطقس] المسيحي الخاص المعادل لـ [طقس] الفصح اليهودي . لذا فهو مركزي في حياة احتفال الكنيسة . لقد أسسه يسوع في وقت الفصح ، وبالحقيقة إبان وجبة الفصح نفسها ، وأبدل بتعمد بالعبارة التي كانت تتلى أثناء طقس الفصح "هذا هو خبز المشقة الذي أكله آباؤنا"، عبارة "هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم...وهذا هو دمي المسفوك لأجلكم...". إن الخبز والخمر في العيد المسيحي يجبراننا أن نعود بنظرنا الى صليب المسيح ، وهكذا نتذكر بامتنان ما عاناه هناك وما أنجزه .

درجت الكنائس الانجيلية بحكم تقليدها على الإشارة الى المعمودية وعشاء الرب ، إما باعتبارهما " السرين المقدسين في الانجيل" (لأنهما يمثلان الحقيقتين المركزيتين في البشارة) أو " سري النعمة " (لأنهما تعرضان بصورة مرئية مبادرة الله الخلاصية السخية). وكلا التعبيرين صحيح . إن الحركة الرئيسة التي يجسدها سرا الانجيل هي من الله الى الإنسان وليس من الانسان الى الله . ويمثل استخدام الماء في المعمودية ، إما التطهير من الخطية وسكب الروح القدس (اذا كانت المعمودية تمارس بالرش) أو المشاركة في موت المسيح وقيامته (إذا كانت

بالتغطيس) أو كليهما . ونحن لا نعمد أنفسنا ، بل نخضع للمعمودية . إننا نخضع للمعمودية ، والفعل الذي يُعْمَلُ لنا يرمز الى عمل المسيح الخلاصي . وعلى غرار ذلك ، تقوم الدراما الأساسية ، في عشاء الرب ، على أخذ الخبز و مباركته ، وكسره و إعطائه ، وعلى أخذ الخمر ومباركته وسكبه ، وإعطائه . إننا لا نمنح العنصرين لأنفسنا (أو لا يجوز أن نمنحهما). إنهما يُمْنَحَان لنا ؛ ونحن نتناولهما. وبينما نأكل الخبز ونشرب الخمر ماديا، فإننا، بالإيمان ، نتغذى ، روحيا في قلوبنا، بالمسيح المصلوب . وهكذا ففي السريين المقدسين يكون دورنا منفعلا ، ونكون آخذين لا معطين و مستفيدين لا متبرعين .

في الوقت نفسه ، يعترف بأن المعمودية مُنَاسَبَةٌ لائقة للاعتراف بالإيمان ، وأن عشاء الرب فرصة ملائمة لتقديم الشكر . من هنا جاء الاستعمال الذي يزداد رواجا لكلمة "*أفخارستيا*" ("صلاة الشكر") كاسم لعشاء الرب . و لما كانت كلمة "ذبيحة" هي كلمة أخرى تعني التقدمة ، فلا عجب أن اخترع تعبير ذبيحة الافخارستيا. ولكن هل هو تعبير صحيح ؟ وماذا يعني ضمنا ؟

في البداية ، ينبغي علينا جميعا أن نتمكن من الاتفاق على أن ما نفعله أثناء عشاء الرب مرتبط بتقديم المسيح نفسه ذبيحة على الصليب من خمس نواح . أولا، إننا *نتذكر* ذبيحته: قال يسوع : "افعلوا هذا لذكري" (١ كو ١١ : ٢٤-٢٥). بالحقيقة ، إن الافعال الموصوفة سابقا والمتعلقة بالخبز والخمر تجعل التذكر دراميا ومفعما بالحيوية . ثانيا ، إننا *نشترك* في فوائدها . إن الغرض من الخدمة يتجاوز "التذكر" الى "الاشتراك" (*كوي نونيا*) : " كأس البركة(الشكر) التي نشكر من أجلها أليست شركة في دم المسيح ؟ والخبزالذي نكسره أليس هو مشاركة في جسد المسيح ؟ " (١ كو ١٠ :١٦). لهذا السبب يدعى الافخارستيا بحق " المشاركة المقدسة " (نظرا الى أنه يمكننا عن طريقها أن نشترك في المسيح) ويدعى "عشاء الرب" (لأنه عن طريقه يمكننا أن نتغذى ، بل وأن نعيد ، بالمسيح). ثالثا، إننا *نخبر* عن ذبيحته: " لأنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب الى أن يجيء" (١ كو ١١: ٢٦). مع أن موته حدث منذ قرون عديدة ، فإن الإخبار به مستمر اليوم . إلا أن العشاء تدبيرموقت . إنه يتطلع الى مجيء الرب مثلما يعود بأفكارنا إلى موت الرب . إنه ليس فقط وليمة نتغذى فيها بالمسيح المصلوب بل هو تذوق مبدئي لوليمته السماوية . وهكذا فإنه يستغرق كامل المدة

الفاصلة بين مجيئيه . رابعا، اننا *نعزو وحدتنا* الى ذبيحته لأننا لا نشترك أبدا في عشاء الرب لوحدنا كُلٌ في غرفته بمعزل عن الآخرين . كلا، فاننا " نجتمع معا " (١كو ١١: ٢٠) لكي نحتفل . ونحن نقر بأن اشتراكنا في فوائد ذبيحة المسيح هو الذي وَحَّدَنا: " لأن هناك رغيفا واحدا ، فنحن الكثيرين جسد واحد ، لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد " (١كو ١٠: ١٧ حسب NIV) . خامسا، اننا *نشكر* من أجل ذبيحته ، وعلامة على شكرنا نقدم نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا كـ " ذبائح حية " لخدمته (رو ١٢: ١).

هكذا إذا ، كلما اشتركنا في عشاء الرب نتذكر ذبيحته على الصليب ونشترك فيها ونخبر بها ونعترف بها كأساس لوحدتنا وتستجيب لها بعبادة الشكر. إلا أن السؤال الذي يظل قائما هو ما اذا كانت لا تزال هناك أي علاقة أوثق بين ذبيحة المسيح المقدمة على الصليب وذبيحة الشكر التي نقدمها في الأفخارستيا ، بين ذبيحته " المائتة " وذبائحنا " الحية ". فهذا ما قسم العالم المسيحي منذ القرن السادس عشر ، ومازال حتى اليوم موضوعا لنقاش مسكوني مثير للقلق. لا نستطيع أن نتحدث عن الكنيسة على انها "جماعة الاحتفال" ، دون أن ننقب بعمق في طبيعة الاحتفال الافخارستي .

كان آباء الكنيسة الأولون قد بدأوا في فترة ما بعد العصر الرسولي مباشرة باستخدام لغة قربانية فيما يتعلق بعشاء الرب . لقد رأوا فيه إتماما لملاخي ١ : ١١ " ' في كل مكان يقرب لاسمي بخور وتقدمة طاهرة لأن اسمي عظيم بين الأمم ' قال رب الجنود". [٧] ولكن الخبز والخمر غير المكرسين كـ "تقدمة طاهرة " كانا رمزين للخليقة، التي كان الشعب يشكرون لأجلها . كذلك اعتبر الكتاب القدماء [آباء الكنيسة] صلوات الشعب والتسابيح والاحسان الى الفقراء: "كتقدمة لله. ولم يُدْعَ عشاءُ الرب ذبيحةً حقيقية الا في عهد سيبريان Cyprian أسقف قرطاجة في

---

[٧] لقد اقتبسَ ملاخي ١:١١ في الـ Didache xiv 1. (الديدا شه: تعليم كتب في عهد الكنيسة الباكرة). وكذلك استخدم من قبل ايرينيوس وترتوتليان وجيروم ويوسيبيوس. انظر استعراضا لإشارات آباء الكنيسة الأولين إلى " الذبيحة " في كتاب دانيال ووترلاند ، *مراجعة لتعليم الأفخارستيا*، *Review of the Doctrine of the Eucharist* by Daniel Waterland pp 347-388 انظر أيضا مقالة مايكل غرين "الذبيحة الأفخارستية " Michael Green's essay ' Eucharistic Sacritice ' especially pp. 71-78

منتصف القرن الثالث حيث كانت آلام الرب تقدم لله من قبل الكهنة الذين كان يقال عن دورهم القرباني أنه مماثل لدور الكهنة في العهد القديم . ومنذ هذه البداية تطورت أخيرا العقيدة الأفخارستية لكاثوليكية القرون الوسطى ، أي أن الكاهن المسيحي كان يقدم المسيح، الماثل بالحقيقة في هيئة الخبز والخمر، كذبيحة تكفيرية لله تكفر عن خطايا الأحياء والأموات . ولقد احتج المصلحون بشدة على ذلك .

مع أن لوثر و كالفن اختلفا أحدهما عن الآخر من حيث تعليمهما الأفخارستي، فإن جميع المصلحين اتحدوا في رفضهم لذبيحة القداس ، واهتموا بأن يميزوا بين الصليب والسر sacrament ، بين ذبيحة المسيح المقدمة لأجلنا وذبائحنا المقدمة بوساطته . وقد عبر كرانمر عن الفروق بينها بفكر واضح :

ثمة نوع واحد من الذبيحة يدعى الذبيحة الكفارية أو ذبيحة الرحمة ، أي تلك الذبيحة التي تهدىء غضب الله وسخطه ، وتحصل لنا الرحمة وغفران جميع خطايانا... ومع أنه لم تكن في العهد القديم ذبائح معينة بهذا الاسم ، الا أنه بالحقيقة لا يوجد سوى ذبيحة واحدة كهذه تغفر بها خطايانا وننال رحمة الله ورضوانه ، وهي موت ابن الله ربنا يسوع المسيح؛ ولم تكن ، ولن تكون، هناك أي ذبيحة كفارية أخرى في أي وقت . هذا هو شرف ومجد رئيس كهنتنا هذا ، الذي لا يقبل أن يشاركه فيه شريك أو خلف.

هناك نوع آخر من الذبائح ، وهو الذبائح التي لا تصالحنا مع الله ، ولكنها تقدم من قبل أولئك المُصَالَحين بالمسيح ، لتشهد عن احترامنا لله ولكي نظهر أننا شاكرون له . ولذلك تدعى ذبائح التسبيح والحمد والشكر.

ذبيحة النوع الأول قدمها المسيح لله نيابة عنا؛ ذبائح النوع الثاني نقدمها نحن لله بالمسيح (أي عن طريق المسيح).[٨]

وبعد أن قام كرانمر بهذا التمييز الحيوي صمم على أن يطبقه بصورة ينسجم فيها التطبيق مع المبدأ . كان بالإمكان الاستمرار في تسمية الخادم المرسوم " كاهنا " priest ؛ لأن هذه الكلمة الانكليزية هي ببساطة تقليص لكلمة presbyter (شيخ)، ولكن حذفت من كتاب الصلاة العامة كل إشارة الى " مذبح " وحلت محلها " المائدة المقدسة "، أو "مائدة الرب" ، أو " مائدة الاشتراك ". لأن كرانمر رأى

---

٨ Cranmer *On the Lord's Supper*, p. 235.

بوضوح أن خدمة الاشتراك هي عشاء يوضع على مائدة ويقدمه الخادم وليس ذبيحة يقدمها كاهن على مذبح . والصيغة النهائية لخدمة الاشتراك التي وضعها تظهر التصميم نفسه لأن فقرة ، تقديم الذات الذي يقوم به الشعب للشكر، ألغيت من صلاة التكريس (بعد أن كانت في الصيغة الأولى لخدمة الاشتراك التي وضعها قد حلت محل تقريب المسيح لنفسه في قداس القرون الوسطى)، وبحصافة وضعت تلك الفقرة بعد تناول الخبز والخمر باعتبارها " صلاة التقدمة ". وبهذه الطريقة ، دون أي إمكانية في سؤ الفهم ، كان ينظر الى ذبيحة الشعب على أنها تقدمة الحمد بامتنان ، استجابة لذبيحة المسيح التي قد قبل الشعب فوائدها مرة أخرى بالإيمان.

يؤيد الكتاب المقدس تعليم كرانمر بشدة ، من حيث أنه يصون تفرد ذبيحة المسيح ، و يُعَرِّفُ ذبائحنا بأنها لا تضمن لنا رضى الله ، ولكنها تعبر عن شكرنا له. إن الظرف *هاباكس* أو *أيفاباكس* (الذي يعني "مرة والى الأبد") يشير الى حسمية ذبيحة المسيح الفريدة على الصليب ، ويستعمل للإشارة اليها خمس مرات في الرسالة الى العبرانيين . مثلا، " الذي ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة الآخرين أن يقدم ذبائح أولا عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب لأنه فعل هذا *مرة واحدة* إذ قدم نفسه ". وكذلك " الآن قد أظهر مرة عند انقضاء الدهور ليبطل الخطية بذبيحة نفسه".[٩] ولهذا، وخلافا لكهنة العهد القديم الذين كانوا يقفون ليؤدوا واجباتهم في الهيكل مقدمين الذبائح نفسها بصورة متكررة ، فإن يسوع المسيح ، بعدما قدم "ذبيحة واحدة عن الخطايا الى الأبد" جلس عن يمين الله ليستريح من عمله الذي أكمله (عب ١٠:١١-١٢) .

ومع أن عمل الكفارة الذي قام به قد أكمل، إلا أنه ما زالت أمامه خدمة سماوية مستمرة . وهذه الخدمة ليست " تقديم " ذبيحته لله ، نظرا الى أن التقديم قد تم مرة واحدة على الصليب ؛ ولا تقديم ذبيحة الى الآب ، متوسلا إليه ليقبلها ، نظرا الى أن قبولها قد أظهر علنا بالقيامة ؛ ولكن هذه الخدمة بالأحرى هي " التشفع " في الخطاة على أساس ذبيحته بوصفه المحامي عنا. وفي هذا يكمن " كهنوته الذي لا يزول"، لأن التشفع كان ، بقدر ما كانت الذبيحة ، خدمة كهنوتية: " إذ هو حي في كل حين ليشفع " فينا [١٠].

---

٩ عب ٧:٢٧ ؛ ٩:٢٦ ؛ قارن عب ٩:١٢، ٢٨؛ ١٠:١٠ ؛ و كذلك رو ٦:١٠ و ١ بط ٣:١٨
١٠ عب ٧:٢٣-٢٥؛ ايو ٢:١-٢

إن تفرد ذبيحة المسيح لا يعني ، إذا ، أنه ليس ثمة ذبائح نقدمها نحن ، وإنما يعني أن طبيعتها والقصد منها مختلفان . فهذه الذبائح ليست مادية بل روحية ، وموضوعها ليس كفاريا بل أفخارستيا ، ألا وهو التعبير عن الامتنان لما فعله الله لنا . هذه هي الدعامة الكتابية الثانية في طرح كرانمر. إن العهد الجديد يصف الكنيسة بأنها جماعة كهنوتية ، فهي" كهنوت مقدس" و " كهنوت ملوكي" معا. يشترك جميع أفراد شعب الله في هذا الكهنوت بالتساوي كـ " كهنة ".[١١] هذا هو كهنوت جميع المؤمنين المشهور الذي شدد عليه المصلحون كل التشديد. نتيجة لهذا الكهنوت الشامل لا تطبق كلمة " كاهن" (*هييريوس*) أبدا في العهد الجديد على الخادم المرسوم ، نظرا إلى أنه يسهم في تقديم ما يقدمه الشعب ، لكن ليس ثمة تقدمة خاصة يقدمها هو تختلف عن تقدماتهم .

فما هي الذبائح الروحية التي يقدمها شعب الله له بصفتهم كهنوتا مقدسا ؟ يذكر الكتاب المقدس ثماني ذبائح. علينا أولا أن نقدم له أجسادنا لخدمته، كـ "ذبائح حية ". ويبدو هذا كذبيحة مادية ، لذلك تسمى " ذبائح روحية " (رو١٢:١). ويمكن الافتراض أن السبب في ذلك أنها ترضي الله فقط إذا عبرت عن عبادة القلب . ثانيا ، علينا أن نقدم لله حمدنا وعبادتنا وشكرنا " ثمر شفاه معترفة باسمه ".[١٢] وذبيحتنا الثالثة هي الصلاة ، التي يقال أنها تصعد الى الله كبخور عطر ، وذبيحتنا الرابعة " قلب منكسر و منسحق"، يقبله الله ولا يحتقره.[١٣] خامسا ، يدعى الإيمان "ذبيحة وخدمة". سادسا، هناك أيضا هباتنا و أعمالنا الخيرية ، لأنه " بذبائح مثل هذه يسر الله".[١٤] أما الذبيحة السابعة فهي حياتنا المنسكبة كسكيب تقدمة في خدمة الله ، حتى الموت ، أما الذبيحة الثامنة فهي تقدمة خاصة يقدمها المبشر الذي تسمى كرازته بالانجيل "واجبا كهنوتيا" لأنه يستطيع أن يقدم المهتدين على يده كـ " قربان مقبول لدى الله ".[١٥]

هذه الذبائح الثماني جميعها، بحسب كلمات دانيال وترلاندDaniel Waterland، " ذبائح حقيقية وإنجيلية"، لأنها تلائم الإنجيل لا الناموس ، وهي استجابات امتنان

---

١١ ابط ٢:٥ ، ٩؛ رؤ١:٦

١٢ عب ١٣:١٥ قارن مز ٥٠:١٤ ، ٢٣ ؛ ٦٩:٣٠-٣١ ؛ ١١٦:١٧

١٣ رو ٨:٥ ؛ ٨:٣-٤ ؛ قارن ملا ١:١١ ؛ مز ٥١:١٧ ؛ قارن هو ١٤:١-٢

١٤ في ٢:١٧ ؛ ٤:١٨ ؛ عب ١٣:١٦ ؛ قارن أع ١٠:٤

١٥ في ٢:١٧ ؛ ٢ تي ٤:٦ ؛ رو ١٥:١٦

لنعمة الله في المسيح.[16] إنها أيضا ذبائح روحية وجوهرية لكونها " إما أفكارا صالحة أو كلمات صالحة أو طرقا صالحة، تنبع جميعها من القلب".[17] ويتابع قائلا، يمكن أن تسمى الأفخارستيا "ذبيحة" لسبب وحيد وهو أنها مناسبة لتذكر ذبيحة المسيح ولتقديم ذبيحتنا الشاملة المستجيبة .

الإصلاح – المضاد الكاثوليكي:

لقد أدين الاصلاح الانجيلي ، بما في ذلك تمييزاته الدقيقة بين ذبيحة المسيح و ذبيحتنا ، من قبل الكنيسة الكاثوليكية في مجمع ترنت (١٥٤٥-١٥٦٤). وجرى التركيز في جلسته الثانية والعشرين (المنعقدة في١٥٦٢) على ذبيحة القداس .

نظرا الى أن الذبيحة الإلهية التي يحتفل بها في القداس تتضمن المسيح ذاته الذي قدم نفسه بطريقة دموية على مذبح الصليب وهو ذاته يُقَدَّمُ قربانا بطريقة لا دموية في ذبيحة القداس هذه ، فإن المجمع المقدس يعلم أنها كفارية فعلا...لأن الرب "الذي تُسَكِّنُ هذه الذبيحة غضبه" يمنح أفعال الندامة هبة ونعمة منه ، ويغفر حتى أخطر الجرائم والخطايا . لأن الضحية واحد في الحالين ، فالذي قدم نفسه عندئذ على الصليب هو نفسه يُقَدّم الآن عن طريق خدمة الكهنة ، ولا يختلف الأمر إلا بطريقة التقديم .[18]

إن قال أحد أنه ليس ثمة ذبيحة حقيقية وفعلية في القداس تقدم الى الله....فليكن أناثيما [ملعونا] (المبدأ المقرر الأول).

إن قال أحد أن المسيح ، عندما قال *اصنعوا هذا لذكري* ، لم يُنَصِّبْ الرسل كهنة أو أنه لم يأمرهم وبقية الكهنة أن يقدموا جسده ودمه ، فليكن أناثيما (المبدأ المقرر الثاني).

---

[16] Daniel Waterland, *Review of the Doctrine of the Eucharist*, pp. 344-345
[17] *Ibid.* , p. 601
[18] H. J. Schroeder (ed.), *Canons and Decrees* , Session xxii chapter 2.

إن قال أحد أن ذبيحة القداس هي فقط ذبيحة حمد وشكر؛ أوأنها مجرد تذكر للذبيحة المكملة على الصليب ، ولكنها ليست ذبيحة كفارية ، فليكن أناثما (المبدأ المقرر الثالث).

تظل مباديء مجمع ترنت سارية المفعول كجزء من تعليم الكنيسة الكاثوليكية الرسمي. وقد تم تأكيد جوهرها خلال الخمسين سنة الماضية ، نذكر على سبيل المثال ، منشورين بابويين . ففي المنشور الأول *أد كاثوليسي ساسردوتي* (الصادر عام ١٩٣٥) وصف البابا بيوس الحادي عشر القداس بأنه بحد ذاته " ذبيحة حقيقية لها فعالية حقيقية ". بالإضافة الى ذلك " تتجلى أثناءه عظمة الكاهن البشري ، التي لا توصف ، بكل بهائها" ، لأن له "سلطانا على جسد المسيح الحقيقي" . فهو أولا "يحضره على مذابحنا" ثم "باسم المسيح نفسه يقدمه الى العزة الإلهية ضحية ترضيه عز وجل بصورة مطلقة " (ص ٨-٩). وأكد البابا بيوس الثاني عشر في منشوره *ميدياتور ديي* أن الذبيحة الأفخارستية " تمثل" ذبيحة الصليب و " تعيد دورها " و "تجددها" و"تعرضها". وفي الوقت نفسه وصفها أنها هي نفسها "تقديم ذبيحة ، بصورة حقيقية وصحيحة" (الفقرة ٧٢)، وقال "إنه (أي المسيح) يقدم نفسه على مذابحنا يوميا من أجل فدائنا" (الفقرة ٧٧) . وأضاف أن القداس " لا ينتقص بأي حال من جلال ذبيحة الصليب". وذلك نظرا الى أنه يذكرنا بأنه ليس ثمة خلاص إلا بصليب ربنا يسوع المسيح (الفقرة ٨٣). ولكن بالرغم من هذا الادعاء فإن تسمية أفخارستيا ، في الفقرة نفسها، "تقديم المسيح كذبيحة يومية " ينتقص حتما من حسمية الصليب التاريخية ، وكفايته الأبدية .

ثمة ثلاثة عناصر بغيضة بخاصة في هذه البيانات التي أصدرها مجمع ترانت والمنشورين البابويين اللذين أعقباه ، ولا بد لنا من توضيح هذه العناصر البغيضة . إن مضامين ما ذكرناه هي أن ذبيحة القداس لكونها تقديم المسيح كذبيحة يوميا ، وإن بصورة لا دموية ، هي (١) متميزة عن ذبيحته " الدموية " على الصليب ومكملة لها، (٢) يقدمها كهنة بشر، وهي(٣) " كفارية حقا ". أما المصلحون ، فأكدوا بالمفارقة ، كما يجب أن نؤكد نحن ، أن ذبيحة المسيح (١) تمت مرة واحدة على الصليب (بحيث لا يمكن أن يعاد تمثيلها أو تكميلها بأي طريقة)، (٢) قدمها المسيح نفسه (وهكذا لا يستطيع البشر أن يقدموها أو يشتركوا في تقديمها)، (٣) كانت

تكفيرا تاما عن الخطية (بحيث أن أي ذكر لذبائح كفارية إضافية ينتقص منها بصورة خطيرة).

إلا أن لاهوتيي الكنيسة الكاثوليكية في أزمنة أكثر حداثة مع بعض الكنائس الأخرى ، قد اقترحوا مجموعة منوعة من النظريات أكثر اعتدالا. وبينما تمنوا أن يحتفظوا بمفهوم عن الذبيحة الأفخارستية بربط ذبيحتنا بذبيحة المسيح ، فإنهم في الوقت نفسه أنكروا أن ذبيحته الفريدة يمكن بأي حال أن تكرر أو تكمل ، أو أننا نستطيع أن نقدم المسيح أو أن الأفخارستيا كفارية . وأنكر البعض الأمور الثلاثة معا.

يبدو من الملائم أن نبدأ بالمجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢- ١٩٦٥) ولو انحرفنا قليلا عن التتابع الزمني. نلاحظ ، من جهة، أن الأساقفة اقتبسوا نتائج بحث مجمع ترنت الذي عقد قبل ٤٠٠ سنة وصادقوا عليها، فأقروا مثلا بأن المسيح "حاضر في ذبيحة القداس... "، فالذي قدم نفسه سابقا على الصليب يُقَدِّمُ الآن عن طريق خدمة الكهنة ".[١٩] كما تصدر بيانات فجة من قبيل تكليف الكهنة بأن يوصوا الأمناء ، بأن " يقدموا لله الآب الضحية الإلهية في ذبيحة القداس".[٢٠] ونلاحظ ، من جهة أخرى ، أن ثمة تأكيدين جديدين ، أولهما أن الأفخارستيا ليست تكرارا للصليب بل تخليدا له ، وثانيهما أن التقدمة الأفخارسيتة لا يقوم بها الكهنة بل المسيح وكل شعبه معا . مثلا يقال أن المسيح "قد أسس الذبيحة الأفخارستية لكي يخلد ذبيحة الصليب عبر القرون الى أن يأتي ثانية".[٢١] ثم يحدد دور الكهنة بأنهم " لكونهم يسدون مسد شخص المسيح (فإنهم) يضمون تقدمة الأمناء الى ذبيحة رأسهم (المسيح). والى أن يعود الرب...فإنهم ، في ذبيحة القداس ، يعيدون تقديم وتطبيق الذبيحة الوحيدة في العهد الجديد أي ذبيحة المسيح الذي قدم نفسه مرة واحدة الى أبيه كضحية بلا لوم ".[٢٢]

يحس المرء في هذه البيانات ، فيما تقوله وكذلك فيما لم تقله ، بوجود الكفاح للهروب من فجاجات ترانت . ومع ذلك فإن التأكدين الجديدين ما زالا غير مقبولين لأن قربان الصليب لا يمكن أن "يخلد"، ولا يمكن لذبيحتنا نحن أن " تضم" الى ذبيحة المسيح . يبدو أن "البيان المتفق عليه بشأن الأفخارستيا" الذي أصدرته اللجنة

---

[19] *Constitution on the Sacred Liturgy*, I 1. 7
[20] *Decree on the Ministry and Life of Priests*. II 5
[21] *Constitution on the Sacred Liturgy* , II. 47.
[22] *Dogmatic Constitution on the Church* , III. 28.

العالمية الانكليكانية الكاثوليكية اللاتينية ARCIC، يتراجع أكثر مما سبق عن مجمع ترانت . فلا يكتفي أعضاء اللجنة برفض تسمية الافخارستيا " كفارية "، بل يلحون بشدة على حسمية الصليب: "إن موت المسيح على الصليب كان الذبيحة الوحيدة والكاملة والكافية لأجل خطايا العالم . فلا يمكن أن يكون هناك إعادة أو إضافة الى ما أنجزه المسيح مرة واحدة . إن أي محاولة للتعبير عن رابطة بين ذبيحة المسيح والأفخارستيا لا يجوز أن تُقتم هذه الحقيقة الأساسية في الإيمان المسيحي."[٢٣]

الصليب والأفخارستيا

ما هي الرابطة التي بين الصليب والأفخارستيا ؟ لقد أكدت الاقتراحات الحديثة على فكرتين رئيستين ، أي خدمة يسوع السماوية الأبدية ، واتحاد الكنيسة معه بصفتها جسده .

وفقا للفكرة الأولى، يعتقد أن ذبيحة المسيح " تمتد" (أو" تُخلَّد"، كما قرر المجمع الفاتيكاني)، بحيث يُتَصور أنه يقدم نفسه للآب باستمرار. لقد طور دوم غريغوري ديكس Dom Greggory Dix ، هذا المفهوم في *نظام طقس القربان [الليتورجيا]* . ورفض النظرة القائلة بأن موت المسيح كان "اللحظة التي قدم فيها ذبيحته". وحاج ، بعكس ذلك ، "بأن ذبيحته كانت شيئا بدأ بانسانيته وله استمراره الأبدي في السماء" (ص٢٤٢-٢٤٣). لقد فسر ر. ج. كوتس R. J. Coates أهمية هذه الفكرة كما يرى المدافعون عنها، أي أن الكنيسة تشارك بشكل ما في تقديم المسيح ـ نفسه باستمرار، بينما، " لا تستطيع الكنيسة" طبعا، "أن تقدم المسيح على المذبح الأرضي ما لم يقدم هو نفسَه على المذبح السماوي".[٢٤] ولكن العهد الجديد لا يصور لنا المسيح على أنه يقدم نفسه الى الآب بصورة أبدية . صحيح أن الآب والابن والروح القدس يهب كل منهم نفسه للآخر في محبة أبدية ، ولكن هذا بالتبادل ، وهو على أي حال يختلف تماما عن ذبيحة المسيح عن الخطية التي هي ذبيحة محددة وتاريخية.

---

[23] Final Report of the Anglican Roman Catholic International Commission, p 13. See also the evangelical assessment and critique entitled *Evangelical Anglicans and the ARCIC Final Report*, issued on behalf of the Church of England Evangelical Council

[24] R J Coates, ' Doctrine of Eucharistic Sacrifice' , p. 135

وصحيح أيضا أن التجسد تضمن التضحية نظـرا الـى أن الابـن ، بتجسده ، " أخلـى نفسه" و "وضع نفسه" (في ٢:٧-٨) ، وخلال خدمته العامة أظهر أنه قد جاء " لا لِيُخْدَم بل لِيَخْدُمَ ". ولكن ، وفقا لتعليمه وتعليم رسله كـان أوجَ تجسده وخدمته بَذْلُ نفسه على الصليب فدية عن كثيرين (مـر ١٠:٤٥). هـذا الفعل التـاريخي الـذي تضمن موته عن خطايانا هو الذي يسميه الكتاب المقدس ذبيحته لحمل الخطايـا التـي أكملت مرة والى الأبد . فليست إعادتها مستحيلة فحسب ولكنها لا يمكن أن تطول أو تتوسع . لهذا صرخ " قد أكمل". ولهذا ليس للمسيح مذبح في السماء ، وإنمـا عـرش فقط . إنه يجلس عليه ويملـك بعـد أن انتهـى عملـه الكفـاري ، وهـو يشـفع بنـا علـى أساس مـاقد فعلـه وأكملـه . كـان ريتشـارد كوتـس محقـا فـي إلحاحه علينـا بوجـوب الاعتقاد بـ" السمو المتوحد لذبيحة الجلجثة ".[٢٥]

هذا هو موضوع مقالة آلن ستيبس Alan Stibbs المهملة ، *عمـل المسيح المُكَمَّـل* (١٩٥٤). وهو يقتبس حجة مايكل رمسي Michael Ramsey التي مفادهـا أنـه نظـرا الى أن المسيح كاهن الى الأبد و "الكهنوت يعني تقديم شـيء مـا"، لـذا ففـي المسـيح "تدوم الى الأبد روح التضحية بالذات التـي أظهرتهـا ذبيحـة الجلجثـة بصـورة فريـدة فـي عالمنـا ، عـالم الخطيـة والمـوت" (ص٥) . وبصـورة مماثلــة ، اعتقـد دونــالد بيلي Donald Baillie بأن حمل ـ الخطية الإلهي لم يقتصر على لحظـة فـي الزمـن ، بل توجد هناك " كفارة أبديـة فـي ذات كينونـة اللـه وحياتـه" و كـان الصليـب الجـزء المتجسد منها (ص٦). وتصحيحا لهذه الآراء يظهـر آلان سـتيبس أن تقديم المسيح ذاتَه لأجل خلاصنا "يصور في الكتاب بصورة جلية بأنه ، حصرا، وحيد وأرضـي وتـاريخي ، فهـو الغـرض مـن التجسـد ، الـذي أنجـز بـاللحم و الـدم ، فـي الزمـان والمكان، على عهد بيلاطس البنطي" ، وأنه "بهذا الحـدث المكمـل مـرة و إلـى الأبـد أكمل تماما عمل الكفـارة الضـروري و المقصـود" (ص٨). ومهمـا يكـن مـن أمـر ، أليس بوسع المسيح أن يقدم في السـماء باستمرار، الذبيحـة التي قدمهـا مـرة واحـدة على الأرض ؟ أليس من الضروري في الواقع أن نؤكد هذا نظرا الى أنه يدعى فـي الرسـالة الـى العبرانيين " كاهنـا الـى الأبـد" ؟ لا. فـالكهنوت الأبـدي لا يسـتدعي

[25] *Ibid* ., p. 143.

بالضرورة ذبيحة أبدية . ويمضي ستيبس ليجري مقارنة مفيدة بين الكهنوت والأمومة:

فكما أن الحمل ضروري ليجعل من المرأة أُمًّا...فإن من المسلم به أن فعل تقديم الذبيحة كان ضروريا ليجعل من المسيح كاهنا. ولكن تلك الحقيقة لا تعني في حالة الأمومة أن أولئك الذين يلوذون بهذه المرأة كـ " أم " سيحتاجون من الآن فصاعدا الى أن تلدهم دائما. فولادتها إياهم ليست بالنسبة لهم عملا ضروريا فحسب ، بل هي أيضا عمل قد أنجز. فما يتمتعون به الآن هي خدمات الأمومة الأخرى التي بعد الإنجاب . هكذا الحال بالنسبة الى كهنوت المسيح فإن ذبيحته الكفارية ليست فقط ضرورية بل قد أنجزت...إلا أنه بعد تأديته وظيفة الكهنوت الأساسية بنجاح ، وعلى غرار الأمومة ، هناك خدمات العرش التكميلية التي هي خدمات النعمة التي يتممها الكاهن لمنفعة شعبه الذي قد صالحه من قبل (ولا سيما تشفعه السماوي) (ص٣٠-٣١).

التأكيد الثاني لما دعوته النظريات الأكثر " اعتدالا " يتعلق بالتعليم الكتابي الدقيق والمحكم وهو أن الكنيسة هي جسد المسيح ، وتعيش باتحاد مع رأسها . لكن هذه العقيدة الكتابية قد أصابها تطور بطريقة لا كتابية ، أي أن جسد المسيح يقدم نفسه لله في رأسه ومع رأسه. لقد تم تبني هذا المفهوم على نطاق واسع . وقدم غبريال هربرت Gabriel Hebert في عام ١٩٥١ شرحا تفهمه العامة ؛ وأثر هذا التفسيرعلى الأساقفة الأنكليكان المجتمعين في مؤتمر لامبث Lambeth عام١٩٥٨:

إن الذبيحة الأفخارستية ، التي تمثل مركز العاصفة الجدلية ، تجد في يومنا هذا تعبيرا إنجيليا حقا من قبل الجانب "الكاثوليكي"، حيث يتم التشديد على أن الفعل القرباني ليس أي شكل من إعادة تقديم قربان المسيح ولا ذبيحة إضافية تضاف الى ذبيحته الوحيدة ، لكنه اشتراك فيها. إن المحتفل الحقيقي هو المسيح رئيس الكهنة ، والمسيحيون مجتمعون كأعضاء جسده ليقدموا ذبيحته قدام الله ، وليقدموا أنفسهم ذبيحة عن طريق اتحادهم به.[٢٦]

---

٢٦ G Hebert, in *Ways of Worship* , ed p Edwall, E Hayman and W D Maxwell .Quoted in the 1958 *Lambeth Conference Papers*, Part 2, pp 84, 84

تصديقا لهذا ، أضاف أساقفة لمبث بيانهم الخاص ، وهو "إن الذبيحة التي نقدمها هي نحن أنفسنا ، مندمجين في جسد المسيح السري . المسيح معنا يقدمنا في نفسه الى الله".[27] وكان وليم تمبل قد كتب قبل ذلك شيئا مماثلا تقريبا: "إن المسيح فينا يقدمنا مع نفسه الى الآب ؛ ونحن فيه نسلم أنفسنا لكي نُقَدَّمَ بهذه الكيفية ".[28]

المهم بشأن هذين البيانين الأخيرين هو أنه لا يوجد جدل بشأن تكرار ذبيحة المسيح أو تقديمنا له . بدلا من ذلك فإن المسيح الرأس هو الذي يقدم جسده مع نفسه الى الآب. إن البيان الذي وافقت عليه ARCIC يقول شيئا مماثلا، أي أننا، في الأفخارستيا، " ندخل في حركة تقديم ـ الذات الذي يقوم به المسيح" (ص١٤، ٢٠) أو نؤخذ بهذه الحركة بوساطة المسيح نفسه . لقد عبر البروفسور روان ويليامز Rowan Williams، اللاهوتي الكاثوليكي ـ الأنكليكاني المعاصر المعروف الذي يحظى باحترام واسع ، عن هذا الرأي فقال إن هذا ، أي " كوننا نُقَدَّمُ " في المسيح وبوساطته "هو الحقيقة الأساسية في الأفخارستيا ".[29]

تحاول إعادات صياغة مقترحة أخرى ألا تخلط ذبيحتنا مع ذبيحة المسيح ، بل طاعتنا مع طاعته أو تشفعنا مع تشفعه . فالبروفسور سي. و. مولC. F. D. Moule، مشددا على *الكونونيا* [الشركة]التي بها نصبح " في المسيح" ، متحدين به ، كتب قائلا أن " الطاعتين ـ طاعة المسيح وطاعتنا ، طاعة المسيح في طاعتنا وطاعتنا في طاعة المسيح ـ تقدمان معا الى الله".[30] من جهة أخرى *فالمعمودية والأفخارستيا والخدمة* ، التي تسمى " ليما تكست" Lima Text (١٩٨٢)، والتي هي ثمرة خمسين سنة من النقاش المسكوني و تدعي أنها "اقتراب لاهوتي هام"، تركز على التشفع وليس بالأحرى على الطاعة . في الوقت الذي تعلن فيه ان أحداث المسيح (أي ولادته و موته وقيامته) " أحداث فريدة ولا يمكن أن تتكرر أو تمدد" ، فإنها مع ذلك تؤكد أن " الكنيسة " في الشكر والشفاعة ، تتحد بالابن ، رئيس كهنتها

---

[27] Lambeth 1958 , Part 2, p. 84, 85.
[28] William Temple , *Christus Veritas*, p. 242.
[29] Rowan Williams, in *Essays on Eucharistic Sacrifice*, ed. Colin Buchanan, p. 34.
[30] C. F. D. Moule, *Sacrifice of Christ*, p. 52.

و شفيعها "،[٣١] وأن "المسيح يوحد الأمناء مع نفسه ويجعل صلواتهم ضمن شفاعته بحيث تُغَيَّرُ هيأة الأمناء و تقبل صلواتهم" (ii.4) .

قد نسأل ، ما الاعتراض الذي يمكن أن يقدم على بيانات كهذه ؟ إنها تتجنب بتعمد " العناصر البغيضة " الثلاثة التي وردت في الوثائق الكاثوليكية التقليدية التي ذكرتها سابقا . وما دام قد تم بصورة ثابتة التأكيد على أن تضحية المسيح بذاته لا تكرر، وأن الأفخارستيا ليس كفاريا وأن تقدماتنا ليست استحقاقية ، فهل يجب مع ذلك الإبقاء على الفصل بين الجلجثة والأفخارستيا ؟ قبل كل شيء العهد الجديد يدعونا كهنة و يطلب منا أن نقدم " ذبائحنا الروحية " الثماني لله . كما أنه يضع محبة المسيح التي دفعته الى بذل نفسه وطاعته كنموذج أمامنا يجب أن نتوق إليه. فهل يمكن فعل ما هو أحسن أو أصح من تقديم ذواتنا لتدمج في تقديم ذاته ؟ ألم يعوض كماله نقصنا ؟ والأهم من ذلك ، كما يقول مجمع الفاتيكان الثاني، ألن " تُجْعَلَ الذبيحةُ الروحية للأمناء" عندئذ "مكملةً بالاتحاد مع ذبيحة المسيح ؟ "[٣٢] أليس هذا ملائما ومعقولا ؟ ألن يكون الاعتراض عنيدا بصورة مغالطة ؟

أخشى أن توجد اعتراضات حقيقية خطيرة على أي حال . أولها، بالحقيقة ، هو أن كتاب العهد الجديد لا يعبرون أبدا عن فكرة اتحاد تقدمتنا بتقدمة المسيح . ما يفعلونه هو أنهم يحرضوننا على أن نقدم ذاواتنا (كذبيحة) لله في طاعة حية بثلاث طرق. أولا، "كَـ " المسيح: "اسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح وبذل نفسه لأجلنا قربانا وذبيحة لله رائحة طيبة " (أفسس ٥:٢) . فتقديم ذاته يجب أن يكون نموذجا لتقديم ذواتنا . ثانيا إن الذبائح التي نقدمها لله ينبغي أن تقدم "بـ" المسيح (١بط ٥:٢) ، مخلصنا ووسيطنا . وبالنظر الى أنها جميعا ملوثة بالتمركز حول الذات ، فلن تكون مقبولة إلا به . ثالثا ، علينا أن نقدم ذواتنا ذبيحة " لِـ" المسيح أو " لأجل" المسيح ، تحصرنا محبته لكي نعيش لأجله فقط حياة ـ مقامة جديدة وهبها لنا (٢كو ٥: ١٤-١٥) . هكذا علينا أن نقدم ذواتنا " كَـ " المسيح و "ب" المسيح و " لأجل" المسيح . هذه هي حروف الجر التي يستخدمها العهد الجديد ؛ وهي لا توحي أبدا

---

[31] *Baptism, Eucharist and Ministry*, II.8. See also *Evangelical Anglicans and the Lima Text*, an assessment and critique, drafted by Tony Price for the Church of England Evangelical Council.

[32] *Decree on the Mnistry and Life of Priests*, I.2.

بأن تقدماتنا يمكن أن تقدم " في" المسيح ، أو "مع" المسيح . لو كان من المهم أن نُسَوّي بين تقديم ـ ذاتنا وتقديم المسيح لذاته ، فمن الغريب ألا يذكر العهد الجديد شيئا من هذا القبيل . صحيح أننا " في" المسيح تبررنا وسومحنا وتبنينا ، وجعلنا خليقة جديدة ، ولكن لا يقال أبدا أننا نعبد الله "في" المسيح ، باتحاد معه ، ضامين تسبيحنا الى تسبيحه . وحتى عندما سننضم الى الجمهور السماوي و نشترك معهم في عبادته ، وتتطهر تقدمة ـ ذواتنا أخيرا من كل نقص ـ حتى عندئذ لا يقال عن تسبيحنا أنه يتحد مع تسبيح المسيح . كلا . فسوف يبقى المسيح موضوع عبادتنا ؛ إنه لن يصبح العابد ـ الشريك معنا ، ولن نصبح العابدين ـ الشركاء معه (انظر رؤيا ٤ –٧).

وهذا ينقلني الى الاعتراض الثاني ، وهو بالتأكيد السبب الذي جعل العهد الجديد يحجم عن وصف عبادتنا بأنها تقدم "في" المسيح و "معه". إن الاختلاف النوعي الشديد بين تقديم ـ ذات الفادي وتقديم ـ ذوات المفديين هو على درجة كبيرة تجعل محاولة الخلط بينهما أمرا شاذا بصورة صارخة . يلزمنا أن نعود إلى التمييز الذي أجراه كرانمر بين نوعي الذبيحة ، الذبيحة "الكفارية" (التي تكفر عن الخطية) والذبيحة "الأفخارسية" ـ مع أنه لم يستخدم هذه الكلمة ـ (التي تعبر عن التسبيح والإجلال). وإنه لأمر حيوي بأن نتذكر: أن ذبيحة المسيح كانت تعني كلا الأمرين، أما ذبيحتنا فهي "أفخارستية" فحسب . لم يكن موت المسيح فقط مثالا كاملا عن المحبة التي تؤدي الى بذل النفس ، كما شدد أبلارد ، حيث قدم يسوع نفسه للآب مطيعا إرادته ؛ لكنه أيضا بذل نفسه فدية عنا ، مائتا موتنا عوضا عنا . فهو إذا مات كبديل لنا ، مجنبا إيانا ما كان ينبغي أن نعانيه نحن لولا موته عنا ، ومات كممثل عنا ، أو كمثال ، مظهرا لنا بذلك ما ينبغي أن نفعله نحن أيضا . ولو كان الصليب يقتصر على الأخير، ربما أمكننا أن نضم تقديم ـ ذواتنا بصورة أوثق الى تقديم ـ ذاته ، رغم الفرق بين التقدمتين، مثلما دعا الله " أبا "، وسمح لنا أن نفعل الشيء نفسه . لكن الصليب كان أولا وقبل كل شيء ذبيحة كفارية ، وكان بهذا المعنى أمرا فريدا تماما . يلزمنا وضوح أشد في التفريق بين هذين المعنين للصليب ، بحيث نرى تفرد ما دعاه دانيل واترلاند ، في كثير من الأحيان ،"ذبيحة الصليب العظيمة " ٣٣ و " الذبيحة الهائلة التي قدمها المسيح الإله ـ الانسان " (ص٣٧). ثم نختم فنقول إن الربط بين ذبائحنا وذبيحته ، وحتى التفكير في الطلب منه أن يرفع ذبائحنا لتتحد

[33] Daniel Waterland, *Review of the Doctrine of the Eucharist*, p 343

مع ذبيحته ليس أمرا شاذا فحسب ولكنـه فـي الواقـع مستحيل . إن العلاقـة الملائمـة الوحيدة بين ذبائحنا وذبيحته هي أن تعبر ذبائحنا عن امتناننا له بتواضع و تعبد .

ثمة انتقاد مهم اليوم لهذا التأكيد الانجيلـي يلزمنـا أن نهتـم بـه . فعندمـا نفكـر فـي اهتدائنا يقال ، إن ذبائحنـا تبـدو فـي الواقـع مجـرد استجابات للصليب نادمـة وغيـر مستحقة. ولكن ألا يتغير الموقف بعد أن نكون قد جئنا الى المسـيح وتلقينـا الترحيب بعودتنا إليه ؟ أليس ثمة شيء ينبغـي أن نقدمـه عندئـذ ، يمكـن أن يدمـج فـي قربـان المسيح ؟ هذه هي النقطة التي وضحها الأستاذ روان وليمز . إنــه يريـد أن يسـترجع "الفكرة القائلة أن مفعول ذبيحة المسيح هو بـالفعل أن يجعلنـا، كائنـات ' ليتورجيـة '، قادرين على تقديم أنفسنا، وتسابيحنا وهباتنا الرمزية الى اللـه الـذي نعلـم أنـه سيقبلنا في المسيح".[٣٤] كما يعتقد "أن مفعول تقدمة المسيح هو أن يجعلنا قادرين علـى تقديـم القربـان ، وأن يحسـبنا جديريـن أن نقـف ونخـدم ككهنـة " (ص٣٠). فهـل مـن الضروري إذا أن تنظم الليتورجيا بحيث تلزمنـا بالقيام بـدور غيـر المؤمنيـن غيـر المهتدين ، وهكذا تعيد خلاصنا باختصار؟ ألا يمكن بالأحرى أن تعتبر أننـا أصبحنـا في المسيح ، أصبحنا أولاد الله ، ثم توحد شكرنا لأبينـا مـع تقدمـة المسـيح ـ نَفْسَـه على الصليب (ص٢٦-٢٧) ؟ لاتخلو هذه الأسئلة مـن جاذبيـة . إنهـا تشـكل نقطـة جوهرية . مع ذلك ، أظن أن الجواب عليها يجب أن يكون بالنفي . لأن تقدماتنـا مـا تـزال ملوثـة بالخطيـة ويـلزم أن تقـدم "بوسـاطة " المسـيح ، وليـس بـالأحرى "فـي" المسيح و"مع" المسيح . بالإضافة الى ذلـك فـإن ذبيحتـه لا تتفـوق علـى ذبيحتنـا مـن حيث النوع فحسب ؛ إنها أيضا تختلف عن ذبيحتنا من حيث الطبيعـة . لـذا فمـن غير الملائم خلط الاثنتين . ولن يكون ذلك مأمونا . إن كبرياء قلوبنا متأصلـة بعمـق و ماكرة ببراعة بحيث يسهل علينا أن نبقي في ذهننـا الفكـرة التـي مفادهـا بـأن لدينـا شيئا يخصنا يمكن أن نقدمه لله. لا أقصد أن روان وليـامز يفكـر هكـذا . إنـه يـرى بوضـوح تام ، أنه ليس لدينا شيء نقدمه ما لـم نـأخذه أولا . مـا دام الأمركذلـك ومـا دمنا نسلم بغرورنا البشري الجائع أفلا ينبغي أن تعـرض هـذه الحقيقـة بوضـوح فـي عشاء الرب ؟ أنا أتفق مع روجر بيكويـث Roger Beckwith وكولـن بوكانـانColin Buchanan ، اللذيـن يقتبس منهمـا روان وليـامز قولهمـا "إن كـل تقـدم فـي الحيـاة الميسحية يعتمد على إعادة تحقيق المرء للشروط الأصلية التي نـال بهـا القبـول لـدى

---

[34] Rowan Williams, *Eucharistic Sacrifice*, p. 27.

الله ولكن بصورة مختصرة " (ص٢٦). وينبغي على الليتورجيا أن تذكرنا بهذه ، دون أن تسمح لنا بأن ننساها .

لقد أصاب مايكل غرين في التعبير عن هذا أثناء الإعداد للمؤتمر الانكليكاني الإنجيلي الوطني في كيبل Keele عام ١٩٦٧:

إننا لن نستطيع الاستغناء عن حقيقة هي أننا ما زلنا خطاة نعتمد اعتمادا كليا كل يوم على نعمة الله لغير المستحقين . نحن لا نأتي لِنُقَدِّمَ ؛ لكننا في المقام الأول نأتي لنأخذ. إن طبيعة العشاء ذاتها تعلن هذا . فنحن الجياع نأتي لَنُطْعَم. نحن غير المستحقين ، نلقى الترحيب القلبي الى مائدة الرب.[٣٥]

ماذا يمكن أن يقال في ختام هذا النقاش حول " الذبيحة الأفخارستية "، عن العلاقة بين ذبيحة المسيح وذبيحتنا ؟ أظن أنه علينا أن نصر على أنهما تختلفان الواحدة عن الأخرى اختلافا شديدا بحيث لا يليق أبدا أن تقرنا. فمحبته التي دعته الى بذل نفسه تثيرمحبتنا وتلهبها. وهكذا فإن ذبيحتنا دوما ثانوية ومستجيبة لذبيحته. فمحاولة توحيدهما هو بمثابة إزالة الوضوح بين الثانوي والأولي ، بين النبع والجدول ، بين المبادرة والاستجابة ، بين النعمة والإيمان . إن غيرتنا الملائمة على تفرد ذبيحة المسيح عن الخطية سوف تقودنا الى تجنب أي صياغة يمكن أن نتصور أنها تنتقص من قيمتها .

أعود الى حيث بدأ هذا الفصل . إن الجماعة المسيحية هي جماعة الصليب لأنها ظهرت الى الوجود بالصليب ، وبؤرة عبادتها هي الخروف الذي ذبح مرة وهو الآن ممجد . وهكذا فإن جماعة الصليب هي جماعة الاحتفال ، جماعة أفخارستية ، فنحن لا نكف عن تقديم ذبيحة حمدنا وشكرنا لله بوساطة المسيح. الحياة المسيحية عيد لا ينتهي. والعيد الذي نحتفل به الآن ، ما دام حمل فصحنا قد ذبح لأجلنا، هو احتفال نبتهج بذبيحته ، وهو بالإضافة الى ذلك اغتذاء روحي به. في هذا العيد الاحتفالي ، نحن جميعا مشتركون . ولكن ما الذي نشترك فيه ؟ لسنا نشترك في ذبيحة المسيح ، ولا حتى في حركتها ، وإنما فقط في المنافع التي

---

35 E. M. B. Green from his chapter "christ's sacrifice and Ours' , relating Holy Communion to the cross, in *Guidelines* , p 116

حققتها. ولن نكف أبدا، حتى في الأبدية ، عن عبادة الخروف وتقديم الاكرام له بسبب هذه الذبيحة الغالية ، وبسبب البركات الثمينة التي ربحها لأجلنا .

١١

فهم الذات و بذل الذات

إن الصليب يُثَوِّرُ revolutionizes موقفنا من أنفسنا مثلما يثور موقفنا من الله.

و هكذا فإن جماعة الصليب ، بالإضافة الى أنها جماعة الاحتفال ، هي جماعة فهم الذات أيضا . يبدو هذا بمثابة ارتداد الى الفردية . لكن هذا لا يجوز نظرا الى أن الغرض من فهم الذات هو بذل الذات . فكيف يعطي المرء شيئا لا يعرف أنه يملكه ؟ هذا ما يجعل بحث المرء عن هويته أمرا جوهريا.

من نحن إذا ؟ ماذا يجب أن تكون فكرتنا عن أنفسنا ؟ ما الموقف الذي يجب أن نتخذه تجاه أنفسنا ؟ لايمكن تقديم جواب شاف لهذه الأسئلة دون الرجوع الى الصليب

من الشائع نسبيا اليوم رسم صورة ـ ذاتية تنم عن الاستصغار . فكثيرون من الناس يعانون من مشاعر بالنقص تصيبهم بالشلل . في بعض الأحيان تنشأ هذه المشاعر من الحرمان في أيام الطفولة ، وأحيانا من مأساة أكثر حداثة ، سببها كون المرء غير محبوب أو غير مرغوب فيه. إن ضغوط المجتمع التنافسي تزيد الأمور سوءا ، والمؤثرات العصرية الأخرى تزيدها سوءا على سوء . حيثما يعاني الناس من الظلم الاقتصادي أو السياسي ، يشعرون بانحطاط قدرهم . وبوسع الغبن بسبب العرق والجنس أو المأساة الناجمة عن إعلام المرء بأنه فائض عن الحاجة أن يقوض أي ثقة بالنفس يملكها المرء . إن التقنية تنزل مرتبة الانسان كما عبر عن ذلك توينبي Toynbee ، " الى أرقام متسلسلة مثقبة على بطاقة مصممة بحيث تمر عبر أمعاء الحاسوب computer ". وفي هذه الأثناء يخبرنا علماء السلوك ethologists ، من أمثال ديسموند موريس Desmond Morris أننا لسنا سوى حيوانات ، ويخبرنا السلوكيون من أمثال ب. ف. سكينر B. F. Skinner أننا لسنا

سوى آلات ، مبرمجة لتعطي إجابات آلية ردا على مؤثرات خارجية. فلا عجب أن يشعر كثيرون من الناس اليوم بأنهم أشياء تافهة عديمة القيمة .

في رد فعل مبالغ فيه على هذه المجموعة من المؤثرات توجد في الاتجاه المعاكس حركة رائجة هي "الإمكانية البشرية". وصيحتها " كن ذاتك ، عبر عن ذاتك ، حقق ذاتك". إنها تؤكد "قوة التفكير الإيجابي" ، الى جانب تأكيدها على الحاجة الى " إمكانية التفكير" و " المواقف العقلية الإيجابية ". فالى جانب الرغبة في بناء تقييم الذات الجديرة بالثناء ، تعطي انطباعا بأن إمكانتنا للتطور هي في الواقع لا محدودة . لقد نشأ أدب كامل حول هذا المفهوم ، وصفه خير وصف ووثق له الدكتور بول فيتس Paul Vitz في كتابه *علم النفس كديانة* *Psychology as Religion*: *دين [بدعة] عبادة الذات* *The Cult of Self-worship*. كتب يقول " لقد أصبح علم النفس دينا ، وعلى الخصوص شكلا من الانسانية العلمانية مؤسس على عبادة الذات" (ص ٩). وهو يبدأ بتحليل أشهر أربعة من أصحاب نظريات الذات، وهم أريك فروم Erich Fromm و كارل روجرز Carl Rogers و أبراهام ماسلو Abraham Maslow و رولو ماي Rollo May ، وجميعهم ، على اختلاف نزعاتهم و خصائصهم يعلمون الصلاح المتأصل في الطبيعة البشرية ، وما يترتب على ذلك من حاجة الى احترام للذات بلاحدود ، وإدراك للذات ، وتحقيق للذات . لقد راجت نظريات ـ الذات هذه بفضل "تحليل لطريقة التعامل" (" إنني بخير؛ فانت بخير") وبفضل حلقة إرهارد الدراسية للتدريب التي يدعوها الدكتور فيتز بحق " تأليه للذات حرفي مدهش" (ص٣١ وماليليها). كذلك يستشهد بإعلان في مجلة *علم النفس اليوم* كإيضاح للرطانة الذاتية: "أنا أحب ذاتي. لست مغرورا. أنا مجرد صديق طيب لذاتي . أود أن أفعل كل ما يجعلني أشعر أنني على ما يرام ...." (ص٦٢) . هذا الانهماك في الذات أحيط به إحاطة تامة في ليمريكية* :

ذات مرة كان هناك كائن خرافي يدعى نرجس،
ظن نفسه جميلا جدا ؛
وراح يحدق كساذج مخدوع
في صورته المنعكسة على صفحة ماء البركة ،
وما تزال حماقته معنا اليوم .[١]

---

* ليمركية : قصيدة فكاهية خماسية الأبيات (قاموس المورد) [المترجم]

[١] اقتبسها جون بيبر John Pipper من كلية بيت ايل في مينيابوليس في مقال نشر عام ١٩٧٧ في مجلة *المسيحية اليوم* *Christianity Today* بعنوان : " هل محبة الذات كتابية ؟ "

يبدو ، لسؤ الحظ ، أن كثيرين من المسيحيين قد سمحوا لهذه الحركة بأن تمتصهم ، تحت انطباع زائف بأن الوصية الموسوية التي صادق عليها يسوع ، وهي أن علينا أن نحب قريبنا كأنفسنا هي وصية بأن نحب أنفسنا كما نحب قريبنا. لكنها بالحقيقة ليست كذلك . ويمكن أن تقدم ثلاث حجج لإثبات ذلك .

أولا، من الوجهة النحوية، لم يقل يسوع "الوصية الأولى هي أحب الرب إلهك ، والثانية أحب قريبك والثالثة أحب نفسك". لقد تكلم فقط عن الوصية العظمى الأولى ، وعن الوصية الثانية التي مثلها. إن إضافة " كنفسك" تزودنا بدليل عملي و ميسر لمحبة القريب ، لأنه "لم يبغض أحد جسده قط" (أف٥:٢٩). فهي من هذه الناحية تشبه القاعدة الذهبية "اعمل للآخرين ما تريدهم ان يعملوه لك" (متى٧:١٢). معظمنا نحب نفسنا . هكذا نعرف كيف نود أن نُعامَل ، وهذا سوف يقول لنا كيف يجب أن نعامل الآخرين . إن محبة ـ الذات ليست فضيلة تمدح ، بل حقيقة يجب الإقرار بها ، وقاعدة يجب الاستفادة منها.

ثانيا ، من الوجهة اللغوية ، إن الفعل *أغاباو* ومصدره محبة *أغابه* ، وتعني التضحية بالنفس لخدمة الآخرين . فلا يمكن أن تكون موجهة نحو الذات . إن فكرة التضحية بنفوسنا لكي نخدم نفوسنا فكرة لامعنى لها.

ثالثا ، من الوجهة اللاهوتية ، محبة الذات هي الخطية بحسب الفهم الكتابي للخطية . الخطية هي أن يكون المرء منكمشا على ذاته (حسب تعبير لوثر). إن إحدى علامات "الأيام الأخيرة" هي أن الناس سوف يكونون محبين لذاتهم عوضا عن أن يكونوا "محبين لله" (٢ تي٣:١-٥). وسوف تتجه محبتهم اتجاها خاطئا أي الى الذات عوضا عن التوجه الى الله والى القريب .

فكيف إذا ننظر الى أنفسنا ؟ كيف يمكن أن ننبذ الموقفين المتطرفين وهما حب الذات وبغض الذات ، دون أن نحتقر أنفسنا أو نطريها ؟ كيف نستطيع أن نتجنب تقدير الذات المتدني جدا أو المرتفع جدا و نطيع بدلا من ذلك نصيحة بولس لنا "ارتئوا إلى التعقل" [انظروا الى نفوسكم بتعقلNIV] (رو١٢:٣) ؟ إن صليب المسيح يزودنا بالجواب إذ يدعونا في آن واحد الى نكران الذات وتوكيد الذات. ولكن قبل أن نصبح في موقف يمكننا من تأمل هاتين النصيحتين المتنامتين ، يخبرنا الصليب أننا الآن شعب جديد لأننا قد متنا مع المسيح و قمنا معه .

ففي هذا المجال ينبغي أن يدعى موت المسيح بحق "تمثيليا" representative بالإضافة الى انه "بدلي".

"البديل" هو من يتصرف بدلا من شخص آخر بحيث يشمل الآخر في تصرفه. وهكذا فإن شخصا خدم في الماضي في الجيش (لقاء أجر) نيابة عن مجند إلزامي كان يعد "بديلا" . وكذلك لاعب كرة القدم الذي يلعب بدلا من لاعب آخر أصيب بأذى . فالمجند واللاعب المصاب غير ناشطين الآن ، إذ قد استبدلا.

إلا أن وكيلا يخدم كممثل لشركته ، يفوض بأن يتصرف نيابة عنها. إنه لا يتكلم بدلا من الشركة ، بل لأجل مصلحتها. والشركة ملتزمة بما يقوله ويفعله .

على غرار ذلك فإن المسيح بصفته بديلنا قد فعل لأجلنا ما لم نكن أبدا قادرين على القيام به بأنفسنا . لقد حمل خطايانا ودينونتنا . ولكنه كممثل عنا قام بما قمنا به نحن لكوننا متحدين معه: لقد متنا وقمنا معه.

يأتي شرح بولس لهذا الموضوع ، وهو شرح موسع جدا وغير عادي وعجيب ، في مطلع رومية ٦.[٢] أما المناسبة التي جعلت بولس يقدم هذا الشرح فهي الاقتراح الشرير الذي مفاده أنه لما كان ازدياد الخطية يؤدي الى ازدياد النعمة أكثر جدا ، فلا مانع إذا من أن نستمر في الخطية ، بحيث تكثر النعمة (٥:٢٠-٦:١) . لكن بولس يرفض الفكرة ساخطا ، لسبب بسيط وهو أننا "متنا عن الخطية" ولذلك لا نستطيع أن نعيش فيها فيما بعد (٦:٢). فمتى حدث ذلك الموت ؟ لدى معموديتنا: " أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته ؟ فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات لمجد الآب ، هكذا نسلك نحن أيضا في جدة الحياة " (٦: ٣-٤). فالمعمودية أيضا تمثل بصورة منظورة اشتراكنا في موت يسوع وقيامته . ولهذا يمكن أن يقال أننا "متنا عن الخطية" ، بحيث يجب ألا نعيش فيها بعد.

إن القطعة الناقصة في أحجية الصور المقطوعة هي أن موت المسيح (الذي اشتركنا فيه بالإيمان باطنيا وبالمعمودية ظاهريا) كان موتا عن الخطية : "الموت الذي ماته ماته للخطية مرة واحدة ؛ والحياة التي يحياها فيحياها لله " (الآية١٠). هناك معنى واحد يمكن أن يقال بموجبه أن يسوع "مات للخطية " ، وهو أنه حمل عقوبتها ، نظرا الى أن " أجرة الخطية موت" (الآية ٢٣) . فبعد أن دفع أجرة الخطية (أو حمل عقوبتها) بالموت ، قام الى جدة الحياة . هكذا نحن ، باتحادنا معه. نحن أيضا متنا للخطية ، لابمعنى أننا شخصيا دفعنا عقوبتها (فالمسيح فعل ذلك عوضا عنا ، بدلامنا) ، ولكن بمعنى أننا اشتركنا في فائدة موته . ولما كانت عقوبة

[٢] رو ٦:١-١٤ ؛ قارن غل ٢:٢٠ ؛ كو ٢:٢٠ و ٣:١-١٤ ؛ ٢ كو ٥:١٤-١٥

الخطية قد حملت ودينها قد سدد ، فقد تخلصنا من الحمل المرعب الا وهو حمل الذنب والإدانة . وقد قمنا مع المسيح الى جدة الحياة ، وتركنا خلفنا مسألة الخطية التي تمت معالجتها . فكيف إذا يمكن أن نستمر في العيش في الخطية التي متنا عنها ؟ ليس هذا غير ممكن ، لأنه ما يزال من الضروري أن نأخذ احتياطاتنا لكي لا ندع الخطية تسود في داخلنا (الآيات١٢-١٤) . لكن ذلك أمر لا يمكن تصوره ، لأنه يتنافر مع حقيقة موتنا وقيامتنا مع يسوع . إن الموت والقيامة هما اللذان فصلانا عن حياتنا القديمة ؛ فكيف نستطيع على الإطلاق أن نفكر في العودة إليها ؟ ولهذا علينا أن "نحسب" أو "نعد" أنفسنا "أمواتا عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع" (الآية١١). هذا لايعني أنه علينا أن نزعم أننا متنا عن الخطية وقمنا لله في حين أننا نعرف جيدا أننا لم نفعل ذلك . الأمر على العكس ، فنحن نعرف أننا ، باتحادنا بالمسيح ، قد شاركنا في موته وقيامته ، وهكذا متنا نحن عن الخطية وقمنا لله ؛ لذا يجب علينا باستمرار أن نتذكر هذه الحقيقة ونحيا حياة تنسجم معها . لقد عبر وليم تنداال William Tyndale عن هذا بتعابير مفعمة بالحيوية بصورة متميزة في ختام مقدمة تفسيره لرسالة رومية:

والآن اذهب أيها القارىء ، وبحسب ترتيب كتابة بولس افعل هكذا ... تذكر أن المسيح لم يقم بهذه الكفارة لكي تغضب الله مرة أخرى ؛ ولم يمت هو لأجل خطاياك ، لكي تظل تعيش فيها ؛ و لم يطهرك لكي تعود ، كخنزير ، الى الحمأة القديمة ، مرة أخرى ؛ بل لكي تكون خليقة جديدة ، وتحيا حياة جديدة بحسب إرادة الله وليس بحسب الجسد.[٣]

لقد أدرك بارت الطبيعة الراديكالية لهذا التعليم ولمح إليها في الجزء الذي كتبه حول التبرير . " إن الحكم بالموت الذي نفذ كحكم إلهي بموت المسيح هو... إنني أنا رجل الخطية ، وأن رجل الخطية هذا ، وبالتالي أنا نفسي سمرت بالصليب وصلبت (بقوة ذبيحة وطاعة يسوع المسيح عوضا عني) ، لكي أدمر بناء على ذلك واستبدل . .." هذا هو الجانب السلبي في التبرير. ولكن" بالدينونة نفسها التي يتهمنا الله بها ويديننا كخطاة ويسلمنا الى الموت ، يسامحنا ويجعلنا في حياة جديدة قدامه ومعه" . وهذان الأمران متلازمان ، "موتنا الحقيقي وحياتنا الحقيقية بعد الموت" ،

---

3 William Tyndale, *Doctrinal Treatises* , p. 510.

التدمير بالموت والاستبدال بالقيامة ، ألـ " لا " و الـ " نعم" اللتان يقولهما اللـه للشخص نفسه.[٤]

فإذا سلمنا بهذه الحقيقة الأساسية التي تنطبق على كل الذين في المسيح، أي أننا متنا وقمنا معه، بحيث أن حياتنا القديمة التي هي حياة الخطية، والذنب والخزي قد وضعت لها نهاية وبدأت حياة جديدة تماما ، هي حياة القداسة والغفران والحرية ، فكيف يجب أن يكون موقفنا من ذاتنا الجديدة ؟ ونظرا إلى أن ذاتنا الجديدة ما تزال ساقطة ، مع أنها مفدية ، فسيكون من الضروري اتخاذ موقف مزدوج ، أي نكران الذات و توكيد الذات ، اللذين يلقي الصليب ضوءا عليهما كليهما .

نكران الذات

أولا، الدعوة الى نكران الذات . دعوة يسوع واضحة: "إن أراد أحد أن يأتي ورائي ، فينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني" (مر٨:٣٤) . كان يسوع منذ لحظات قد تنبأ بوضوح لأول مرة بآلامه وموته . فقال أنه "ينبغي" أن يحدث ذلك له (الآية٣١). ولكنه الآن يعبربصورة واضحة عن "ينبغي" لأجل اتباعه أيضا. ينبغي عليه أن يذهب الى الصليب ؛ وينبغي عليهم أن يحملوا صليبهم ويتبعوه . بالحقيقة ينبغي أن يفعلوا ذلك " كل يوم". وكما يفيد القول المضاد السلبي ، إن كان أحد لا يحمل صليبه ويتبعه لا يستحق أن يكون له تلميذا ولن يكون له تلميذا.[٥] وفي هذه الحال يستطيع المرء أن يقول، إن كل مسيحي هو سمعان القيرواني وباراباس معا. فنحن ننجو من الصليب كما نجا باراباس ، لأن المسيح مات عوضا عنا . ونحن نحمل الصليب كما حمله سمعان القيرواني لأنه يدعونا الى حمل الصليب واتّباعه (مر ١٥:٢١)

لقد جعل الرومان من الصلب مشهدا مألوفا في مستعمراتهم ، ولم تستثن فلسطين من ذلك . كان كل متمرد محكوم بالصلب مجبرا على حمل صليبه ، أو حمل *عارضة الصليب* على الأقل ، الى الموقع الذي سيصلب فيه . كتب بلوتارك " إن كل مجرم محكوم بالموت يحمل صليبه على ظهره ".[٦] وهكذا كتب يوحنا عن يسوع أنه "خرج وهو حامل صليبه الى موضع الجمجمة " (يو١٩:١٧). فمعنى حملنا لصليبنا

---

[4] K Barth, *Church Dogmatics*, IV . 1, pp. 515-516, 543.

[٥] لو ٩:٢٣ ؛ مت ١٠:٣٨ ؛ لو ١٤:٢٧

[6] Quoted by Martin Hengel in *Crucifixion*, p. 77

واتباع يسوع ، إذا ، هو "أن يضع المرء نفسه في وضع الانسان المحكوم عليه وهو في طريقه الى تنفيذ حكم الإعدام".[7] وكما عبر بونهوفر عن ذلك ، "عندما يدعو المسيح إنسانا ، يأمره بأن يأتي ويموت ".[8] إن "صليبنا " إذا ، ليس زوجا نزقا أو زوجة مشاكسة . إنه بدلا من ذلك رمز الموت عن الذات.

مع أن يسوع ربما كان يفكر بإمكانية الاستشهاد ، فإن الطبيعة العامة لدعوته ("إن أراد أحد...") توحي بتطبيق أوسع . من المؤكد أن يسوع ، حين استخدم هذه الصورة المجازية المفعمة بالحيوية ، إنما كان يصف نكران الذات . إن إنكار ذواتنا هو أن نتصرف نحو أنفسنا كما تصرف بطرس نحو يسوع عندما أنكره ثلاث مرات . الفعل المستخدم هو(*أبارنيومي*). لقد تبرأ منه وأنكره وأدار له القفا. ليس نكران النفس هو أن ننكر على أنفسنا وسائل الترف كالشوكولاته والكعك ، ولفافات التبغ ، والكوكتيل (مع أنه قد يتضمن ذلك) ؛ إنه يعني في الواقع إنكار ذواتنا والتبرؤ منها ونبذ حقنا المفترض في السير في الطريق الذي اخترناه . "إن إنكار المرء لنفسه هو... الرجوع عن صنمية التمركز حول الذات." [9] ولا بد أن بولس كان يشير الى الأمر نفسه عندما كتب وبيَّنَ أن أولئك الذين للمسيح "قد صلبوا الطبيعة الخاطئة مع شهواتها ورغباتها" (غل٥:٢٤). ما من صورة يمكن أن تكون نابضة بالحياة أكثر من الصورة التالية: القيام فعلا بتناول مطرقة ثم تسمير طبيعتنا ، الساقطة القابلة للانزلاق ، على الصليب وهكذا نميتها . الكلمة التقليدية المستعملة لوصف هذه العملية هي "الإماتة " ؛ إنها التصميم المؤكد بقوة الروح القدس على "إماتة أعمال الجسد" ، حتى نتمكن عن طريق هذا الموت من العيش بألفة مع الله .[10]

في الواقع يكتب بولس في رسائله عن ثلاثة أنواع من الموت وثلاثة أنواع من القيامة ، هي جزء أساسي من خبرتنا الروحية . وينشأ الكثير من التشويش عندما نفشل في التمييز بينها. أول نوع هو الموت عن الخطية (وهو ما وصفناه آنفا) والحياة لله التي تعقب ذلك الموت ، وهذا الأمر يحدث لجميع المسيحيين* بحكم

---

[7] H. B. Swete, *St Mark*, p. 172

[8] Dietrich Bonhoeffer, *Cost of Discipleship*, p. 79

[9] C. E. B. Cranfield in his *Mark*, p. 281.

[10] رو ٨:١٣ قارن كو ٣:٥ ؛ ابط ٢:٢٤

* أي المسيحيين الحقيقيين وليس الاسميين . [المترجم]

اتحادنا مع المسيح في موته وقيامته . وبهذا نشارك في فوائد موت المسيح (غفرانـه) وفوائد قيامته (قوتها) . وهذا أمر في صلب اهتدائنا / معموديتنا.

النوع الثاني هو الموت عن الذات ، ويسمى باسماء متنوعة ، حمل الصليب ، أو انكار الذات ، أو صلب الذات ، أو إماتتها . نتيجة لذلك نحيا حياة الألفة مع اللـه. ليس هذا الموت شيئا جرى لنا و نؤمر الآن بأن " نحسبه "، أو نتذكره ، بل شيئا ينبغي أن نقوم به نحن أنفسنا بتعمد ، مع أن ذلك يتم بقوة الروح القدس ، فنميت طبيعتنا القديمة . بالحقيقة جميع المسيحيين قاموا بـه ، بمعنـى أنـه جانب جوهري من توبتنا الأصلية والمستمرة ولا نستطيع أن نكون تلاميذ المسيح من دونـه . ولكن علينا أن نحتفظ بهذا الموقف أي ، حمل الصليب يوميا.

النوع الثالث من الموت والقيامة ذكرته في الفصل التاسع . إنـه التجول بإماتة يسوع في أجسادنا ، بحيث تظهر حياة يسوع في أجسادنا (٢كو٤: ٩-١٠) . ومن الواضح أن الميدان الذي يتم فيه هذا هو أجسادنا . وهو يشير الى ضعفهـا و اضطهادها وفنائيتهـا . ففي هذا الصدد استطاع بولس أن يقول "أموت كل يوم" (١كو١٥: ٣٠-٣١) وكذلك "إننا نمات كل النهار" (رو٨: ٣٦) . فالموت هشاشة بدنية مستمرة . ولكن بعده تأتي القيامة ، أي الحيوية الباطنية أو الجدة المستمدة من حياة يسوع في داخلنا ، وهذه القيامة مستمرة أيضا (٢كو ٤: ١٦) .

نلخص فنقول ، الموت الأول *شرعي* ؛ إنه موت عن الخطية عن طريق الاتحاد بالمسيح في موته للخطية (حاملا عقوبتها) ، والقيامة معـه الناتجة عن ذلك الموت تقود الى حياة جديدة هي حياة الحرية التي ينعم بها الخطاة المبررون . الموت الثاني *أخلاقي* . إنه موت عن الذات إذ نميت طبيعتنا القديمة و رغباتها الشريرة ، والقيامة التي تتبع ذلك الموت تؤدي الى حياة جديدة هي حياة البر في إلفة مع اللـه . الموت الثالث هو موت *بدني* ، إنه موت من جهة الأمان ، "تسلم للموت من أجل يسوع" ، والقيامة الموافقة لذلك هي قوة يسوع التي يجعلها كاملة في ضعفنا . كان الموت الشرعي "موتا عن الخطية مرة واحدة "، ولكن الموت الأخلاقي والموت البدني خبرتان يوميتان ــ بل ومستمرتان ــ لأجل التلاميذ المسيحيين.

لست أدري كيف استجاب قرائي حتى الآن ولاسيما للتأكيد على موت الذات ، أو بالأحرى "قتلها بصلبها أو إماتتها ؟ أتوقع (وأرجو) أن تكون قد شعرت بالقلق الذي تولده الإماتة . لقد عبرت عن موقف سلبي تجاه الذات الى درجة أنني أكاد

معها أبدو وكأنني انحزت الى البيروقراطيين و التكنوقراطيين والإيثولوجيين* ethologists والسلوكيين ، في الحط من قدر الانسان . وليس هذا ناجما عن كون ما كتبته غير صحيح (لأن يسوع هو الذي أمرنا بأن نحمل صليبنا ونتبعه الى الموت) ، ولكنه ناجم عن أنه يمثل جانبا فقط من الحقيقة . إنه يفيد ضمنا أن ذاتنا رديئة بجملتها، وبناء على ذلك يجب أن تُنْكَرَ بجملتها، وأن "تصلب" في الواقع.

توكيد الذات

لكن ينبغي ألا نهمل الطاق الآخر من الحبل في الكتاب المقدس . فإلى جانب دعوة يسوع الصريحة الى إنكار الذات توجد دعوته الصريحة الى توكيد الذات (وهو ليس أبدا محبة الذات) . ولا يمكن لأي امرء قرأ الأناجيل كلها أن يخرج بانطباع مفاده أنه كان لدى يسوع نفسه موقف سلبي نحو البشر ، أو أنه شجع موقفا كهذا لدى تلاميذه . فالحال بعكس ذلك.

فكر أولا في *تعليمه* فيما يختص بالناس . صحيح أنه لفت الانتباه الى الشر والى الأشياء البشعة التي تخرج من القلب البشري (مر٧: ٢١-٢٣). إلا أنه ، تكلم أيضا عن "قيمة" البشر في نظر الله . فقال إنهم " أثمن بكثير" من العصافير والبهائم.[١١] ماذا كان أساس هذا التقييم ؟ لا بد أنه كان تعليم الخَلْق ، الذي اقتبسه يسوع من العهد القديم ، أي أن البشر هم تاج فعالية الله الخلاقة ، وأنه خلق الانسان ذكرا وأنثى على صورته خلقهم . فالصورة الإلهية التي نحملها تعطينا قيمتنا المميزة . في كتيبه القيم *المسيحي ينظر الى نفسه* *The Christian Looks at Himself* يقتبس الدكتور أنتوني هوكيما Dr Anthony Hoekema من شاب أسود أميريكي ، أراد أن يعبر عن تمرده على مشاعر النقص التي غرسها البيض في نفسه ، فعلق هذا الشعار في غرفته "إنني أنا و أنا صالح لأن الله لا يخلق شيئا تافها " (ص١٥). ربما كان هذا الشعار رديئا بحسب قواعد النحو والصرف* ، لكنه كان لاهوتا جيدا.

---

* ethology : فرع من العلم يبحث في القيم الانسانية و تكونها و تطورها (قاموس المورد) [المترجم]

[١١] مت ٦: ٢٦ ؛ ١٢:١٢

* ينطبق هذا على النص الانكليزي . [المترجم]

ثانيا، كان هناك *موقف* يسوع من الناس . إنه لم يحتقر أحدا، ولم يتبرا مـن أحـد. ما فعله هو العكس ، فقد تقصد ان يكرم أولئك الذيـن احتقرهـم العـالم و يقبـل أولئـك الذين رفضهم العالم . وتكلم باحترام مع النسـاء أمـام المـلأ. ودعـا الأولاد الصغـار ليأتوا إليه . وكلم السامريين والأمم كلمات تبعث الرجاء . وسمح للذيـن يعـانون مـن البـرص بـأن يقـتربوا منـه ، وسـمح لزانيـة بـأن تمسـح قدميـه وتقبلهمــا . وصـــادق المنبوذين في المجتمع ، وخدم الفقراء والجياع. في كل ضروب هذه الخدمة ، ظهـر جليا احترامه الرؤوف بالبشـر. لقد أقر بقيمتهـم ، وأحبهـم ، وبمحبتـه لهـم زاد مـن قدرهم .

ثالثا ، يجب أن نذكر بخاصة ، *إرسالية* يسوع *وموته* لأجل البشر. قال يسوع أنه قد جاء لكي يَخْدُمَ ، وليس لكي يُخْدَمَ ، وليبذل نفسـه فديـة عـن كثـيرين . لا شـيء يمكن أن يوضح بجلاء الأهمية العظيمة التي منحها يسوع للناس أكثر مما يوضحـهـا تصميمه على التألم والموت لأجلهم . كان هو الراعي الصالح الذي جاء الى البرية ، متحملا المشقات بشجاعة ، ومعرضـا نفسـه للخطـر لكـي يطلـب ويخلـص خروفـا ضالا واحدا. حقا ، لقد بذل حياته لأجل الخـراف . فعندمـا ننظـر الـى الصليـب فقـط نرى القيمة الحقيقية للبشر. وهذا ما عبر عنه وليم تامبل ، إن "قيمتي هي ما أسـاويه في نظر الله ، وإنها لقيمة كبيرة جدا ومدهشة ، لأن المسيح مات لأجلي".[١٢]

رأينـا حتـى الآن أن صليـب المسيح هـو البرهـان علــى قيمــة الـذات الانســانية وصورة عن الكيفية التي يمكن بها نكـران هـذه الـذات أو صلبهـا . فكيـف نحـل هـذا التناقض الظاهري الكتابي ؟ كيف يمكن أن نقدر أنفسنا تقديرا عاليا وننكر أنفسنا في وقت واحد ؟

ينشأ هذا السؤال لأننا نناقش مواقفنا من أنفسنا ونطور مواقف بديلة قبل أن نكون قد حددنا الـ "ذات" التـي نتحـدث عنهـا . ليسـت "ذاتنـا" كينونـة بسيطـة إمـا أن تكـون صالحة كلها أوشريرة كلها ، ومن ثم إما أن تقدر بكاملها أوتنكر بكاملها . لكن ذاتنـا كينونـة معقدة من الخير والشر، من المجد والخزي ، وتتطلب بناء على هذا الوصـف أن نطور تجاهها مواقف أكثر تفهما.

ما نحن عليه (ذاتنا أو هويتنا الشخصية) هو جزئيـا نتيجـة للخلـق(صـورة اللـه) ، كما أنه جزئيا نتيجة السقوط (الصورة المشوهة). إن الذات التـي ينبغـي أن ننكرهـا و نتبرأ منها ونصلبها ، هي ذاتنا الساقطة أي كل شيء فينا يتنافى مع يسوع المسيح

[12] William Temple , *Citizen and Churchman* , p. 74.

(ومن هنا جاء أمره " لينكر *نفسه*" وبعدئذ " ليتبعني *أنا* ").الذات التي علينا أن نؤكدها ونقدرها هي ذاتنا المخلوقة ، أي كل شيء فينا ينسجم مع يسوع المسيح (من هنا جاء قوله إننا إذا خسرنا ذواتنا عن طريق نكران النفس فلسوف نجد ذواتنا). إن إنكار النفس الحقيقي (إنكار ذاتنا الساقطة الزائفة) ليس هو الطريق الى تدمير النفس بل هو الطريق الى اكتشاف ـ الذات.

هكذا إذا ، كل ما نحن عليه بالخلق ينبغي أن نؤكده : عقلانيتنا ، إحساسنا بالالتزام الأخلاقي ، جنسيانيتنا sexuality (سواء أكانت ذكورة أم أنوثة) ، حياتنا العائلية ، مواهبنا للتقدير الجمالي والإبداع الفني ، وكالتنا على أرضنا المثمرة ، جوعنا الى المحبة وخبرتنا الجماعية ، وإدراكنا لجلال الله الفائق ، ورغبتنا الملحة الفطرية في أن نركع ونعبده . كل هذا وأكثر منه هو جزء من انسانيتنا المخلوقة. حقا لقد تلوثت وانحرفت بالخطية . مع ذلك أتى المسيح ليفديها، لا ليدمرها. وهكذا يجب أن نؤكدها بصورة إيجابية وبامتنان .

أما ما نحن عليه بالسقوط ، فهذا يجب أن ننكره أو نتبرأمنه : لاعقلانيتنا ، انحرافنا الأخلاقي ، تعميتنا للفروق الجنسية وافتقارنا الى ضبط النفس الجنسي ، أنانيتنا التي تفسد حياتنا العائلية ، افتتاننا بما هو قبيح ، رفضنا الكسول لتطوير المواهب الممنوحة لنا من الله ، تلويثنا للبيئة وسؤ استغلالنا لها ، الميول المضادة للمجتمع التي تحول دون إقامة مجتمع حقيقي ، استقلالنا المتكبر ورفضنا الصنمي أن نعبد الإله الحي الحقيقي. كل هذا (وأكثر منه) هو جزء من انسانيتنا الساقطة. إن المسيح لم يأت ليفدي هذا الجزء بل ليدمره وهكذا ينبغي علينا أن ننكره بنشاط أو نتبرأ منه .

لقد تعمدت حتى الآن أن أفرط في تبسيط المفارقة بين الخلقانية createdness والسقوطية fallenness . وتحتاج الصورة الآن الى تعديل ، وبالحقيقة الى إغناء بطريقتين . وكلا الطريقتين في الإغناء ناتجة عن دخول فداء المسيح الى المسرح البشري . فلا يجوز بعد الآن أن يفكر المسيحيون بأنفسهم كـ " مخلوقين وساقطين" فقط ؛ بل بالأحرى كـ " مخلوقين وساقطين ومفديين". وإقحام هذا العنصر الجديد يعطينا شيئا إضافيا نؤكده وشيئا إضافيا ننكره .

أولا ، هناك شيء إضافي نؤكده . فنحن لم نخلق في صورة الله فحسب ، لكننا خلقنا فيها من جديد ، إن عمل نعمة الله فينا ، الذي يصور بأشكال متنوعة في العهد الجديد كـ" تجديد regeneration " و " قيامة " و" فداء " إلخ...هو بصورة

جوهرية خلق من جديد. إن ذاتنا الجديدة " خلقت لنكون مشابهين لله في البر والقداسة " وهي " تتجدد في المعرفة حسب صورة خالقها " . بالحقيقة إن كل شخص في المسيح " هو خليقة جديدة ".[١٣] هذا يعني أن ذهننا وخلقنا وعلاقاتنا كلها في طور تجدد . نحن أولاد الله ، وتلاميذ المسيح ، وهيكل الروح القدس . ننتمي الى الجماعة الجديدة التي هي عائلة الله . والروح القدس يغنينا بالثمر والمواهب . ونحن ورثة الله ، نتطلع الى الأمام بثقة الى المجد الذي سيستعلن ذات يوم . إن صيرورة الانسان مسيحيا خبرة مُغَيِّرَةٌ . وهي إذ تغيرنا ، تغير صورتنا عن الذات . عندنا الآن أكثر جدا مما كان لدينا لنؤكده ، ليس بتكبر بل بامتنان . الدكتور هوكيما على حق عندما يفعل هذاالأمر الرئيس الذي يؤكده في كتابه ، *المسيحي ينظر الى نفسه* . و هو يذكر ترنيمة " تحت صليب يسوع " التي هي ، من عدة أوجه ، ترنيمة رائعة ومؤثرة . لكنه لا يذكر ختام أحد الأبيات وهو التالي:

ومن قلبي المسحوق بالدموع
اعترف بأمرين عجيبين –
عجب محبته المجيدة ،
وعدم قيمتي أنا.

فالدكتور هوكيما يعترض بقوله كلا ثم كلا . لا نستطيع أن نرنم تلك العبارة . إن تعبير " وعدم جدارتي" سوف يعبر عن الحقيقة ، ولكن تعبير " عدم قيمتي أنا " لن يعبر عنها (ص٢٦) . فكيف نستطيع أن نصرح عن شيء بأنه " عديم القيمة " في حين أن يسوع المسيح قد صرح بأنه " ذو قيمة " ؟ فهل كون المرء ولدا لله ، وعضوا في جسد المسيح ووريثا لملكوت السموات أمر "عديم القيمة " ؟ ما صرناه في المسيح إذا ، هو جزء حيوي من توكيد الذات ، الذي هو بالحقيقة توكيد لنعمة الله خالقنا وفادينا. " إن الأساس الجوهري لصورة الذات الإيجابية يجب أن يكون قبول الله لنا في المسيح " (ص١٠٢) .

ثانيا ، لدى المسيحيين شيء إضافي ينكرونه مثلما لديهم شيء إضافي يؤكدونه . لقد اقتصرت حتى الآن على ذكر أن سقوطيتنا متضمنة في ما يجب أن ينكر . إلا

---

[١٣] أف ٤:٢٤ ؛ كو ٣:١٠ ؛ ٢كو ٥:١٧

أن الله في ، بعض الأحيان ، يدعونا لننكر على أنفسنا أشياء تقف في طريق فعلنا إرادته من نحونا بخاصة ، مع أن هذه الأشياء ليست خاطئة بحد ذاتها أو يمكن أن تعزى الى السقوط . لهذا كان على يسوع أن ينكر نفسه مع أن انسانيته كانت كاملة وغير ساقطة . يقول لنا الكتاب أنه ، " لم يعتبر مساواته بالله شيئا ينبغي التمسك به" ، أي شيئا يمكن التمتع به بأنانية (في٢:٦حسب NIV) . لقد كانت هذه المساواة بحوزته من قبل . فهو" لم يجعل نفسه معادلا لله" كما اتهمه ناقدوه رسميا (يو٥:١٨)، لقد كان معادلا لله بصورة أزلية ، بحيث كان والآب "واحدا " (يو١٠:٣٠). مع ذلك لم يتشبث بامتيازات مكانته . وبدلا من ذلك " أخلى نفسه " من مجده . غير أن السبب الذي جعله يتخلى عن مجده ليس لأن هذا المجد ليس من حقه ، بل لأنه لم يكن باستطاعة يسوع أن يحتفظ به ويتمم في الوقت نفسه ما قدر عليه بوصفه مسيا الله ووسيطه . لقد ذهب الى الصليب منكرا نفسه ، ومن الطبيعي أن ذلك لم يكن بسبب قيامه بعمل يستحق الموت بل لإن هذه كانت إرادة الله من نحوه وفقا للكتاب المقدس ، وكان سيسلم نفسه طوعا لهذه الإرادة . لقد قاوم طوال حياته إغراء تجنب الصليب . وبحسب كلمات ماكس وارن Max Warren البارعة " كان المسيح يموت طوال حياته ".[١٤] لقد أنكر نفسه لكي يبذلها لأجلنا .

هذا المبدأ نفسه ينطبق على أتباع المسيح . كتب بولس ، " فليكن فيكم هذالفكر"، لأنه عرف الدعوة الى إنكار النفس بحكم خبرته الرسولية الخاصة . كانت له حقوق شرعية ، كالحق في الزواج مثلا والحصول على دعم مادي ، أنكرها على نفسه بتعمد لأنه آمن بأن تلك كانت إرادة الله من نحوه . كما كتب أيضا عن وجوب استعداد المسيحيين الناضجين للتخلي عن حقوقهم والحد من حرياتهم بحيث لايجعلون أخوتهم وأخواتهم الأقل نضجا يخطئون . وحتى اليوم يدعى بعض المسيحيين الى الامتناع عن الزواج ، أو الالتحاق بوظيفة مضمونة ، أو ترقية في العمل ، أو امتلاك بيت مريح في ضاحية صحية . لا لأن أيا من هذه المزايا خاطيء بحد ذاته بل لأنها تتعارض مع دعوة الله الخاصة لهم لكي يذهبوا الى ما وراء البحار ، أو يعيشوا في قلب المدينة أو يندمجوا بصورة أوثق مع الفقراء والجياع.

---

[14] M. A. C. Warren, *Interpreting the Cross*, p. 81.

ثمة ، إذا ، حاجة عظيمة الى التمييز فيما يتعلق بفهمنا للذات . من أنا ؟ ما هي ذاتي ؟ الجواب هو أنني دكتور جيكل ومسترهايد * ، غلام مرتبك ، أملك الكرامة والفساد معا ، الجلال لأنني خلقت ثم خلقت من جديد في صورة الله ، والفساد ، لأنني مازلت أملك طبيعة ساقطة عاصية . فأنا نبيل وحقير معا ، جميل و بشع ، صالح ورديء ، مستقيم ومنحرف ، صورة الله وولده ، ومع ذلك أقدم العبادة لإبليس الذي أنقذني المسيح من براثنه. ذاتي الحقيقية هي ما أنا بالخلق ، التي جاء المسيح ليفديها و ما أنا بالدعوة . ذاتي الزائفة هي ما أنا بالسقوط ، التي جاء المسيح ليدمرها.

لن نعرف الموقف الذي سنتخذه نحو كل منهما إلا بعد أن نكون قد عرفنا أي الذاتين تكمن في داخلنا . يجب أن نكون صادقين تجاه ذاتنا الحقيقية وغادرين تجاه ذاتنا الزائفة . يجب أن لا يعترنا أي خوف من أن نؤكد كل ما نحن إياه بالخلق ، والفداء والدعوة ، ومن أن ننكر بلا شفقة كل ما نحن إياه بالسقوط .

بالإضافة الى ذلك ، يعلمنا صليب المسيح عن الموقفين كليهما . فالصليب ، من جهة ، هو معيار القيمة لذاتنا الحقيقية المعطى لنا من الله ، نظرا الى أن المسيح أحبنا ومات لأجلنا . وهو من جهة أخرى النموذج لإنكار الذات الزائفة الذي وهبه الله لنا ، نظرا الى أن علينا أن نسمر هذه الذات بالصليب وهكذا نميتها . وبصورة أبسط فحينما نقف أمام الصليب نرى في آن واحد قيمتنا وعدم جدارتنا ، نظرا الى أننا ندرك في آن واحد عظمة محبته التي تجلت في موته وعظمة خطيتنا التي سببت موته .

المحبة المضحية بالذات

إن أيا من نكران ـ الذات (نكران خطايانا) وتوكيد الذات (تقدير هبات الله لنا) ليس طريقا مسدودا يفضي إليه الاستغراق في الذات . فكلاهما ، بالعكس ، وسيلة

---

* شخصيتان متغايرتان متجسدتان في شخص واحد كما تصوره رواية " قضية دكتور جيكل ومستر هايد الغريبة " تأليف روبرت ل. ستيفنسون . وقد نشرت عام (١٨٨٦) . يتمثل الخير في الدكتور جيكل و يتمثل الشر في مستر هايد ، ويستطيع الدكتور جيكل أن يتناول عقارا فيتحول إلى مستر هايد . Jekyll and Hyde , The World University Encyclopedia . Vol 6 . p. 2650 [المترجم]

للتضحية بالذات . ينبغي أن يؤدي فهم ـ الذات الى بذل ـ الذات . إن جماعة الصليب هي في الأساس جماعة المحبة التي تبذل ذاتها، معبرة عن ذلك بعبادة الله (التي كانت موضوعنا في الفصل السابق) وخدمة الآخرين (التي هي موضوعنا في ختام هذا الفصل) . الى هذه المحبة المضحية ـ بالذات يدعونا الصليب ، بصورة ثابتة ، وبإصرار.

لا تتجلى المفارقة بصورة درامية بين معايير الصليب ومعايير العالم مثلما تتجلى في طلب يعقوب ويوحنا وجواب يسوع لهما .

وتقدم إليه يعقوب و يوحنا ابنا زبدي قائلين : "يامعلم ، نريد أن تفعل لنا كل ما مانطلب ".

فقال لهما: "ماذا تريدان أن أفعل لكما ؟ "

فقالا: "أعطنا أن نجلس واحد عن يمينك والآخر عن يسارك في مجدك".

فقال لهما يسوع: "لستما تعلمان ما تطلبان . أتستطيعان أن تشربا الكأس التي أشربها أو أن تصطبغا [تعتمدا] بالصبغة [المعمودية] التي أصطبغ بها أنا ؟ "

أجابا : "نستطيع".

فقال لهما يسوع: "أما الكأس التي أشربها أنا فتشربانها وبالصبغة التي أصطبغ بها أنا تصطبغان ، أما الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه إلا للذين أعد لهم ."

فلما سمع العشرة هذا ابتدأوا يغتاظون من أجل يعقوب ويوحنا. فدعاهم يسوع معا وقال لهم ، " أنتم تعلمون أن الذين يحسبون رؤساء الأمم يسودونهم، وأن عظماءهم يتسلطون عليهم . فلا يكون هكذا فيكم . بل من أراد أن يصير فيكم عظيما فليكن لكم خادما ، ومن أراد أن يصير فيكم أولا فليكن للجميع عبدا. لأن ابن الانسان أيضا لم يأت ، ليخدم بل ليخدم ، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين" (مر ١٠:٣٥-٤٥).

تستهل هذه القصة بالاية ٣٥ (نريد أن تفعل لنا كل ما نطلب") وتختتم بالآية ٤٥ ("إن ابن الانسان جاء ليخدم ...وليبذل")، وهاتان الأيتان تصوران ابني زبدي وابن الانسان على خلاف لا يقبل المصالحة . فابنا زبدي يتكلمان بلغة تختلف عن لغة يسوع و يظهران روحا مختلفة ويعبران عن طموح مختلف . يريد يعقوب و يوحنا

أن يجلسا على عرشين في قوة ومجد؛ أما يسوع فيعرف أنه لا بد أن يعلق على الصليب في ضعف وخزي . فالموقفان متغايران تماما .

كان هناك أولا، خيار *بين الطموح الذاتي والتضحية* . إن تصريح الأخوين "تريد أن تعطينا كل ما نطلب" ، يتكشف بالتأكيد عن أسوأ وأسمج صلاة متمركزة حول الذات ، صلاها انسان قط . لقد توقعا أن يحدث تدافع فظيع للوصول الى مقاعد الشرف في الملكوت ؛ لذلك ارتأيا أن من الفطنة القيام بحجز مسبق . إن طلبهما "الحصول على منصبين" بجانبي يسوع لم يكن سوى مرآة صافية تعكس الغرور الانساني".[١٥] كان هذا معاكسا تماما للصلاة الحقيقية ، التي ليس غرضها أبدا إخضاع إرادة الله لإرادتنا ، بل إخضاع إرادتنا لإرادته . مع ذلك فإن العالم (وحتى الكنيسة) مليء بأمثال يعقوب ويوحنا ، بالطموحين طالبي المراتب ، بالجياع الى الكرامة والاعتبار، بالذين يقيسون الحياة بالإنجاز، والذين يحلمون بالنجاح دائما . إنهم طموحون بصورة عدوانية.

هذه العقلية بجملتها تتنافر مع طريق الصليب. " إن ابن الانسان جاء ليخدم وليبذل .." لقد تخلى عن سلطان السماء ومجدها وتواضع ليصير عبدا . لقد بذل نفسه دون تحفظ ودون خوف ، لأجل قطاعات المجتمع المحتقرة والمهملة . كانت الفكرة المسيطرة عليه هي مجد الله وخير البشر الذين يحملون صورته . ولتعزيز هذين الأمرين كان راغبا في تحمل أي شيء حتى خزي الصليب وهو يدعونا في هذه الأيام لاتباعه ، لا لنطلب لأنفسنا أشياء عظيمة ، بل لنطلب بالأحرى ملكوت الله وبره أولا.[١٦]

كان الخيار الثاني *بين السلطة والعبودية* . يبدو واضحا أن يعقوب ويوحنا أرادا الحصول على السلطة مثلما أرادا الحصول على الكرامة . يمكننا أن نتأكد تماما من أنهما عندما طلبا أن "يجلسا" بجانبي يسوع ، لم يكونا يحلمان بالجلوس على الأرض أو على أريكتين أو كرسيين بلا ظهر ولا ذراعين ، بل على عرشين. بل إنهما بالأحرى تخيلا نفسيهما كلا في عرشه . نحن نعلم أنهما جاءا من أسرة ميسورة الحال لأن أباهما زبدي كان يستخدم أجرى في صيد السمك من البحيرة . وربما افتقدا غياب الخدم الذين كانوا يقفون على خدمتهما ، ولكنهما كانا مستعدين للتخلي عن الرفاهية لفترة من الزمن ، شريطة أن يعوضا عن ذلك بعرشين في نهاية الأمر.

---

[15] Calvin , *Commentary on a Harmony of the Evangelists* , Vol . II, p. 417.

[١٦] إر ٤٥:٥ ؛ مت ٦:٣٣

إن العالم يحب السلطة . قال يسوع : " انتم تعلمون أن عظماء الأمم يسودونهم والذين يتسلطون عليهم يدعون محسنين [الذين يُعْتَبَرون حكام الأمم يسودونهم وكبار موظفيهم يتسلطون عليهم] " (ع٤٢) . هل كان يسوع يفكر في روما التي سك أباطرتها نقودا نقشت عليها رؤوسهم مع عبارة "هو من يستحق العبادة " ؟ أم كان يفكر في الملوك الذين كانوا يحملون لقب هيرودس وحكموا كطغاة ، مع أنهم كانوا مجرد ملوك دمى ؟ إن شهوة السلطة مرض مستوطن في سقوطيتنا.

إنها أيضا متنافرة بجملتها مع طريق الصليب، الذي يعني الخدمة. إن تأكيد يسوع على أن "ابن الانسان لم يأت لِيُخدَم بل لِيَخْدُم " ، كان تأكيدا مبتكرا بصورة مذهلة . لأن ابن الانسان في رؤيا دانيال أُعْطِيَ سلطانا بحيث تخدمه كل الأمم (٧: ١٣-١٤) . لقد ادعى يسوع اللقب لنفسه ، ولكنه بدَّل الدور. فهو لم يأت لِيُخْدَمَ بل بالأحرى ليكون "عبد الرب" المذكور في أناشيد العبد . لقد لحم الصورتين . فكان في آن واحد ابن الانسان المجيد والعبد المتألم ؛ وكان سيدخل مجده عن طريق الألم فقط . وهنا يدعونا مرة أخرى لنتبعه . في العالم العلماني يستمر الحكام في فرض سيطرتهم على من حولهم وفي التأثير في الآخرين بأساليب غير قويمة وفي استغلالهم وفرض الطغيان عليهم . لكن يسوع قال مؤكدا: "أما أنتم فلا يكون فيكم هكذا "(الآية٤٣) . فجماعته الجديدة يجب أن تنتظم وفق مبدأ مختلف وبحسب نموذج مختلف ــ مبدأ الخدمة المتواضعة وليس السلطة الجائرة .إن القيادة والربوبة مفهومان متميزان . فرمز القيادة المسيحية الأصيلة ليس الرداء الأرجواني الذي يرتديه الامبراطور بل الإزار الخشن الذي يرتديه العبد ؛ وليس العرش المكون من العاج والذهب بل حوض الماء لغسل الأرجل.

كان الخيار الثالث وما يزال ، *بين الراحة والألم*. عندما طلب يوحنا ويعقوب عرشين في المجد ، كانا يريدان أن يضمنا راحتهما بالإضافة الى الكرامة والسلطة. لقد أصبحا، باتباعهما ليسوع ، متشردين بل وسيئي السمعة . فهل كانا يحنان إلى بيتهما المريح ؟ عندما رد يسوع على سؤالهما بسؤال مضاد ، حول ما إذا كان باستطاعتهما أن يشاركاه في كأسه ومعموديته مثلما كانا يرغبان في مشاركته في عرشه ، كان جوابهما السريع الذي نطقا به بعفوية ، "نستطيع" (الآيتان ٣٨-٣٩). من المؤكد انهما لم يفهما . كانا يحلمان أحلام يقظة بأقداح الخمر في الوليمة

المسيانية مسبوقة بالحمامات الفخمة التي عرف عن هيرودس أنه كان يحبها. إلا أن يسوع ، كان يشير الى آلامه . قال لهما ، إنهما بالحقيقة سيشتركان في كأسه ومعموديته دون أن ينورهما. فيعقوب كان سيفقد رأسه على يد هيرودس أنتيباس ، ويوحنا كان سيتألم في عزلة النفي.

إن روح يعقوب ويوحنا ما زالت فينا ولا سيما نحن الذين نتوسد الوفرة . صحيح أن التضخم والبطالة قد جلبا لكثيرين خبرة جديدة هي عدم الاستقرار. ومع ذلك ما زلنا نعتبر الأمن حقنا الفطري و " الأمن أولا " شعارا متعقلا . فأين روح المغامرة ، وأين الاحساس بالتضامن غير الحذر مع المحرومين من الامتيازات ؟ أين المسيحيون المستعدون ليضعوا الخدمة قبل الأمن والرأفة قبل الراحة ، والصعوبة قبل السهولة ؟ إن آلاف المهمات المسيحية الرائدة تنتظر من يقوم بها ، وهي تتحدى رضانا بأحوالنا و تدعونا الى المخاطرة .

إن الإصرار على الأمن يتنافر مع طريق الصليب . كم كان التجسد والكفارة مغامرتين جريئتين جدا ! يا له من خرق للعرف واللياقة أن ينبذ الله القدير امتيازاته لكي يتخذ جسدا بشريا ويحمل خطية البشر! لم يكن يسوع يشعر بالأمان الا في علاقته بأبيه . وهكذا فإن اتباع يسوع يعني دوما قبول التلميذ بحد أدنى من عدم التيقن مما سيحدث له وتعرضه للخطر وللرفض لأجل يسوع .

هكذا اشتهى يعقوب ويوحنا الشرف والسلطة والطمأنينة المريحة ، في حين أن مجرى حياة يسوع بأكمله تميز بالتضحية والخدمة والألم . إن مرقس الذي يعترف له بصورة متزايدة بأنه مبشر ــ لاهوتي ، كما أنه مؤرخ ، يقحم مطلب يعقوب ويوحنا بين إشارتين واضحتين الى الصليب . إن مجد صليب المسيح هو الذي يظهر حقيقة طموحهما الأناني كشيء رث بال و مبتذل . كما أنه يركز الانتباه على الاختيار، الذي يواجه الجماعة المسيحية في كل جيل . وهوالخيار بين طريق الجمهور وطريق الصليب .

مجالات الخدمة

اذا سلمنا بأن جماعة المسيح هي جماعة الصليب ولذلك ستتميز بالتضحية والخدمة والألم ، فكيف يتحقق هذا التسليم في المجالات الثلاثة ، البيت والكنيسة والعالم ؟

إن الحياة في بيت مسيحي يجب أن تتسم بالمحبة البشرية الطبيعية ، إلا أنها يجب أن تغنى ، بالإضافة الى ذلك ، بمحبة إلهية فائقة للطبيعة أي محبة الصليب. ينبغي أن تكون محبة الصليب السمة المميزة لجميع العلاقات العائلية المسيحية ، بين الزوج وزوجته ، بين الأبوين والأولاد ، وبين الإخوة والأخوات . إذ يجب علينا أن "تخضع بعضنا لبعض بسبب توقيرنا للمسيح" (أف٥:٢١) ، المسيح الذي قادته محبته المتواضعة والخاضعة حتى الى الصليب. مع ذلك فإن الأزواج بخاصة هم الذين يُفرَدُون . "أيها الأزواج أحبوا نساءكم كما أحب المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكي يقدسها...ويحضرها لنفسه كنيسة مجيدة..." (الآيات ٢٥-٢٧) ينظر الى هذا المقطع من رسالة أفسس عادة على أنه قاس جدا على الزوجات ، لأن عليهن أن يعترفن بـ"الرئاسة" التي منحها الله لأزواجهن، وأن يخضعن لهم . ولكن هناك من يجادل بالقول، أن صفة المحبة الباذلة للنفس المطلوبة من الأزواج، تتطلب منهم براعة تفوق بكثير ما تقتضيه طاعة النساء . لأن عليهم أن يحبوا زوجاتهم بالمحبة التي أحب بها المسيح عروسه ، الكنيسة. هذه محبة الجلجثة. إنها محبة باذلة للنفس ("بذل نفسه لأجلها "، الآية٢٥) وبناءة (" ليجعلها مقدسة" ومتألقة ، تنمو الى أقصى إمكاناتها ، الآيتان٢٦ و٢٧). إنها أيضا معتنية وحامية: "على الأزواج أن يحبوا نساءهم كأجسادهم" ، لأنه "لم يبغض أحد جسده قط ، بل يقوته و يربيه ، كما المسيح للكنيسة" (الآيتان ٢٨-٢٩). ستكون البيوت المسيحية بعامة والزيجات المسيحية بخاصة ، أكثر استقرارا وأكثر إرضاء إذا كان الصليبُ سمتَها .

ننتقل الآن من البيت الى الكنيسة ، ونبدأ بالرعاة . رأينا في فصل سَابق أن ثمة مكانا في جماعة يسوع للسلطة والتأديب . ومع ذلك ، لم يكن تأكيده على هذه الأشياء بل على طراز القيادة الجديد الذي قدمه ، المتميز بالتواضع وبالخدمة . لقد أحس بولس نفسه أنه مشدود بين أمرين . فكان بإمكانه ، كرسول قد تلقى من المسيح درجة خاصة من السلطة ، أن يجيء الى كنيسة كورنثوس المتمردة بـ" سوط "، وكان مستعدا أن يعاقب كل عمل من أعمال العصيان ، إذا لزم الأمر. لكنه لم يشأ أن يكون قاسيا في استعمال سلطته ، التي منحها الرب له لبنيانهم لا لهدمهم . بل كان يفضل كثيرا لو أنه يجيء اليهم كأب يزور أولاده الأعزاء . إنه التوتر الذي كان قائما بين موت يسوع وقيامته ، بين الضعف والقوة . كان بوسعه أن يستخدم سلطته نظرا الى أن المسيح "حي بقوة الله" . لكن نظرا الى أنه " صلب

في ضعف" ، فإن "وداعة المسيح وحلمه" هما ما يود بولس أن يظهرهما أكثر من كل شيء آخر.[١٧] لو التصق الرعاة المسيحيون بصورة أوثق بالمسيح الذي صلب في ضعف واستعدوا أن يقبلوا الإذلالات التي يسببها الضعف ، وليس بالأحرى الإلحاح على السلطة المسيطرة ، لقل النشاز في الكنيسة وزاد الانسجام.

إلا أن الصليب ينبغي أن يميز كل علاقاتنا في جماعة المسيح ، وليس فقط العلاقة بين الرعاة والرعية . يلح يوحنا في رسالته الأولى على أن من واجبنا أن "يحب بعضنا بعضا " ، لأن الله محبة في كينونته ، ولأنه أيضا قد أظهر محبته بإرسال ابنه ليموت عنا. وهذه المحبة دائما تعبر عن نفسها في اهتمام غيري بالآخرين . فيجب "ألا نفعل شيئا ، بدافع الطموح الأناني أو الغرور الباطل ، بل بتواضع ، حاسبين بعضنا البعض أفضل" من أنفسنا . ومن وجهة نظر إيجابية علينا ألا نتطلع فقط الى مصالحنا ، "بل الى مصالح الآخرين أيضا". لماذا ؟ لماذا هذا النبذ للطموح الأناني وهذا التشجيع لاهتمام غيري بالآخرين ؟ لأن هذا هو موقف المسيح ، الذي تخلى عن حقوقه ووضع نفسه لخدمة الآخرين أيضا. بالحقيقة إن الصليب يلطف جميع علاقاتنا في الكنيسة . علينا أن نتذكر فقط أن رفيقنا المسيحي هو "أخ (أو أخت) مات المسيح لأجله"، وعندئذ لن نتجاهل أبدا ، خير إخوتنا وأخواتنا الأسمى والأصدق ، بل نسعى الى تحقيقه . فحين نرتكب خطأ بحقهم إنما "نخطيء الى المسيح".[١٨]

إذا كان من الضروري أن يميز الصليب حياتنا المسيحية في البيت وفي الكنيسة، فينبغي أن يكون الأمر كذلك في العالم وبدرجة أشد . كثيرا ما تنشغل الكنيسة جدا بشؤونها الخاصة ، وينصرف كل اهتمامها إلى توافه رعوية حقيرة ، في حين أن العالم المحتاج خارج الكنيسة ما يزال ينتظر. وهكذا فإن الابن يرسلنا الى العالم مثلما أرسله الآب الى العالم . إن الإرسالية تنشأ من ولادة يسوع وموته وقيامته . فولادته ، التي دمج بها نفسه ببشريتنا ، تدعونا الى اندماج بالناس مكلف مماثل لاندماجه . وموته يذكرنا بأن الألم هو مفتاح نمو الكنيسة نظرا الى أن البذرة التي تموت هي التي تتكاثر . وقيامته منحته الربوبة العالمية التي مكنته في آن واحد ،

---

[١٧] اكو ٤:٢١ ؛ ٢ كو ٦:١٠-١٨ ؛ ١٠:١٣ ؛ اكو ٤:١٣-١٤ ؛ ٢كو ١٣:١٠ و ١:١٠

[١٨] ١ يو ٤:٧-١٢ ؛ في ٢:٣-٤ ؛ ١ كو ٨:١١-١٣

من أن يدعي بأن " كل سلطان" هو ملكه الآن ، ومن أن يرسل كنيسته لتتلمذ الأمم.[١٩]

نظريا نحن نعرف جيدا المبدأ الظاهري التناقض ، وهو أن الألم سبيل المجد، والموت طريق الحياة ، والضعف سر القوة . كان هذا مبدأ يسوع ، وما يزال مبدأ أتباعه اليوم . لكننا نمانع في تطبيق المبدأ على الإرسالية ، كما يفعل الكتاب المقدس. في الصورة الظليلة للعبد المتألم التي رسمها أشعياء كان الألم شرطا لنجاحه في جلب النور والعدالة للأمة. كما كتب دوغلاس وبستر Douglas Webster، " إن الإرسالية تؤدي عاجلا أم آجلا الى الألم . وبحسب المقولات الكتابية...ينبغي على العبد أن يتألم...فكل شكل من أشكال الإرسالية يقود الى شكل من أشكال الصليب . إن شكل الإرسالية الحقيقي صليبي الشكل. ونستطيع أن نفهم الإرسالية فقط بلغة الصليب...".[٢٠]

هذه الرؤية الكتابية للخدمة المتألمة قد أصابها الخسوف لدرجة كبيرة في أيامنا بوساطة "إنجيل النجاح" غير الكتابي (الذي يضمن النجاح الشخصي) وبوساطة مفاهيم الإرسالية الانتصارية التي تستخدم تشابيه حربية لا تتلاءم مع الصورة المتواضعة للعبد المتألم). وبالمفارقة ، تجرأ بولس أن يكتب للكورنثيين: " إذاً الموت يعمل فينا ولكن الحياة فيكم" (٢كو٤:١٢) . إن الصليب يكمن في قلب الإرسالية . وبالنسبة للإرسالية التي تنطلق من ثقافة الى ثقافة أخرى قد يعني الصليب تضحيات فردية وعائلية جسيمة ، والتخلي عن الأمن الاقتصادي والترقية الوظيفية ، وقد يعني التضامن مع الفقير والمحتاج ، والتوبة عن الكبرياء والتحيز للتفوق الثقافي المزعوم ، والتواضع (وأحيانا الإحباط) الذي تتضمنه الخدمة تحت قيادة وطنية [من أبناء البلد الذي يوفد إليه المرسل] . فكل أمر من هذه الأمور هو نوع من الموت ، لكنه موت يجلب الحياة للآخرين .

هناك أيضا ثغرة ثقافية واسعة ينبغي تجاوزها في كل تبشير. وهذا واضح عندما ينتقل المسيحيون كرسل للإنجيل من بلد الى آخر أو من قارة الى أخرى . ولكن حتى عندما نبقى في بلدنا يظل المسيحيون وغير المسيحيين في أحيان كثيرة منفصلين بعضهم عن بعض على نطاق واسع بتحت ـ الثقافات الاجتماعية و طرز الحياة وكذلك باختلاف القيم والاعتقادات والمعايير الأخلاقية . فالتجسد وحده هو

[١٩] يو ١٧:١٨ ؛ ٢٠:٢١ ؛ ١٢:٢٤ ؛ مت ٢٨:١٨-٢٠

[20] Dorglas Webster , *Yes to Mission* , pp 101-102

الذي يستطيع أن يقيم جسرا على هذه الخطوط الفاصلة . لأن التجسد يعني الدخول الى عوالم الناس الآخرين ، عالمهم الفكري ، وعوالم اغترابهم وعزلتم وألمهم . أضف ألى ذلك أن التجسد قاد الى الصليب . لقد اتخذ يسوع جسدنا أولا، ثم حمل خطيتنا . كان هذا عمقا في النفاذ الى عالمنا لكي يصل الينا ، وتبدو محاولاتنا الضعيفة لكي نصل الى الناس ، بالمقارنة معه ، ضحلة يقوم بها أشخاص غير محترفين . يدعونا الصليب الى نوع من التبشير أكثر راديكالية وأكثر كلفة ، مما بدأت تفكر فيه معظم الكنائس ، بله اختبرته .

يدعونا الصليب الى فعل اجتماعي أيضا ، لأنه يدعونا الى التمثل بالمسيح :

بهذا عرفنا المحبة : أن يسوع المسيح وضع نفسه من أجلنا . فيجب أن نضع نفوسنا من أجل الإخوة . وأما من كان له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجا وأغلق أحشاءه عنه فكيف تثبت فيه محبة الله . أيها الأولاد لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق.(١يو٣: ١٦-١٨).

وفقا لتعليم يوحنا هنا ، المحبة في جوهرها ، بذل ـ للذات. ونظرا الى أن حياتنا هي أثمن ما نملكه ، فإن المحبة العظمى تتجلى ببذلها لأجل الأخرين . وكما أن جوهر البغضاء هو القتل (كما فعل قايين) ، فإن جوهر المحبة هو بذل النفس (كما فعل المسيح) . إن القتل هو القضاء على حياة شخص آخر؛ أما بذل النفس فهو أن يضع المرء حياته هو . إلا أن الله يفعل أكثر من إعطائنا أسمى معرض للمحبة على الصليب ؛ إنه يضع محبته في داخلنا . فبفضل محبة الله المعلنة لنا والحالّة فينا ، لدينا حافز مضاعف لا يمكن الهروب منه لكي نبذل أنفسنا بالمحبة الآخرين . بالإضافة الى ذلك يوضح يوحنا أن وضع حياتنا لأجل الآخرين ، وإن يكن أسمى شكل لمنح النفس ، فهو ليس التعبير الوحيد عنه . فإن كان " لدى" أحدنا شيء يملكه، و "رأى" أحدا آخريحتاج إليه ، ثم فشل بالربط بين ما لديه ، وبين ما رآه بلغة الفعل العملي ، لايستطيع أن يدعي أنه يملك محبة الله في قلبه . وهكذا فإن المحبة تقدم الطعام للجياع والمأوى لمن ليس له مأوى والمساعدة للمحرومين ، والصداقة للمتوحدين ، والتعزية للحزانى ، شريطة أن تكون هذه الهبات دائما رموزا عن بذل النفس . لأنه من الممكن أن يعطي المرء الطعام والمال والوقت والطاقة ومع ذلك يحتفظ بذاته بطريقة ما. ولكن المسيح أعطى ذاته . ومع أنه غني أصبح فقيرا لكي

يغنينا. يكتب بولس قائلا إننا نعرف نعمته هذه ، ويجب أن نحاكيها. إن السخاء أمر ضروري لأتباع المسيح . كان هناك تبذير بلا حساب تقريبا في محبة المسيح على الصليب ، وهو يتحدى برودة محبتنا الجذرة .

مع ذلك فكما لاحظنا مرارا خلال هذا الكتاب ، الصليب هو إعلان لعدالة الله مثلما هو إعلان لمحبته . لهذا يجب أن تعنى جماعة الصليب بالعدالة الاجتماعية مثلما تعنى بأعمال الخير التي تدعو إليها المحبة . فلا يكفي أبدا أن نشفق على ضحايا الجور، إذا لم نفعل شيئا لتغيير الموقف الجائر نفسه . سيكون هناك دوما حاجة الى سامريين صالحين* لينقذوا أولئك الذين يعتدى عليهم ويسلبون ؛ مع ذلك سيكون من الأفضل بكثير التخلص من قطاع الطرق الذين يكمنون في طريق أورشليم وأريحا . كذلك فإن أعمال الخير المسيحية في إطار الغوث والمساعدة ضرورية . لكن التنمية الطويلة الأمد أفضل . ولانستطيع أن نتجنب مسؤوليتنا السياسية في المشاركة في تغيير البنى التي تعوق التنمية . لا يستطيع المسيحيون أن ينظروا بسكينة وهدؤ إلى أعمال الجور التي تفسد أعمال الله وتحط من قدر مخلوقاته . إن الظلم لا بد ان يسبب الألم لله الذي توهجت عدالته بصورة ساطعة على الصليب ؛ وينبغي أن يسبب الألم لشعب الله أيضا. إن المظالم المعاصرة تتخذ أشكالا عدة . فهي دولية (غزو أرض أجنبية وضمها) ، أو سياسية (إخضاع الأقليات)، أو قانونية (معاقبة مواطنين من غير محاكمتهم والحكم عليهم)، أو عرقية (التمييز المذل ضد الأشخاص على أساس العرق أو اللون)، أواقتصادية (التسامح بشأن التفاوت الكبير بين الشمال والجنوب والأذيات التي يسببها الفقروالبطالة)، أو جنسية (ظلم النساء)، أو ثقافية (عدم إعطاء فرص متكافئة للجميع) أو دينية (الفشل في إيصال الانجيل الى الأمم). إن المحبة والعدالة تتضافران لتقاوما كل هذه المواقف . إذا كنا نحب الناس ، فسوف نعنى بتأمين حقوقهم الأساسية كبشر ، وهو ما تهتم به العدالة أيضا . إن جماعة الصليب ، التي تشربت حقا رسالة الصليب سوف تحرضها متطلبات العدالة والمحبة دوما لتقوم بعمل .

كايضاح على الكيفية التي يمكن بها أن تحث الجماعة المسيحية بصورة شاملة بوساطة الصليب ، أود أن أذكر الإخوة المورافيين Moravin Bretheren الذين أسس حركتهم الكونت نيقولاوس فون زنزندورف Nikolaus von Zinzendorf (١٧٠٠-١٧٦٠) . فقد رحب في عام ١٧٢٢ ببعض اللاجئين المسيحيين التقويين pietist

* راجع مثل السامري الصالح في لوقا ١٠:٢٥-٣٦ . [المترجم]

القادمين من مورافيا و بوهيميا الى عزبته في ساكسونيا ، حيث ساعدهم ليشكلوا جماعة مسيحية تحت اسم "هيرنهوت" Herrnhut . أكد المورافيون على المسيحية بوصفها ديانة الصليب وديانة القلب . وعَرَّفوا المسيحي بأنه من " يتمتع بصداقة غير منفصمة مع الخروف ، الخروف المذبوح ".[٢١] وعلى ختمهم نقشت باللاتينية عبارة "خروفنا انتصر، فلنسر خلفه" ، وكانت الشارة التي تحملها سفنهم هي خروف يمشي رافعا راية أمام خلفية بلون الدم (ص٩٧). وكانوا معنيين بشدة بالوحدة المسيحية، وآمنوا أن الخروف سيكون أساسها، نظرا الى أن جميع الذين "يلتصقون بيسوع بوصفه خروف الله هم واحد" (ص١٠٦) . بالحقيقة صرح زنزندورف نفسه أن "الخروف المذبوح " كان من البداية الأساس الذي قامت عليه كنيستهم (ص٧٠).

أولا، لاشك أن المورافيين كانوا جماعة الاحتفال . كانوا يجيدون الترنيم ، وكان المسيح المصلوب بؤرة عبادتهم في هرنهوت .

بدم المسيح عنصرهم
يسبحون وفيه يغتسلون بكل رضى (ص٧٠).

لا شك أنهم كانوا منشغلين أكثر من اللازم بجراح يسوع ودمه . في الوقت نفسه لم ينسوا القيامة أبدا . كانوا بعض الأحيان يُدْعَوْنَ " شعب الفصح " لأنهم كانوا يعبدون الخروف المقام (ص٧٤) .

أما فيما يتعلق بفهم الذات فيبدو أن علامتهم التقوية على الخصوص قد مكنتهم من التفاهم مع أنفسهم . وقادهم تأكيدهم على الصليب الى تواضع وتوبة أصيلين. لكنه منحهم يقينا شديدا بالخلاص وثقة تامة بالله. قال زنزندورف "إننا شعب المخلص السعيد" (ص٧٣). بالحقيقة كان فرحهم و عدم خوفهم في مواجهة الموت بينما كانت سفينتهم تغرق في عاصفة أطلسية ، هما اللذان جعلا جون وسلي تحت تبكيت شديد بالخطية وكانا حلقة هامة في السلسة التي قادته الى الاهتداء إلى المسيح .

ولكن المورافيين اشتهروا بخاصة كحركة إرسالية . فبينما كان زنزندورف لا يزال صبيا أسس "رتبة بذرة حبة الخردل" ، ولم يفقد أبدا حماسته المرسلية .

---

[21] A. J. Lewis, *Zinzendorf*, p. 107.

كذلك كان الصليب هو الذي حفزه وأتباعه الى هذا التعبير عن المحبة الباذلة للنفس . وبين عامي ١٧٣٢–١٧٣٦ تأسست الإرساليات المورافية في الكاريبي، وغرينلاند، ولابلاند ، وأميريكا الشمالية والجنوبية وجنوب إفريقيا ، وفيما بعد بدأت عملا مرسليا في لابرادور وبين سكان أستراليا الأصليين وعلى حدود التيبت. لقد علم زنزندورف ، أن الوثنيين يعرفون أن ثمة إلها ما . ولكنم يحتاجون أن يعرفوا المخلص الذي مات لأجلهم . وكان يلح قائلا "أخبروهم عن خروف الله ، وأفيضوا حتى لايبقى شيء إلا واخبرتموهم به" (ص٩١).

هذا التوكيد السليم على الصليب نشأ بدرجة كبيرة من خبرة الاهتداء التي مر بها زنزندورف . لقد أرسل، عندما كان عمره ١٩عاما، ليزور عواصم أوروبا، بغية تكميل ثقافته. وذات يوم وجد نفسه في متحف الفن في دسلدورف. فوقف أمام لوحة إيكس هومو Ecce Homo ، للفنان دومينيكو فتي Domenico Feti ، التي تصور المسيح يحمل إكليلا من شوك ، وقد كتبت تحتها العبارة التالية: " كل هذا فعلته لأجلك، فماذا فعلت لأجلي ؟ ". وحالما قرأ زنزندورف العبارة شعر بالتبكيت العميق والتحدي. "وفي تلك اللحظة وفي ذلك المكان" ، كما كتب أي. ج. لويس A. J. Lewis ، " طلب الكونت الشاب من المسيح المصلوب أن يجذبه الى ' شركة آلامه ' ويتيح له الفرصة ليحيا حياة الخدمة " (ص٢٨) . ولم يتراجع أبدا عن تعهده هذا . لقد كان وجماعته مهتمين بحماس بـ" تتويج خروف الله ".

١٢

محبتنا لأعدائنا

"إن العيش تحت الصليب" يعني أن كل جانب من جوانب حياة الجماعة المسيحية يُوجَّه و يتلون به. إن الصليب لا يثير عبادتنا (بحيث نتمتع باحتفال أفخارستي مستمر)، ويُمَكِّننا من تطوير صورة للذات متوازنة (بحيث نتعلم كيف نفهم أنفسنا وكيف نبذل أنفسنا) فحسب ، لكنه أيضا يوجه سلوكنا في ما يتعلق بالآخرين ، بمن فيهم أعداؤنا . علينا أن "نتمثل بالله . ..كأولاد أحباء" وأن "نسلك في المحبة ، كما أحبنا المسيح وبذل نفسه لأجلنا..." (أف٥:١-٢) . الأهم من ذلك هو أنه يجب علينا أن نظهر في علاقاتنا ذلك الاتحاد المكون من المحبة والعدالة الذي تميزت به حكمة الله في الصليب .

الاسترضاء والتأديب

من الصعب في كثير من الأحيان، أن نقرر كيف سنجمع بصورة عملية بين المحبة والعدالة ، بين الرحمة والصرامة وهكذا نسير في درب الصليب ، ولكن الأصعب هوأن نقوم بذلك . خذ "الاسترضاء" أو "صنع ـــ السلام" مثلا. إن المسيحيين مدعوون ليكونوا " صانعي ـ سلام " (مت٥:٩) ، و لـ "يطلبوا السلام ويَجِدُّوا في أثره " (١بط٣:١١). في الوقت نفسه ، من المسلم بـه أن صنع السلام لا يمكن أن يكون نشاطا وحيد الجانب على نحو صرف.

إن الأمر " سالموا جميع الناس " مشروط بشرطين " إن كان ممكنا " و " حسب طاقتكم "(رو١٢:١٨) . فماذا علينا أن نفعل عندما يتبين أنه يستحيل أن نعيش بالسلام مع شخص ما لأنه غير راغب ، في العيش بسلام معنا . المكان الذي نبدأ منه جوابنا ، هو الطوبى التي اقتبسناها آنفا. لأن يسوع عندما أعلن عندئذ أن صانعي السلام ، " مطوبون "، أضاف " إنهم أبناء الله يدعون".[١] لا بد أنه عنى أن

---

[١] مت ٥:٩ ؛ قارن ٥:٤٨ و لو ٦:٣٦

صنع السلام هو نشاط إلهي بصورة متميزة بحيث ، أن أولئك الذين ينهمكون فيه يكشفون بذلك عن هويتهم ويبرهنون عن أصالتهم باعتبارهم أولاد الله .

إلا أنه إذا كان صنعنا للسلام سيصاغ على غرار صنع أبينا السماوي للسلام ، فسوف نستنتج على الفور أنه يختلف تماما عن التهدئة . لأن السلام الذي يضمنه الله ليس أبدا سلاما رخيصا بل هو سلام غال دائما. إن الله بالحقيقة صانع السلام المتفوق في العالم ، لكنه عندما قرر أن يصالحنا ، نحن " أعداءه " الذين تمردنا عليه، "صنع السلام" بدم صليب المسيح (كو١: ٢٠) . إن مصالحته معنا ومصالحتنا مع نفسه ، والمصالحة بين اليهود والأمم ومجموعات معادية أخرى بعضها مع بعض لم يكلفه أقل من خزي الصليب المؤلم . لذلك لا يحق لنا أن نتوقع أننا سوف نتمكن من المشاركة في عمل الاسترضاء دون أي ثمن من جانبنا، سواء أكان تورطنا في النزاع بصفة الفريق المسيء أوالفريق المساء إليه أو بصفة فريق ثالث تواق الى مساعدة عدوين ليصبحا صديقين من جديد .

ما الشكل الذي يمكن أن يتخذه الثمن ؟ في كثير من الأحيان يتمثل الثمن ، في البداية ، بالإصغاء المثابرالى الفريقين ، وهو عمل شاق ، والضيق الناجم عن مشاهدة المرارة المتبادلة والاتهامات المضادة ، والصراع الذي يتطلبه العطف مع كل من المتخاصمين، والجهد المبذول لفهم إساءات الفهم التي سببت توقف الاتصال . ويمكن للاصغاء النزيه أن يكشف أخطاء ، لم يخامرنا شعور بوجودها ، تستلزم بدورها الاقرار بها دون اللجؤ الى حيل لحفظ ماء الوجه . وإذا كنا نحن الملومين فسيكون هناك إذلال الاعتذار ، والإذلال الأشد وهو إعادة الأمور الى الوضع السابق كلما كان ذلك ممكنا ، والإذلال الأشد منها جميعا وهوالاعتراف بأن الجراح التي سببناها تتطلب زمنا طويلا لكي تشفى ، ولا يمكن نسيانها باستخفاف . أما إذا كانت الإساءة ، من جهة أخرى لم ترتكب من قبلنا ، فعندئذ يمكن أن يكون من واجبنا أن نتحمل الانزعاج الناجم عن تأنيبنا للشخص الآخر أو توبيخه. وبذلك نغامر بفقدان صداقته . مع أنه لايحق أبدا لأتباع يسوع أن يرفضوا الغفران ، بله القيام بالانتقام ، فليس مسموحا لنا بأن نرخص الغفران بتقديمه قبل الأوان عندما لايكون الطرف الآخر قد أبدى توبته . قال يسوع " إن أخطأ إليك أخوك فوبخه ، و" إذا تاب "، أي عندئذ فقط " فاغفر له " (لو١٧: ٣) .

إن الباعث على صنع السلام هوالمحبة ، لكنه يتردى الى تهدئة كلما أهملت العدالة . إن الغفران وطلب الغفران كليهما تدريبان غاليا الثمن فكل صنع سلام مسيحي أصيل يظهر محبة الصليب وعدالته ؛ وبالتالي ألمه .

فإذا انتقلنا الآن من العلاقات الاجتماعية بعامة الى الحياة العائلية بخاصة ، فإن الوالدين المسيحيين سيكونان راغبين في أن يَسِمَ الصليب موقفهما من أولادهما . المحبة هي الجو الضروري الذي ينمو فيه الأولاد كي يصلوا الى النضج العاطفي. لكن هذه المحبة ليست المحبة السريعة التأثر المجردة من المباديء الخلقية ، التي تفسد الأولاد ، بل "المحبة المقدسة" التي تطلب خيرهم الأسمى مهما كان الثمن . بالحقيقة ، نظرا الى أن مفهوم الأبوة البشرية ، مستمد من مفهوم أبوة الله الأزلية (أف٣:١٤-١٥) ، فمن الطبيعي أن يصوغ الوالدان المسيحيان محبتهما على غرار محبته . بناء على ذلك ، فإن المحبة الوالدية الحقيقية لا تلغي التأديب نظرا الى أن "الذي يحبه الرب يؤدبه". في الواقع ، عندما يؤدبنا الله فهو يعاملنا كأولاده وبناته . فإذا لم يؤدبنا فربما أظهر أننا أولاده غير الشرعيين ، لا أولاده الأصيلين (عب١٢:٥-٨). المحبة الأصيلة تغضب أيضا ، لأنها معادية لكل شيء في الأولاد معاد لخيرهم الأسمى . إن العدالة دون رحمة ، عدالة شديدة الصرامة ؛ والرحمة دون عدالة ، رحمة مفرطة في التساهل . بالإضافة الى ذلك ، الأولاد يعرفون هذا بالغريزة فلديهم إحساس فطري بكليهما . فإذا فعلوا شيئا يعرفون أنه خاطيء ، فإنهم يعرفون أيضا أنهم يستحقون العقاب ، ويستحقون أن ينالوه ويريدون ذلك . إنهم يعرفون كذلك على الفور إذا كانت العقوبة التي أنزلت بهم ، إما بدون محبة ، أو معاكسة للعدالة . إن أكثر صرختين مؤثرتين يمكن أن تصدرا عن الطفل هما " لاأحد يحبني" و " ليس هذا عدلا ". إن إحساسهم بالعدالة وبالمحبة مستمدان من الله ، الذي خلقهم على صورته ، وأظهر نفسه كمحبة مقدسة على الصليب.

ينطبق المبدأ نفسه على أسرة الكنيسة ، مثلما ينطبق على الأسرة . كلا النوعين من الأسرة يحتاج الى تأديب ، وللسبب نفسه. مع ذلك فإن التأديب الكنسي في هذه الايام أمر نادر، وإذا طبق فإنه يطبق بطريقة غير متقنة. أكثر الكنائس تتذبذب بين الصرامة المفرطة التي تقصي الأعضاء لأتفه الإساءات ، واللين المفرط الذي لا يقوم حتى بالاحتجاج على الإساءات . مع ذلك ، يعطي العهد الجديد تعليمات واضحة بشأن التأديب ، فهو من جهة ، ضروري لأجل قداسة الكنيسة، وضروري من جهة أخرى ، لغرض بناء ، أي "ربح" العضو المسيء ، أو "رده " إن أمكن . لقد وضح يسوع نفسه بجلاء ، أن غرض التأديب ليس إذلال الشخص المعني ، بله تنفيره ، بل بالأحرى إصلاحه. وقد وضع يسوع إجراء يتم تطبيقه على مراحل . المرحلة الأولى ، تتم على انفراد ، أي بمواجهة شخصية مع الشخص المسيء

"بينك و بينه" ، فإذا سمع خلالها ، تكون قد ربحته ، أما إذا رفض فتطبق المرحلة الثانية ، وذلك بأخذ عدة أشخاص آخرين معك لكي تؤكدوا التوبيخ . أما إذا أصر على رفض الإصغاء ، فيجب إعلام الكنيسة ، بحيث يمكن أن تتاح له فرصة ثالثة لكي يتوب. أما إذا استمر بعناد يرفض الإصغاء ، فعندئذ فقط يحرم كنسيا (مت ١٨: ١٥–١٧). كان تعليم بولس مشابها. فعضو الكنيسة "إذا أمسك في خطيئة " وجب أن "يرد" بروح الوداعة والتواضع ؛ وسيكون هذا مثالا عن حمل بعضنا أثقال بعض وبالتالي إتمام ناموس المسيح الذي هو ناموس المحبة (غل٦:١–٢). وحتى "التسليم للشيطان" الذي يفترض أن بولس قصد به معاقبة مرتكب جرم فاضح بالحرمان كنسيا ، كان له قصد إيجابي هو لكي "يتعلم ألا يجدف" (اتي ١: ٢٠) ، أو على الأقل لكي "تخلص روحه في يوم الرب" (اكو٥:٥). وهكذا فإن كل عمل تأديبي قصد به أن يظهر محبة الصليب وعدالته.

الأمر الأكثر إرباكا من هذه الأمثلة المستمدة من حياة الأفراد والعائلة والكنيسة هو تحقيق العدالة من قبل الدولة . فهل يمكن أن يطبق إعلان الله في الصليب في هذا المجال أيضا ؟ وعلى الخصوص هل يمكن أن تستخدم الدولة القوة ، أم أن هذا يتعارض مع الصليب ؟ لقد كان الصليب بحد ذاته من غير ريب عمل عنف واضحا قامت به السلطات ، وقد تضمن انتهاكا خطيرا للعدالة وإعداما وحشيا. ولكنه كان ، بنفس القدر من الوضوح عملا لاعنفيا من قبل يسوع الذي قبل أن يدان بغير حق و أن يعذب ويقتل ، دون أن يقاوم ، بله أن ينتقم. علاوة عن ذلك ، يعرض سلوكه في الأناجيل على أنه النموذج الذي نتمثل به: " إن كنتم تتألمون عاملين الخير فتصبرون ، فهذا فضل عند الله. لأنكم لهذا دعيتم ، فإن المسيح تألم لأجلكم تاركا لكم مثلا، لكي تتبعوا خطواته " (ابط ٢: ٢٠–٢١) . مع ذلك فإن هذا المقطع يثير أسئلة كثيرة . هل يلزمنا الصليب بقبول لا عنفي لكل شكل من أشكال العنف ؟ هل يبطل إجراءات العدالة الجنائية و ما يسمى بـ" الحرب العادلة " ؟ هل يحظر استخدام أي شكل من أشكال القوة ، بحيث يتعذر على المسيحي أن يكون جنديا أو شرطيا أو قاضيا أو ضابط سجن ؟

المواقف المسيحية تجاه الشر

إن أفضل طريقة لإيجاد أجوبة لهذه الأسئلة هو النظر بانتباه الى الاصحاحين الثاني عشر والثالث عشر من رسالة بولس الرسول الى أهل رومية . إنهما جزء من

مناشدة الرسول لقرائه المسيحيين لكي يستجيبوا بصورة كافية "لمراحم اللـه". فخلال أحد عشر أصحاحا كان يكشف رحمة الله ببذل ابنه لأجلنا و منحنا ذلك الخلاص الكامل الذي أنجزه بذلك الموت لأجلنا . فكيف ينبغي أن نستجيب للرحمة الإلهية ؟ علينا (١) تقديم أجسادنا *لله* ذبيحة حية ، وعلينا أن نميز إرادته ، بذهن متجدد ، ونفعلها (رو ١٢:١-٢). (٢) التفكير في *أنفسنا* بتقدير متسم بالاعتدال فلا نطري أنفسنا ولا نحتقرها (الآية ٣)؛ (٣) علينا أن *نحب بعضنا بعضا*، مستخدمين مواهبنا لكي نخدم بعضنا بعضا، وعائشين معا بانسجام وتواضع (الآيات ٤-١٣ ؛ ١٥-١٦) ؛ و(٤) علينا أن نبارك مضطهدينا ونفعل الخير *لأعدائنا* (الآيات ١٤، ١٧-٢١). بعبارة أخرى ، عندما تمسك مراحم الله بنا، تتغير جميع علاقاتنا تغييرا جذريا: فنحن نطيع الله ونفهم أنفسنا ، ونحب بعضنا بعضا، ونخدم أعداءنا.

إن العلاقة الرابعة بخاصة هي التي تهمنا الآن من بين هذه العلاقات. إن مقاومة غير المؤمنين لنا أمرمفروغ منه . فعثرة الصليب (الذي يقدم الخلاص كهبة مجانية وغير مستحقة) ، ومحبة يسوع وطهارته (التي تخجل الأنانية البشرية) ، وأولوية الوصيتين بوجوب محبة الله ومحبة القريب (اللتين لا تتركان مكانا لمحبة الذات)، والدعوة الى حمل صليبنا (الذي يهددنا بخطر جسيم) ـ هذه الأشياء تثير مقاومة الناس لنا لأنها تثير مقاومتهم لربنا ولإنجيله . هذه إذا الخلفية لدراستنا لرومية ١٢ . فهناك أناس "يضطهدوننا " (الآية ١٤) ويفعلون " الشر" بنا (الآية ١٧)، بل ويمكن أن يوصفوا بانهم "أعداؤنا " (الآية ٢٠). كيف يجب أن يكون رد فعلنا تجاه مضطهدينا وأعدائنا ؟ ماذا تتطلب مراحم اللـه منا ؟ كيف ينبغي أن يؤثر الصليب الذي تشرق منه رحمة الله بأجلى بهائها، في سلوكنا ؟ يشير بولس بطريقة مُثَقَّفَةٍ على نحو خاص ، في المقطع التالي من رومية ١٢ و ١٣ أربع إشارات الى الخير والشر:

المحبة فلتكن بلا رياء. كونوا كارهين الشر؛ ملتصقين بالخير ...

باركوا على الذين يضطهدونكم؛ باركوا ولا تلعنوا. فرحا مع الفرحين؛ وبكاء مع الباكين. مهتمين بعضكم لبعض اهتماما واحدا. غير مهتمين بالأمور العالية ، بل منقادين الى المتضعين . لا تكونوا حكماء عند أنفسكم .

لا تجازوا أحدا عن شر بشر. معتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس. إن كان

ممكنا ، فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس. لاتنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء بل أعطوا مكانا للغضب ، لأنه مكتوب: " لي النقمة أنا أجازي " يقول الرب . وبالعكس :

" إن جاع عدوك ، فأطعمه ؛

وإن عطش فاسقه .

لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه .

لا يغلبنك الشر بل اغلب الشر بالخير .

لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة ، لأنه ليس سلطان إلا مرتب من الله. والسلاطين الكائنة هي من الله. حتى أن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة . لأن الحكام لا يخيفون الذين يفعلون الصلاح ، بل الذين يفعلون الخطأ . أفتريد ألا تخاف السلطان ؟ افعل الصلاح فيكون لك مدح منه لأنه خادم الله ليفعل الخير لك. ولكن إن فعلت الخطأ فخف ، لأنه لا يحمل السيف عبثا . فهو خادم الله ، وأداة الغضب لمعاقبة المسيء . لذلك يجب الخضوع للحكام ، ليس فقط بسبب العقوبة الممكنة بل أيضا بسبب الضمير. فإنكم لهذا ايضا تدفعون الجزية لأن الحكام هم خدام الله ، الذين يتفرغون للحكم. أعطوا كل انسان حقه: الجزية [الضرائب] لمن له الجزية. الجباية [ضريبة الدخل] لمن له الجباية . والخوف لمن له الخوف ، والإكرام لمن له الإكرام (رو ١٢:٩، ١٤-٧:١٣).

يبدو هذا المقطع تأملا في موضوع الخير والشر مع أخذ الذات بعين الاعتبار. وفيما يلي تلميحات الرسول الأربعة اليها:

كونوا كارهين الشر ؛ ملتصقين بالخير(٩:١٢)

لا تجازوا أحدا عن شر بشر. معتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس (١٧:١٢).

لا يغلبنك الشر ؛ بل اغلب الشر بالخير (٢١:١٢).

إنه خادم الله ليعمل الخير لأجلكم ...إنه خادم الله وأداة الغضب لمعاقبة فاعل الشر (١٣:٤).

هذه الآيات تحدد بخاصة كيف يجب أن يكون موقفنا المسيحي نحو الشر .

أولا، *يجب أن نبغض الشر* " المحبة فلتكن بلا رياء. كونوا كارهين الشر ملتصقين بالخير" (٩:١٢) . إن وضع المحبة والبغضاء هكذا بجانب بعضهما يبدو متنافرا . إننا عادة نعتبرهما بديلين لا يجتمعان ، فالمحبة تطرد البغض ، والبغض يطرد المحبة . ولكن الحقيقة ليست بسيطة بهذا الشكل . فكلما كانت المحبة " بلا رياء " استطاعت ان تقوم بالتمييز الأخلاقي . فهي لا تزعم أبدا أن الشر شيء آخر ولا تتساهل معه . إن مسايرة الشر تتنافر مع المحبة . المحبة تسعى الى أن تفعل الخيرالأسمى للآخرين . ولذلك تكره الشر الذي يفسد هذا الخير. إن الله يكره الشر لأن محبته محبة مقدسة ؛ فينبغي علينا نحن أيضا أن نكره الشر.

ثانيا ، *ينبغي ألا يقابل الشر بالمثل* . " لا تجازوا أحدا عن شر بشر...لا تنتقموا لأنفسكم أيها الاحباء. (١٧:١٢، ١٩). الانتقام و معاملة الأذى بمثله محظوران على شعب الله . إنك عندما تجازي عن شر بشر، تضيف الىالشر الأول شرا آخر. فإذا كنا نكره الشر ، فكيف نزيد منه ؟ لا شك أننا نجد هنا صدى للعظة على الجبل . قال يسوع : " لا تقاوم شخصا شريرا، NIV " . أي ، كما يوضح السياق هنا ، " لاتقابل الأذى بمثله". لقد جسد يسوع تعليمه تماما على الصليب ، لأنهم "عندما شتموه لم يشتم عوضا ؛ وإذ تألم لم يكن يهدد" (١ بط ٢٣:٢). وبدلا من ذلك يطلب منا أن نفعل ماهو حسن (رو١٢ :١٧) و "أن نسالم جميع الناس" (رو١٢ :١٨). أي، ينبغي أن تتميز حياتنا ، بالخير لا بالشر، وبالسلام لا بالعنف .

ثالثا ، *ينبغي أن يُغلَبَ الشر*. إن كره الشر شيء ورفض رد الشر بمثله شيء آخر؛ ولكن الأحسن منهما أن يغلب. " لا يغلبنك الشر؛ بل اغلب الشر بالخير " (رو١٢ :٢١) . أما كيف يمكن فعل ذلك فهذا ما أشار إليه بولس في الآيات السابقة التي يتردد فيها صدى المزيد من كلمات العظة على الجبل . قال يسوع : "أحبوا أعداءكم وأحسنوا الى مبغضيكم ، وباركوا لاعنيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم".[٢] والآن يكتب بولس: "باركوا على الذين يضطهدونكم " (١٤:١٢)، و "إن

---

[٢] لو ٦ :٢٧-٢٨ ؛ قارن مت ٥ :٤٤

جاع عدوك فأطعمه" (٢٠:١٢). علينا أن نتمنى الخير للناس بمباركتهم ، وأن نفعل الخير للناس بخدمتهم . ففي جماعة يسوع الجديدة تقابل اللعنات بالبركات ، و يقابل تعمد الأذى بالصلاة ، والانتقام بالخدمة . فالصلاة ، بالحقيقة ، تطهر القلب من الحقد؛ والشفاه التي تبارك لا تستطيع أن تلعن في الوقت نفسه؛ واليد المشغولة بالخدمة تكف عن الانتقام . أما "جمع نار" على رأس العدو، فيبدو عملا غير ودي ، يتعارض مع محبتنا له . لكنه استعارة يقصد بها أن تولد إحساسا شديدا بالخجل ــ لا لإيذائه أو إذلاله ، بل لكي نقوده الى التوبة ، وبذلك "تغلب الشر بالخير". إن مأساة مجازاة الشر بالشر هي أننا بذلك نضيف شرا الى شر وهكذا *نزيد* سجل الشر في العالم . إنه يسبب ، مادعاه مارتن لوثر كنغ "تفاعل الشر المتسلسل" ؛ لأن الكره يزيد الكره والعنف يزيد العنف في دوامة الدمار الهابطة ".[3] إن مجد محبة أعدائنا وخدمتهم على أي حال يكمن في أننا بذلك *ننقص* مقدار الشر في العالم . والصليب هو المثل الأسمى لذلك . إن رغبة المسيح في تحمل هزء البشر وغضب الله قد جلب الخلاص للملايين . فالصليب هو الخيمياء * الوحيدة التي تحول الشر الى خير.

رابعا، *ينبغي أن يعاقب الشر* . إذا توقفنا عند المواقف الثلاثة الأولى ، فسوف نكون مذنبين بارتكاب انتقائية كتابية خطيرة ، وبالتالي عدم توازن. لأن بولس يمضي فيكتب عن معاقبة الشر من قبل الدولة. إن جميع الذين يقرأون هذه الفصول بدقة سوف يلاحظون المفارقة ــ بل التناقض الظاهري ــ الذي تتضمنه . يطلب منا ألا ننتقم لأنفسنا ويقال لنا أن الله سوف ينتقم (١٩:١٢). كذلك، يطلب منا أن لانجازي أحدا عن شر بشر ويقال لنا أن الله سيجازي (١٢: ١٧، ١٩).وهكذا فإن الانتقام و رَدَّ الأذى بمثله ، يحظران علينا في البداية ، ثم ينسبان الى الله . أليس هذا أمرا لا يطاق ؟ لا. فسبب منعنا من القيام بهذه الأشياء ليس لأن الشر لا يستحق العقاب (فهو يستحقه وينبغي أن يعاقب) ، بل لأن عقاب الشر، حق مقصورعلى الله ، لا نملكه نحن.

إذا ، كيف يعاقب الله الشر؟ كيف يعبر عن غضبه ضد فاعلي الشر؟ الجواب الذي يخطر في الذهن هو " في الدينونة الأخيرة "، وهذا صحيح . فغير التائبين

---

[3] Martin Luther King, *Strength to Love*, p. 51.

* الخيمياء alchemy : الكيمياء القديمة وكانت غايتها تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب (قاموس المورد) [المترجم] .

"يذخرون غضبا" ضد أنفسهم "يوم غضب الله عندما تستعلن دينونته العادلة " (رو٢:٥). ولكن هل يجب ان ننتظر حتى ذلك الوقت ؟ أليس ثمة طريقة يعلن الله بها الآن غضبه على الشر؟ هناك طريقة بحسب ما كتب بولس. أولا، هناك طريقة تتمثل في تردي المجتمع الفاجر ، حيث "يسلم" الله أولئك ، الذين يكمون ، بتعمد، معرفة الله وصلاحه ، ـ يسلمهم الى فساد غير منضبط في تفكيرهم وسلوكهم (رو١٨:١-٣٢). وهذا إتمام لغضب الله. والطريقة الثانية بوساطة الإجراءات القضائية التي تقوم بها الدولة نظرا اليأن الموظف الذي يفرض القانون ، هو "خادم الله ، وأداة الغضب لمعاقبة فاعلي الشر" (٤:١٣). بهذا المعنى يكتب الدكتور كرانفيلد قائلا : إن الدولة "إظهار جزئي توقعي مؤقت لغضب الله ضد الخطية ".[٤]

من المهم أن نلاحظ أن بولس يستخدم مجموع المفردات نفسه في ختام الاصحاح ١٢ من رومية ومطلع الاصحاح ١٣. إن كلمات "غضب" (أورجي) و "انتقام / عقاب " (*إكديكيسيس و إكديكوس*) التي توجد في كلا المقطعين محظورة على شعب الله بعامة ، ومسندة الى "خدام" الله بخاصة ، أي موظفي الدولة . يجد كثيرون من المسيحيين صعوبة عظيمة فيما يتصورونه هنا على انه " ازدواجية " أخلاقية.[٥] أود أن أحاول توضيح هذه المسألة :

أولا، لا يميز بولس بين *كينونتين*، الكنيسة والدولة ، كما هو وارد في تعليم لوثر المعروف بشأن وجود مملكتين ، المملكة الواقعة على يمين الله (الكنيسة) وتمارس مسؤوليتها الروحية عن طريق سلطة الانجيل ، والمملكة التي عن يساره (الدولة) التي تمارس مسؤوليتها السياسية أوالوقتية عن طريق قوة السيف . يسمي جان لاسيير Jean Lasserre هذا " العقيدة التقليدية " (لأن كالفن آمن بها أيضا مع أنه عبر عنها بتعابير مختلفة) ولخصها كما يلي:

لقد عهد الله الى الكنيسة بواجب الكرازة بالإنجيل ، وعهد الى الدولة بواجب ضمان النظام السياسي؛ فالمسيحي عضو في الكنيسة ومواطن في الأمة ؛ وبصفته الأولى ينبغي أن يطيع الله بالعمل وفقا لأخلاق الانجيل وبصفته الثانية

---

4 C. E. B. Cranfield, Commentary on *Romans*, vol. II, p. 666.

5 Discussion of this ' dualism ' may be found , for example, in Jean Lasserre's *War and the Gospel*, pp.23 ff., 128 ff. and 180 ff. ; in David Atkinson's *Peace in Our Time ?* , pp. 102-107 and 154-157 ; in the debate between Ronald Sider and Oliver O'Donovan, published as *Peace and War*, pp. 7-11 and 15; and to some extent in my own *Message of the Sermon on the Mount* , pp. 103-124.

ينبغي أن يطيع الله بالعمل وفقا للأخلاق السياسية التي تكون الدولة القاضي فيها ...[6]

صحيح أن الله يعطي الكنيسة والدولة مسؤوليات مختلفة ، حتى ولو تطلب الأمر التأكيد على أن النوعين من المسؤوليات يتداخلان ، إلا انهما ليسا موجهين بنوعين مختلفين من الأخلاق وكلاهما تحت سيادة المسيح . لكن ليست هذه ، بالحقيقة ، المسألة التي تبحث في رومية ١٢ و ١٣ .

ثانيا، لا يميز بولس بين *مجالين* من النشاط المسيحي ، خاص وعام ، بحيث (وبتعبير غير بارع) يجب علينا أن نحب أعداءنا سرا ولكن يمكننا أن نبغضهم علنا. إن مفهوم معيار مزدوج للأخلاق ، خاص وعام ، مرفوض بشدة ، فهناك أخلاقية مسيحية واحدة .

ثالثا، ما يفعله بولس هو التمييز بين *دورين*، شخصي ورسمي.المسيحيون هم دوما مسيحيون (في الكنيسة والدولة ، في العلن وفي السر)، تحت سلطة المسيح الأخلاقية نفسها، لكنهم يعطون أدوارا مختلفة (في البيت والعمل والمجتمع) للقيام بأعمال ملائمة . فالمسيحي الذي يقوم بدور الشرطي ، مثلا، يمكن أن يستخدم القوة لاعتقال مجرم ، لكنه لا يستطيع أن يفعل ذلك وهو يقوم بدور مواطن عادي؛ ويمكنه كقاض أن يحكم على سجين وجد مذنبا، بينما قال يسوع لتلاميذه ، "لا تدينوا لئلا تدانوا " ؛ ويمكنه كمنفذ لحكم الإعدام (على فرض أن عقوبة الإعدام مبررة في بعض الظروف) ، أن يقتل رجلا محكوما عليه ، مع أنه محظور عليه أن يقتل . (إن حكم الإعدام والنهي عن القتل متلازمان في الناموس الموسوي) . هذا لا يعني أن الاعتقال والمحاكمة وتنفيذ حكم الإعدام أمور خاطئة بحد ذاتها (مما ينجم عنه ترسيخ أخلاقيات تتباين وفقا للحياة العامة أو الخاصة)، ولكنه يعني أنها إستجابات صحيحة للسلوك الإجرامي ، إلا أن الله أوكلها الى موظفين معينين في الدولة.

هذا إذا هو التمييز الذي يقوم به بولس في رومية ١٢ و١٣ بين عدم مقابلة الشر بمثله و معاقبة الشر. إن النواهي الواردة في ختام الاصحاح ١٢ لا تعني أن الشر ينبغي أن يترك دون جزاء معلقا بانتظار يوم الدينونة ، لكنها تعني أن العقوبة ينبغي أن تطبق من قبل الدولة (باعتبارها أداة غضب الله) وأنه من غير الملائم أن يقوم المواطنون العاديون بتنفيذ القانون بأنفسهم . فهذا التمييز هو الذي يجد دعاة السلام

[6] Jean Lasserre, *War and the Gospel*, p. 132

المسيحيون صعوبة في تفهمه. إنهم عادة يدعمون قضيتهم بتعليم يسوع ومثاله ، من جهة عدم مقابلة الأذى بمثله ، مفترضين أن مقابلة الأذى بمثله أمر خاطيء من حيث الجوهر. لكن مقابلة الأذى بمثله ليست أمرا خاطئا ، نظرا الى أن الشر يستوجب العقاب ، وينبغي أن يعاقب فاعله ، وسوف ينال العقاب. قال يسوع نفسه أن " ابن الانسان سيجازي كل واحد على عمله " (مت ١٦: ٢٧، حيث يستعمل فعل مشابه للفعل المستعمل في رومية١٢: ١٩) . تتجلى هذه الحقيقة حتى في ما رواه بطرس نفسه عن عدم مقابلة يسوع الأذى بمثله . فعندما شتم لم يشتم عوضا. وعندما تألم لم يهدد . ولكن ينبغي ألا نستنتج من هذا أنه كان يتغاضى عن الشر. فماذا فعل عوضا عن مقابلة الأذى بمثله ؟ " لقد سلم لمن يقضي بعدل" (١بط ٢: ٢٣) . وبحسب لغة بولس ، لقد ترك ذلك الأمر لغضب الله . وهكذا ، فحتى عندما كان يسوع يصلي طالبا الغفران للذين نفذوا فيه حكم الإعدام ، وحتى عندما كان يبذل نفسه بمحبة مقدسة لأجل خلاصنا ، فإن ضرورة الدينونة الإلهية على الشر، لم تكن غائبة عن ذهنه . بالحقيقة كان هو نفسه يغلب الشر في تلك اللحظة عينها وذلك فقط عن طريق تحمله بنفسه عقاب الشر العادل .

سلطة الدولة

هذا يأتي بنا الى سؤال محير آخر يتعلق بالسعي للربط ذهنيا بين الصليب ومشكلة الشر، أي كيف يجب أن ينظر المسيحيون الىالدولة وسلطتها. إن الدراسة الدقيقة لرومية ١٣ تساعدنا على تجنب التطرف ، بحيث نؤله الدولة (أي نرى دوما أنها على صواب) أو نشيطنها demonizing it (أي نرى دوما أنها على خطأ). إن موقف المسيحيين من الدولة ينبغي أن يكون بالأحرى موقف الاحترام المتحفظ . دعني أحاول تلخيص تعليم بولس هنا بشأن سلطة الدولة تحت أربعة عناوين ، تتعلق ب: *مصدرها*، *والقصد* الذي أعطيت من أجله ، *والوسيلة* التي ينبغي أن تمارس بها، *والاعتراف* الذي يجب أن يمنح لها . وفي كل حالة يوضع حد لسلطة الدولة .

أولا، إن مصدر سلطة الدولة هو الله . " لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة ، لأنه ليس سلطان مرتب الا من الله" (الآية ١-آ). و "السلاطين الكائنة هي مرتبة من الله" (الآية ١ ب) . "حتى أن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله" (الآية ٢).

هذه النظرية كانت واضحة من قبل في العهد القديم.[٧] إلا أنه لايجوز أن نفكر في وظائف الدولة على أساس "السلطة" فقط ، بل على أساس "الخدمة" أيضا. لأن "من في السلطة " (إشارة عامة ، فيما يبدو ، يمكن أن تشمل أي موظف في الدولة من الشرطي الى القاضي) "هوخادم الله ليفعل الخير لكم" (الآية ٤ أ، NIV). وكذلك "هو خادم الله ومنتقم للغضب ليعاقب فاعل الشر" (الآية ٤ب) . ومع ذلك أيضا، فإن السبب الذي يلزمنا بدفع الضرائب هو أن الحكام هم "خدام الله المتفرغون للحكم" (الآية ٦) .

أعترف بأنني متأثر غاية التأثر لأن بولس يكتب عن "سلطة" الدولة وعن "خدمة" الدولة معا؛ ولأنه يؤكد ثلاث مرات أن سلطة الدولة هي سلطة الله ويصف الدولة وموظفيها، ثلاث مرات ، بأنهم خدام الله ، مستخدما كلمتين (*دياكونوس وليتورغوس*) يطبقهما في موضع آخر على خدمته هو كرسول ومبشر ، ويطبقهما حتى على خدمة المسيح.[٨] ولا أظن انه توجد أي طريق للتملص من هذا ، كاللجؤ مثلا الى تفسير الفقرة باعتبارأنها إذعان ، على مضض ، لحقائق السلطة السياسية. ليس الأمر كذلك ، فإن بولس ، بالرغم من عيوب السلطة الرومانية ، التي ألفها شخصيا ، أعلن بصورة مؤكدة أن سلطتها وخدمتها هما من الله . فالأصل الإلهي لسلطة الدولة هو الذي يجعل الخضوع لها مسألة "ضمير" (الآية ٥) .

مع ذلك ، ونظرا الى أن سلطة الدولة هي بتفويض من الله ، ولذلك فهي ليست من ذاتها بل مستمدة ، فلا يجوزأبدا أن تصبح سلطة مطلقة. العبادة واجبة لله وحده ولمسيحه، الذي هو رب كل ملك ورب كل سلطان (أف١:٢١،٢٢) و "رئيس ملوك الأرض" (رؤ ١:٥؛ قارن١٩:١٦). ينبغي أن تحترم الدولة بصفتها مؤسسة إلهية ؛ لكن منحنا لها ولاء أعمى غير مشروط سيكون عبادة أصنام . لقد رفض المسيحيون الأولون أن يدعوا قيصر "سيدا " ؛ فذلك اللقب يخص يسوع وحده .

ثانيا، إن قصد الله من إعطائه سلطة للدولة هو لكي تكافيء الصلاح (وهكذا تعززه) ، وتعاقب الشر(وهكذا تكبحه). فالدولة ، من جهة ، تمدح (تعبرعن استحسانها لـ:) أولئك الذين يفعلون الصلاح (الآية ٣) — بالتكريمات التي تمنحها لمواطنيها البارزين — وهي موجودة لكي تفعل الخير لكم " (الآية ٤). هذه العبارة

---

٧ مثلا إر ٢٧:٥-٦ ؛ دا ٢:٢١ ؛ ٤:١٧ ، ٢٥، ٣٢ ؛ ٥:٢١ ؛ ٧:٢٧

٨ يوصف كل من المسيح وبولس بأنه *diakonos* في رو ١٥:٨ و ٢كو ٦:٤ على التوالي . ويوصف كل من المسيح وبولس بأنه *leitourgos* في عب ٨:٢ و رو ١٥:١٦ على التوالي .

ليست مشروحة، لكنها بالطبع تشمل كل المنافع الاجتماعية التي تؤديها حكومة صالحة ، كالمحافظة على السلام وصيانة القانون والنظام ، وحماية حقوق الانسان، وتعزيز العدل ، والعناية بالمحتاجين . ومن جهة أخرى ، فإن الدولة كخادمة لله، وأداة لتنفيذ غضبه ، تعاقب فاعلي الشر (الآية ٤)، فتقدمهم الى العدالة . تميل دول اليوم الى أن تقوم بالعمل الأخير بصورة أفضل من قيامها بالعمل الأول . إن البنى التي تقوم بفرض القانون أكثر تطورا من تلك التي تشجع المواطنية الصالحة عن طريق مكافأة من يقومون بالخدمات العامة وبالأعمال الخيرية . إلا أن العقوبات والمكافآت متلازمة . إن الرسول بطرس أيضا يقرنهما في رسالته الأولى، التي كتبها بالتأكيد بعدما بدأ المسيحيون في روما يعانون من الاضطهاد ، حيث يؤكد ، ربما كصدى لرومية١٣، على الأصل الإلهي للدولة والقصد البناء منها باعتبارها "مرسلة من الله للانتقام من فاعلي الشر ولمدح فاعلي الخير" (١بط٢: ١٤).

غير أن وظيفة الدولة المزدوجة تتطلب درجة عالية من حسن التمييز، فيجب مكافأة الخير فقط ومعاقبة الشر فقط . ولامبرر هنا للتوزيع الاعتباطي للامتيازات أو العقوبات . ولا سيما فيما يتعلق بفرض القانون . فتنبغي حماية الأبرياء في زمن السلم وينبغي ضمان عدم مهاجمة الأشخاص المدنيين . إن عمل الشرطة عمل تمييزي، والكتاب يعبر بصورة ثابتة عن رعبه من سفك دم بريء . ومبدأ التمييز هذا جانب هام من نظرية "الحرب العادلة" . ولهذا فإن كل استخدام لأسلحة الدمار الشامل (الذرية، البيولوجية ، والكيميائية) وكل استخدام لاتمييزي للأسلحة التقليدية (مثلا القصف المكثف لأماكن مدنية) يعتبرمحظورا بهذا النص ويعتبر إيذاء بالغا، للضمير المسيحي.

ثالثا، إن *الوسيلة* التي تمارس بها سلطة الدولة ينبغي أن تكون خاضعة للتحكم بقدر ما تكون أغراضها خاضعة للتمييز. ومن الواضح أنه يلزم استخدام الإكراه في بعض الأحيان ، لتأمين حماية البريء ومعاقبة المذنب . إن السلطة تتضمن القوة ، مع أنه يلزمنا أن نميز بين العنف (استخدام القوة دون مبدأ ودون تحكم) وبين القوة (استخدام القوة وفق مبدأ وتحكم، لاعتقال فاعلي الشر واحتجازهم والاحتفاظ بهم في الحجز القضائي ، ولإحضارهم الى المحاكمة ، ولإلزامهم بتنفيذ العقوبة ، إذا أدينوا وحكم عليهم). بل إن سلطة الدولة يمكن أن تمتد حتى الى الحكم بالموت . لأن معظم المفسرين يفسرون "السيف" الذي تحمله الدولة (الآية ٤) كرمز ليس فقط لسلطتها العامة التي تخولها فرض العقوبة ، بل كرمز لسلطتها الخاصة التي تخولها

بأن تنزل عقوبة الإعدام أو بأن تشن الحرب أو كليهما.[٩] لقد حاول لوثر وكلفن أن يبرهنا ، أن من حقنا استخدام التقدير الاستقرائي في هذه الفقرة ليشمل "الحرب العادلة"، نظرا الى أن "فاعلي الشر" الذين يحق للدولة أن تعاقبهم يمكن أن يكونوا معتدين يهددونها من الخارج ، كما يمكن أن يكونوا مجرمين يهددونها من الداخل.

توجد ، بالطبع ، فروق واضحة بين الحكم بعقوبة على مجرم ومعاقبته من جهة، وبين إعلان الحرب وشنها ضد معتد من جهة أخرى . ففي الحرب على وجه الخصوص لا يوجد قاض و لامحكمة . عندما تعلن دولة ما الحرب ، فهي تتصرف كقاض في قضيتها هي ، نظرا الى أنه لا توجد حتى الآن هيئة مستقلة للنظر في النزاعات الدولية . وإن الإجراءات المتبعة في قاعة المحكمة والجو الهادىء السائد فيها لا مثيل لهما في ميدان المعركة . غير أن تطوير نظرية الحرب العادلة ، كما بين الأستاذ أوليفر أو. دونوفان Oliver O'Donovan ، "قد مثل محاولة نظامية لتفسير أعمال الحرب قياسا على أعمال الحكومة المدنية "،[١٠] ورؤية هذه الأعمال باعتبار أنها تقع ضمن "إطار إقامة العدل" واعتبارها خاضعة لـ "معايير الكبح التي تراعيها العدالة التنفيذية ".[١١] بالحقيقية كلما عرض النزاع على أساس البحث عن العدالة كلما كانت الحجة أقوى لدعم شرعيتها.

إن استخدام الدولة للقوة ، إذا ما اقتصر بصرامة على القصد الخاص الذي منحت من أجله ، ينبغي أن يكون مقتصرا بصرامة مماثلة على أناس معينين ، أي تقديم المجرمين إلى العدالة . ولا يمكن أن يوجد في رومية ١٣ عذر يبرر الإجراءات القمعية التي تستخدمها الدولة البوليسية . إن أفراد الشرطة والجيش كليهما ، في جميع الدول المتحضرة ، مزودون بتعليمات تأمرهم باستخدام "الحد الضروري الأدنى من القوة " ـ الكافية فقط لإتمام المهمة المطلوبة. ينبغي أن تكون القوة في الحرب أيضا تحت السيطرة و مُمَيِّزَةً . إن الضمير المسيحي يحتج على قدرة القتل المفرطة المرعبة التي تتصف بها مجموعات الأسلحة النووية الحالية.

---

٩ إن كلمة ماكيرا التي يستخدمها بولس هنا للدلالة على "سيف" الدولة ، يمكن أن تترجم أحيانا إلى "خنجر" أو "سكين" ؛ لكنها تستخدم عدة مرات في العهد الجديد لترمز إلى الموت عن طريق الإعدام أو عن طريق الحرب (مثلا مت ٣٤:١٠ ؛ لو ٢٤:٢١ ؛ أع ٢:١٢ ؛ رو ٣٥:٨ ؛ عب ٣٧:١١).

[10] Oliver O'Donovan, *Pursuit of a Christian View of War*, p. 13.

[11] *Ibid.*, p. 14.

رابعا، ينبغي التأكيد على *الاعتراف* الواجب بسلطة الدولة . على المواطنين أن "يخضعوا" للسلطات الحاكمة لأن الله قد رسمها (الآية١) . ينجم عن ذلك أن أولئك الذين "يتمردون" عليها يتمردون على الله ، ويجلبون دينونته على أنفسهم (الآية ٢). إلا أنه من الضروري أن "تخضع"، ليس بغية تجنب القصاص فحسب ، بل أيضا للاحتفاظ بضمير صالح . فما الذي يتضمنه "خضوعنا" ؟ من المؤكد أننا سنطيع القوانين (١بط ٢:١٣) و ندفع الضرائب (رو١٣:٦) . وسوف نصلي أيضا لأجل الحكام (١تي ٢: ١-٢) . فالقدوة والضرائب والصلاة ثلاث طرق لتشجيع الدولة على إتمام مسؤولياتها المعطاة لها من الله . أما ما إذا كنا سنمضي أبعد من ذلك و نقترح أن "الخضوع" الواجب سوف يتضمن التعاون ، وحتى الاشتراك في عمل الدولة فهذا أمر يحتمل أنه يعتمد على ما إذا كانت تعاليمنا الكنسية لوثرية أم مصلحة أم معمدانية . أما من جهتي فإنني ، نظرا الى أن سلطة الدولة وخدمتها هما من الله ، لاأستطيع أن أرى سببا لتجنب خدمتها المعينة من الله ، وأرى كل سبب يدعوني الىالمشاركة فيه .

إلا أنه مع ذلك ينبغي أن تكون هناك حدود لخضوعنا . فمع أن "الحكام" (من الناحية النظرية ، بحسب قصد الله) "لا يخيفون أولئك الذين يفعلون الصلاح ، بل أولئك الذين يفعلون الشر" (الآية ٣) ، فقد كان بولس يعرف أن حاكما رومانيا قد حكم على يسوع بالموت ، وكان بولس نفسه أحيانا ضحية للظلم الروماني . فماذا ينبغي أن يفعل المسيحيون إذا أساءت الدولة استخدام السلطة الممنوحة لها من الله، وأساءت استعمال خدمتها المعطاة لها من الله وبدأت تشجع الشر وتعاقب الخير ؟ ماذا إذا توقفت عن القيام بدور خادمة الله وأصبحت خادمة الشيطان واضطهدت الكنيسة عوضا عن أن تحميها ومارست سلطتها الحاقدة المستمدة ليس من الله بل من التنين (رؤ١٣)؟ ماذا عندئذ ؟ نجيب بأن على المسيحيين مع ذلك أن يحترموا دولة شريرة ، بقدر ما ينبغي على الأولاد أن يحترموا والديهم الأشرار، لكن لا يطلب منهم الخضوع الخانع . إن الرسول لا يقدم أي تشجيع للحكم الاستبدادي. من واجبنا أن ننتقد ونحتج ونحاول إثارة الشعور العام ، ونتظاهر، حتى أن من واجبنا (في المواقف المتطرفة) أن نقاوم الى حد العصيان الذي يخالف القانون. إن العصيان المدني بالحقيقة هومفهوم كتابي ، احترمه على الخصوص دانيال ورفاقه في العهد

القديم ، واحترمه الرسولان بطرس ويوحنا في العهد الجديد.[١٢] هذا المبدأ واضح . فنظرا الى أن سلطة الدولة قد اعطيت لها من قبل الله ، فينبغي أن نخضع لها ولكن يجب أن يتوقف خضوعنا لها عند الحد الذي تصبح عنده إطاعة الدولة عصيانا على الله . فعند ذلك الحد إذا أمرتنا الدولة بما نهى الله عنه ، أو نهت عما أمر الله به فإننا نعصى الدولة لكي نطيع الله. وكما قال الرسولان للسنهدرين ، "ينبغي أن نطيع الله أكثر من الناس !" [١٣]

إذا كان مسموحا بالعصيان في الظروف القصوى ، فهل يسمح بالتمرد أيضا ؟ لاشك أن التعليم المسيحي بشأن "الحرب العادلة" قد توسع أحيانا ليشمل "الثورة العادلة ". ولكن جواز قيام الثورة المسلحة [العادلة] يقتضي توفر شروط صارمة، وهي نفسها لازمة لجواز قيام الحرب [العادلة]. هذه الشروط تتعلق بالعدالة (الحاجة الى الإطاحة بحكم استبدادي شرير بصورة واضحة) والكبح (كمحاولة أخيرة فقط ، بعد أن استنفدت كل الخيارات الأخرى)، والتمييز والتحكم (باستخدام القوة)، والنسبة (يجب أن يكون الألم الناتج أقل من الألم الذي كان يعانى منه) ، والثقة (توقع النجاح بصورة معقولة) . إن تطبيق هذه المباديء وفقا لما يمليه الضمير سيجعل خطوة العصيان العنيفة أمرا نادرا جدا .

دعني ألخص مظاهر سلطة الدولة والحدود المتعلقة بها . فلأن سلطة الدولة قد أوكلت إليها من قبل الله فينبغي أن نحترمها ولكن لا يجوز أن نعبدها. ولأن القصد من سلطة الدولة هو معاقبة الشر وتعزيز الصلاح ، فليس لها عذر في أن تحكم حكما اعتباطيا. ولتحقيق هذا الغرض قد تستخدم الإكراه ، ولكن فقط في نطاق الحد الأدنى الضروري من القوة ، وليس العنف اللاممييز. علينا أن نحترم الدولة وموظفيها، مقدمين لهم خضوعا فطنا ، لا خنوعا غير متفق مع قواعد النقد النزيه.

التغلب على الشر بالخير

١٢ للاطلاع على أمثلة عن العصيان المدني يمكن الرجوع إلى خر ١:١٥-٢١ ؛ دا ١:٣-١٨ و ١:٦-١٤ ؛ أع ١٣:٤-٢٠

١٣ أع ٢٩:٥ ؛ قارن ١٩:٤

بعد أن تنقلنا، فـي دراستنا لرومية ١٢ و ١٣ ، مـن بغـض الشـر، مرورا بعـدم مجـازاة الشـر والتغلـب عليـه ، وانتهينـا الـى معاقبتـه ، فقـد بقيـت امامنـا مشـكلة الانسجام . رأينا أنه ينبغي ألا يجـازى الشـر وأن يجـازى معـا ، بنـاء علـى مـن هـو الأداة المنفذة . ولكن كيف يمكن "التغلب" علـى الشـر(١٢:٢١) و"معاقبتـه" (١٣:٤) في الوقت نفسه ؟ هـذا سـؤال أكثر صعوبـة ، ويقودنـا الـى قلـب الجـدل الدائـر بيـن السـلاميين المسـيحيين Christian pacifists وأصحـاب نظريـة الحـرب العادلـة . إن الذهـن المسـيحي يذهـب فـورا الـى صليـب المسيح ، لأنـه هنـاك تـم التوفيـق بيـن الفريقين. إن الله لم يتغلب على شرنا إلا، بتبريرنا إذ دان شـرنا أولا فـي المسـيح ، وبفدائنا إذ دفع أولا ثمن الفدية . إنه لم يتغلب على الشر برفض معاقبته ، بل بتقبل العقوبة بنفسه . فعند الصليب تمت معاقبة الشرالبشري والتغلب عليـه فـي آن واحـد، وأرضيت رحمة الله وعدالته كلتاهما.

فكيف يمكن التوفيق بين هذين الأمرين في مواقفنا مـن الشـر اليـوم ؟ لا يسـتطيع المسيحيون ، في ضوء الصليب ، أن يتقبلوا أي موقف تجـاه الشـر سـواء كـان تجنـب معاقبتـه في محاولة للتغلب عليه ، أو معاقبته دون سعي للتغلب عليه. من المؤكد انـه ينبغي على الدولة أن تنفـذ غضـب اللـه بصفتهـا خادمـة لـه ، وأن تشـهد لعدالـة اللـه بمعاقبة فـاعلي الشـر. ولكـن المسـيحيين أيضـا يريـدون أن يشـهدوا لرحمتـه . ومـن الإفراط في التبسيط القول أن الأفراد يتصرفـون بدافـع المحبـة وأن الـدول تتصـرف بدافع العدالة . إذ لا يجوز للمحبة الفردية أن تكـون لا مباليـة بالعدالـة ، ولا يجـوز لإقامة العدل من قبل الدولـة أن تتغاضـى عـن تلـك المحبـة للقريـب التـي هـي تتميـم النامـوس . علاوة على ذلك ، فإن الدولة ، فـي سـعيها وراء العدالـة ، ليسـت ملزمـة بالمطالبة بالعقوبة القصوى التي يسمح بها القانون . إن الله الذي وضـع مبـدأ "نفـس بنفس" هو نفسه الذي صان حياة أول قاتل (تك ٤:١٥). إن الظروف المخففـة سـوف تلطـف العدالة بالرحمة . فـالفعل الجزائـي (معاقبـة فـاعل الشـر) والفعـل الإصلاحـي (إصلاحه ورده) متلازمان ، لأن الشر عندئذ يعاقب ويغلب في آن واحد .

وإنه لأكثر صعوبة الى حد كبير أن نتصور مثـل هـذا التوفيـق فـي الحـرب التـي لاينخرط فيها الأفراد بل بالأحرى الدول . ولكن ينبغي على المسيحيين أن يكـافحوا على الأقل لحل هذه المعضلـة ويحـاولوا أن يتجنبـوا التطـرف باتخـاذ أحد الموقفيـن دونمـا اعتبـار للموقـف المضـاد . إن أصحـاب نظريـة الحـرب العادلـة يميلـون إلـى التركيز على الحاجة الى مقاومة الشر ومعاقبته والى التغاضي عن الوصيـة الكتابيـة

الأخرى التي تأمر بالتغلب عليه . ويميل السلاميون من جهة أخرى الى التركيز على الحاجة الى التغلب على الشر بالخير ، والى نسيان حقيقة أن الشر، بحسب الكتاب ، يستحق العقاب . هل يمكن التوفيق بين هذين التوكيدين الكتابيين ؟ إن المسيحيين سوف يؤكدون على الأقل على الحاجة الى التطلع الى ما وراء هزيمة العدو القومي واستسلامه اي الى توبته ورده . إن ما يسمى "سياسة الغفران" ، التي اقترحها هادن ويلمر Haddon Willmer مؤخرا ،[١٤] ذات دلالة هنا . كما أن ديفيد أتكنسون David Atkinson يلخص هذا التأكيد بصورة جيدة :

> إن الغفران مفهوم دينامي للتغير . إنه يرفض أن يقع في فخ الحتمية ـ الجبري fatalistic . إنه يقر بحقيقة الشر ، والخطأ والجور ، لكنه يسعى الى الرد على الخطأ بطريقة تخلق إمكانات جديدة . إن الغفران يومىء باقتراب من الخطأ ، ليس على أساس السلام بأي ثمن ، ولا بقصد هدام لتدمير فاعل الشر، بل على أساس الرغبة في السعي الى إعادة صياغة المستقبل على ضوء الخطأ ، بطريقة خلاقة الى أبعد حد ممكن .[١٥]

لقد عرض الله محبته المقدسة على الصليب وبَيَّنَها بطلب معاقبة الخطية وبحمله هو لهذه العقوبة ، وهكذا عاقب الشر وتغلب عليه في الوقت نفسه؛ فيجب أن تكون محبة الصليب المقدسة السمة المميزة لردنا على فاعلي الشر اليوم .

---

[14] Haddon Willmer, in *Third Way* (May, 1979)
[15] David Atkinson, *Peace in our Time?*, p 167.

١٣

الألم والمجد

إن حقيقة الألم تشكل، دون ريب ، التحدي الأعظم للإيمان المسيحي، وقد كانت هناك ومازالت ماثلة في كل جيل. إن توزع الألم ودرجته يظهران عشوائيين تماما وبالتالي جائرين . ويسأل الأشخاص رقيقو الشعور عما إذا كان بالإمكان التوفيق بين عدالة الله ومحبته.

في ١ تشرين الثاني عام ١٧٥٥ دمرت لشبونة بهزة أرضية . كانت الكنائس غاصة بالناس في ذلك اليوم ، نظرا الىأنه صادف عيد جميع القديسين، وقد دمرت ثلاثون كنيسة . وخلال ست ثوان مات خمسة عشرألف شخص وأصبح خمسة عشرألفا أخرون على وشك الموت . كان فولتيرالكاتب والفيلسوف الفرنسي واحدا من كثيرين صعقوا بالخبر. وظل طوال أشهر يشير إليه في رسائله بتعابير تنم عن رعب غاضب. كيف يستطيع أي انسان الآن أن يؤمن بخيرية اللهbenevolence وقدرته الكلية ؟ وراح يسخر من الأبيات الشعرية التي كان ألكسندر بوب قد كتبها في مقالة عن الانسان وهو في فيلا مريحة وآمنة في تويكنهام Twickenham:

وبالرغم من الكبرياء، وبالرغم من التفكيرالخاطيء ،
هناك حقيقة واضحة واحدة ، كل ما هو كائن هو حق .

لقد ثار فولتير دائما على هذه الفلسفة التفاؤلية . ولو أن بوب كان في لشبونة، فهل كان سيكرر أبياته الشعرية السخيفة وغير الملائمة ؟ لقد بدت أبياته في نظر فولتيرغيرمنطقية (فسرت الشرعلى أنه خير) وغير متسمة بالاحترام(عزت الشرالى العناية الإلهية) و مؤذية (طبعت الاستسلام في الذهن عوضا عن الفعل البناء). وقد عبر عن اهتياجه هذا في قصيدة سماها *قصيدة حول كارثة لشبونة*، يسأل فيها، إذا

كان الله حرا وعادلا وخيِّراً ، فلماذا نتألم تحت حكمه؟ إنها الأحجية القديمة ، فإما أن الله ليس صالحا أو أنه ليس القادر على كل شيء . إما أنه يريد أن يوقف الألم لكنه لا يستطيع أو أنه يستطيع ذلك لكنه لا يريد. وأيا كانت الأحجية ، فكيف نعبده كإله ؟ أما احتجاج فولتير الثاني فكان عن طريق كتابة روايته الساخرة *كانديد Candid* ، وهي قصة شاب ساذج وأستاذه الدكتور بانغلوس Dr Panglos ، أستاذ التفاؤلية ، الذي يظل يؤكد له بلطف أن " كل شيء سيؤدي الى الأفضل في أحسن العوالم الممكنة" ، على الرغم من بلاياهما المتعاقبة. وعندما تحطمت سفينتهما قرب لشبونة ، كاد كانديد أن يقتل في الهزة الأرضية وشنق بانغلوس من قبل محاكم التفتيش . كتب فولتير: " لقد راح كانديد يقول ، وهو مرتعب ، وعاجز عن الكلام ، ينزف دما و يرتجف : " إذا كان هذا أحسن العوالم الممكنة ، فكيف تكون بقية العوالم ؟ " [١]

إلا أن مشكلة الألم بعيدة عن أن تكون موضع اهتمام الفلاسفة فقط . إنها تقريبا تمس كل واحد منا شخصيا مسا وثيقا ؛ قليلون من الناس يسيرون رحلة الحياة بكاملها دون أن يصابوا بأذى . فقد يكون هذا الأذى طفولة محرومة تؤدي الى الاضطراب العاطفي طوال الحياة ، أو إعاقة خِلْقِيّة في العقل أو الجسد . أو قد نصاب فجأة ودونما سابق إنذار بمرض مؤلم ، أو ننذر بأننا فائضون عن الحاجة في عملنا، أو يحل بنا الفقر أو نفقد عزيزا أو ربما نتضايق بسبب عزوبة إلزامية ، أو علاقة حب محطمة ، أو زواج تعيس أو طلاق أو اكتئاب أو شعور بالوحشة. يأتي الألم بأشكال لا نرحب بها ، وأحيانا لا نكتفي بأن نطلب من الله سؤالينا المعذبين " لماذا ؟" و " لماذا أنا ؟ " فحسب ، بل إننا كأيوب نغتاظ من الله ، ونتهمه بالجور واللامبالاة . لم أسمع بقائد مسيحي كان أكثر صراحة ، في الاعتراف بغضبه ، مما كان جوزيف باركر، خادم كنيسة ستي تمبل من سنة ١٨٧٤ حتى وفاته سنة ١٩٠٢ . يقول في سيرته الذاتية ، أنه حتى سن الثامنة والستين لم يخامره مطلقا أي شك ديني . ثم ماتت زوجته ، وانهار إيمانه وكتب يصف حاله آنئذ : " في تلك الساعة المظلمة كدت أصبح ملحدا ، لأن الله قد وطيء بقدمه صلواتي وعامل توسلاتي بالازدراء . ولو أنني شاهدت كلبا في مثل الكرب الذي كنت فيه لأشفقت

[1] See S G Tallentyre, *Life of Voltaire*, Vol II, pp 25-27 and *Voltaire* by Colonel Hamley, pp 168-177

على ذلك الحيوان الأبكم وساعدته ؛ ومع ذلك فإن الله قد بصق على ورماني خارجا كقاذورة ـ الى برية النفايات في ظلمة الليل الخالي من النجوم".[٢]

ينبغي أن يقال على الفور أن الكتاب المقدس لا يؤمن حلا شاملا لمشكلة الشر، سواء أكان شرا "طبيعيا"، أوشرا "أخلاقيا" ، أي سواء أكان في شكل ألم أو في شكل خطية . إن قصده عملي أكثر مما هو فلسفي . نتيجة لذلك ومع انه توجد في الواقع إشارات الى الخطية والألم على كل صفحة من صفحاته ، فإن اهتمامه ليس بتفسير أصولها. بل بمساعدتنا للتغلب عليها .

هدفي في هذا الفصل هو أن أتقصى العلاقة التي يمكن أن توجد بين صليب المسيح وآلامنا . وهكذا لن أتوسع في الحجج القياسية [المعتبرة] المتعلقة بالألم التي تتضمنها المراجع ، لكنني سأكتفي فقط بذكرها كمقدمة.

أولا، إن الألم بحسب الكتاب المقدس اقتحام أجنبي في عالم الله الصالح، ولن يكون له دور في كونه الجديد. الألم هجوم شيطاني مدمر ضد الخالق. وكتاب أيوب يوضح ذلك . ويوضحه وصف يسوع للإمرأة الضعيفة بأن" الشيطان قد ربطها " ، و"انتهاره" للمرض حينما انتهر الأرواح ، وإشارة بولس الى " شوكته في الجسد" بأنها "ملاك الشيطان"، وتصوير بطرس لخدمة يسوع بأنها "شفاء جميع المتسلط عليهم إبليس" .[٣] وهكذا فمهما قيل لاحقا عن "الخير" الذي يستطيع الله أن يحققه من تحويل الألم ، يجب أن لا ننسى أنه خير ناتج من الشر.

ثانيا، في كثير من الأحيان يكون الألم ناجما عن الخطية . لا ريب في أن المرض والموت قد دخلا الى العالم في الأصل عبر الخطية . لكنني الآن أفكر في الخطية المعاصرة . أحيانا يكون الألم ناجما عن خطية الآخرين كما هو الحال عندما يتألم الأولاد من والدين غير محبين أو غير مسؤولين ، وعندما يتألم الفقراء والجياع من الظلم الاقتصادي ، وعندما يتألم اللاجئون من فظاعات الحرب وعندما تقع إصابات في حوادث الطرق بسبب السائقين المخمورين. في أوقات أخرى قد يكون الألم نتيجة لخطيتنا نحن (الاستخدام الطائش لحريتنا) بل ويمكن أن يكون عقوبة لها. يجب أن لا نغفل تلك المقاطع الكتابية التي يعزى فيها المرض الى عقوبة من الله.[٤] في الوقت نفسه يجب أن ننبذ بحزم عقيدة *كارما karma* الهندوسية المخيفة التي

---

[٢] Quoted by Leslie J. Tizard in *Preaching*, p. 28

[٣] لو ١٣:١٦ و ٤:٣٥ ، ٣٩؛ ٢كو ١٢:٧؛ أع ١٠:٣٨

[٤] مثلا تث ٢٨:١٥ وما يليها ؛ ٢مل ٥:٢٧؛ مز ٣٢:٣-٥ ؛ ٣٨:١-٨ ؛ لو ١:٢٠ ؛ يو٥:١٤ ؛ ١كو ١١:٣٠

تعزو كل ألم الى ارتكاب شر في هذا الوجود أو في الوجود السابق ، والعقيدة المخيفة المشابهة لها تقريبا، عقيدة من دُعُوا معزي أيوب. لقد عرضوا على أيوب أورثوذكسيتهم التقليدية التي مفادها أن كل ألم شخصي يرجع الى خطية شخصية ، وأن أحد أغراض سفر أيوب الرئيسة هواستئصال ذلك المفهوم الذي يؤمن به عامة الناس ويتمسكون به بعناد. كذلك رفضه يسوع بصورة قاطعة .[٥]

ثالثا ، يرجع الألم الى حساسيتنا البشرية بالألم وتصبح البلية أسوأ بسبب الأذى (البدني أو العاطفي) الذي نشعر به. ولكن مراكز حس الألم في الجهاز العصبي المركزي تصدر إشارات أنذار هامة ، ضرورية لبقاء الفرد ولبقاء المجتمع . ربما كان أحسن إيضاح لهذا اكتشاف الدكتور بول براند Paul Brand، في مستشفى فيللور Vellor المسيحي في جنوبي الهند ، أن مرض هانسن (البرص) يفقد أطراف الجسم إحساسها ، بحيث أن القرحة والأمراض المعدية التي تصيب المريض فيما بعد تعد مشكلات ثانوية ترجع الى فقدانه للاحساس . ينبغي أن تسبب الارتكاسات العصبية *الألم* لنا لكي نحمي أنفسنا. كتب فيليب يانسي Philip Yancey: " شكرا لله لأنه اخترع الألم ! ما أظن أنه كان بوسعه أن يقوم بعمل أفضل. إنه عمل رائع".[٦]

رابعا ، يرجع الألم الى نوع البيئة التي وضعنا الله فيها. فمع أن معظم الألم البشري ناجم عن الخطية البشرية (أربع أخماسه بتقدير سي. إس. لويس وتسعة عشر من عشرين جزءا ، أي ٩٥٪ بحسب هيو سيلفستر Hugh Silvester [٧])، فإن الكوارث الطبيعية ، كالطوفان والإعصار والزلازل الأرضية والجفاف ليست ناجمة عنها. ومن الممكن أن يحاج البعض بالقول ، أن الله لم يقصد أن تسكن "المناطق اللاضيافية" inhospitable ، بله أن تزيد بسبب اللامسؤولية البيئية.[٨] لكن معظم الناس يستمرون في العيش حيث ولدوا، وليس لديهم فرصة للانتقال. فماذا يستطيع المرء أن يقول عما يسمى "قوانين" الطبيعة التي تغرق الناس الأبرياء بلا شفقة بالبلايا ؟ لقد مضى سي. إس. لويس الى حد القول أنه "ولا حتى القدرة الكلية تستطيع أن تخلق مجتمعا من النفوس الحرة دون أن تخلق في الوقت نفسه طبيعة "عنيدة " ومستقلة نسبيا ".[٩] ويتابع لويس قائلا، "فما يلزمنا للمجتمع البشري ، هو

---

[٥] مثلا لو ١٣: ١-٥ ؛ يو ٩: ١-٣

[6] Philip Yancey, *Where is God when it hurts?*, p. 23.

[7] C. S. Lewis, *Problem of Pain*, p 77; Hugh Silvester, *Arguing with God*, p 32

[8] Hugh Silvester, *Arguing with God*, p. 80.

[9] C. S. Lewis, *Problem of Pain*, p. 17.

بالضبط ما نملكه الآن ـ شيء ما حيادي "مستقر و له "طبيعته الثابتة الخاصة به" ، باعتباره الميدان الذي يمكن أن نتصرف فيه بحرية بعضنا نحو البعض الآخر ونحوه .[١٠] فإذا عشنا في عالم يمنع الله فيه كل شر من الحدوث ، كما يفعل السوبرمان في أفلام ألكسندر سالكندAlexander Salkind ، فسيغدو كل نشاط حر ومسؤول مستحيلا.

لقد كان هناك دائما من يصرون على أن الألم لا معنى له، ولا يمكن أن نكتشف فيه أي غرض . وهؤلاء شملوا في العالم القديم الرواقيين (الذين علموا عن الحاجة الى الخضوع بثبات الى قوانين الطبيعة العنيدة) و الأبيقوريين (الذين علموا أن أفضل سبيل للنجاة من العالم العشوائي، هو الانغماس في اللذة) . و في عالم اليوم العلماني المعاصر يؤمن الوجوديون بأن كل شيء ، بما في ذلك الحياة ، والألم والموت ، لامعنى له ، وبالتالي فهو سخيف . لكن المسيحيين لا يستطيعون أن يتبعوهم عبر ذلك المجاز الضيق الطويل المسدود . لأن المسيح تكلم عن الألم باعتباره " لمجد الله"، لكي يتمجد ابن الله به، و"بذلك تظهر أعمال الله". [١١] يبدو أن هذا يعني أن الله يعمل بطريقة ما (ما زالت بحاجة الى استكشاف) مظهرا مجده في الألم وبوساطة الألم كما فعل (وأن كان ذلك بطريقة مختلفة) عن طريق ألم المسيح . ما هي إذا العلاقة بين آلام المسيح وآلامنا ؟ كيف يتحدث الصليب إلينا في وسط ألمنا ؟ أود أن أقترح ستة أجوبة محتملة لهذه الأسئلة مستمدة من الكتاب المقدس ، و يبدو أن هذه الأجوبة تتدرج في الصعوبة من الأبسط الى الأسمى.

الاحتمال الصابر

أولا، إن صليب المسيح *حافز للاحتمال الصابر* . ومع أنه يجب الإقرار بأن الألم شر ولذلك تجب مقاومته ، إلا أنه يأتي وقت حين يجب قبول الألم بصورة واقعية. وفي هذه الحال ننظر الى مثال يسوع المعروض أمامنا في العهد الجديد لنقتدي به ، فيغدو مصدر إلهام لنا . لقد لفت بطرس انتباه قرائه إلى مثال يسوع ولاسيما إذا كانو عبيدا مسيحيين لدى سادة قساة إبان الاضطهاد النيروني . فإذا ضربوا جزاء ارتكابهم خطأ ما وتقبلوا الأمربصبر لم يحسب لهم ذلك فضلا. أما إذا تألموا بسبب فعل الخير وتحملوا الألم ، فهذا يسرالله . لماذا ؟ لأن التألم بغير حق

---

[10] *Ibid.* , p. 19

[١١] يو ١١:٤ و ٩:٣

هو جزء من دعوتهم المسيحية ، نظرا الى أن المسيح نفسه قد تألم لأجلهم تاركا لهم مثالا، لكي يسيروا في إثر خطواته . لقد شتم مع أنه كان بدون خطية ، لكنه لم يرد الأذى بمثله أبدا (١بط ٢: ١٨-٢٣) . لقد ترك يسوع لنا مثالا عن المثابرة وعن عدم الثأر أيضا ، ينبغي أن يشجعنا على المثابرة في السباق المسيحي . يلزمنا أن "تثبت أنظارنا على يسوع"، لأنه "احتمل الصليب ، مستهينا بالخزي" . وهكذا : " تفكروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكلوا وتخوروا في نفوسكم " (عب ١٢: ١-٣).

مع أن هذين المثالين كليهما يتعلقان بخاصة بالمقاومة أو الاضطهاد، يبدو أنه يحق لنا إعطاءهما تطبيقا أوسع . لقد استمد المسيحيون في كل جيل من آلام المسيح ، التي بلغت ذروتها في الصليب ، الإلهام ليحتملوا بصبر الألم غير المستحق ، دون أي شكوى أو انتقاد قاس . صحيح أن هناك أنواعا كثيرة من الألم لم يتحملها يسوع . لكن آلامه كانت أنموذجا لافتا للنظر. خذ مثلا جوني أريكسون. ففي عام ١٩٦٧ حين كانت رياضية جميلة في سن المراهقة ، حدث لها حادث غطس مريع في خليج تشيزابيك Chesapeake، تركها مشلولة الأطراف الأربعة . لقد روت قصتها بنزاهة تحرك المشاعر بما في ذلك أوقات المرارة والغضب والتمرد واليأس التي مرت فيها، وروت أيضا كيف تمكنت تدريجا عن طريق محبة عائلتها وأصدقائها من أن تثق بسيادة الله المطلقة وأن تبني حياة جديدة حيث راحت ترسم بفمها وتتكلم في اجتماعات عامة تكللها بركة الله الرائعة. ذات ليلة بعد مرور ثلاث سنوات على الحادث ، كانت سيندي Cindy ، إحدى أقرب صديقاتها، جالسة بقربها، فحدثتها عن يسوع قائلة ، " آه ، لقد كان هو أيضا مشلولا ". لم يكن قد خطر ببالها من قبل أن يسوع كان على الصليب يعاني من ألم مماثل، عاجزا عن الحركة ، ومشلولا في الواقع . وقد وجدت هذه الفكرة معزية جدا .[١٢]

القداسة الناضجة

[12] Joni Eareckson with Joe Musser, *Joni*, p. 96. See also her second book *A Step Further*, in which she writes more about God's sovereignty and his eternal purpose.

ثانيا، إن صليب المسيح هو *السبيل الى القداسة الناضجة* . إذا بدا هذا القول غريبا، فإننا نستطيع أن نضيف ، " كان الصليب سبيله وهو كذلك سبيلنا الآن " . يلزمنا أن نتأمل مضامين آيتين مهملتين الى حد ما ، وردتا في الرسالة الى العبرانيين:

لأنه لاق بذاك (الله)... وهو آت بابناء كثيرين الى المجد أن يكمل رئيس خلاصهم بالآلام. (٢:١٠) .

مع كونه ابنا ، فقد تعلم الطاعة مما تألم به ، وإذ كُمِّل ، صار سبب خلاص أبدي للذين يطيعونه (٥:٨-٩ ؛ قارن ٧:٢٨).

كلا الآيتين تتحدث عن عملية " كُمِّلَ " يسوع بها ، وكلاهما تنسبان عملية التكميل الى " ألمه" . هذا لا يعني بالطبع أنه كان غير كامل في أيما وقت مضى ، أي أنه قد فعل خطأ ما ، لأن الرسالة الى العبرانيين تؤكد كونه بلا خطية .[١٣] لكنها تعني بالأحرى أنه كان بحاجة الىخبرات وفرص إضافية لكي يصبح " ناضجا " (*تيليوس*) . وبصورة خاصة ، "تعلم الطاعة مما تألم به". فهو لم يكن قط غير مطيع. لكن آلامه كانت ميدان ـ الاختبار الذي أصبحت به طاعته تامة النمو.

فإذا كان الألم الوسيلة التي صار بها المسيح ، الذي بدون خطية ، ناضجا ، فنحن ذوي الطبيعة الخاطئة أحوج منه بما لا يقاس الى الألم . ومما له دلالته أن يعقوب يستخدم لغة " الكمال" أو " النضج" نفسها فيما يختص بالمسيحيين . فكما أن الألم قاد المسيح الى النضج عن طريق الطاعة، فكذلك يقودنا نحن إلى النضج عبر المثابرة .

احسبوه كل فرح يا إخوتي حين تقعون في تجارب متنوعة ، لأنكم تعلمون أن امتحان إيمانكم ينشيء مثابرة . وأما المثابرة فيجب أن تكمل عملها لكي تكونوا تامين وكاملين ، غير ناقصين في شيء (يع١:٢-٤؛ قارن رو٥:٣-٥).

هناك ثلاث صور نابضة بالحياة تبسط تدريجا في الكتاب لكي توضح كيف يستخدم الله الألم لمتابعة قصده وهو أن يجعلنا مقدسين ، وبعبارة أخرى شبيهين بالمسيح. انها صورة الأب الذي يؤدب أولاده ، وصورة الصائغ الذي ينقي الذهب

---

[١٣] مثلا عب ٤:١٥ ؛ ٧:٢٦

والفضة ، وصورة البستاني الذي يقلم كرمته . إن صورة الأب والأولاد تظهر قبلا في كتاب التثنية حيث يقول موسى : "اعلم بقلبك إذا أنه كما يؤدب الانسان ابنه قد أدبك الرب إلهك". وتتبنى الاستعارة نفسها أيضا في سفرالأمثال ، حيث يتم التشديد على أن تأديب الأب تعبير عن محبته لأولاده ، وتقتبس الآيات من سفر الأمثال في الرسالة الى العبرانيين ويتردد صداها في رسالة يسوع الى كنيسة لاودكية.[١٤] إن المقطع الوارد في الرسالة الى العبرانيين هوالأطول . ويعلم أن التأديب الأبوي يميز الأبناء الحقيقيين عن الأبناء غير الشرعيين ، وأن الله يؤدبنا "لخيرنا" فقط ، أي "لكي نشترك في قداسته" ؛ وأن التأديب في وقته لا يكون مسرا بل مؤلما ، لكنه فيما بعد "ينتج ثمر بر وسلام"، ليس لأجل كل انسان في الواقع (لأن البعض يتمردون على التأديب)، وإنما للذين يخضعون له وهكذا ، "يتدربون به".

الصورة الثانية لله باعتبار أنه الذي ينقي الذهب والفضة ترد ثلاث مرات في العهد القديم ، حيث يذكر بوضوح أن " كورالمشقة " كان مكان التنقية لإسرائيل ، ويطبق بطرس هذا على اختبار الإيمان المسيحي "بمختلف أنواع التجارب". سوف تضايقنا العملية ، ولكن عن طريقها سوف تثبت أصالة إيماننا (الذي هو أثمن من الذهب) ويؤدي الى تمجيد يسوع المسيح.[١٥]

الصورة الثالثة طورها في استعارة الكرمة التي تحدث عنها حيث يعتمد إنتاج الأغصان للثمر (والأغصان بصورة شبه مؤكدة رمز للخلق المسيحي) ليس على ثباتها في الكرمة فحسب ، لكنه يعتمد أيضا على تقليمها من قبل الكرام . التقليم عملية عنيفة ، تبدو في أغلب الأحيان قاسية ، حيث تشذب الشجيرة وتترك مثلمة شبه عارية ، ولكن عندما يقبل الربيع ويأتي الصيف من جديد ينتج الثمرالكثير.[١٦]

الاستعارات الثلاث جميعها ، تأديب الولد وتنقية المعدن وتقليم الكرمة، تصف عملية سلبية . ولكن الاستعارات الثلاث أيضا تؤكد على النتيجة الإيجابية — خيرالولد ونقاوة المعدن وإثمار الكرمة . لن نتردد إذا في القول أن الله يقصد أن يكون الألم وسيلة من " وسائل النعمة ". يستطيع كثيرون من أولاده أن يكرروا قول كاتب المزامير ، " قبل أن أذلل أنا ضللت ، أما الآن فحفظت قولك" (مز ١١٩:٦٧) . لأنه إذا كانت محبة الله محبة مقدسة ، وهي كذلك ، فلن تهتم فقط بأن تتصرف

---

١٤ تث ٨:٥ ؛ أم ٣:١١-١٢ ؛ عب ١٢:٥ -١١ ؛ رؤ ٣:١٩

١٥ مز ٦٦:١٠؛ أش ٤٨:١٠؛ زك ١٣:٩؛ ابط ١:٦-٧

١٦ يو ١٥:١-٨ قارن أش ٥:١-٧ ، وعلى الخصوص الأية ٧ ، و غل ٥:٢٢-٢٣، كدليل على أن " الثمر" يعني الطبيعة البارة و الشبيهة بالمسيح .

بقداسة (كما في صليب المسيح) ، لكنها تهتم أيضا بأن تعزز القداسة (في شعب الله). إن الألم ، كما رأينا من قبل ، يشجع المثابرة وينقي الإيمان . كما أنه يطور التواضع ، مثلما فعلت الشوكة في جسد بولس إذ "منعته من أن يصبح مغرورا" . وهو يعمق الاستبصار، مثلما أُعلِنتْ لهوشع ، عن طريق الألم الناجم عن محبته لجومر التي لم تُقَابَلْ بالمثل ، أمانةُ محبة يهوه لإسرائيل و صبرُ تلك المحبة.[17] ولايجوز أن نهمل الفوائد التي يمكن أن تغنى بها حياة الآخرين، كالغيرية البطولية لدى أولئك الذين يعتنون بالمرضى والخرفين والمعوقين ، وفيض الكرم الطوعي نحو الجياع في بلدان إفريقيا الواقعة جنوبي الصحراء.

لقد تحدثت الكنيسة الكاثوليكية ، بصورة تقليدية ، عن "الألم المفتدي". وتعليمها الرسمي هو أنه يجب إتمام العقوبة التي تستحقها آثامنا ، حتى بعد أن يغفر جرمها ، إما في هذه الحياة أو في المطهر(الذي هو " ألم الكنيسة "). وهكذا فإن العفو لا يلغي العقوبة الذاتية ، لأنه يجب أن تضاف العقوبة إلى الغفران . بالإضافة الى ذلك ، فإن أفضل العقوبات الذاتية ليست تلك التي تعينها الكنيسة بل التي يرسلها الله نفسه ـ "الصلبان والأمراض والأوجاع" ـ ويكفر عن خطايانا. هناك ، بالحقيقة ، "سببان للتألم من أجل الخطية ، أولهما ، التكفير الى الله ، وثانيهما إعادة بناء نفوسنا بشكل مختلف". لأن الألم يقهر شهواتنا الجسدية ويطهرنا ويشفينا.[18]

هذا النوع من التعليم ، الذي يبدو أنه يدعم كمال فدائنا ومسامحتنا اللذين أنجزهما الله عن طريق المسيح ، وينسب فعالية كفارية الى آلامنا ، إنما هو تعليم يؤذي جدا الذهن والضمير الإنجيليين . إلا أن بعض الكاثوليك يستخدمون تعبير " الألم المفتدي"، ببساطة للإشارة الى ذاك الضيق ، الذي مع كونه ينغص البعض ، فإنه يحول الآخرين . كتبت ميري كريغ Mary Craig عن "قوة الألم المفتدية" بهذا المعنى . وهي تصف كيف ولد اثنان من أبنائها مصابين بشذوذات بالغة ، فابنها الثاني بولس ولد مصاباً بداء هوهلر الذي يشوه الوجه ويصيب المريض بالعجز وابنها الرابع نيقولاس ولد مصابا بداء داون* . وتروي قصة صراعها الروحي

---

[17] ٢ كو ١٢:٧-١٠ و هو ١-٣

[18] George D. Smith (ed.), *Teaching of the Catholic Church*, pp. 1141-1146.

* مرض وراثي ناتج عن شذوذ في الصبغيات (كروموسومات). يكون المصاب سمينا قصير القامة ، ومسطح الوجه مائل العينين (سحنة مونغولية) . ويرافق هذه الأعراض الجسمية تخلف عقلي . [المترجم]

دون إشفاق على النفس أو إثارة للعواطف . في الفصل الأخير من كتابها، الذي وضعت له عنوانا لافتا للنظر هو *البركات* ، تتأمل في معنى الألم وفي هذا الموضع تقدم كلمة "المفتدي". وهي تكتب، "بناء على واقع التجربة ، لا أؤمن بأن أي نوع من الألم هو في النهاية سخيف أو تافه ، مع أنه "من الصعب في أغلب الأحيان أن يستمر المرء في إقناع نفسه" بهذا . في البداية نستجيب بالشكوكية والغضب واليأس . مع ذلك "فإن قيمة الألم لا تكمن في الألم ذاته،... بل بما يصنعه المتألم من هذا الألم...ففي الحزن نكتشف الأشياء المهمة حقا، وفي الحزن نكتشف أنفسنا" (ص ١٣٣-١٤٤) .

نظرا الى أن يسوع المسيح هو الفادي الأوحد ، ونظرا الى أن العهد الجديد لا يستخدم أبدا لغة الفداء في وصف أي شيء نفعله ، فسنكون حكماء إذا لم نتحدث عن "الألم المفتدي". هناك تعبير آخر هو "الألم الخلاق" ، أصبح في متناول مدارك الجمهور بسبب كتاب الدكتور بولس تورنييه Paul Tournier الأخير، وهو تعبير أفضل ، ما دام لا يعتقد بأن الألم بالفعل يخلق أي شيء . لكنه يحرض "الإبداعية" وهذا هو قصده . يبدأ الدكتور تورنييه بالإشارة الى مقال كتبه الدكتور بيير رينتشنيك Pierre Renchnick من جنيف ، ونشره عام ١٩٧٥ بعنوان "الأيتام يقودون العالم". فبعد أن استعرض قصص حياة السياسيين الأكثر نفوذا في التاريخ توصل الى اكتشاف مدهش وهو أن ما يقرب من ٣٠٠ منهم كانوا يتامى ، بدءا بالاسكندر المكدوني ويوليوس قيصر، ومرورا بشارل الخامس ولويس الرابع عشر وانتهاء بجورج واشنطن ونابوليون ثم (ولسؤ الحظ) لينين وهتلر وستالين وكاسترو. وقد صدم هذا بالطبع الدكتور تورنييه، نظرا الى أنه حَاضَر مدة طويلة حول أهمية الأب والأم في نمو الطفل إذا قاما بدورهما بانسجام ـ وهو بالضبط الأمر الذي لم يحظ به أبدا أولئك السياسيون ذوو النفوذ الأهم !. و قد طور الدكتور رينتشنيك نظرية مفادها أن فقدان الشعور بالأمن الناجم عن الحرمان العاطفي لابد أن يكون قد أثار في هؤلاء الأولاد رغبة استثنائية في الوصول الى السلطة . وينطبق هذا حتما على القادة الدينيين ، كموسى ، مثلا ، وبوذا وكونفوشيوس ومحمد لأنهم كانوا يتامى ١٩. وتوسع الاستاذ أندريه هاينال Andre Haynal ، المحلل النفسي في هذه النظرية، واقترح أن الحرمان من أي نوع كان (وليس فقط الحرمان الناجم عن اليتم) يكمن وراء "الإبداعية" (الذي يفضله على "حب السلطة") . أخيرا يؤكد الدكتور تورنيه

[19] Paul Tournier, *Creative Suffering*, pp 1-5

نظريته معتمدا على خبرته السريرية الخاصة . لقد ظل مرضاه طوال خمسين عاما يفضون إليه بأوجاعهم و نزاعاتهم . يقول في ص ١٦: "رأيتهم يتغيرون عن طريق الألم ". ليس لأن الألم (الذي هو شر) قد سبب النمو، بل لأنه *الفرصة الملائمة* له (ص ٢٩). إذا لماذا ينمو بعضهم خلال الإعاقة ، بينما لا ينمو الآخرون ؟ يظن الدكتور تورنيه أن رد فعلهم يعتمد ، "على المساعدة التي يتلقونها من الآخرين أكثر مما يعتمد على ميلهم الوراثي"(ص٣٢) ، ويعتمد على المحبة بخاصة . "إن الحرمانات بدون مساعدة المحبة تؤدي الى الكارثة"، بينما "تشكل المحبة العامل الحاسم الذي يجعل الحرمان يأتي بالثمر" (ص٣٤). إذا ليس الألم بالذات هو ما يجعل الناس ناضجين ، بل بالأحرى رد فعلهم على الألم (ص ٣٧) . وفي حين أن الألم بحد ذاته قد لا يكون مبدعا ، يندر أن نكون مبدعين دون ألم ... يستطيع المرء أيضا أن يقول إن الألم ليس السبب الذي يجعل انسانا ما ينمو ، لكن ذلك الانسان لن ينمو دون ألم " (ص ١١٠) .

وهكذا فإن التعليم الكتابي والخبرة معا يعلماننا أن الألم هو السبيل الى القداسة أو الكمال . هناك شيء ، لا يمكن تحديده ، في الأشخاص الذين عانوا من الألم . فهم يملكون أَرَجاً يفتقر اليه الآخرون: إنهم يظهرون وداعة المسيح وحلمه . إن أحد أقوال بطرس الأكثر تأثيرا في النفس قد ورد في رسالته الأولى : " من تألم في جسده كف عن الخطية " (٤:١)، ويبدو كأنه يقول ، أن مفعول الضيق الجسدي في الواقع هو أنه يجعلنا نكف عن الخطية . وما دام الأمر كذلك ، أتساءل أحيانا عما إذا كان الاختبار الحقيقي لجوعنا الى القداسة هو استعدادنا لاختبار أي درجة من الألم إن كانت السبيل التي يستخدمها الله ليجعلنا قديسين.

الخدمة المتألمة

ثالثا، صليب المسيح هو رمز الخدمة المتألمة . إننا مطلعون اطلاعا حسنا على "أناشيد العبد" الأربعة أو الخمسة ، في كتاب أشعياء ، التي ترسم مجتمعة صورة عبد الرب المتألم ،[٢٠] وقد بدأنا في الفصل السابق في تأمل الرابطة بين الألم و الخدمة . كان وديعا في خلقه وسلوكه (لم يصح أبدا أو يرفع صوته)، ولطيفا في معاملاته للآخرين (فلم يقصف قصبة مرضوضة ولم يطفيء فتيلة مدخنة)، رغم

[٢٠] أش ٤٢:١-٤ ؛ و ربما ٤٤:١-٥ ؛ ٤٩:١-٦ ؛ ٥٠:٤-٩ ؛ ٥٢:١٣-٥٣:١٢

ذلك فقد دعي من قبل يهوه ، حتى قبل ولادته ، ثم مليء بالروح وكان متقبلا لكلمته، بقصد أن يرد اسرائيل اليه وأن يكون نورا للأمم . وقد ثابر على أداء هذه المهمة جاعلا وجهه كالصوان ، مع أنه ضرب على ظهره ونتف شعر لحيته ، وبصق على وجهه ، واقتيد كشاة ليذبح ويموت ، حاملا خطايا كثيرين . مع ذلك فإن كثيرين سيتبررون نتيجة لموته، وتحل البركات على الأمم. ما يلفت النظر بخاصة في هذه الصورة المركبة هو أن الخدمة والألم متلازمان ، وكذلك الحماس والإرسالية . نرى هذا بوضوح في يسوع الذي هو العبد المتألم *دون منازع* ، لكن يلزمنا أن نتذكر أن إرسالية العبد ليجلب النور الى الأمم تتمم أيضا من قبل الكنيسة (أع ١٣:٤٧) . فالألم والخدمة ، اذا ، متلازمان بالنسبة للكنيسة مثلما هما متلازمان بالنسبة للمخلص .

بالإضافة الى هذا فليس الألم ملازما للخدمة فحسب، ولكنه ضروري للخدمة المثمرة أو الفعالة . وفيما يلي التطبيق، الذي لامفر منه لكلمات يسوع :

قد أتت الساعة ليتمجد ابن الانسان . الحق الحق أقول لكم ، إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى لوحدها. ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير. من يحب نفسه يهلكها. ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها الى حياة أبدية. إن كان أحد يخدمني فليتبعني. وحيث أكون أنا هناك يكون خادمي. وإن كان أحد يخدمني يكرمه الآب..."

"ولكن إن ارتفعت عن الأرض أجذب الى الجميع ". قال هذا مشيرا الى أي ميتة كان مزمعا أن يموت (يو ١٢:٢٣-٢٦، ٣٢-٣٣) .

يصعب قبول هذا المبدأ الذي نراه في حصاد المحاصيل . الموت أكثر من طريق للحياة ؛ إنه سر الإثمار . فحبة الحنطة إن لم تسقط الى الأرض وتمت فهي تبقى وحدها بذرة واحدة . إذا بقيت حية تبقى بمفردها ؛ لكنها إن ماتت تتكاثر. كان يسوع في المقام الأول يشير الى نفسه . هل أراد بعض اليونانيين أن يروه ؟ إنه على وشك أن " يُمَجَّدَ " بالموت . كان سيرفع على الصليب عما قريب ليجذب الناس إليه من كل الأمم . إبان خدمته الأرضية الباكرة اقتصر الى حد كبير على "خراف بيت اسرائيل الضالة"، ولكنه بعد موته وقيامته كانت ستصبح له سلطة عالمية وجاذبية عالمية .

لكن يسوع لم يكن يتكلم عن نفسه فحسب . كان ينطق بمبدأ عام ، وراح يطبقه على تلاميذه الذين ينبغي أن يتبعوه وينبغي عليهم ، أسوة به ، أن يضيعوا حياتهم (الآيتان ٢٥ و٢٦) ـــ ليس بالضرورة في الاستشهاد بل على الأقل في الخدمة المتألمة ، الباذلة للنفس . وما ينطبق عليه ينطبق علينا ، يجب أن تموت البذرة لكي تتكاثر.

كان بولس مثالا بارزا وضح هذا المبدأ. تأمل في ثلاثة نصوص مأخوذة من ثلاث من رسائله:

بسبب هذا أنا بولس أسير يسوع المسيح لأجلكم أيها الأمم ـــ اطلب أن لا تكلوا بسبب آلامي من أجلكم التي هي مجدكم (أف ٣:١-١٣).

الآن أفرح في آلامي لأجلكم ، وأكمل نقائص شدائد المسيح في جسمي ، لأجل جسده ، الذي هو الكنيسة (كو ١:٢٤).

هذا إنجيلي ، الذي أتألم من أجله ... لذلك أصبر على كل شيء لأجل المختارين، لكي يحصلوا هم أيضا على الخلاص في المسيح يسوع مع مجد أبدي (٢ تي ٢: ٨-١٠).

يبين بولس في النصوص الثلاثة جميعها أنه يتحمل آلامه "لأجل الأمم" أو "لأجل جسد المسيح" أو "لأجل المختارين". ونظرا الى أنه يفعل ذلك لأجلهم ، فهو يؤمن أنهم سيستمدون من آلامه فائدة ما . فما هي هذه الفائدة ؟ في الآية الواردة في الرسالة الى أهل كولوسي يشير الى آلامه على أنها ستكمل النقص في شدائد المسيح . نستطيع أن نتأكد من أن بولس لم يعتبرأن ثمة أي فعالية كفارية تترتب على آلامه ، وذلك جزئيا لأنه عرف أن عمل المسيح الكفاري قد كمل على الصليب ، وجزئيا الى أنه يستخدم كلمة خاصة ، هي كلمة "شدائد" (ثليبسيس) التي تشير الى اضطهاداته . فهذه هي التي لم تكتمل لأنه استمر يضطهد في كنيسته. فما الفائدة التي اعتقد أن الناس سيحصلون عليها عن طريق آلامه ؟ إن اثنين من النصوص الثلاثة تقرن كلمتي " آلام " و" مجد" . يقول للأفسسيين "آلامي...مجدكم". ويقول أيضا ، أن المختارين سيحصلون على "خلاص ... مع مجد أبدي" بسبب الآلام التي

كان بولس يتحملها (٢ تي٢:٨-١٠). يبدو هذا قولا لايحتمل . هل يتصور بولس حقا أن آلامه ستحرز خلاصهم ومجدهم ؟ نعم إنه يتصور ذلك . إلا أن ذلك لن يكون بصورة مباشرة وكأن لآلامه فعالية خلاصية كآلام المسيح، وإنما بصورة غير مباشرة لأنه كان يتألم لأجل الانجيل الذي يجب أن يسمعوه و يقبلوه لكي يخلصوا . مرة أخرى قرن الألم بالخدمة ، وآلام الرسول كانت حلقة لاغنى عنها في سلسلة خلاصهم .

يكاد لا يعلم أحد اليوم عن شأن الألم في الخدمة ، والحماس في الإرسالية . لكن سر الفعالية التبشيرية أو المرسلية الأعظم هو الرغبة في الألم والموت . قد يكون موتا من جهة الشعبية (بالكرازة الأمينة بالانجيل الكتابي غير الرائج) ، أو من جهة الكبرياء (باستخدام طرق متواضعة اعتمادا على الروح القدس)، أو من جهة التحيز العرقي أو القومي (بالاندماج في ثقافة أخرى) ، أو من جهة الراحة المادية (بتبني طراز حياة بسيطا). لكن ينبغي على الخادم أن يتألم إذا كان سيجلب النور للأمم. وينبغي على الحبة أن تموت إذا كانت ستتكاثر .

رجاء المجد

رابعا، إن صليب المسيح هو *رجاء المجد النهائي* . لقد تطلع يسوع بوضوح الى ما وراء موته وقيامته . فرأى مجده ، وبالحقيقة تقوى ، خلال تجاربه بـ"السرور الموضوع أمامه" (عب ١٢:٢). ومن الواضح، بنفس القدر، أنه توقع أن يشاركه أتباعه في هذه النظرة . إن حتمية الألم موضوع مألوف في تعليمه وتعليم الرسل . فإذا كان العالم قد أبغض يسوع واضطهده فسوف يبغض تلاميذه ويضطهدهم أيضا. كان الألم بالحقيقة "هبة " من الله الى كل شعبه ، وجزءا من دعوتهم . فلا يجوز إذا أن يفاجأوا به ، وكأن شيئا غريبا يحدث لهم . فهو أمر ينبغي توقعه. ولا يوجد ما هو أكثر صراحة من توكيد بولس بأن "جميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يضطهدون".[٢١] علاوة على ذلك فإنهم حينما تألموا *كما* تألم المسيح كانوا يتألمون *معه*. لقد أصبحوا أكثر من متفرجين على آلامه ، أكثر من شهود ، وحتى أكثر من مقلدين ؛ كانوا فعلا مشاركين في

---

[٢١] مثلا مت ٥:١٠-١٢ ؛ يو ١٥:١٨-٢١ ؛ في ١:٣٠ ؛ ١ تس ٣:٣ ؛ ابط ٢:٢١ ؛ ٤:١٢ ؛ ٢تي ٣:١٢

آلامه ، مشاركين في " كأسه" و"معموديته."[٢٢] وهكذا فكما شاركوا في آلامه، فسوف يشاركون أيضا في مجده . لايجوز النظر الى لزوب الألم باعتباره فقط ناجما عن مقاومة العالم ، بل باعتبار أنه إعداد ضروري . لقد أنذر الرُسلُ المهتدِيـنَ الحديثين في غلاطية بـ "أنه بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله" . لذلك يمكن أن نفهم لماذا وصف جمع المفديين، الذين لم يستطع أحد أن يعدهم، والذين رآهم يوحنا واقفين أمام عرش الله ، وصفوا بأنهم "جاؤا من الضيقة العظيمة" (وهي بالتأكيد، بحسب السياق ، مرادفة للحياة المسيحية) وبأنهم " قد غسلوا ثيابهم وبيضوها بدم الخروف".[٢٣]

فرجاء المجد ، إذا ، هو ما يجعل الآلام محتملة . والنظرة الأساسية التي يجب أن نطورها هي أن لله قصدا أزليا ، وهو ان يجعلنا قديسين أوشبيهين بالمسيح . علينا بصورة متكررة أن نتأمل في مقاطع العهد الجديد العظيمة التي تجمع الأزلية والأبدية ضمن أفق وحيد . لأن الله "اختارنا في المسيح قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه". وقصده هو أن يحضرنا "أمام مجده بلا عيب في الابتهاج". فعندما تكون هذه الآفاق أمام انظارنا "نعتبر ان آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا "، لأن "ضيقاتنا الخفيفة والوقتية تنشيء لنا مجدا أبديا يفوق في أهميته هذه الضيقات جميعا،NIV" . وما هو هذا "المجد"، هذا المصير النهائي ، الذي من أجل وصولنا إليه يجعل الله كل الأشياء تعمل معا للخير، بما في ذلك آلامنا ؟ هذا المجد هو أن نصبح "مشابهين صورة ابنه." فالتطلع المستقبلي الذي يهون علينا الألم ليس مكافأة على شكل "جائزة "، يمكن أن تجعلنا نقول " لا ألم لا إكليل" أو " لاصليب لا تاج" ، بل هو المكافأة الوحيدة التي لا تقدر بثمن ، أي مجد المسيح ، الذي هو صورته المخلوقة من جديد فينا بصورة كاملة. سوف نكون مثله، لأننا سنراه كما هو".[٢٤]

هذا هو الموضوع المسيطر في كتاب: *مصيرنا هو المجد* *Destined For Glory* لمرغريت كلاركسون Margaret Clarkson، الكاتبة الكندية وناظمة الترانيم. فقد ولدت في بيت "تعيس خال من المحبة"، وابتليت منذ طفولتها بصداع مؤلم وبداء

---

[٢٢] مثلا مر ١٠:٣٨؛ ٢كو ١:٥ ؛ في ٣:١٠ ؛ ١بط ٤:١٣ ؛ ٥:١
[٢٣] مثلا أع ١٤:٢٢ ؛ رو ٨:١٧ ؛ ٢ تي ٢:١١-١٢ ؛ ١ بط ٤:١٣ ؛ ٥:١، ٩-١٠ ؛ رؤ ٧:٩، ١٤
[٢٤] أف ١:٤ ؛ يه ٢٤ ؛ رو ٨:١٨ ؛ ٢كو ٤:١٧ ؛ رو ٨:٢٨-٢٩ ؛ ١ يو ٣:٢

المفاصل arthrithis الذي أصابها بالشلل، وكان الألم رفيقها طوال حياتها. واختبرت في أيامها الباكرة ، شتى اشكال الاستجابات البشرية للألم ، بما في ذلك "الغيظ والإحباط واليأس" وحتى التعرض للتفكير في الانتحار (المقدمة ، ص٧ وما يليها). لكنها توصلت تدريجا الى الإيمان بسلطة الله المطلقة أي أن الله يظهر سيادته المطلقة على الشر باستخدام الألم نفسه الذي هو في صلب الشر ليساعد في تحقيق قصده الأزلي." (ص ٣٧). في هذه العملية طور الله خيمياء alchemy أعظم من تلك التي سعى إليها الكيماويون الأولون الذين حاولوا أن يحولوا المعادن الخسيسة الى ذهب. لأن "الخيميائي الحقيقي الوحيد هو الله". إنه ينجح حتى في "تحويل الشر الى خير" (ص ١٠٣). إن "مصيرنا المرسوم لنا هو المجد" ، المجد الذي خلقنا من أجله – ليجعلنا شبيهين بابنه (ص١٢٥) . إنه ملخص في عدد واحد من إحدى ترانيم مارغريت كلاركسون (المقدمة ص ١٢) :

أيها الآب إنك السيد،
رب الألم البشري،
تحول الأحزان الأرضية
إلى الذهب السماوي.
إنك تسيطر على كل شر ،
إن محبتك تسعى لتحقق قصدها –
الذي هو خير نفوسنا الأبدي،
وهذا ما لا يستطيع سوى الغالب أن يفعله.

يمكننا ، بالطبع ، أن نجيب فعلا ، إننا لا نريد من الله أن يغيرنا ، ولاسيما إذا كانت الوسيلة الضرورية التي يستخدمها هي الألم . كتب سي. إس. لويس: " قد نتمنى في الواقع لو كنا قليلي الأهمية في نظر الله بحيث يتركنا وشأننا كي نتبع دوافعنا الطبيعية – ويتخلى عن محاولته لتدريبنا كي نصبح شيئا يختلف عن ذواتنا الطبيعية: ولكن مرة أخرى نحن لا نطلب مزيدا من المحبة بل محبة أقل...طلبنا أن ترضى محبة الله بنا كما نحن ، إنما هو بالحقيقة طلبنا من الله أن يكف عن أن يكون الله ..."[٢٥]

[25] C. S. Lewis, *Problem of Pain*, pp. 32, 36.

هذه الرؤيا للألم على أنه السبيل الى المجد لشعب الله هي كتابية من غير شك. إلا أن المرء لا يستطيع أن يقول الشيء نفسه عن المحاولات المبذولة لجعل المبدأ عالميا وتطبيقه على كل ألم دونما استثناء . خذ مثلا أحد الكتب الرسمية التي نشرت للتحضير للاجتماع السادس لمجلس الكنائس العالمي في فانكوفر (١٩٨٣) ، الذي كان عنوانه كما ورد في الإعلان عنه "يسوع المسيح، حياة العالم". مع أن هذا الكتاب كتب من قبل جون بولتن Jhon Poulton، فقد ظهر عقب اجتماع خمسة وعشرين لاهوتيا، يمثلون آراء مختلفة ، ضَمَّنَ المؤلف آراءهم في كتابه. إن أحد الموضوعات الرئيسة في الكتاب هو أن ثمة تماثلا بين موت وقيامة يسوع من جهة وآلام وانتصارات العالم المعاصر من جهة أخرى. يتساءل جون بولتن، ألا يمكننا أن نقول أنه كلما تزامن الألم والفرح ، الموت والحياة ، *فهناك أفخارستيا* ؟ "[٢٦] أساس هذا التفسير هو الحقيقة الواقعة ، وهي أن " نمط التضحية بالذات والبدايات الجديدة ليس هو النمط الذي يختبره أعضاء الكنيسة المسيحية فقط ويعيشون بحسبه. إذ يبدو أن هناك آخرين أيضا ، خارج دائرة أعضاء الكنيسة ، يعكسون هذا النمط وأحيانا يفعلون ذلك بصورة لافتة للنظر" (ص٦٦) .في الواقع يتابع جون بولتن، فيذكر أن تقاطع الألم والفرح ، والمعاناة والطمأنينة، والخيانة والمحبة يمكن تمييزه في الحياة اليومية في كل مكان . إنه يعكس الشتاء والربيع، والجمعة العظيمة وصباح القيامة. لذلك لم تعد هنا حاجة الى التبشير العتيق الطراز. فالروح القدس هو الذي سيقوم بالتبشير الجديد حيث "سيرينا في يسوع صورة واضحة لما لمحناه من قبل في الخبرة الانسانية " (ص ٦٦).

إلا أن هذا ليس إنجيل العهد الجديد . إن الكتاب المقدس لا يمنحنا الحرية في أن نؤكد أن كل ألم بشري يقود الى مجد . صحيح أن يسوع أشار الى حروب وزلازل ومجاعات على أنها "مبتدأ الأوجاع" مؤذنا ببزوغ العالم الجديد ، وعلى غرار ذلك شبه بولس إحباط الطبيعة ، وعبوديتها للفساد وأناتها بـ" آلام المخاض".[٢٧] ولكن هذه إشارات الى الوعد بتجديد كوني يتناول المجتمع والطبيعة كليهما؛ فهي لا تطبق في الكتاب المقدس على خلاص الأفراد أو الشعوب.

---

[26] John Poulton, *Feast of Life*, p. 52.

[٢٧] مر ١٣:٨ ؛ رو ٢٢:٨

ثمة مثال آخرهو المحاولة المثيرة للمشاعر التي قام بها الدكتور أولريخ سيمون ، Dr Ulrich Simon ، وهو مسيحي ألماني من خلفية يهودية فرَّ الى انكلترا عام ١٩٣٣ وهلك أبوه وأخوه وأقرباء له آخرون في معسكرات التعذيب النازية ، وفي هذه المحاولة سعى الى تطبيق مبدأ الموت ـ القيامة ، الآلام ـــ المجد على مَحْرَقَةِ اليهود. وقد حاول في كتابه *من وحي أوشفيتس* Auschwitz (١٩٦٧) أن "يظهر نموذج تضحية المسيح ، التي تلخص كل الكروب ، باعتباره الحقيقة الكامنة وراء أوشفيتس" (ص١٣- ١٤). لأن المحرقة (التي تعني طبعا "ذبيحة تحرق") "ليست ذبيحة أقل من تلك الممثلة سَبْقِيًا في الكتاب المقدس" أي ، في عبد الرب المتألم (ص٨٣-٨٤) وبهذه الطريقة "انقلبت تقنيات القتل الى قربان موجه نحو الله"، والذين بذلوا حياتهم في غرف الغاز اندمجوا في "الذبيحة العظمى من باب الشبه بينهم وبينها" (ص٨٤). وكانوا كذلك أكباش فداء ، إذ حملوا خطايا الشعب الألماني (ص٨٦). ولكن "أموات أوشفيتس قد قاموا من التراب" الآن (ص٩١)، وقيامتهم تتجلى في عودة اسرائيل الى الأرض، وفي الانتصار على اللاسامية التي "أدت الى أوشفيتس وهناك افتديت أيضا" (ص٩٣)، وفي الشهادة اليهودية المعاصرة أمام العالم بشأن قدسية الحياة الانسانية وأخوة جميع البشر المتسمة بالمحبة (ص٩٥). وبعد أن سقطت حبة القمح في الأرض ولدت هذا الثمر. وهكذا يدعي أولريخ سيمون بأن آلام الأوشفيتس "تقع ضمن نموذج الخلق والفداء" (ص١٠٢). ويرى على الخصوص أنه ، عن طريق تفسير المحرقة "في ضوء ألم المسيح" و رؤية ما أعقبها باعتبار أنه "منعكس في انتصار المصلوب" ، أمكن إعطاء "معنى روحي لما هو عديم المعنى" (ص١٠٤) . "إننا نتجرأ على أن ننسب مجد المسيح المرتفع الى ملايين المسممين بالغاز" (ص١٠٥).

ولا بد ان يتأثر المرء بمحاولة إعادة الصياغة التى قام بها الدكتور سيمون، وانه ليقدر تماما الأسباب التي جعلت الدكتور سيمون راغبا في تطوير"مفهوم كوني وغير محدود بزمن لعمل المسيح" (ص١١٠). ولكنني أخشى ألا يكون هذا النوع من " لاهوت أوشفيتس" كتابيا بل أن يكون بالأحرى تخمينيا. أنا أؤمن أن هناك طريقة أفضل وأكثر مراعاة للربط بين الصليب وأوشفيتس ، وسوف أصل إليها قريبا . وفي هذه الأثناء ينبغي أن يكون بإمكاننا ، كأعضاء في الجماعة التي فداها الله برحمته ،

أن نردد تأكيدات بولس بأننا "نفرح أيضا في آلامنا" ، لأننا "نفـرح برجـاء مجـد اللـه" (رو٥:٢-٣).
رأينا حتى الآن في سعينا لنتبين العلاقات التي تربط آلامنا بآلام المسيح، بمعـزل عما يوحي به لنا كقدوة ، أن الألم (من حيث لزومه لنا كلزومه ليسوع) هو الطريـق الذي عينه الله للتقديـس (القداسـة الناضجـة)، والتكـاثر (الخدمـة المثمـرة)، والتمجيـد (مصيرنا النهائي). وأرجو ألا يبدو ذلك مفرطـا فـي التبسيط . أنـا أعلـم أن التنظـير سهل . ولكن الأمور تبدو مختلفة عندما يطبق الأفق علينا ، ويحتوينـا رعـب الظلمـة الشديدة ، ولايشرق علينا أي بصيص نورلكي يؤكد لنـا أن الألـم مـع ذلـك يمكـن أن يكون مثمرا . في أوقات كهذه كل ما نستطيع فعله هو أن نلتصـق بـالصليب ، حيـث أظهر المسيح بنفسه أن البركة تأتي عن طريق الألم .

الإيمان وكتاب أيوب

خامسا، إن صليب المسيح *أساس لإيمان معقول* . إن كل ألـم بدنـي وعـاطفي يمتحـن إيماننا على نحو موجع . فكيف يكون من المعقـول أن نسـتمر فـي ثقتنـا باللـه حينمـا تحل بنا الكارثة ؟ يزودنا كتاب أيوب بأفضل جواب عـن هـذا السـؤال . وهـو جديـر بأن ننفق وقتنا في توضيح أطروحته .
يقدم لنا أيوب على انه رجل " كامل ومستقيم، يتقي الله ويحيد عن الشر". ولكـن بعدئذ (بعـدأن يتـاح لنـا نحـن القـراء إلقـاء نظـرة علىالتـداولات التـي تتـم فـي قاعـة المجلس السـماوي) ، يبـاغت أيـوب بسلسـلة مـن المآسـي الشـخصية: فيجـرد علـى التعاقب من مواشيه وخدمه وأبنائه وبناته وصحته. ومن الصعب أن نبالغ فـي تقديـر مقدار الكوارث التي حلت به . وفي بقية الكتاب استعراض شامل للردود علـى الألـم التي تتم تجربتها في الحوار الذي يتطور بين أيوب وأصدقائـه الثلاثـة الذيـن يدعـون "معزين"، والشاب أليهو، وأخيرا الله نفسه. ويفترض كل من الأطراف الأربعة موقفا مختلفا ، وجدير بالملاحظة على الخصوص المكان الـذي تحظـى بـه الـذات فـي كـل موقف.
إن موقف أيوب خليط من *الإشفاق على الذات وتوكيد الذات* . ومـع أنـه يرفـض العمل بنصيحة زوجته بأن "يلعن الله ويموت" ، فإنه بعد ذلك يبدأ يلعـن يـوم مولـده ويتوق بكرب الى حلول يوم وفاته. يرفـض أيـوب بصـورة قاطعـة ، كـل الاتهامـات التي يوجهها اليه أصدقاؤه . وبدلا من ذلك يصوغ هو اتهاماته ضد الله . فالله قسـا

عليه بصورة عنيفة، ودون رحمة أيضا. والأسوأ من ذلك كله أن اللـه قد نـزع حقـه بالكلية (٢:٢٧). والمباراة بينهما جائرة إلى أبعد الحدود لأن المتباريين أبعد ما يكون عن التكافؤ . يا ليته وجد وسيطا يفصل في النزاع بينهمـا ! و يـا ليت أيـوب نفسـه يستطيع أن يجد الله لكي يقوم هو بحشد التهم ضده ! في هذه الأثناء يتمسك بتحمس ببراءته و يثق بانه سوف يتبرر يوما ما.

بصورة مغايرة لذلك ، يمكن أن يوصف الموقف الذي يوصي بـه أصدقـاء أيـوب أحسن وصف بأنه موقف *اتهام ـ الـذات*. إن أيوب يتـألم لأنـه خـاطـيء وبلايـاه هـي عقاب إلهي على آثامه . هذا هو المعتقد القويـم orthodox التقليـدي بشـأن الأشـرار الذي راح أصدقاء أيوب يكررونه *إلى حد يبعث على الغثيان*. يقول أليفـاز، "الشـرير يتلوى كل أيامه" (٢٠:١٥). ويضيف بلدد "سراج الأشـرار ينطفـيء"(٥:١٨)، بينمـا يسهم صوفر بقوله "فرح الفاجر الى لحظة" (٥:٢٠). ويستخلص الأصدقاء مـن هـذه المقدمة المنطقية الأساسية النتيجة الحتمية وهـي أن أيـوب يتـألم بسـبب شـره " أليـس شرك عظيما؟ وآثامك لا نهاية لها؟ " (٥:٢٢). لكن أيـوب لا يقبـل أيـا مـن أقوالـهم. إن أصدقاءه "أطباء بطالون" (٤:١٣)، و "معزون متعبون" (٢:١٦)، لا يتحدثـون إلا بمـا هـو "هـراء". بـل و"بهتـان" (٣٤:٢١). ويؤكـد اللـه لاحقـا قـول أيـوب. فيشـير الى"حماقتهم" ويقول أنهم "لم يقولوا الصواب فيه" كما فعل عبده أيوب (٤٢:٧-٨).

ثم يدخل أليهو. ومع أنه غاضب لأن أيوب "حسب نفسـه أبـر مـن اللـه" (٢:٣٢)، فإنه يتكلم بحياء بسبب حداثة سنه. وحينمـا يتكلـم يعـرض نظريـة ليـس مـن السـهل بالإجمال تمييزها عن نظرية معزي أيـوب الثلاثـة. لأنـه أحيانـا يعيـد المعتقـد القويـم القديم. كما أنه أيضا يستبق خطاب يهوه عن الخلـق . مـع ذلـك يبـدو مـن الصـواب تسمية الموقف الذي يوصي باتخاذه *موقف تأديب الـذات*، لأن النقطـة المميـزة التـي يؤكدها هي أن الله يتكلم بطرق شتى (بما فيها الألم) لكي "يحول الانسان عن عملـه الشرير ويمنعه من الكبرياء" (٣٣:١٤،٣٧ حسب NIV). وهكذا فإن الله يجعل النـاس "يصغون للإنذار" و "يكلمهم في بليتهم" (٣٦:١٠،١٥). بالحقيقة، "من مثلـه معلمـا ؟" (الآية ٢٢) . إن تعليمه نوع من " التوسل" (الآية ١٦)، يناشد بـه النـاس كـي يتوبـوا وهكذا يسعى الى أن يخلصهم من ضيقهم .

وأخيرا بعدما استنفد أيوب ومعزوه وأليهو كل حججهم، يعلمه يهوه نفسه ويتكلـم. وبناء على جـواب أيـوب ، يمكـن أن نكـون الـرأي التـالي ، وهـو أن الموقـف الـذي يوصـي أيوب باتخاذه الآن يمكن ان يدعى *تسليم الذات* . إن الله بعيـد عـن أن ينضـم

الى أصدقاء أيوب الثلاثة في اتهاماتهم وهو لا يلوم أيوب على تمسكه ببره (٨:٤٢). إنه يأخذ شكاواه مأخذ الجد ولذلك يجيبه. مع ذلك فإن أيوب قد نطق بـ" كلمات بلا معرفة "، نظرا الى أنه ليس من الصواب أبدا لوم الله ، واتهامه، بَلْـهَ let alone توبيخه (٢:٤٠). ويسأله الله: "ألعلك تشك في عدالتي؟ " (٨:٤٠ ، NIV). ويجيب أيوب: "بسمع الأذن سمعت عنك والآن رأتك عيني ، لذلك أحتقر نفسي وأتوب في التراب والرماد" (٥:٤٢-٦). لقد دافع عن نفسه سابقا، وأشفق عليها وفرض على الآخرين الاعتراف بحقوقه ، واتهم اللـه . أما الآن فيحتقر نفسه ويسجد للـه . فما الذي "رآه" فحوله من توكيد ــ الذات الى تسليم ــ الذات ؟

لقد دعي أيوب لينظر من جديد الى الخليقة ، ولمح مجد الخالق . وأمطره الله بوابل من الأسئلة . أين كان حينما صُنِعَتْ الأرض والبحر؟ هل يستطيع أن يتحكم في الثلج والعاصفة والنجوم ؟ هل يمتلك الخبرة التي تمكنه من الإشراف على عالم الحيوان وإمداده بأسباب الحياة ــ الأسود والماعز الجبلية وحمار الوحش والثور البري والنعام والحصان والصقور والنسور ؟ وفوق كل هذا هل يستطيع أيوب أن يفهم الأسرار، ويخضع قوة *بهيموث*، فرس النهر و *لوياثان* ، التمساح ؟ فما أعطاه الله لأيوب كان مقدمة شاملة لعجائب الطبيعة ، وبالتالي إعلانا عن عبقريته الخلاقة التي أفحم بها اتهامات أيوب وقاده ـ حتى في وسط حزنه المستمر و ألمه و ووجعه ــ إلى أن يتضع ويتوب عن عصيانه ويثق بالله من جديد .

إذا كان منطقيا أن يثق أيوب بالإله الذي ظهرت حكمته وقوته في الخليقة ، فكم هو أمر أكثر منطقية من جهتنا أن نثق بالله الذي أعلن عدالته ومحبته في الصليب؟ إن معقولية الثقة تكمن في معتمدية صاحبها التي عرفت عنه. وما من شخص آخر أجدر بالثقة من إله الصليب. فالصليب يؤكد لنا أنه لا توجد أي إمكانية في إجهاض العدالة أو في هزيمة المحبة الآن أو في اليوم الأخير. "الذي لم يشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين ــ كيف لا يهبنا معه أيضا ، كل شيء" (رو٨:٣٨).إن بذل الله لذاته في الهبة التي منحها لنا وهي ابنه ، يقنعنا بأنه لن يمسك عنا شيئا نحتاج اليه، ولن يسمح لشيء بأن يفصلنا عن محبته (الآيات٣٥-٣٩). وهكذا فإن من المنطقي أن نثق بالله خلال الفترة الممتدة بين الصليب ، حيث بدأت محبة الله وعدالته تظهران بوضوح ، وبين يوم الدينونة حيث ستعلنان تماما.

علينا أن نتعلم تسلق تلة الجلجثة ، ومن ذلك الموقع الممتاز نعاين كل مآسي الحياة . ليس الصليب حلا لمشكلة الألم، ولكنه الموقع الضروري الذي منه نستطيع أن ننظر إليها نظرة متزنة . فنظرا الى أن الله قد بَيَّنَ محبته المُقَدَّسَة وعدالته المُحِبَّة في حدث تاريخي (الصليب) ، فما من حدث تاريخي آخر (سواء أكان شخصيا أم عالميا) يستطيع أن يطغى عليه أو يدحضه. ولا بد أن يكون هذا بالتأكيد، سبب وجود السفر (كتاب التاريخ والمصير) الآن في يدي الخروف المذبوح ، وسبب جدارته دون سواه بأن يفك ختومه ويظهر محتوياته ، ويتحكم في مجريات المستقبل

ألم الله

ثمة طريقة سادسة للنظر الى آلام المسيح ترتبط بآلامنا . إنها الطريقة الأكثر أهمية في هذه السلسلة ، وهي أن ، صليب المسيح هو البرهان عن *محبة الله المتضامنة* ، أي تضامنه الحبي الشخصي معنا في ألمنا. لأن شوكة التألم الحقيقية ليست هي البلية نفسها ، ولا حتى ألمها أو ظلمها ، بل هي ترك الله الظاهرى للمتألم . يمكن احتمال الألم ولكن لا يمكن احتمال ما يبدو أنه لا مبالاة الله . أحيانا نتصوره مسترخيا بتكاسل في كرسي سماوي شبيه بالكرسي البحري الطويل deck-chair ، بينما يتعرض ملايين الجياع للموت جوعا. ونظنه كمشاهد في كرسي ذي ذراعين armchair وكأنه يتأمل ألم العالم برضى ، ويتمتع بانعزاله عنه . لقد مضى فيليب يانسي Philip Yancey الى أبعد من هذا فنطق بما لا ينطق به ، بما ربما فكرنا فيه، ولكن لم نجرؤ على الإفصاح عنه: " إذا كان الله مسؤولا، ومرتبطا بكيفية ما بكل ألم العالم ، فلماذا يبدو نزويا وجائرا الى هذا الحد ؟ هل هو السادي الكوني الذي يبتهج بمشاهدتنا ونحن نتلوى ؟ " [٢٨] قال أيوب شيئا مماثلا: إن الله يستهزيء بقنوط الأبرياء (٩:٢٣ حسب NIV).

هذه الصورة المشوهة لله هي التي يحطمها الصليب الى فتات . لا يجوز أن نتصوره على كرسي بحري طويل ، بل على الصليب . إن الله الذي يسمح بأن نتألم ، تألم هو نفسه في المسيح مرة ، ويستمر اليوم في التألم معنا ولأجلنا. بما أن الصليب كان حدثا تاريخيا نهائيا وعلى نحو حاسم حمل فيه الله في المسيح

---

[28] P. Yancey , *Where is God when it hurts ?*, p. 63.

خطايانا ، ومات موتنا بسبب محبته وعدالته ، فلا يجوز أن ننظر إليه على أساس أنه حَمْلٌ ــ خطية أبدي في قلب الله. ما يسوغ لنا الكتاب المقدس أن نقوله ، على أي حال، هوأن محبة الله المقدسة الأزلية التي أظهرت، بصورة فريدة ، في ذبيحة الصليب ، ما تزال تتألم معنا في كل موقف تستدعى إليه . ولكن هل التحدث عن إله (الله) متألم أمر شرعي ؟ ألا تعوقنا عن فعل ذلك عقيدة تقليدية هي عقيدة عدم قابلية الإله للشعور بالألم impassibility ؟ إن النعت اللاتيني *امباسيبليس* تعني "غير قادر على التألم" وبالتالي "مجرد من العاطفة " . لقد طبق فيلو وآخرون كلمة *آباثييس* اليونانية المكافئة على الله الذي أعلنوا أنه فوق السرور والألم لأنهما سيعكران هدوء

لقد تبنى آباء الكنيسة اليونانيون الأولون هذا المفهوم بطريقة لا تتفق الى حد ما مع قواعد النقد النزيه . ونتيجة لذلك بدا تعليمهم عن الله في بعض الأحيان يونانيا أكثر مما بدا عبرانيا . كما كان ازدواجيا . صحيح أنهم عرفوا أن يسوع المسيح الابن المتجسد قد تألم ، ولكن الله نفسه لم يتألم . كتب أغناطيوس الى بوليكارب، على سبيل المثال، عن الله "الذي لا يستطيع أن يتألم ، والذي قبل الألم من أجلنا " أي ، في المسيح.[٢٩] وعلى غرار ذلك أكد إيرينيوس أنه بسبب التجسد "أصبح الذي لا يرى مرئيا والذي لا يدرك مدركا ، وعديم التأثر أصبح سريع التأثر".[٣٠] وصحيح أيضا أنهم عرفوا أن كتاب العهد القديم كتبوا بحرية عن محبة الله وشفقته وغضبه وحزنه وغيرته. ولكنهم أضافوا أن هذه كانت تشبيهيّات* لا يجوز أن تؤخذ حرفيا ، نظرا الى أن الطبيعة الإلهية لا تتأثر بكل العواطف .[٣١] بل إن غريغوري توماتورغوس Gregory Thaumaturgus الذي عاش في القرن الثالث كتب مؤيدا هذا الرأي ، "إن الله في آلامه يظهر عدم قابليته للتألم ".

جدير بهؤلاء وغيرهم من آباء الكنيسة القدماء ان نفهم وجهة نظرهم . كانوا يريدون قبل كل شيء أن يحافظوا على حقيقتين ، هما ، أن الله كامل (لا يمكن أن يضاف إليه أو يطرح منه شيء) وأنه عديم التغير(بحيث أن شيئا ما لا يستطيع أن

---

29 Ignatius, *Ad Polycarp* 3. Cf. his *Ad Eph.* vii. 2.

30 Irenaeus, *Adversus Haereses* iii. 16. 6.

* anthropomorphisms خلع الصفات البشرية على الله .

31 See *e.g.* Clement of Alexandria's *Stromateis* v. 11 and Origen's Ezek Hom. vi. 6 A useful survey of patristic quotations and references is given by J. K. Mozley in his *Impassibility of God*. See also *Suffering of the Impassible God* by B. R. Brasnett.

يعكر استقراره).[٣٢] وما زال من واجبنا اليوم أن نرغب في المحافظة على هاتين الحقيقتين . فلا يمكن التأثير في الله خلافا لمشيئته سواء من الخارج أم من الداخل. ولا يمكن مطلقا أن يعمل ما يكره لكونه ضحية إما لأعمال من الخارج تؤثر عليه، أو لعواطف من الداخل تزعجه. هذا ما عبر عنه وليم تمبل William Temple : "هناك معنى تقني جدا يكون فيه الله ، كما أظهره المسيح، ' بدون انفعالات ' ؛ لأنه الخالق ولا يمكن أبدا أن يكون ' منفعلا ' بمعنى أن الأشياء لا تحدث له إلا بموافقته؛ كما أنه متسق وخال من انفجارات الشعور التي تحمله في هذا الطريق أو ذاك". مع ذلك كان تمبل محقا عندما مضى الى القول بأن تعبير "عديم التأثر" ، كما استخدم من قبل معظم اللاهوتيين ، يعني بالحقيقة "غيرقادرعلى التألم" ، وإن اسناده إلى الله على أساس هذا المعنى أمر يكاد يكون زائفا تماما".[٣٣]

صحيح أن لغة العهد القديم هي تكيف مع فهمنا الانساني ، وأن الله يصور لنا على أنه يختبر العواطف البشرية . مع ذلك ، فإن الإقرار بأن مشاعره ليست *انسانية* ليس بمثابة إنكار إنها *حقيقية*. ولو كانت مجازية فقط ، " لكان الإله الوحيد المتبقي لنا هو جبل الجليد غير المحدود من الميتافيزيقيات".[٣٤] وبصورة مغايرة لذلك يمكننا أن نشكر العالم اليهودي ابراهام هيشل Abraham Heschel الذي أشار ، في كتابه *الأنبياء* الى "لاهوتهم المحزن" ، لأنهم يصورون إلها ذا مشاعر. كتب هيشل " لايجوز أن نرفض "تشبيهيات" العهد القديم المتكررة (التي تنسب الألم البشري الى الله)، بوصفها فجة أو بدائية ، بل يجب بالأحرى أن نرحب بها ، لأن لها دورا حاسما في فهمنا لله: "إن أسمى فكرة يمكن أن تطبق على الله . ليست الحكمة اللامتناهية ، أو القوة اللامتناهية بل العناية اللامتناهية " (ص٢٤١). وهكذا فإن الله، قبل الطوفان "حزن" لأنه خلق البشر، و "تأسف في قلبه "، وعندما ظُلِمَ شعبه من قبل الأجانب في عهد القضاة ، ضاقت نفسه بسبب مشقة اسرائيل".[٣٥] وأكثر ما يؤثر في النفس هي المناسبات التي يعبر الله فيها من خلال الأنبياء عن "حنينه" إلى شعبه و" شفقته " عليهم، فيخاطب اسرائيل مباشرة: "محبة أبدية أحببتك .. هل تنسى الأم رضيعها ...؟ مع أنها يمكن أن تنسى، فإني لن أنساك ؟ كيف أتخلى عنك يا

---

[٣٢] ثمة بيانات تفيد بأن الله لا يغير فكره أو عدالته أو رأفته . وهذه البيانات واردة في عد ٢٣:١٩ ؛ ١ صم ٢٩:١٥ ؛ حز ٢٥:١٨ ؛ و ملا ٦:٣

[33] William Temple, *Christus Veritas*, p. 269.

[34] Vincent Tymms, quoted by J. K. Mozley, *Impassibility of God*, p. 146.

[٣٥] تك ٦:٦-٧ ؛ قض ١٦:١٠

أفرايم ؟ كيف أسلمك يا اسرائيل ؟...قد انقلب علي قلبي. اضطرمت مراحمي جميعا."[٣٦]

علاوة عن ذلك ، إذا كان الله قد أعلن ذاته بصورة تامة ونهائية في يسوع ، فإن مشاعره وآلامه انعكاس أصيل لمشاعر الله نفسه ولآلامه. ويعزو كتاب الأناجيل الى يسوع مجال العواطف البشرية بأكمله ، من المحبة والرحمة ، مرورا بالغضب والسخط ، الى الحزن والفرح . إن عناد القلوب البشرية سبب له الكرب والغيظ . وعندما وقف أمام قبر لعازر ، في مواجهة الموت "بكى" بحزن و " شخر" بسخط . كذلك بكى على أورشليم ، ونطق بمرثاة علىعماها وعنادها . وما زال حتى اليوم قادرا " أن يرثي لضعفاتنا " شاعرا معنا من خلالها.[٣٧]

إلا أن أفضل طريقة لمجابهة النظرة التقليدية القائلة بعدم قابلية الله للشعور بالألم ، هي أن نسأل "هل يمكن أن يكون هناك أي معنى لمحبة لا تكلف المحب ثمنا غاليا ".[٣٨] إذا كانت المحبة باذلة للذات فإنها ستكون حتما قابلة للانجراح بالألم، لأنها تعرض نفسها الى إمكانية الرفض و الإهانة . يكتب جورغن مولتمان Jurgen Moltmann "إن التأكيد المسيحي الأساسي على أن الله محبة هو من حيث المبدأ ما حطم رقية العقيدة الأرسطوطالية بشأن الله" (أي أنه "غير قابل للشعور بالألم"). "فلو كان الله غير قادر على التألم...، لكان غير قادر على المحبة أيضا "، في حين أن "من يستطيع أن يحب يستطيع أن يتألم أيضا ، لأنه يفتح نفسه أيضا للألم الذي تتضمنه المحبة ".[٣٩] لهذا بالتأكيد كتب بون هوفر من سجنه قبل تسعة أشهر من إعدامه الى صديقه إيرهارد بثجه Eberhard Bethge : " لايستطيع أن يقدم العون إلا الله المتألم."[٤٠]

وجدير بنا أن نخص بالذكر العالم اللوثري الياباني كازو كيتاموري Kazoh Kitamori باعتبارأنه خصم قوي للآراء الزائفة حول عدم قابلية الألم الإلهية. لقد كتب كتابه الرائع *لاهوت ألم الله* *Theology of The Pain of God* عام ١٩٤٥، بعد

---

[٣٦] إر ٢٠:٣١ ؛ ٣:٣١ ؛ أش ١٥:٤٩ ؛ هو ٨:١١

[٣٧] مر ٥:٣ ؛ يو ٣٥:١١ و ٣٨ ؛ لو ٣٤:١٣-٣٥ ؛ ٤١:١٩-٤٤ ؛ عب ١٥:٤

See B. B. Warfield's essay 'The Emotional Life of our Lord', reprinted from *Biblical and Theological Studies* (Scribners, 1912) in *The Person and Work of Christ*, ed. Samuel G. Craig, pp. 93-145.

[38] H Wheeler Robinson, *Suffering Human and Divine*, p 176.

[39] Jurgen Moltmann, *Crucified God*. see the whole section pp. 222-230

[40] Dietrich Bonhoeffer, *letters and Papers*, p. 361.

فترة قصيرة من إلقاء أول قنبلتين ذريتين دمرتا هيروشيا وناغازاكي . ويخبرنا أنه استوحى الكتاب من إرميا ٣١: ٢٠ حيث يصف الله قلبه بأنه "يحن" أو "يتألم" من أجل أفرايم ويسترسل في التعبير عن مشاعره حتى يقول أن قلبه ينكسر من أجل أفرايم . وكتب في (ص١٩) ، "لقد أعلن لي قلب الانجيل على أنه ' ألم الله ' ". أولا ، إن غضب الله على الخطية يسبب له ألما . "إن غضب الله هذا مطلق وثابت. يمكننا أن نقول إن الإقرار بغضب الله هو رأس للحكمة". لكن الله يحب أولئك الذين هو غاضب عليهم. وهكذا فإن " ألم" الله يعكس إرادته في أن يحب المستهدفين لغضبه" . فمحبته وغضبه معا هما اللذان يسببان ألمه . فهنا بحسب عبارة لوثر التي تستوقفنا "الله يكافح الله" . "إن حقيقة كون هذا الإله المناضل ليس إلهين مختلفين بل الإله نفسه هي التي تسبب ألمه " (ص ٢١). إن ألم الله هو "جميعة* synthesis بين غضبه و محبته" (ص ٢٦). وهو "جوهره " (ص٤٧). وهو يعلن بأبرز صورة في الصليب (ص ٤٧). لأن " ' ألم الله ' ينتج من محبة ذاك الذي يقف في طريق غضبه علينا ويعترض سبيله، ذاك نفسه الذي ضُرِبَ بغضبه" (ص١٢٣). هذه لغة مميزة جريئة بصورة تستلفت النظر . إنها تساعدنا لنفهم كيف يستمر ألم الله كلما حدث التوتر اليوم بين غضبه ومحبته ، بين عدالته ورحمته.

إذا نظرنا الى العالم خلال النصف الأخير من هذا القرن لاحظنا على الأرجح مثالين عن الألم البشري واضحين بصورة بارزة أولهما انتشار الجوع والفقر على نطاق عالمي ، وثانيهما المَحْرَقَة النازية التي ذهب ضحيتها ستة ملايين يهودي. فماذا يقول الصليب لشرور كهذه ؟

إن عدد الذين يفتقرون الى ضروريات الحياة الأساسية اليوم ، والذين يمكن أن يوصفوا بـ: "المحرومين" ، يقدر بألف مليون نسمة. كثيرون منهم يؤمنون شظف العيش بشق النفس في أحياء الفقراء والبلدات المكونة من أكواخ في أفريقيا وآسيا والباريداس *barridas* في أميريكا اللاتينية الناطقة بالأسبانية و الفافيلاس *favelas* في البرازيل. فالفقر المدقع الذي يعاني منه الناس والازدحام في الملتجآت المتداعية للسقوط ، والافتقار الى التصحاح sanitation (تعزيز الصحة العامة ومنع تفشي الأمراض)، وما يشبه العري لدى الأولاد، والجوع و المرض والبطالة، وغياب

* الجميعة : نتيجة الجمع بين الطريحة thesis و النقيضة antithesis في الديالكتيك الهيغلي . (قاموس المورد) [المترجم]

الثقافة ـ هذه كلها تؤلف مجتمعة سجل العوز الانساني المرعب . هذه الأحياء الفقيرة مراتع للمرارة والسخط ؛ والعجيب فيها أن ما تدل عليه جميعها من لا . انسانية وجور مطبقين لا يولد الغضب العارم الذي يجب أن تفجره . يتخيل رولف إيتاليا‌اندر Rolf Italiaander رجلا فقيرا من أحد أكواخ ريوديجانيرو يتسلق بجهد تمثال المسيح الضخم المسمى "مسيح كوروفادو" الذي يبلغ ارتفاعه ٢٣١٠ قدم ، ويعلو عن كل أبنية ريو. ويتحدث الرجل الفقير الى التمثال :

لقد تسلقتك أيها المسيح ، قادما من الأحياء الضيقة القذرة الجاثمة هناك في الأسفل لكي أعرض عليك، باحترام فائق، هذه الحقائق الجديرة بالاعتبار: نحن ٩٠٠،٠٠٠ نسمة هناك عند أسفل الجبل نعيش في الأحياء الفقيرة من تلك المدينة الضخمة ... وأنت ، أيها المسيح ،...هل تبقى هنا في كوركوفادو محاطا بالمجد الإلهي ؟ انزل الى هناك الى أكواخ الفقراء. تعال معي الى أكواخ الفقراء وعش معنا في الأسفل . لا تبق بعيدا عنا ، عش بيننا وهبنا إيمانا صحيحا بك وبالآب .آمين.[41]

ماذا كان المسيح سيقول جوابا على هذا التوسل ؟ أما كان سيقول " لقد نزلت لأعيش بينكم ، ومازلت أعيش بينكم ؟

بهذه الطريقة ، في الواقع ، يقدم بعض لاهوتيي أمريكا الجنوبية الصليب اليوم . فعلى سبيل المثال يظهر الأستاذ جون سوبرينو John Sobrino من السلفادور في كتابه *علم المسيح في مفترق الطرق* *Christology at the Crossroads* ، احتجاجا على اللاهوت الأكاديمي الصرف الذي فشل في اتخاذ فعل ملائم وعلى " هالة " الآلام الجسدية * التقليدية المحيطة بالصليب التي مبعثها نظرة مستسلمة وفردانية جدا . ويسعى بدلا من ذلك إلى أن يربط الصليب بالعالم الحديث وظلمه الاجتماعي. ويتساءل عما إذا كان الله نفسه " لم يتأثر بالصليب التاريخي لأنه في جوهره غير قابل للتأثر؟ " (ص١٩٠). كلا أبدا. "فإن الله نفسه الآب كان على صليب يسوع". بالإضافة الى ذلك "فإن الله يوجد على صلبان المظلومين" (ص٢٠١). لا أظن أنه ينبغي علينا أن نقاوم ما يؤكده البروفسور سوبرينو بشرط ألا يكون قاصدا بقوله

---

[41] Quoted from Walbert Buhlmann, *Coming of the Third Church* , p. 125.

* توضيح خطي من المؤلف [المترجم]

إنكار قصد الصليب الكفاري الأساسي . وهذا هو ملخصه: "على صليب يسوع صُلِبَ الله نفسه . الآب تحمل موت الابن وحمل على عاتقه ألم ووجع التاريخ" . وفي هذا التضامن الأساسي مع بني الانسان " أظهر الله نفسه باعتبار أنه إله المحبة" (ص٢٢٤، ٣٧١).

فماذا بشأن المَحْرَقة ؟ قال ريتشارد روبن شتاين Richard Rubinstein ، "بعد الأوشفيتس يستحيل أن نؤمن بالله". بعد ظهر يوم أحد في مخيم فرعي في بوشنوالد a sub- camp of Buchenwald ، قررت مجموعة من اليهود المثقفين أن يحاكموا الله على إهماله لشعبه المختار. وأحضر شهود الادعاء وشهود الدفاع، ولكن حجة شهود الادعاء كانت دامغة . كان القضاة من الرابيين. ووجدوا المتهم مذنبا وأدانوه لاستيفاء الشروط القانونية.[٤٢] ويمكن فهم ماحدث. إن الوحشية المطلقة في المعسكرات وغرف الغاز وفشل الله في التدخل لصالح شعبه القديم بالرغم من صلواتهم المتحمسة والمتكررة قد زعزت إيمان كثيرين. لقد سبق أن قلت أنه لا يمكن ـ بتقديري ـ أن نفسر أوشفيتس وما أعقبها على أساس الموت والقيامة. فهل يمكن ذلك بطريقة أخرى ؟ أظن أن إيلي (أليعازر) فيزيل Wiesel يستطيع أن يساعدنا. فهو يهودي هنغاري المولد يعترف به ككاتب على نطاق عالمي. وقد روى لنا في كتابه *الليل* وبصورة تحرك أعمق المشاعر ذكريات طفولته في معسكرات الموت في أوشفيتسAuschwitz وبونا Buna وبوشينوالد Buchenwald.

لم يكن قد بلغ الخامسة عشر عندما وصل الغستابو في ربيع ١٩٤٤ ليرحِّلوا جميع اليهود من سيغيت Sighet وسافروا بالقطار ثلاثة أيام ، وحشر ثمانون منهم في كل عربة من عربات نقل الماشية . وعندما وصلوا الى أوشفيتس فصل الرجال عن النساء ، ولم ير إيلي أمه أو أخته بعد ذلك أبدا. " لن أنسى أبدا تلك الليلة ، الليلة الأولى في المعسكر ، التي قلبت حياتي الى ليل واحد طويل لتحل عليه سبع لعنات وليختم سبع مرات. ولن أنسى أبدا ذلك الدخان (أي دخان المحرقة) [فرن لإحراق جثث الموتى] ولن انسى أبدا ألسنة اللهب تلك التي أحرقت إيماني الى الأبد ... لن أنسى أبدا تلك اللحظات التي قتلت إلهي وقتلت نفسي وحولت أحلامي الى غبار..."

---

٤٢ سمع الراباي هوغو غرن Hugo Gryn هذه القصة لأول مرة من عمه الذي بقي على قيد الحياة بعد محرقة بوتشوالد . وقد رويت من قبل عدة كتاب يهود، وكذلك من قبل جيرالد بريستلاند في كتابه *قضية ضد الله* *Case Against God*, p. 13

(ص٤٥). وبعد ذلك بقليل كتب: "لقد تحدث البعض عن الله وعن طرقه الغامضة ، وعن خطايا الشعب اليهودي ، وعن نجاتهم المستقبلية . ولكنني توقفت عن الصلاة وكم تعاطفت مع أيوب ! إنني لم أنكر وجود الله ولكنني شككت في عدالته المطلقة" (ص ٥٧).

ربما كانت أكثر الخبرات رعبا هي عندما عذب الحراس صبيا صغيرا ثم شنقوه . كان ولدا ذا وجه يتسم بالجمال والنبل و"ملاكا حزين العينين" . وقبل إعدامه بلحظات سمع إيلي أحدهم يهمس خلفه "أين الله ؟ أين هو؟ ". وأرغم آلاف السجناء على مشاهدة الشنق، (واستغرق موت الصبي نصف ساعة) ثم أجبروا على المرور من أمامه والتحديق في وجهه ، وسمع إيلي خلفه الصوت نفسه يسأل، "أين الله الآن ؟ " وسمعت صوتا في داخلي يرد عليه: "أين هو؟ إنه هنا يشنق على هذه المشنقة...(ص٧٥-٧٧). كانت كلماته أصدق مما كان يعرف ، لأنه لم يكن مسيحيا. بالحقيقة ، إن كل ذرة في كيانه تمردت على الله لأنه ترك الناس يعذبون ويسفك دمهم ظلما ويسممون بالغاز ويحرقون . " كنت وحيدا ـ وحيدا بصورة مرعبة في عالم بدون الله وبدون الانسان وبدون محبة أو رحمة " (ص٧٩). هل كان يمكن أن يقول ذلك لو أنه رأى في يسوع ، الله على الخشبة ؟

هناك دليل كتابي مقنع على أن الله لم يتألم فقط في المسيح ، ولكن الله مازال في المسيح يتألم مع شعبه . أليس مكتوبا أن الله ، خلال الأيام الأولى من عبودية اسرائيل المرة في مصر، لم ير بليتهم و"يسمع أنينهم" فحسب، بل أنه "في كل ضيقهم تضايق" . ألم يسأل يسوع شاول الطرسوسي لماذا كان يضطهده ، وبذلك كشف عن تضامنه مع كنيسته ؟ إن تمكننا من المشاركة في آلام المسيح أمر رائع، لكن مشاركته في آلامنا أكثر روعة . حقا إن اسمه "عمانوئيل" ، "الله معنا". لكن "تعاطفه" ليس مقتصرا على تألمه مع شعب عهده . ألم يقل يسوع لنا أننا حين نخدم الجياع والعطاش والعراة والمرضى و السجناء إنما نخدمه هو، مشيرا بذلك الى أنه دمج نفسه بكل المحتاجين والمتألمين ؟ [٤٣]

لولا الصليب لما كان بوسعي أبدا أن أومن بالله. إن الله الأوحد الذي أومن به هو الذي سخر منه نيتشه باعتبار أنه "الله على الصليب". كيف يستطيع المرء، في عالم الألم الواقعي ، أن يعبد إلها كان منيعا على الألم ؟ لقد دخلت هياكل بوذية كثيرة في بلدان آسيوية مختلفة ووقفت باحترام أمام تمثال بوذا جالسا متصالب

---

[٤٣] خر ٢:٢٤ ؛ أش ٦٣:٩ ؛ أع ٩:٤ ؛ مت ١:٢٣ ؛ ٢٥:٣٤-٤٠

الساقين، ومكتوف اليدين، ومغمض العينين، وعلى فمه يطوف شبح ابتسامة ويتجه نظره الى نقطة بعيدة ، منفصلا عن آلام العالم . لكن في كل مرة كان عليّ بعد فترة أن أحول نظري عنه . وكنت في تخيلي ألتفت بدلا من ذلك إلى ذلك الشخص المتوحد المشوه المعذب على الصليب وقد دقت المسامير في يديه وقدميه وتمزق ظهره وخلعت أطرافه وراح جبينه ينزف دما بسبب إكليل الشوك ، وجف حلقه بسبب العطش الشديد، وغاص في ظلمة ترك الله له. هذا هو إلهي! لقد نحى جانبا مناعته على الألم. لقد دخل عالمنا ، عالم اللحم والدم والدموع والموت. تألم لأجلنا أصبحت آلامنا أسهل تحملا في ضوء آلامه. ما تزال هناك علامة استفهام إزاء الألم البشري، ولكن يجب علينا أن نطبع فوقها بجرأة علامة أخرى ، هي الصليب الذي يرمز الى الألم الإلهي. "إن صليب المسيح...هو التبرير الذاتي الوحيد لله في عالم كعالمنا" [٤٤]

إن المسرحية القصيرة التي عنوانها "الصمت الطويل" تلخص كل هذا :

في نهاية الزمن – تفرق آلاف الملايين من الناس في سهل فسيح قدام عرش الله.

ارتد معظمهم الى الوراء من النور المتألق أمامهم . لكن أفراد بعض المجموعات القريبة من العرش كانوا يتحادثون بحدة - لا بحياء متملق بل بتمرد و وقاحة.

قالت شابة سمراء سليطة بنبرة وقحة : "هل يستطيع الله أن يديننا ؟ أنى له أن يعرف عن الألم ؟" ومزقت كم قميصها لتظهر رقما كتب بالوشم على ذراعها في معسكر نازي للتعذيب . و تابعت " لقد عانينا من الرعب ... والضربات ... والتعذيب ... والموت ! ".

في فريق آخر أزاح صبي أسود ياقة قميصه . وسأل و هو يري الناس حرقا بشعا خلفه حبل المشنقة ، "ما رأيكم بهذا ؟ لقد أرادوا إعدامي لا لجرم سوى أنني أسود !"

وفي مجموعة أخرى وقفت طالبة مدرسة ، حامل ، حزينة العينين ، تشكو حالها: " لماذا ينبغي أن أتألم ؟ لم تكن غلطتي".

---

[44] P. T. Forsyth, *Justification of God*, p. 32.

وعلى امتداد السهل الفسيح كان هناك مئات من هذه الجماعات . و كان لكل منها شكوى ضد الله بسبب الشر والألم اللذين سمح بهما في عالمه. وقالوا: " كم كان الله محظوظا إذ كان يعيش في السماء حيث كل هناء وضياء ، وحيث لا بكاء ولا خوف ولا جوع أو بغضاء . وماذا عرف الله عن كل ما أجبر الانسان على تحمله في هذا العالم ؟ إن الله يحيا بمعزل عما حوله".

وهكذا أرسلت كل مجموعة قائدها ، الذي اختارته لأنه كان قد تألم أكثر من سواه . واجتمع هؤلاء القادة المنتخبون ، وهم : يهودي ، وزنجي ، ورجل من هيروشيما، ومريض مشوه بشدة بسبب الحمى الرثوية ، arthritis ، وطفل من ضحايا التاليدومايد thalidomide child . اجتمعوا في وسط السهل وتشاوروا معا. وأخيرا أصبحوا مستعدين لعرض دعواهم . كانت دعوى محكمة الإعداد في الواقع.

قبل أن يصبح الله مؤهلا ليكون قاضيهم ، ينبغي أن يعاني ما عانوه . كان قرارهم يقضي بالحكم على الله أن يعيش علىالأرض ـ كإنسان !

" فليولد كيهودي. ولتكن شرعية مولده موضع شك. ليعط عملا صعبا الى حد أن عائلته تعتبره معتوها عندما يحاول القيام به . ليسلمه الأصدقاء وليخنه أصدقاؤه المقربون . فيواجه التهم الباطلة ، وليحاكم من قبل محكمة متحيزة وليحكم عليه قاض جبان وليعذب .

أخيرا ، ليختبر ما معنى أن يكون الانسان متوحدا بصورة فظيعة . ثم ليمت بحيث لا يبقى ثمة شك بأنه قد مات وليتم التأكد من موته من قبل جمهور غفير من الشهود " .

وبينما أعلن كل قائد جزءا من الحكم الصادر علت دمدمات الاستحسان في الجمهور المحتشد . وعندما انتهوا أخيرا من النطق بالحكم خيم الصمت طويلا. ولم يعد أحد ينبس ببنت شفة. ولم يتحرك أحد من مكانه ، لأنهم عرفوا جميعا أن الله قد نفذ ، من قبل ، الحكم الصادر بحقه.

لقد وجد إدوارد شيلليتوEdward Shillito ، الذي ارهقت أعصابه بمجزرة لحرب العالمية الأولى ، تعزية في حقيقة أن يسوع استطاع أن يظهر لتلاميذه

آثار الجروح التي خلفها الصلب . فأوحت إليه بقصيدة سماها "يسوع ذوالندوب [آثار الجروح] " :

إذا كنا لم نطلبك من قبل أبدا، فإننا نطلبك الآن؛
عيناك اللتان تقدحان في الظلام ،هما نجومنا الوحيدة ،
إننا بأمس الحاجة إلى أن نرى آثارالأشواك في جبينك ،
نريد أن تكون لنا يا يسوع ذا الندبات.

السموات تخيفنا ، إنها هادئة جدا؛
لامكان لنا في العالم كله.
جراحنا تؤلمنا ؛ فأين البلسم ؟
أيها الرب يسوع ، بندوبك نعرف نعمتك.

إذا كنت قد جئت ، والأبواب مغلقة ،
أرنا فقط تينك اليدين ، وأرنا جنبك
إننا نعرف اليوم ما هي الجراح ، ولا نخاف ؛
أرنا ندوبك ، فهي سمتك المميزة .

كان الآلهة الآخرون أقوياء ؛ لكنك كنت ضعيفا ؛
لقد امتطوا صهوات جيادهم ، أما أنت فقد تعثرت وأنت في طريقك إلىالعرش؛
ولكن لا تستطيع سوى جراح الله أن تكلم جراحنا .

وما من إله لديه جراح سواك وحدك [45].

[45] Edward Shillito, Jesus of the Scars, published after World war I and quoted by William Temple in his *readings in St John's Gospel* PP . 384-385.

خاتمة

التأثير المعمم للصليب

حاولت في الفصل الأول أن أرسخ في ذهن القاريء حقيقية مركزية الصليب في ذهن المسيح ، في الكتاب المقدس وفي التاريخ؛ و سندرس في الفصل الأخير كيف ينتشر تأثير الصليب من ذلك المركز نحو خارجه الى أن يعم الإيمان المسيحي والحياة المسيحية بأكملهما .

ولكن قبل أن أتوسع في هذا الموضوع قد يكون من المفيد إلقاء نظرة شاملة على ما بحثناه فيما سبق .

جوابا على سؤالنا " لماذا مات المسيح؟ " تأملنا في فكرة هامة وهي أنه بالرغم من أن يهوذا أسلمه للكهنة ، والكهنة أسلموه لبيلاطس ، وأسلمه بيلاطس للعسكر الروماني ، فإن العهد الجديد يشير إلى أن "الآب أسلمه" وأن يسوع "أسلم نفسه" لأجلنا . قادنا هذا إلى النظر إلى تحت ما كان يحدث على السطح ، وإلى تقصي مضامين كلمات يسوع في العلية وبستان جثسيماني وصرخة الترك .

لقد تبين مما مر معنا أن موته كان متعلقا بخطايانا ، وهكذا دخلنا في الجزء الثاني إلى قلب الصليب بالذات . بدأنا بطرق مشكلة الغفران المتمثلة في الصراع بين جلال الله وجسامة الخطية. ومع أننا رفضنا نظريات "الإرضاء" الأخرى ، فقد استنتجنا في الفصل الخامس أن الله يجب أن "يرضي نفسه" ، أي لا يستطيع أن يناقض نفسه ، بل يجب أن يتصرف بطريقة تعبر عن الطبيعة الكاملة لمحبته المقدسة . ولكن كيف يستطيع أن يفعل ذلك ؟ كان جوابنا (الفصل السادس) أن الله لكي يرضي نفسه استبدل نفسه في المسيح بنا. وتجرأنا على أن نؤكد "الإرضاء — الذاتي عن طريق الإبدال الذاتي" باعتباره جوهر الصليب .

في الجزء الثالث نظرنا إلى ما وراء الصليب أي إلى نتائجه ، بالحقيقة نظرنا إلى إنجازه في ثلاثة مجالات: خلاص الخطاة وإعلان الله والانتصار على الشر.

ففيما يتعلق بالخلاص ، درسنا أربع كلمات " الكفارة " و " الفداء " و " التبرير" و"المصالحة ". هذه صور "مجازية" في العهد الجديد، أي استعارات ترمز إلى ما فعله الله في موت المسيح و عن طريقه. إلا أن "الإبدال" ليس صورة مجازية أخرى، إنه الحقيقة التي تكمن وراء كل الصور المجازية. ثم رأينا (الفصل الثامن) أن الله قد أعلن محبته وعدالته ، بصورة تامة ونهائية ، بممارستهما في الصليب . عندما يُنْكَرُ الإبدال ، يتعتم كشف الله لذاته ، ولكن عندما يُؤَكَّدُ الإبدال فإن مجد الله يشرق متألقا. بعد أن ركزنا حتى الآن على الصليب باعتباره إنجازا موضوعيا (خلاصا من الخطية) وتأثيرا ذاتيا (عن طريق إعلان المحبة المقدسة)، اتفقنا في أن كريستوس فيكتور [المسيح المنتصر] موضوع كتابي ثالث يصف انتصار المسيح على الشيطان و الناموس و الجسد و العالم و الموت وانتصارنا نحن به (الفصل التاسع).

لقد عنونت الجزء الرابع "العيش تحت الصليب" ، لأن الجماعة المسيحية في الأساس هي جماعة الصليب. بالحقيقة إن الصليب قد بدل علاقاتنا بصورة جذرية. فنحن الآن نعبد الله باحتفال مستمر (الفصل العاشر) ، ونفهم أنفسنا ونهب أنفسنا لخدمة الآخرين (الفصل الحادي عشر) ، ونحب أعداءنا ، ونسعى إلى التغلب على الشر بالخير (الفصل الثاني عشر) ، ونواجه مشكلة الألم المحيرة في ضوء الصليب (الفصل الثالث عشر) .

سبعة تأكيدات في الرسالة إلى الغلاطيين

في الختام لكي نؤكد على التأثير المعمم للصليب أي أننا لا نستطيع أن نحذفه من أي منطقة من مناطق تفكيرنا أو حياتنا ، سوف نفحص بعناية رسالة بولس الى الغلاطيين . وثمة سببان رئيسان لهذا الاختيار . أولهما، إن كونها أول رسالة كتبها مسألة قابلة للجدل والمناقشة . وليس هذا مجال تقييم الحجج المؤيدة والمعارضة لنظريتي "غلاطية الجنوبية وغلاطية الشمالية". إن تشابه محتويات هذه الرسالة مع محتويات الرسالة إلى الرومانيين ، ربما يوحي بالتاريخ المتأخر، ولكن الموقف المفترض في الرسالة إلى الغلاطيين يلائم أفضل ملاءمة الترتيب الزمني للأحداث الوارد في أعمال الرسل ، ويحبذ بشدة التاريخ الأبكر. في هذه الحالة يكون تاريخ كتابة الرسالة حوالى العام ٤٨ م ، أي في نطاق خمس عشرة سنة بعد موت يسوع وقيامته . والسبب الثاني هو أن الإنجيل بحسب غلاطية (الذي يدافع بولس عنه،

إلى جانب دفاعه عن رسوليته ، باعتباره معطى من الله لا من إنسان) يركزعلى الصليب. تتضمن الرسالة في الواقع سبع تأكيداتٌ بشأن موت المسيح لافتة للنظر، كل منها يُلقي الضوء على أحد وجيهاتها المختلفة . وعندما نضع هذه الوجيهات معا يصبح لدينا إدراك شامل مدهش للتأثير المعمم للصليب.

١. *الصليب و الخلاص (١: ٣-٥)*

نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح الذي بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من الدهر* الحاضر الشرير، بحسب إرادة الله وأبينا، الذي له المجد الى الأبد آمين.

تشكل هذه الآيات جزءا من التحية الافتتاحية. هذه التحية الرسالية epistolatory تكون عادة عرضية أو تقليدية . لكن بولس يستخدمها ليقدم بيانا لاهوتيا عن الصليب، مدروسا بعناية، يدل على الموضوع الذي سوف يهتم به في هذه الرسالة.

أولا، *كان موت المسيح طوعيا و مقصودا في آن معا*. فهو، من جهة، "بذل نفسه لأجل خطايانا" بحرية وبصورة اختيارية. ومن جهة أخرى كان بذله لنفسه "بحسب إرادة الله وأبينا ". فالآب قصد أن يموت ابنه وأراد ذلك وأنبأ به في العهد القديم . مع ذلك فإن يسوع تبنى هذا القصد بمحض موافقته ، وعقد العزم على أن يفعل إرادة أبيه.

ثانيا، *كان موت المسيح لأجل خطايانا* . إن الخطية والموت، في كل مكان من الكتاب المقدس، كما رأينا، مرتبطان تكامليا ارتباط السبب والنتيجة. وبحكم العادة ، يكون الشخص الذي يخطيء هو نفسه الشخص الذي يموت. إلا أن الأمر هنا مختلف، فمع أن الخطايا هي خطايانا نحن ، فإن الموت هو موت المسيح: هو مات لأجل خطايانا *نحن* ، حاملا عقوبتها نيابة عنا .

ثالثا، *كان القصد من موت يسوع إنقاذنا*. إن الخلاص عملية تتم لإنقاذ الناس الذين تكون ورطتهم شديدة بحيث لا يستطيعون أن ينقذوا أنفسهم . لقد مات، لينقذنا، على وجه الخصوص "من الدهر *أيئوس** الحاضر الشرير". ونظرا إلى أن المسيح

---

* هذا هو المعني الدقيق لكلمة أيئوس في هذه الآية ، وهو يختلف عن "العالم" كما ورد في ترجمة بستاني - فانديك . [المترجم]

قد دشن الدهر الجديد، فإن الدهرين متداخلان في الوقت الحاضر . لكنه مات لينقذنا من الدهر القديم ، وليضمن نقلنا إلى الدهر الجديد ، بحيث نستطيع الآن أن نعيش حياة الدهر الآتي.

رابعا، *النتيجة الحالية لموت المسيح هي النعمة والسلام* . "النعمة" هي إحسان الله المجاني غير المستحق ، و "السلام" هو المصالحة، مصالحتنا معه ومصالحتنا بعضنا مع بعض، التي حققتها النعمة. إن حياة الدهر الآتي هي حياة النعمة والسلام. ويستمر بولس في الإلماع إليها في الآيات التالية ، حيث يعبر عن دهشته من أن الغلاطيين قد انتقلوا بسرعة عن الذي دعاهم "بنعمة المسيح" (الآية ٦). لأن دعوة الله هي دعوة النعمة ، وإنجيل الله هو إنجيل النعمة.

خامسا، *النتيجة الأبدية لموت المسيح هي أن الله سوف يتمجد إلى الأبد* . إن الإشارات الواردة في الآيات ٣-٥ إلى النعمة والمجد، كجزء من الجملة نفسها، لافتة للنظر. النعمة مصدرها الله ؛ والمجد جدير بالله. وإن مجمل اللاهوت المسيحي ليلخص بهذه الحكمة المعبرة .

ففي عبارة واحدة حافلة بالمعاني يذكر بولس أول بيان له في رسالة غلاطية عن الصليب . ومع انه عين منذ الأزل بإرادة الآب ، فإن يسوع بذل نفسه بصورة اختيارية لأجلنا. صفة هذا الموت المميزة هي أنه كان عقوبة لخطايانا ، أما غرضه فكان إنقاذنا من الدهر القديم و نقلنا إلى الدهر الجديد حيث ننال نحن نعمة وسلاما الآن ، وينال الله مجدا إلى الأبد.

٢ . *الصليب والخبرة (٢:١٩-٢١)*

لأني مت بالناموس للناموس لأحيا لله . مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في . فما أحياه في الجسد أحياه بالإيمان بابن الله ، الذي أحبني وبذل نفسه لأجلي. لست أبطل نعمة الله، لأنه لو كان بالإمكان الحصول على البر بالناموس فالمسيح مات بلا سبب.

إذا كنا لم نألف الآية ٢٠ من قبل فسوف تصدمنا باعتبارها غريبة تماما. أما أن المسيح صلب في عهد بيلاطس البنطي ، فهذه حقيقة تاريخية؛ ولكن ماذا يمكن أن يكون بولس قد عنى بقوله أنه صلب مع المسيح ؟ من الواضح ان هذا كحقيقة مادية ، لم يكن صحيحا ، وأما كحقيقة روحية فهو أمر يعسر فهمه .

يلزمنا أن نفحص القرينة. إن موضوع الآيات ١٥-٢١ بعامة هو التبرير ، أي كيف يستطيع الله البار أن يبرر الفجار. لكن هذه الآيات تؤكد بخاصة ان الخطاة لا يتبررون بالناموس (يشار إلى ذلك ٧ مرات) بل بنعمة الله بالإيمان . يلح الرسول ثلاث مرات في الآية ١٦ على أن أحدا ما لن يستطيع أن يتبرر بالناموس . ولابد أنه كان من الصعوبة بمكان أن يؤكد ببيان أكثر قوة من هذا استحالة التبرير الذاتي ، أي كسب قبول الله بإطاعة الناموس . ولماذا هذا ؟ لأن الناموس يدين الخطية ويصف الموت كعقاب لها. وهكذا فإن وظيفة الناموس أن يدين لا أن يبرر.

نظرا إلى أن الناموس يضج بطلب موتي بصفتي مخالفا للناموس، فكيف يكون بإمكاني أن أتبرر ؟ لا يمكن ذلك إلا بأن ألبي مطالب الناموس فأموت الموت الذي يطلبه . إذا كنت سأفعل ذلك أنا بنفسي فسوف تكون تلك نهايتي . لذلك فإن الله دبر طريقة أخرى . المسيح حمل عقوبة مخالفتي للناموس ، وأصبحت أملك البركة الناتجة عن عمله لأنني اتحدت به . ولأنني متحد مع المسيح، أستطيع القول "مت للناموس" (الآية ١٩) ، ملبيا مطالبه، لأنني "مع المسيح صلبت" وهو الآن يحيا في (الآية ٢٠) .

إن التأكيد على موتنا مع المسيح وقيامتنا معه ، في رومية ٦ كما في غلاطية٢، هو جواب بولس على من يتهمونه باللاناموسية الأخلاقية * antinomianism. هب أننا سلمنا ، بأن أحدا ما لن يستطيع أن يتبرر بحفظ الناموس . لكن ذلك لا يعني أن لي الحرية في انتهاك الناموس. الأمر بالعكس ، فاستمراري في الخطية أمر لا يمكن فهمه. لماذا ؟ لأنني قد مُتُّ ؛ صلبت مع المسيح ؛ حياتي الآثمة القديمة نالت الدينونة التي تستحقها . نتيجة لذلك فإنني (أنا القديم الآثم المذنب) لا أحيا فيما بعد. ولكن المسيح يحيا في . أو، أستطيع القول، نظرا إلى أنني ما زلت حيا، وهذا أمر واضح، فإن الحياة التي أحياها الآن مختلفة تماما. إن "الأنا" القديمة (الخاطئة المتمردة المذنبة) هي التي لا تحيا بعد الآن. أما " الأنا " الجديدة (المبررة والتي لا دينونة عليها) فهي التي تحيا بالإيمان بابن الله الذي أحبني وبذل نفسه لأجلي.

من المهم أن ندرك أن بولس يشير إلى موت المسيح وقيامته ، وإلى موتنا وقيامتنا عن طريق اتحادنا به . وهو يعرض الحقيقة نفسها بطريقتين . ففيما يتعلق بموت حياتنا القديمة ، يستطيع أن يقول "المسيح أحبني وبذل نفسه لأجلي" و

---

* عقيدة مفادها أن الإيمان وتدبير النعمة يعفيان المسيحي من الالتزام بالتمسك بأي ناموس أخلاقي ، معجم كولينز Collins Dictionary [المترجم]

"مت ... صلبت مع المسيح" في آن معا. أما فيما يتعلق *بالقيامة* إلى حياة جديدة ، فيستطيع أن يقول ، في آن واحد ، "المسيح يحيا في" و " أنا أحيا لله" (الآية ١٩) أو "أحيا بالإيمان بابن الله" (الآية٢٠) .

الخلاصة، المسيح مات لأجلي ، وأنا مت معه ، مليبا مطالب الناموس ونائلا جزاء الخطية العادل . ثم قام المسيح وهو الآن حي ، وأنا أحيا به ، مشاركا في حياة القيامة التي يحياها . فالتبرير بالإيمان ، إذا ، لاينحي نعمة الله جانبا (الآية ٢١) . ولا يستغلها (كما في رومية ٦) ، قائلا، "حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة أكثر جدا ". كلا فالتبرير بالإيمان يعظم نعمة الله، ويعلن أن التبرير بنعمته فقط. إن مفهوم التبرير *بالناموس* هو الذي يبطل نعمة الله لأنه إذا كان يمكن الوصول إلى حالة بارة أمام الله ، فإن موت المسيح يبدو غير ضروري .

٣. *الصليب والكرازة (٣: ١-٣)*

أيها الغلاطيون الأغبياء ! من رقاكم ؟ لقد رسم المسيح مصلوبا أمام عيونكم. أود أن أعرف منكم شيئا واحدا : هل قبلتم الروح عن طريق حفظ الناموس أم بالإيمان بما سمعتم ؟ أهكذا أنتم أغبياء ؟ أبعدما ابتدأتم بالروح تحاولون الآن أن تصلوا الى هدفكم بالجهد البشري ؟

لقد وصف بولس قبل الآن بقليل (غل ٢: ١١-١٤) كيف حسم علنا النزاع الذي نشب بينه وبين بطرس في أنطاكية ، لأن بطرس كان قد تراجع عن مائدة الشركة مع المسيحيين الأمميين. وبذلك ناقض في الواقع قبول الله لهم بنعمته، قبولا غيرمشروط. وكرر بولس في المقطع المشار إليه الحجج التي استخدمها مع بطرس ليبرهن عن عقيدة التبرير بالإيمان. والآن يتهيأ لاستعمال تعبير ينم عن سخطه المتسم بالدهشة. ويتهم الغلاطيين بالغباء ويستعمل مرتين كلمة "حمقى" (*أنويتوس*) التي تعني الافتقار إلى *نوس* ، الذكاء . فحماقتهم غير معهودة وغير مقبولة إلى حد أنه يسألهم عمن "رقاهم" . وقوله يفيد ضمنا أن رقية لابد أن تكون قد ألقيت عليهم، ربما من قبل المضل الأكبر، مع أن ذلك حدث دون ريب عبر معلمين بشريين كذبة. لأن تشويههم الحالي للإنجيل يتنافى تماما مع ما سمعوه من بولس وبرنابا. لذلك ذكرهم بكرازته حين كان معهم، "حيث قام جهارا برسم" يسوع المسيح قدام عيونهم، باعتبار أنه صلب من أجلهم ، فكيف استطاعوا أن يتصوروا، بعد أن بدأوا حياتهم

المسيحية بالإيمان بالمسيح المصلوب ، أنهم يحتاجون إلى متابعتها بإنجازهم الخاص ؟

هناك الشيء الكثير الذي ينبغي علينا تعلمه من هذا المقطع بشان الكرازة بالإنجيل.

أولا، *الكرازة بالإنجيل هي المناداة بالصليب*. صحيح أنه ينبغي المناداة بالقيامة أيضا (١:١ ؛ ٢:١٩–٢٠) ، وبميلاد يسوع من عذراء ، وبولادته تحت الناموس (٤:٤) ولكن الإنجيل من حيث الجوهر هو الكرازة بالمسيح المصلوب.

ثانيا، *إن الكرازة بالإنجيل هي المناداة بالصليب مرئيا*. يستخدم بولس فعل *بروغرافو* الذي يلفت النظر، وهو يعني عادة " كتب سابقا" ، مثلا، " كما قد كتبت " (أف ٣:٣). لكن *غرافو* يمكن أن يعني أحيانا يرسم أو يصور ؛ وليس بالأحرى يكتب. ويمكن أن تعني البادئة *برو pro* " قدام " في المكان (قدام عيونكم) وليس بالأحرى في الزمن (سابقا) . وهكذا فإن بولس هنا يشبه كرازته بالإنجيل إما بلوحة زيتية ضخمة أو بلوحة إعلان تعرض إعلانا على الملأ. أما موضوع لوحته الزيتية أو لوحة إعلانه فكان يسوع المسيح على الصليب . بالطبع لم تكن لوحة زيتية بالمعنى الحرفي ؛ فالصورة رسمت بالكلمات . لكنها كانت مرئية وحيوية في مخاطبتها للمخيلة حتى أن لوحة الإعلان عرضت "قدام عيونكم" . إن إحدى أعظم مواهب الكرازة بالإنجيل هي تحويل أسماع الناس إلى عيون وجعلهم يرون ما نتحدث عنه.

ثالثا، *إن الكرازة بالإنجيل تنادي بالصليب مرئيا كحقيقة حاضرة* . لقد صلب المسيح قبل الوقت الذي كتب فيه بولس بخمس عشرة سنة على الأقل ، وقبل ألفي سنة من وقتنا نحن . إن ما فعله بولس بكرازته(وما ينبغي أن تفعله كرازتنا نحن) هو جلب الحدث من الماضي إلى الحاضر. وتستطيع خدمة الكلمة والعشاء الرباني* كلاهما أن تفعل هذا. تستطيع أن تتغلب على حاجز الزمن وتجعل الأحداث السالفة حقائق حاضرة بحيث تلزم الناس بالاستجابة لها. يكاد يكون من المؤكد أن أحدا من قراء بولس لم يكن حاضرا عند صلب يسوع ؛ مع ذلك فإن كرازة بولس جلبته إلى قدام عيونهم بحيث استطاعوا أن يروه ، وجلبته إلى خبرتهم الوجودية بحيث كان عليهم إما أن يقبلوه أو يرفضوه.

---

* توضيح خطي من المؤلف لكلمة sacrament . [المترجم]

رابعا، *الكرازة بالإنجيل تنادي بالصليب كحقيقة مرئية حاضرة ودائمة*. لأن ما ينبغي علينا هوأن نعلن(نظير بولس) أمام عيون الناس ليس *كريستوس توروثييس* (زمن الـ aorist)* فقط بل *كريستوس ايستوروميئوس*(الزمن التام)**. إن زمن الفعل لا يؤكد كثيرا حدثا تاريخيا جرى في الماضي بقدرما يؤكد دوام صلاحية هذا الحدث وقوته وفوائده . سيظل الصليب دائما قوة الله لخلاص المؤمنين.

خامسا، *الكرازة بالإنجيل تنادي بالصليب كموضوع للإيمان الشخصي أيضا*. لم يعلن بولس المسيح المصلوب قدام عيونهم لمجرد أن يحدقوا فيه مشدوهين. وإنما كان قصده أن يقنعهم بأن يأتوا إليه ويضعوا ثقتهم فيه بوصفه مخلصهم المصلوب. وهذا ما فعلوه . لكن ما أدهش بولس هو انهم ، تصوروا أن بوسعهم ، بعد أن نالوا التبرير وقبلوا الروح بالإيمان ، أن يستمروا في الحياة المسيحية بإنجازاتهم هم. كان هذا مناقضا لما كان بولس قد عرضه قدام عيونهم .

٤. *الصليب والإبدال (٣: ١٠-١٤)*

لأن جميع الذين يتكلون على حفظ الناموس هم تحت لعنة ، لأنه مكتوب: "ملعون كل من لا يستمر في فعل كل ما هو مكتوب في الناموس". من الواضح أن أحدا لا يستطيع أن يتبرر بالناموس قدام الله، لأن " البار بالإيمان يحيا ". الناموس لا يستند على الإيمان: بل بالعكس؛ "الذي يفعل هذه الأمور سيحيا بها". المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا ، لأنه مكتوب: "ملعون كل من علق على خشبة". افتدانا بحيث أن البركة الممنوحة لإبراهيم يمكن أن تصير للأمم في المسيح يسوع ، حتى بالإيمان ينالوا موعد الروح.

تؤلف هذه الآيات أحد أوضح العروض التي تبين ضرورة الصليب ومعناه ونتيجته. ويعبر بولس عن رأيه بتعابير قوية إلى حد أن بعض المفسرين لم يتمكنوا من تقبل ما كتبه عن "اللعنة" التي صارها المسيح لأجلنا. مثال ذلك ما كتبه أ. و. إف. بلنت A.W.F. Blunt في تفسيره : "إن اللغة هنا مذهلة وصادمة تقريبا. ما كان يجب أن

* aorist : زمن من أزمنة الفعل في اليونانية الكلاسيكية ، يشير إلى فعل action في الماضي دون الإشارة إلى كون الفعل المتضمن مؤقتا او مستمرا . (معجم كولينز Collins' Dictionary) [المترجم]

** perfect : زمن الأفعال المستخدمة لوصف عمل قد أكمل من قبل الفاعل.(معجم كولنيز) [المترجم]

نجرؤ على استخدامها ".[1] كذلك دعاها جرمياس "عبارة تصيب بالصدمة " وتحدث عن " الطبيعة المهينة أصلا ".[2] لهذه اللغة. مع ذلك ، فإن الرسول بولس قد استخدم هذه اللغة فعلا ، وكان بلنت محقا بالتاكيد عندما أضاف قائلا، " إن بولس عنى كل كلمة قالها". وهكذا علينا أن نتفهمها ونقبلها .

بذلت عدة محاولات لتخفف من هذه العبارة . أولا، قدم اقتراح مفاده أن بولس تعمد أن ينفي نسبة "اللعنة" إلى الله فسماها " لعنة الناموس" . ولكن التعبير الذي ورد في تثنية ٢١: ٢٣ هو "ملعون من الله" ؛ فلا يمكن التفكير جديا في أن بولس يناقض الكتاب . ثانيا ، اقترح أن "صيرورته" لعنة تعبر عن تعاطف المسيح مع مخالفي الناموس، وليس القبول الموضوعي لدينونتهم. نذكر هنا تفسير بلنت: " لم يكن حمل المسيح لخطايانا خيالا جنائيا بل شعورا أصيلا بالزمالة ، كالوالدة التي ارتكب ابنها خطأ وهي "تشعر بأن ذنبه هو ذنبها أيضا".[3] لكن هذا هروب؛ إنه لا يفي كلمات بولس حقها. فكلمة "صار"، بحسب تعبير جرمياس ، إنما هي "مواربة* في وصف فعل الله ".

ثالثا ، يقال أن بيان بولس الذي مفاده أن المسيح صار " لعنة" لأجلنا لا يصل إلى حد القول أنه كان "ملعونا " بالفعل. ولكن " لعنة"، بحسب جرمياس كلمة يكنى بها عن "الملعون". ويجب أن تترجم الجملة هكذا " الله جعل المسيح ملعونا لأجلنا". فتصبح عندئذ موازية لعبارة ، " الله جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا " (٢ كو٥:٢١) . وسنكون مستعدين لنقبل العبارتين، ولنسجد بالحقيقة أمام الله لأجل حقيقتهما لأن " الله كان في المسيح مصالحا " (٢ كو ٥:١٩) حتى عندما جعل المسيح خطية و لعنة لأجلنا.

لقد أدرك لوثر بوضوح ما عناه بولس ، وعبر عن مضامينه بصراحته المميزة :

إن أبانا الرحيم جدا، إذ رأى أننا مظلومون ومغمورون بلعنة الناموس و أننا بالتالي ، مُمْسَكون بلعنة الشريعة بحيث لا نستطيع أبدا أن نتحرر منها أبدا

---

[1] A. W. F. Blunt, *Galatians* , p. 96.

[2] Joachim Jeremias, *Central Message*, p. 35.

[3] A. W. F. Blunt, *Galatians* , p. 97.

* دوران حول المعنى (قاموس المورد) [المترجم]

بقوتنا، أرسل ابنه الوحيد إلى العالم ووضع عليه إثم جميع النـاس وقـال لـه : كـن بطرس ذلك المُنْكِر؛ وبولس ذلك المضطهد المجدف القاسي؛ وداود الزانـي ؛ كـن ذلـك الخـاطيء الـذي أكـل التفاحـة فـي الجنـة ؛ وذلـك اللـص الـذي كـان معلقـا علىالصليب ؛ وبالاختصار كن ذلك الشخص الذي ارتكب كل خطايا البشر؛ ومن ثم احرص على أن تحمل قصاصها وتكفر عنها.[4]

يلزمنـا أن نـدرك المنطـق الـذي يتبعـه بولـس فـي تعليمـه . أولا، جميـع *الذيـن يتكلون على النـاموس هم تحت لعنة*. في مطلع الآية ١٠ يستخدم بولـس مـرة أخـرى التعبير الذي استخدمه ثلاث مرات في١٦:٢ أي جميع الذين هم من أعمال النـاموس (حرفيا)، و تترجمه NIV بتوسع "يتكلون على حفظ الناموس". إن السبب الـذي جعـل بولس يصرح أن مثل هؤلاء هم "تحت لعنة" هو أن الكتاب يقول انهم كذلك: "ملعون كـل مـن لا يسـتمر فـي فعـل كـل مـا هـو مكتـوب فـي كتـاب النـاموس" (قـارن تـث ٢٧:٢٦،NIV) . وما من انسان قط استطاع أن "يستمر" في فعل " كـل مـا " يطلبـه النـاموس. مثل هذه الطاعة المستمرة والشاملة لم يقدمها أحد سوى يسـوع. لهـذا فـإن من "الواضح" (الآية ١١) أن أحدا ما لن "يتبرر قـدام اللـه بالنـاموس" ، لأن أحـدا مـا لم يحفظه . بالإضافة إلى ذلك ، يقـول الكتـاب المقـدس أن " البـار بالإيمـان يحيـا " ٠ (حبقـوق ٢: ٤)، والعيش "بالإيمـان" والعيـش "بالنـاموس" حالتـان مختلفتـان تمامـا (الآية١٢) . ولا يمكن تفادي النتيجة . فمع أن الذين يطيعون الناموس سيحيون ، من وجهة نظرية ، فلن يستطيع أحد منا بالحقيقة أن يحيا من وجهة عمليـة ، لأن أحـدا منا لم يطع . لذلك لا نستطيع أن نحصل على الخلاص بهذه الطريق . وعلى العكس تماما ، نحن أبعد ما يكون عن أن نخلص بالنـاموس ، فاللعنـة تحـل علينـا بـه . إن اللعنة أو دينونة الله، التي يحكم بها الناموس على مخـالفي النـاموس ، تسـتقر علينـا. هذا هو المأزق المرعب الذي يجد الجنس البشري نفسه فيه .

ثانيا، *المسيح افتدانا من لعنة النـاموس إذ صـار لعنـة لأجلنـا*. هـذا علـى الأرجـح أوضح بيان عن الإبدال في العهد الجديد. إن لعنة الناموس المنتهـك اسـتقرت علينـا؛ والمسيح افتدانا منها إذ صار لعنة بدلنا . اللعنة التي كانت مستقرة علينـا نقلـت إليـه. لقد اتخذها هو لكي ننجو نحن منها. والدليل على أنه حمل لعنتنا هـو أنـه علـق علـى

[4] Martin Luther, *Epistle to the Galatians*, p. 272.

خشبة، نظرا إلى أن تث ٢١: ٢٣ تعلن أن شخصا كهذا هو شخص ملعون (الآية١٣).

ثالثا، *المسيح فعل هذا لكي تصير بركة ابراهيم في المسيح للأمم.. بالإيمان* (الآية ١٤). ينتقل الرسول بتعمد من لغة اللعن إلى لغة البركة. لم يمت المسيح لأجلنا لكي يفدينا من لعنة الله فحسب ، بل ليضمن لنا بركة الله أيضا. لقد سبق أن وعد قبل ذلك بقرون بأن يبارك ابراهيم وأن يبارك الأمم عن طريق نسله. يفسر بولس هذه البركة هنا على أنها " التبرير" (الآية٨) و " الروح" (الآية ١٤) ؛ وهكذا فإن جميع الذين في المسيح سوف يباركون بغنى .

الخلاصة ، بسبب عصياننا كنا تحت لعنة الناموس . والمسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ حملها عوضا عنا. ونتيجة لذلك ننال بالإيمان بركة الخلاص الموعودة . هذا التتابع لا يقاوم. إنه يحفزنا لنسجد بتواضع ، لأن الله في المسيح ، في محبته المقدسة التي أحبنا بها ، كان راغبا في أن يبذل كل هذا الجهد، ولأن البركات التي ننعم بها اليوم مردها إلى اللعنة التي حملها عنا على الصليب.

٥. الصليب و الاضطهاد (٥: ١١؛ ٦: ١٢)

أيها الإخوة إن كنت بعد أكرز بالختان ، فلماذا اضطهد بعد ؟ إذا عثرة الصليب قد بطلت.

جميع الذين يريدون أن يحدثوا انطباعا حسنا في الظاهر يلزمونكم أن تختتنوا. وذلك فقط لئلا يضطهدوا لأجل صليب المسيح.

في كلا الآيتين ذكر صليب المسيح، وفي الآية ٥: ١١ دعي "عثرة " (*سكاندالون*). وفي كلا الآيتين أيضا توجد إشارة إلى الاضطهاد . بحسب ٥: ١١ كان بولس يضطهد لأنه كان يكرز بالصليب ؛ وبحسب ٦: ١٢ كان المعلمون الكذبة يتجنبون الاضطهاد بكرازتهم بالختان عوضا عن الصليب. فالخيار الموضوع أمام المبشرين والرعاة والمعلمين المسيحيين هو أن يكرزوا إما بالختان أو بالصليب.

إن "الكرازة بالختان" تعني الكرازة بـالخلاص بالنـاموس، أي، بالإنجـاز البشـري. مثل هذه الرسالة تزيل عثرة الصليب ، التـي هـي أننـا لا نستطيع أن ننـال خلاصنـا بالاستحقاق ؛ لذلك فهي تعفينا من الاضطهاد .

إن "الكرازة بالصليب" (كما في غلاطية٣:١) هي أن نكرز بالخلاص بنعمة اللـه وحدها. مثل هذه الرسالة عثرة (١كو١:٢٣) لأنها تهين الكبرياء البشرية بصورة خطيرة ؛ لذلك تعرضنا إلى الاضطهاد .

لا يوجد مهودون ، بالطبع ، في العالم اليوم ، يعظون عن ضرورة الختان. ولكن هناك عددا كبيرا من المعلمين الكذبة ، داخل الكنيسة وخارجها أيضا ، الذين يكرزون بالإنجيل الكاذب (الذي ليس إنجيلا غل ١:٧)، إنجيل الخلاص بالأعمال الصالحة. إن الكرازة بالخلاص عن طريق الأعمال الصالحة هي تملق للناس و بالتالي تجنب للمقاومة. والكرازة بـالخلاص بالنعمة إزعاج للناس و بالتالي مجلبة للمقاومة . قد يبدو هذا للبعض بمثابة طرح لخيار صارم . لكنني لا أظن ذلك . على جيمع الوعاظ المسيحيين إن يواجهوا هذه المسألة. فإما أن نعظ بأن البشر متمردون على الله ، واقعون تحت دينونته العادلة وهالكون (إذا تركوا وشـأنهم)، وأن المسيح المصلوب الذي حمل خطاياهم ولعنتهم هو المخلص الوحيد المتاح . أو أن نؤكد الإمكانات البشرية الكامنة والقدرة البشرية ، ونؤكد معهما المسيح الذي يستدعى فقط لدعمهما ، دون أن تكون هناك ضرورة للصليب سوى عرض محبة اللـه وبالتالي الإيحاء لنا بأن نبذل جهدا أكبر .

الطريقة السابقة تقودنا لكي نكون أمناء ، الطريقة الأخيرة هي الطريقة التي تجعلنا محبوبين . لا يمكن أن نكون أمناء ومحبوبين في آن واحد . يلزمنا أيضا أن نصغي إلى تحذير يسوع لنا : ويل لكم إذا قال فيكم جميع الناس حسنا" (لو٦:٢٦). إذا كرزنا بالصليب فإننا، بالمفارقة، قد نجد من يتعقبنا بحيث نلتجيء الى الصليب. وهذا يتفق مع ما كتبه أراسموس في أطروحته حول الكرازة : "عليه (أي الواعظ) أن يتذكر أن الصليب لن يغيب أبدا عن أولئك الذين يبشرون بالإنجيل بإخلاص ، وسيكون هناك دوما أمثال هيرودس ، وحنان ، وقيافا والكتبة والفريسيين".[5]

٦. الصليب والقداسة (٥: ٢٤)

---

[5] Quoted by Roland H. Bainton, in *Erasmus of Christendom*, p. 323.

الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات.

من الضروري أن نرى هذا المقطع (وكل مقطع بالحقيقة) في سياقه . اهتم بولس في غلاطية ٥ بمعنى الحرية الأخلاقية. وهو يصرح أنها ليست التساهل مع النفس بل ضبط النفس ، وليست خدمة أنفسنا بل خدمة بعضنا بعضا بالمحبة (الآية١٣). وخلف هذا الخيار يكمن الصراع الداخلي الذي يدركه جميع المسيحيين . يسمي الرسول بطلي الرواية "الجسد" (طبيعتنا الساقطة التي ولدنا فيها) و"الروح" (الروح القدس ذاته الذي حل فينا عندما ولدنا ثانية) . وهو يصف في الآيات ١٦-١٨ الصراع بين الاثنين ، لأن رغبات الجسد تعاكس رغبات الروح.

إن أعمال الجسد (الآيات ١٩-٢١) تتضمن الفجور الجنسي، الردة الدينية (عبادة الأصنام والسحر) ، والانهيار الاجتماعي (البغض والخلاف والغيرة وحدة المزاج ، الطموح الشخصي والشقاقات) والشهوات الجسدية غيرالمنضبطة (السكر، والبطر). أما ثمار الروح (الايتان ٢٢-٢٣)، أي الفضائل الي ينضجها الروح في الأشخاص الذين يملؤهم فتشمل ، المحبة والفرح والسلام (ولاسيما من حيث العلاقة مع الله)، والصبر واللطف والصلاح(فيما يختص بعلاقتنا بعضنا ببعض). والأمانة والوداعة وضبط النفس (من حيث علاقتنا بأنفسنا).

فكيف نضمن إذا سيطرة رغبات الروح على رغبات الجسد ؟ يجيب بولس بأن ذلك يعتمد على موقفنا الذي نتخذه تجاه كل منهما. علينا بحسب الآية ٢٤ أن "تصلب" الجسد مع أهوائه وشهواته . وعلينا بحسب الآية ٢٥ أن "تحيا بـ" الروح و "تسلك بـ" الروح .

أريد أن أوجه اهتمامي في هذا الاصحاح إلى الآية ٢٤ ، بسبب تأكيدها على أن الذين ينتمون للمسيح قد "صلبوا " جسدهم أو طبيعتهم الآثمة. إنها صورة مجازية مدهشة لأن الصلب كان شكلا مرعبا وحشيا من أشكال الإعدام. مع ذلك فإنه يوضح بطريقة تصويرية ماذا ينبغي أن يكون موقفنا من طبيعتنا الساقطة . فلا يجوز أن ندللها أو نعانقها ولا أن نشبع رغباتها أو نفسدها، ولا أن نقدم لها أي تشجيع أو تسامح . بدلا من ذلك يجب أن نكون عنيفين بلا شفقة في رفضها مع رغباتها. يتوسع بولس في تعليم يسوع حول "حمل الصليب" واتباع يسوع . فهو يخبرنا عما سيحدث عندما نصل إلى مكان تنفيذ الإعدام : يتم الصلب الفعلي. كتب لوثر مبينا أن أفراد شعب المسيح يسمرون جسدهم على الصليب، " لذا لا يستطيع

الجسد أن يفعل ما يريد فعله ، مع أنه مايزال حيا ، نظرا إلى أن يديه وقدميه مقيدة ومثبتة بالصليب بوساطة المسامير".[6] و إذا لم نكن مستعدين أن نصلب أنفسنا بهذه الطريقة الحاسمة، فسرعان ما نجد أننا "نصلب ابن الله ثانية ". إن جوهر الارتداد هو "تبديل الولاء، أي الانتقال من موقع المصلوبين إلى موقع الصالبين".[7]

إن الصلب المذكور في غلاطية ٢: ٢٠ يختلف تماما عن الصلب المشار إليه في غل ٥: ٢٤، كما أشرنا في فصل سابق. الأول يفيد باننا قد صلبنا مع المسيح (حدث هذا لنا نتيجة لاتحادنا بالمسيح) ، والثاني يفيد بأن شعب المسيح قاموا بصلب طبيعتهم القديمة . الأول يتحدث عن تحررنا من دينونة الناموس بمشاركتنا في صلب المسيح ، والثاني يتحدث عن تحررنا من سلطان الجسد بتأكيدنا على صلبه. هذان النوعان من الصلب ، أي أنني صلبت مع المسيح (منفعل)، وصلبت الجسد (فاعل) ينبغي عدم الخلط بينهما.

٧. *الصليب والافتخار (٦: ١٤)*

> حاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح، الذي به صلب العالم لي وأنا للعالم.

لا يوجد في الانكليزية مقابل دقيق لكلمة *كاوتشا أوماي* . وهي تعني الافتخار بـ: ، التمجيد، الثقة بـ: ، الفرح بـ: ، العيش لأجل . إن موضوع افتخارنا أو " مجدنا " يملأ آفاقنا ويستحوذ على فكرنا ويمتص وقتنا وطاقتنا . بكلمة أخرى إن " مجدنا " هو هاجسنا .

بعض الناس تستحوذ عليهم ذواتهم أومالهم أو شهرتهم أو سلطتهم ؛ كان المعلمون الكذبة في غلاطية انتصاريين ، تستحوذ عليهم فكرة عدد المهتدين على يدهم (الآية ١٣) ؛ أما بولس فكان المسيح وصليبه هما اللذان يستحوذان عليه . فما كان المواطن الروماني العادي يعتبره موضوعا للخجل والخزي وحتى الاشمئزاز، كان في نظر بولس موضوع اعتزازه وافتخاره ومجده . علاوة على ذلك لانستطيع

---

[6] Martin Luther, *Epistle to the Galatians* , p. 527 .

[7] عب ٦: ٤-٦ ؛ ١٠: ٢٦-٢٧ . *Cf.* C. F. D. Moule, *Sacrifice of Christ,* P. 30 .

أن ننبذ هذه النظرة باعتبارها خصوصية في مزاج بولس. لأن الصليب، كما رأينا، كان مركزيا في تفكير المسيح ، وكان في كل الأوقات مركزيا في إيمان الكنيسة.

أولا، إن التباهي أو الافتخار بصليب المسيح هو أن ننظر إليه علىأنه *سبيل القبول لدى الله*. فالسؤال الأهم من بين جميع الأسئلة هو كيف يمكننا، بوصفنا خطاة مذنبين وهالكين ، أن نقف قدام الله القدوس والعادل . لكي يرد بولس على هذا السؤال بصوت واضح وجهوري قذف بهذه الرسالة إلى الغلاطيين في سورة من الغضب من جراء جدله مع المُهَوِّدين . وما زال بعض الناس اليوم كأولئك المهودين، يثقون باستحقاقاتهم. ولكن حاشا لنا أن نفتخر إلا بالصليب. إن الصليب ينفي كل أشكال الافتخار الأخرى(رومية ٣:٢٧).

ثانيا، إن التباهي أو الافتخار بالصليب هو أن ننظر إليه على أنه *نموذج لنكران ذواتنا*. مع أن بولس يكتب عن صليب واحد فقط ("صليب ربنا يسوع المسيح")، فإنه يشير إلى نوعين من الصلب بل ثلاثة. فعلى الصليب نفسه الذي صلب عليه ربنا يسوع المسيح، " قد صلب العالم لي وأنا للعالم" . إن " العالم" الذي صلب هكذا (أي أُنْكِرَ) لايعني بالطبع البشر الذين في العالم (لأننا مدعوون لنحبهم ونخدمهم)، بل يعني قيم العالم أي ماديته الكافرة ، وبطله ورياءه (لأننا أمرنا بألا نحبها، بل أن نرفضها). لقد صلب "الجسد" قبلا (٥:٢٤)؛ والآن ينضم العالم إليه على الصليب. ينبغي أن نحتفظ بهذين النوعين الرئيسين من الصلب المذكورين في ٦:١٤ في علاقة وثيقة الواحد بالاخر ــ صليب المسيح وصليبنا. لأنهما ليسا صليبين بل صليبا واحدا. إن منظر صليب المسيح وحده هو الذي يجعلنا مستعدين بل وتواقين أيضا أن نحمل صلباننا. عندئذ فقط سنكون قادرين على أن نكرر بنزاهة كلمات بولس فنقول أننا لانفتخر بشيء إلا بالصليب.

لقد تأملنا تأكيدات بولس السبعة بشأن الصليب التي وردت في رسالته إلى الغلاطيين ، وفحصناها بالترتيب الذي وردت فيه . في الختام قد يكون من المفيد، أن نعيد ترتيبها و تصنيفها ، وفق ترتيب لاهوتي وليس بالأحرى وفق ترتيب زمني ، لكي ندرك ، ولكن بصورة أكثر جلاء ، مركزية الصليب وتعميمه في كل مجال من مجالات الحياة المسيحية .

أولا، الصليب هو *أساس تبريرنا*. المسيح أنقذنا من الدهر الحاضر الشرير(٤:١) وافتدانا من لعنة الناموس (١٣:٣) . السبب الذي لأجله أنقذنا من هذه العبودية المزدوجة هو لكي نستطيع أن نقف بجرأة قدام الله بصفتنا أبناءه وبناته، الذين أَعْلَنَ تبريرهم وحل روحه فيهم .

ثانيا ، الصليب هو *وسيلة تقديسنا* . هنا تأتي أنواع الصلب الثلاثة الأخرى. لقد صلبنا مع المسيح (٢٠:٢). وصلبنا طبيعتنا الساقطة (٢٤:٥) . وصلب العالم لنا، كما صلبنا نحن للعالم (١٤:٦). وهكذا فإن الصليب يعني أكثر من صلب يسوع ؛ إنه يتضمن صلبنا و صلب أجسادنا وصلب العالم .

ثالثا، الصليب هو *موضوع شُهادتنا*. علينا أن نحمل لوحة المسيح المصلوب علنا قدام عيون الناس، لكي يروا ويؤمنوا (١:٣). وعندما نقوم بهذا يجب ألا نهذب [نحذف أو نعدل بعض العبارات غير المستساغة من] الإنجيل حاذفين منه الجزء الذي يهين الكبرياء البشري . كلا، فمهما كان الثمن، فإننا نبشر بالصليب(استحقاق المسيح)، وليس بالختان (استحقاق الانسان) ؛ إنه الطريق الوحيد للخلاص(١١:٥؛ ٦: ١٢).

رابعا، الصليب هو *موضوع افتخارنا* . حاشا لنا أن نفتخر بأي شيء آخر(٦: ١٤). كان عالم بولس بأكمله يدور في مدار حول الصليب . لقد ملأ بصره ، وأنار حياته ، ودفأ روحه. كان "يفتخر" به . وكان يعني له أكثر مما يعنيه أي شيء آخر. ويجب أن تكون لدينا النظرة نفسها .

إذا لم يكن الصليب مركزيا في نظرنا ، في هذه المجالات الأربع ، فإننا نستحق أن يطبق علينا ذلك الوصف المرعب "أعداء صليب المسيح" (فيلبي ١٨:٣). إن كوننا أعداء للصليب يعني أن ننصب أنفسنا ضد أغراضه . البر الذاتي (بدلا من النظر إلى الصليب للتبرير) وتلبية رغبات الذات (بدلا من حمل الصليب لاتباع المسيح) والإعلان ـ عن الذات (بدلا من الكرازة بالمسيح المصلوب) والافتخار بالذات (بدلا من الافتخار بالصليب) ـ جميعها تشويهات تجعلنا أعداء صليب المسيح .

من جهة أخرى ، كان بولس صديقا وفيا للصليب . لقد دمج نفسه بالصليب بصورة وثيقة جدا ، حتى أنه عانى الاضطهاد الجسدي لأجله . كتب يقول : " إنني حامل في جسدي سمات الرب يسوع" (غل ١٧:٦) ، وعنى بذلك الجروح والندوب

التي أصابته من جراء المناداة بالمسيح المصلوب ، أي *السمات* التي دمغته كعبد أصيل للمسيح .

إن *سمات* يسوع في الروح ، إن لم تكن في الجسد ، تبقى علامة التوثيق لكل تلميذ مسيحي ، ولا سيما للشاهد المسيحي. لقد عبر كامبل مورغانCampel Morgan عن ذلك خير تعبير:

> إن الانسان المصلوب هو الذي يستطيع أن يبشر بالصليب. قال توما " إن لم أبصر في يديه أثر المسامير...لن أومن". قال الدكتور باركر اللندني إن ما قاله توما عن المسيح ، يقوله العالم اليوم عن الكنيسة. ويقوله العالم أيضا لكل واعظ: ما لم أر في يديك آثار المسامير لن أومن . وإنه لقول صحيح. فالانسان الذي مات مع المسيح ... هو الذي يستطيع أن يبشر بصليب المسيح.[٨]

---

[8] G.j. Campbell Morgan, *Evangelism*, pp. 59-60.

دليل دراسي

لكتاب صليب المسيح

من السهل جدا أن نكمل قراءة كتاب كهذا دون أن نسمح لرسالته أن تتجذر في حياتنا . ومن هنا جاءت الحاجة إلى إعداد هذا الدليل الدراسي للمساعدة على تحقيق الغاية المرجوة من الكتاب . يطرح الدليل أسئلة تعينك في الوصول إلى لب ما كتبه المؤلف وتتحداك لتطبق في حياتك ما تعلمته .

مع أن الدليل يلائم الاستخدام الشخصي ، لكنه صمم بالأساس لمجموعات صغيرة من المسيحين الذين يجتمعون ، مدة ساعة أو ربما ساعتين أسبوعيا للدراسة والمناقشة والصلاة معا .

يوفر الدليل المادة اللازمة لدراسة أقسام الكتاب الأربعة عشر. وعندما يستخدم الدليل ضمن الوقت المحدد ، يجب على قائد المجموعة أن يقررسلفا ما الأسئلة التي تلائم المجموعة لكي تجري مناقشتها خلال الاجتماع وما الأسئلة التي يمكن أن تترك لأفراد المجموعة لكي يبحثوها كل بمفرده أو ضمن مجموعات أصغر خلال الأسبوع . لكي يتمكن كل فرد من أفراد المجموعة من الإسهام في النقاش والتعلم أثناء اللقاءات ، ينبغي عليه أن يقرأ الفصل المخصص بكامله قبل موعد الجلسة.

من المهم ألا تصبح هذه الدروس مجرد تدريبات أكاديمية. تحفظ من هذا الأمر، بإعطاء الوقت للبحث في كيفية نقل ما تعلمتموه إلى حيز التطبيق .

احرصوا على بدء كل مناقشة وختامها بفترة من العبادة والصلاة . اطلبوا من الروح القدس أن يعلن لكم حقائق الصليب ، ويحثكم علىالمحبة والطاعة المتجددتين . تذكروا هذه الكلمات التي وردت في مقدمة المؤلف: " لا نستطيع أن نقف أمام الصليب ألا برأس منكس وروح منكسرة . وهناك نبقى إلى أن يتكلم الرب يسوع إلى قلوبنا بكلمة الغفران والقبول ، وإذ نحس بأن محبته أسرتنا ففاضت قلوبنا بالشكر له ، نمضي إلى العالم لنعيش في خدمته " (ص١٢).

لجزء الأول
تراب من الصليب

الجلسةالأولى
فصل ١ : مركزية الصليب
(ص ١٥ – ٥٠)

قصد المؤلف أن يبين ، في هذا الفصل ، أن صليب المسيح، بحسب آراء يسوع الكنيسة الباكرة ، كما عرضها العهد الجديد، هو المُقَوِّمُ المركزي للمسيحية. فرغم لمعارضة التي يثيرها ، هناك أسباب وجيهة تدعونا للاستمرار في الأخذ بهذه لنظرة اليوم.

١ لقد اعتدنا هذه الأيام على اعتبار الصليب رمزا لإيماننا. ولكنه كان خيارا مدهشا في سياق القرن الأول فلماذا كان كذلك (ص ٢٤ ت ت.*) ؟

٢ يبدو أن المسيحيين الأولين أخذوا هذه الفكرة عن يسوع نفسه . اقرأ مرقس ٨:٣١-٣٢ ؛ ٩:٣٠-٣٢ ؛ ١٠:٣٢-٣٤. ما هو الأمر اللافت للنظر في هذه التنبؤات (ص ٢٩) ؟

٣ يشارك يوحنا بقية كتاب الأناجيل في النظرة نفسها . كيف يلفت الانتباه إليها (ص ٣٠ ت.) ؟

---

* ص ٢٤ ت ت. أي ص ٢٤ والصفحات التالية . ص ٣٠ ت. أي ص ٣٠ والصفحة التالية .

٤ كيف عرف يسوع أن موته كان محتما (ص ٣١ ت ت.) ؟

٥ هذا التركيزعلى مركزية موت يسوع يتخلل وعظ بولس وبطرس الذي دونه لوقا في أعمال الرسل. توزعوا إلى مجموعات، اثنين اثنين أو ثلاثة ثلاثة. واطلب من كل مجموعة فرعية أن تبحث واحدا أو اثنين من المقاطع المذكورة (أع ٢:١٤-٣٩ ؛ ٣:١٢-٢٦ ؛ ٤:٨-١٢ ؛ ٥:٢٩-٣٢ ؛ ١٠:٣٤-٤٣ ؛ ١٣:١٦-٤١ ؛ ١٤:١٥-١٧ ؛ ١٧:٢-٣ و ٢٢-٣١ ؛ ٢٨:٢٣-٣١). ماذا فهموا عن معنى الصليب ؟ (ص ٣٦ ت ت.)؟ ما الذي يجعل استخدام تعبير " الخشبة " ذا مغزى على الخصوص ؟

٦ "...إن الكتاب الثلاثة الذين قاموا بدور رئيس في كتابة رسائل العهد الجديد ــ وهم بولس وبطرس ويوحنا ــ قد أجمعوا على الشهادة لـ [مركزية الصليب] وشهدت لها أيضا الرسالة إلى العبرانيين وسفر الرؤيا (ص ٣٨). كيف يمكن دعم هذا القول (ص ٣٨ ت ت.) ؟

٧ " ليس ثمة شرخ بين الإيمان وعدم الإيمان أعظم من الشرخ القائم بينهما من حيث موقف كل منهما تجاه الصليب" (ص ٤٤) . ما أحدث خبرة تؤكد هذا الشرخ مررت بها ؟

٨ الإسلام مثال عن ديانة لا تستطيع قبول مركزية الصليب (ص ٤٤ ت ت.) لماذا يقف الإسلام هذا الموقف ؟

٩ في ضوء حقيقة المقاومة التي تثيرها مركزية الصليب ، ما الأسباب التي تجعلك تستمر في التمسك بها ؟

الجلسة الثانية

الفصل ٢ : لماذا مات المسيح؟
(ص ٥١ – ٦٧)

يفحص هذا الفصل العوامل البشرية التي أدت إلى صلب يسوع . إلا أن فهم يسوع لإرادة أبيه تكمن وراء تلك العوامل . فهذا ما جعله يذهب بكل تعمد إلى موته .

١ يوضح كتاب الأناجيل بجلاء أن حكم الموت الذي صدر بحق يسوع كان ظلما فادحا ، رغم الإجراءات القانونية التي اتخذت لدى محاكمته . أنظر مت ٢٦:٥٧–٥٨ ؛ مر ١٤:٥٧–٥٩ ؛ لو ٢٣:١–٢، ١٣–١٦ ؛ يو ١٨:٣٨ ؛ ١٩:٦ . فلماذا كان كذلك (ص ٥١–٥٢) ؟

٢ اقرأ لو ٢٣:١–٢٥. ماذا يكشف هذا المقطع عن بيلاطس (ص ٥٤ت.) ؟

٣ "من السهل علينا أن ندين بيلاطس ونتغاضى عن سلوكنا المراوغ المشابه لسلوكه" (ص ٥٦) ؟ لماذا فعل بيلاطس فعلته ؟ من أي نواح تشبهه أنت ؟

٤ لماذا قاومت المؤسسة اليهودية يسوع كل هذه المقاومة (٥٦ ت ت.) ؟ ما أوجه التشابه بينك وبينهم ؟

٥ ربما يقول قائل ، إن يهوذا كان مجرد ضحية لقوى خارجة عن سيطرته . لماذا يجب أن نحكم على هذا القول بأنه قول مضلل (ص ٥٩ ت.) ؟

٦ ماذا كانت الدوافع الكامنة وراء تسليم [خيانة] يهوذا ليسوع (ص٦١ ت.) ؟

٧ " قال يسوع أنه من المستحيل أن يخدم الانسان الله والمال " (ص ٦٣) .
من أي نواح وجدت هذا القول صحيحا ، بحسب خبرتك ؟

٨ " قبل أن نستطيع البدء برؤية الصليب كأمر حدث *لأجلنا* (يقودنا إلى الإيمان والعبادة) ، ينبغي أن نراه باعتباره أمرا *فعلناه نحن* (يقودنا إلى التوبة) " (ص ٦٥ ـ ٦٦). هل هذه هي نظرتك إلى الصليب ؟ اصرف بعض الوقت متأملا في مدى مشاركتك في الصفات التي أظهرها بيلاطس وقيافا و يهوذا .

٩ لماذا يتنافى مع الدقة القول بأن يسوع كان شهيدا (ص ٦٦ ت ت.) ؟

الجلسة الثالثة

الفصل ٣ : النظر إلى ما تحت السطح

(ص ٦٨- ٩٢)

رأينا أن صلب يسوع كان قبل كل شيء ، ورغم تدخل العوامل البشرية فيه ، نتيجة تسليم نفسه ليفعل إرادة أبيه . ننتقل الآن لنتأمل لماذا قصد الله أن يموت ابنه بهذه الطريقة .

١ يقترح المؤلف أربع مراحل للإجابة عن السؤال " لماذا مات المسيح ؟ " (ص ٦٨ ت ت.) ، فما هي هذه المراحل ؟ احرص على أن تدعم إجاباتك من الكتاب المقدس .

ولكن هل يتفق هذا السرد مع الحقائق ؟ ترجِعُ بنا بقية الفصل إلى روايات كتبة الأناجيل للأحداث المرافقة لموت يسوع لنرى ما إذا كانت تدعم الرسالة التي يلخصها العهد الجديد .

٢ اقرأ مر ١٤:٢٢-٢٤ . ماذا يعلمنا تأسيس فريضة عشاء الرب عما فهمه يسوع نفسه من دلالة موته العتيد (ص ٧٣ ت ت.) ؟

٣ ما الذي تضيفه ، إلى فهمنا لعشاء الرب ، حقيقة أن وجبة العشاء قد تَمَّ تناولها في سياق احتفال الفصح اليهودي (ص ٧٧ ت.) ؟

٤ اقرأ مت ٢٦:٣٦-٤٦.لماذا يكون أمرا يدعو للسخرية " الافتراض بأنه [يسوع] الآن بات يخشى الألم والإهانة والموت"(ص ٨١) ؟ فماذا عنى

يسوع بـ "الكأس" التي صلى لكي تزال عنه ؟

٥ اقرأ مر ١٥:٣٣-٣٤ . قبل أن يموت يسوع بلحظات صرخ ، مقتبسا مزمور ٢٢:١ . ما الاقتراحات التي قدمت لتفسير اقتباسه لهذه الآية (ص ٨٨ ت ت.) ؟ ما التفسير الذي تجده الأكثر إقناعا من بين هذه التفسيرات ؟

٦ " إن الكرب في جثسيماني يفتح نافذة تطل على كرب الصليب الأعظم . فإذا كان توقع حمل خطية الانسان واحتمال غضب الله رهيبا إلى هذا الحد ، فكيف كانت حقيقة ذلك ؟ " (ص ٨٥) . كيف يؤثر هذا في موقفك من الخطية ؟

٧ راجع دراستك حتى هذه المرحلة . من أي نواح اتسع فهمك للخطية و لله وللخلاص ؟

الجزء الثاني:

قلب الصليب

الجلسة الرابعة

الفصل ٤ : مشكلة الغفران

(ص ٩٣ - ١٢٤)

ولكن لماذا لا يستطيع الله ببساطة أن يغفر لنا ؟ لماذا ينبغي أن يتوقف نوالنا الغفران على موت المسيح ؟ هذه هي المشكلة التي يعالجها المؤلف في هذا الفصل . يكمن الجواب في امتلاكنا فهما أفضل لخطورة الخطية ولجلال الله .

١ ماذا تفهم من كلمة "خطية " ؟ بحسب الكتاب المقدس (مثلا رو ٨:٧؛ ١ يو ٣:٤) ما هو جوهر الخطية (ص ٩٩ ت.) ؟

٢ "ولكن كيف يمكن أن نعد مسؤولين عن خطيتنا ؟ فبالرغم من كل شيء ليس بوسعنا إلا أن نرتكبها ! ". كيف ترد على هذا القول (ص١٠٠ ت ت.) ؟

٣ " إذا كان البشر قد أخطأوا (وهم فعلوا ذلك) ، وإذا كانوا مسؤولين عن خطاياهم (وهم مسؤولون) ، فهم مذنبون أمام الله ". (ص ١٠٧) . كيف ترد على من يشكو من أن التحدث عن الذنب بهذه الطريقة هو حديث تشاؤمي ومرضي زائد عن الحد المعقول (ص ١٠٧ ت ت.) ؟

٤ " إن الإقرار التام بالمسؤولية الانسانية وبالتالي بالذنب ، أمر بعيد عن أن يكون انتقاصا لكرامة البشر ، إنه في الواقع يعزز هذه الكرامة " (ص ١١٢).

بين سبب صحة هذا القول .

٥ من الصعب على كثيرين من الناس أن يفكروا في الله باعتباره يغضب ويعاقب الخطيئة . كيف ترد على القولين التاليين اللذين يمثلان طريقتين للتهرب من المشكلة :

آ " إن إله الغضب يخص العهد القديم ، في حين أن إله العهد الجديد هو محبة " (ص ١١٤) .

ب " إن غضب الله لا يصف موقف الله الشخصي من الانسان ، بل يصف عملية السبب والنتيجة التي هي عملية حتمية في العالم الأخلاقي" (ص ١١٦ ت.) .

٦ ما الفروق الموجودة بين غضب الله وغضب الانسان ؟

٧ يقتبس المؤلف خمس صور مجازية يستخدمها الكتاب المقدس ليوضح أن قداسة الله لا يمكن أن تنسجم مع الخطية البشرية (ص ١١٩ ت ت.). ماذا تقول النظرة التي تقدمها هذه الصور بشأن حياتك و بشأن حياة كنيستك ؟

٨ " بل وينبغي أن يقال أن تأكيدنا الإنجيلي على الكفارة خطر إذا استنتجناه بتسرع " (ص ١٢٢) . فلماذا ؟

الجلسة الخامسة

الفصل ٥ : التكفير عن الخطية

(ص ١٢٥ - ١٥٠)

الخلاصة التي خرجنا بها من الفصل السابق هي أن جسامة الخطية و طبيعة الله جعلا مسامحة الله لنا ببساطة أمرا مستحيلا. الآن ننتقل الى مفهوم " التكفير عن الخطية " والى السؤال التالي " من هو الذي ينبغي إرضاؤه ؟ ".

١ اعتقد كثيرون في الكنيسة الباكرة أن موت يسوع كان التعويض الذي لزم أن يدفعه الله *للشيطان* كي يضمن تخليص بني البشر من سلطانه. كيف نشأت هذه النظرة (ص ١٢٧ ت ت.) ؟ ما خطأ هذه النظرة ؟

٢ ثمة نظرة أخرى مفادها أن الله أمام معضلة شبيهة بتلك التي واجهها الملك داريوس كما وردت في الاصحاح ٦ من سفر دانيال (انظر بخاصة الآيات ١٣–١٧) وأن موت يسوع كان ضروريا ليضمن خلاصنا من العقوبة التي تطلبها *الناموس*. ما الذي يجعل هذه النظرة غير كافية (ص١١٤ ت ت.) ؟

٣ بعد ذلك قدمت ثلاثة اقتراحات: اعتقد أنسلم Anselm بأن *كرامة الله* ، التي أهينت بسبب الخطية ، بحاجة إلى إرضاء (ص ١٣٣ ت ف.). أما المصلحون ، الذين عرف عنهم تأكيدهم علىالتبرير، فقد شددوا على الحاجة إلى طريق

للخلاص يلبي [يرضي] *عدالة الله* (ص ١٣٦ ت.). وطور غروتيوس النظرة التي مفادها أن الله لا يستطيع أن يسامح الخطايا ببساطة
إذ لا بد له من أن يراعي [يرضي] *النظام الأخلاقي* للعالم الذي يحكمه (ص ١٣٧ ت ت.) . ناقش مزايا و عوائق [مساويء] كل رأي . ما المحدودية التي تشترك فيها جميع هذه الآراء (ص ١٤٤) ؟

٤ يدين الله الخطاة " لأنه ينبغي أن يدينهم لكي يبقى صادقا مع نفسه " (ص ١٤١) . يذكر المؤلف أربع طرق يصف بها الكتاب المقدس هذا الموقف من جانب الله (ص ١٤١ ت ت.). اقرأ المقاطع التالية وابحثها ملاحظا كيف أنها تساعدك في فهم الغضب الإلهي والحاجة إلى الإرضاء : قضاة ٢:١٢-١٣ ؛ ٢ ملوك ٢٢:١٣،١٧؛ هوشع ٨:٥؛ حزقيال ٥:١٣؛ حزقيال ٢٠:٤٤ .

٥ يقتبس المؤلف من إميل برونر قوله : " إن الصليب هو المكان الوحيد الذي يتجلى فيه الله المحب الغافر الرحيم بحيث نستطيع أن ندرك أن قداسته ومحبته لامتناهيتان على حد سواء "(ص ١٤٩) . ما التحريفات التي تحصل عندما يتم تجاهل أي من هاتين الصفتين ؟ من أي نواح أصاب التحريف تفكيرك *أنت* ؟

الجلسة السادسة

الفصل ٦ : إبدال الله الذاتي

(ص ١٥١ - ١٨٨)

رأينا أن حل مشكلة الخطية الانسانية يلزم أن يأخذ قداسة الله بالحسبان التام . "كيف استطاع الله إذا أن يعبر في آن واحد عن قداسته بالدينونة وعن محبته بالعفو ؟ "(ص ١٥٢) . يكمن الجواب في إبدال الله نفسه بنا .

١ إن ذبائح العهد القديم " كانت بحسب قصد الله إعدادا لذبيحة المسيح " (ص ١٥٢) . ما الفكرتان الأساسيتان اللتان تكمنان وراء ذبائح العهد القديم (ص ١٥٣) ؟ كيف تم التعبير عن فكرة الإبدال ؟

٢ اقرأ لاويين ١٧ :١١. ماذا تعلم هذه الآية عن الدم وعن الكفارة (ص ١٥٦ ت.) ؟

٣ رأينا في درس سابق أن كتبة العهد الجديد ينظرون إلى موت المسيح ("حمل الله") كإتمام للفصح اليهودي . ما الذي تظهره قصة الفصح المروية في سفر الخروج ١١–١٣ عن الله وطرقه في معالجة الخطية البشرية (ص ١٥٨ ت ت.) ؟

يستخدم العهد الجديد تعبير "حَمْلُ الخطية " فيقدم إيضاحا آخر لمبدأ الإبدال

نواجه هنا سؤالين . أولا، هل يعني "حمل الخطية " دوما تلقي *عقوبة* الخطية ؟ ثانيا ، هل يعني "حمل الخطية " ضمنا و بالضرورة *الإبدال* ، حيث يأخذ الفريق البريء مكان الفريق المذنب ويحمل عقوبته ؟

٤ ما الاعتراضات التي أبديت على مفهوم " الإبدال الجزائي" كوصف لما أنجزه يسوع بموته على الصليب (ص١٦١ ت ت.) ؟ كيف يساعدنا الكتاب المقدس في الرد عليها (ص ١٦٢ ت ت.)؟

٥ أقرأ كامل الاصاح ٥٣ من أشعياء . يقتبس الكاتب من جرماياس قوله : " ما من مقطع آخر في العهد القديم كان مهما للكنيسة نظير أشعياء ٥٣ " (ص ١٦٥). ما سبب هذا ؟ (ص ١٦٥ ت ت.) تأمل في مر ١٠:٤٥ و ٢٤:١٤ . ما الضوء الذي ألقته هذه الآيات على فهم يسوع لدلالة موته ؟

٦ اقرأ ٢كورنثوس ٢١:٥ و غلاطية ١٣:٣-١٤. ماذا تضيف هذه الآيات إلى ما رأيناه حتى الآن (.ص ١٦٨ ت.) ؟

هناك سؤال يتعلق بنظرتنا إلى *الذي* " أخذ مكاننا و حمل خطايانا وصار لعنتنا و تحمل عقوبتنا ومات موتنا " (ص ١٧٠). هناك ثلاث امكانيات : آ) كان يسوع مجرد انسان ؛ ب) لم يكن يسوع سوى الله و **بدا فقط** أنه انسان ؛ ج) كان يسوعُ اللهَ ــ الانسانَ الفريد (وما يزال كذلك).

٧ ما المشكلات التي تنشأ عندما نعتقد أن يسوع الذي مات على الصليب كان مجرد انسان (ص ١٧١ ت.) ؟

٨ " ينبغي إذا ألا نقول أن الله عاقب يسوع أو أن يسوع أقنع الله ..." (ص ١٧٣). لماذا ينبغي ذلك ؟ فكيف يجب أن نتحدث عن العلاقة بين الله ويسوع على الصليب ؟

٩ ما المنافع الظاهرة التي نجنيها عندما نعتقد أن يسوع الذي مات على الصليب كان الله فقط (ص ١٧٣ ت.) ؟

١٠ ولكن برغم هذا فإن " قولنا ، ' إن الله مات ' ، قول مضلل " (ص١٧٧). بين سبب صحة هذا القول ؟

١١ لم يتبق سوى الخيار الثالث : إن بديلنا " لم يكن المسيح وحده (لأن ذلك كان سيجعله طرفا ثالثا يُقْحَمُ بين الله وبيننا) ولم يكن الله وحده (لأن ذلك كان سيقوض التجسد التاريخي) ، ولكنه الله في المسيح ، الذي كان حقا وبكل ما في الكلمة من معنى الله وانسانا معا، وكان بناء على ذلك مؤهلا بصورة فريدة ليمثل الله والانسان و ليتوسط بينهما " (ص ١٧٩) .اسرد بعضا من الأدلة الكتابية المؤيدة لصحة هذا القول (ص ١٧٩ ت.) .

١٢ " في أصل كل صورة ساخرة للصليب تكمن خريستولوجيا مشوهة " (أي ، رأي محرف في من هو يسوع) (ص ١٨٣). ما الحجة المؤيدة ؟

١٣ استنادا إلى هذ الفصل ، ماذا يمكن أن تقول لأولئك الذين يقولون أنهم يبذلون كل ما بوسعهم ليصلوا إلى السماء و يرجون أن يتغاضى الله عن تقصيراتهم القليلة الأهمية ؟

الجزء الثالث : *إنجاز الصليب*

الجلسة السابعة

الفصل ٧: خلاص الخطاة (ص ١٨٩ - ٢٣٦)

إن *قلب* الصليب هو إبدال الله نفسه بنا . في هذا الجزء نمضي لنتأمل في ما أنجزه هذا الإبدال الذاتي تحت عناوين الخلاص والإعلان والغلبة . يناقش المؤلف في هذا الفصل أربع صور مجازية يستخدمها الكتاب المقدس ليصف معنى الخلاص .

١ الصورة الأولى هي صورة *الاسترضاء* . ماذا تعني ؟ لماذا لم يقبل البعض بها باعتبارها طريقة لوصف مفعول موت يسوع (ص ١٩٣ ت ت.) ؟
كيف ترد على اعتراضاتهم ؟

٢ ثانيا ، هناك صورة الفداء . إن استعمال كلمة " فدية " أكثر ملاءمة من كلمة " نجاة " ، لماذا (ص ٢٠٢.ت ت.) ؟

٣ لمن ولما نحن أسرى (ص ٢٠٥) ؟ ما أهمية تأكيد المؤلف الذي يقول فيه :
" فحتى تحريرنا من هذه الضروب من الأسر لا يكمل فداءنا "
(ص ٢٠٥ ت ت.) ؟

٤ ماذا كان الثمن الذي دفع لأجل فدائنا (ص ٢٠٦ ت.) ؟ ما معنى هذا ؟

٥ ما التطبيقات العملية لحقيقة أن " شخص الفادي...له حقوق الملكية على ما اشتراه " (ص ٢٠٩ ت.) ؟ إلى أي حد تقر بهذا الأمر في حياتك ؟

٦ *التبرير* هو الصورة الثالثة ،التي تذكِّر بصورة قاعة المحكمة . ما الفرق بين التبرير والغفران (ص ٢١٠) ؟ لماذا يشكل التبرير " قلب و محور مجمل التدبير الإلهي... الذي أعدته نعمة الله " (ص ٢١١) ؟

٧ ما الاعتراضات التي تقدم ضد هذا المفهوم (ص ٢١١ ت.)؟

٨ لماذا رفضت الكنيسة الكاثوليكية عقيدة التبرير بالإيمان التي نادى بها المصلحون (ص ٢١٢ ت. ، ٢١٦) ؟

٩ ما معنى المفاهيم التالية: "التبرير"، " التجديد"، " التقديس" (ص٢١٤ ت.)؟ ما أهمية وجوب التمييز الواضح بينها ؟

١٠ كيف ترد على من يقول أن " التبرير بالإيمان هو مجرد ' تخيل قانوني إذ ينطق الله بحكم تبريرنا في حين أننا لسنا أبرارا مطلقا "
(ص ٢١٧ ت ت.) ؟

١١ يلخص المؤلف تعليم بولس حول التبرير (ص ٢١٩ ت ت.). لماذا يجب الاعتقاد بأن تبريرنا (آ) منشؤه نعمة الله ، (ب) مؤسس على سفك دم المسيح ، (ج) واسطته الإيمان ، (د) يؤدي إلى علاقة شخصية مع المسيح ؟

١٢ الصورة الرابعة هي *المصالحة* . ما نتائج نوالنا المصالحة مع الله (ص ٢٢٤ ت ت.) ؟

١٣ اقرأ ٢ كورنثوس ٥:١٨-٢١ .ماذا يعلمنا هذا المقطع عن المصالحة (ص ٢٢٧ ت ت.) ؟

١٤ لماذا يعد التحدث عن الإبدال باعتباره " نظرية في الكفارة " حديثا مضللا (ص ٢٣٦ ت.) ؟

الجلسة الثامنة

الفصل ٨ : إعلان الله (ص ٢٣٧ - ٢٦٣)

كان الصليب وسيلة الله للتصرف نيابة عنا ولتأمين خلاصنا . وكان حدثا أيضا ، وعن طريق هذا الحدث عَرَّفَنَا الله بنفسه، وسوف نتأمل هذا الجانب في هذا الفصل.

١ ماذا تفهم من كلمة " مجد " ؟ من أي نواح يمثل الصليب تبيينا لمجد الله (ص ٢٣٧ ت ت.) ؟

٢ ما معنى " الدفاع عن عدالة الله " (ص ٢٤٠) هل تستطيع أن تفكر في أوقات اختبرت فيها " طرق الله الجائرة ظاهريا " ؟

٣ اقرأ أعمال ١٧: ٣٠-٣١ . ما النظرة التي تعطيها هذه لجوابك عن السؤال ٢ (ص ٢٤١) ؟

٤ مع أن عدالة الله ستعرف تماما عند نهاية التاريخ ، فإنها بالحقيقة قد أعلنت قبل الآن . اقرأ رو٣: ٢١-٢٦ . ما التفسيرات الرئيسة الثلاث التي قدمت لتفسر ماعناه بولس بـ " بر من الله" في الآية٢١ (ص٢٤٢ ت ت.). ما الرأي الذي توافق عليه من بين هذه الآراء ؟

٥ وفقا لهذا المقطع ، لماذا قدم اللهُ يسوعَ " كفارة " ؟ ما معنى هذا وكيف يساعد في البحث عن إثبات عدالة الله (ص ٢٤٣ ت ت.) ؟

٦ اقرأ ١ايو ٣: ١٦:٣ و ٤: ١٠ . " إذا كنا نبحث عن تعريف للمحبة فيجب ألا نبحث عنه في المعجم بل في الجلجثة " ؟ (ص ٢٤٧). كيف يظهر الصليب طبيعة المحبة الحقيقية ؟

٧ كيف تعرف أن الله يحبك ؟ اقرأ رومية ٥:٥،٨ . ماذا تخبرنا هذه الآيات عن محبة الله الأصيلة (ص ٢٤٧ ت ت.) ؟

٨ يقتبس المؤلف عن مولتمان قوله : الابن عانى الموت ، والآب عانى من موت الابن ، وحزن الآب هنا مهم كموت الابن ، ولأبوة الابن تكافيء لا بنوة الآب " (ص ٢٥١). في ضوء هذا البيان ، كيف يمكنك أن ترد على الادعاء بأن محبة الله ، بالقياس إلى تألم العالم ، إنما هي وهم ؟

٩ لخص نظرة أبلارد إلى الكفارة (ص ٢٥١ ت ت.) . كيف ترد عليه ؟

١٠ يؤكد بعض الناس أن "الغفران دون كفارة " كان تعليم يسوع نفسه ، مثال ذلك مثل الابن الضال (ص ٢٥٧ ت ت.). هل لهذه النظرة ما يبررها ؟

١١ اقرأ ١ كورنثوس ١:١٧-٢:٥ . من أي نواح يبدو " الصليب جهالة للهالكين " (ص ٢٦٠ ت ت.) ؟ كيف عرف المسيحيون في كورنثس أن الصليب " أعظم إظهار ، في الواقع ، لمحبة الله وقوته " (ص ٢٦١) ؟

١٢ هل أزعجت قط برسالة الصليب ؟ ما سبب ذلك في اعتقادك ؟ ابحث الحلول الممكنة لهذه المشكلة .

الجلسة التاسعة

الفصل ٩ : الانتصار على الشر (ص ٢٦٤-٢٩٢)

يدعي المسيحيون أن صليب المسيح ، بالرغم من أنه بدا في الظاهر هزيمة ساحقة ، " كان العرشَ الذي منه يحكم المسيح العالم " (ص ٢٦٥). هذا الفصل يفحص أساس هذا الادعاء .

١ ما هي نظرة أولن Aulen إلى الكفارة ؟ لماذا يدعوها (آ) " درامية " و(ب) " كلاسيكية " (ص ٢٦٥ ت ت.) ؟ هل هو على حق ؟

٢ ما المراحل الست التي فيها أحرز الله ، بالمسيح ، الانتصار على الشيطان (ص ٢٦٩ ت ت.) ؟

٣ اقرأ كولوسي ٢:١٣-١٥ . كيف يصف بولس الانتصار الذي أحرزه المسيح على الشيطان (ص ٢٧١ ت ت.) ؟

٤ لماذا يكون من الخطأ " أن نحسب الصليب هزيمة والقيامة انتصارا " (ص ٢٧١ ت ت.) ؟ ما العلاقة الصحيحة بين موت المسيح وقيامته ؟

٥ ما سبب أهمية القول أن التماثل بين انتصارنا وانتصار المسيح إنما هو تماثل جزئي (ص ٢٧٨ ت ت.) ؟

٦ " فانتصار المسيحيين يقوم على الدخول إلى انتصار المسيح والتمتع بمنافعه " (ص ٢٧٨) . ما معنى هذا ؟

٧ ما الخطأ في (آ) الانتصارية و (ب) الانهزامية من حيث علاقة كل منهما بالانتصار المسيحي (ص ٢٧٩ ت.) ؟ كيف نستطيع أن نتجنب كلا من هذين الموقفين ؟

٨ يعرّف المؤلف الناموس والجسد والعالم والموت باعتبارها الطغاة الأربعة الذين حُرِّرنا منهم بالمسيح . ما الاختلاف الذي يطرأ على مواقفك من هذه الأمور إذا كنت مسيحيا (ص ٢٨٠ ت ت.) ؟

٩ ما الأمر المضلل في القول أن " المسيح حمل أمراضنا بنفس الطريقة التي حمل بها خطايانا " (ص ٢٨٤ ت ت.) ؟ فما هو إذا مفعول موت المسيح وقيامته على أجسادنا (ص ٢٨٥ ت.) ؟

١٠ "إن ما يفعله كتاب الرؤيا ... هو أنه يرفع الستار عن عالم الحقيقة الروحية غيرالمنظور ويُظهِر لنا ما يجري من وراء الستار" (ص ٢٨٧) . اقرأ رؤيا١٥-١٢:١٢ فنلم بنظرة إلى صراع الكنيسة المستمر مع الشيطان في سياق انتصار الخروف . ما هي الأمور التي يتعرف بها المؤلف على أنها حلفاء الشيطان في هذا الصراع (ص ٢٨٩ ت ت.) ؟

١١ ما الطرق التي تشن بها حربا على هذه الأمور ؟ كيف يمكن أن تحل الهزيمة بها وبسيدها إبليس (ص ٢٩١ ت.) ؟

الجزء الرابع :
العيش تحت الصليب

الجلسة العاشرة

الفصل العاشر: جماعة الاحتفال (ص٢٩٣-٣١٦)

لقد بذل يسوع نفسه على الصليب ، وهذا " لم يكن فقط ليخلص أفرادا منعزلين فحسب، وبذلك يخلد عزلتهم ، بل ليخلق جماعة جديدة ينتمي أفرادها إليه ويحبون بعضهم بعضا ، وفي نفوسهم لهفة ليخدموا العالم " (ص٢٩٥). نتابع الآن فنتأمل علاقة الصليب بالجماعة المسيحية .

١ ما المميزات التي تتسم بها علاقة المسيحي الحميمة بالله (ص ٢٩٦ ت.)؟

٢ " ... لا يمكن أن يكف المسيحيون عن الترنيم كلما اجتمعوا " (ص ٢٩٨). ما سبب ذلك ؟

٣ لماذا نؤمن بأن عشاء الرب "مركزي في حياة احتفال الكنيسة " (ص ٢٩٩ ت.) ؟

إن تباين الطرق التي اتبعت لفهم المعنى المقصود من تسمية عشاء الرب

"ذبيحة" قد "قسم العالم المسيحي منذ القرن السادس عشر، وما زالت [هذه الطرق] حتى اليوم ، موضوعا لنقاش مسكوني مثير للقلق " (ص ٢٩٩).

٤ لماذا رفض مصلحو القرن السادس عشر "ذبيحة القداس" (ص ٢٩٩ ت.)؟

٥ ما " الذبائح الروحية " التي يقدمها المسيحيون (ص ٣٠٤ ت.)؟

٦ ماذا كان ردفعل الإصلاح ـ المضاد الكاثوليكي على تأكيدات المصلحين (ص ٣٠٥ ت ت.) ؟ ماذا كان سبب هذا ؟

٧ لقد طرحت اقتراحات أكثر اعتدالا في السنوات الأخيرة . أحدها هو " ليس الأفخارستيا تكرارا للصليب بل تخليدا له " (ص ٣٠٨) . ما معنى هذا ؟ إلى أي مدى يتفق هذا مع تعليم العهد الجديد (ص ٣٠٨ ت ت.) ؟

٨ ثمت اقتراح آخر هو أننا بتقديم أنفسنا لله كذبائح حية ، نشترك في ما قدمه المسيح على الصليب (ص ٣١٠ ت ت.) . إلى أي مدى يتفق هذا مع تعليم العهد الجديد (ص ٣١١ ت ت.) ؟

٩ كتب روان ويليامز "إن مفعول ذبيحة المسيح هو أن يجعلنا ...قادرين على تقديم القربان ، وأن يحسبنا جديرين بأن نقف ونخدم ككهنة" (ص ٣١٤) . ما سبب أهمية الاحتفاظ ، مع ذلك ، بتفريق واضح بين ذبيحة المسيح على الصليب وما يجري أثناء خدمة العشاء الرباني ؟

الجلسة الحادية عشر

الفصل ١١ : فهم الذات وبذل الذات (ص ٣١٧-٣٤١)

من شأن فهم صحيح لصليب المسيح أن يثوّرموقفنا من الله . لكنه يبدل بصورة جذرية الطريقة التي ننظر بها إلى أنفسنا، وهذا ما يسعى هذا الفصل لاستكشافه بمزيد من التفصيل .

١ ما الأمور التي تقود الناس إلى تكوين صورة سيئة عن أنفسهم ؟ ماذا كان رد الفعل الذي أبداه العالم العصري تجاه هذا (ص ٣١٧ ت.) ؟

٢ أمرنا يسوع بأن نحب أقرباءنا كأنفسنا . لماذا نخطيء إذا فسرنا هذا على أساس أن قوله هذا يعني "أحبوا أنفسكم" (ص ٣١٩ ت.) ؟

٣ يمنحنا الصليب أن نقف موقفا جديدا من أنفسنا لأنه يخبرنا أننا بصفتنا أناسا في المسيح ، فقد صرنا أناسا جددا . وسبب هذا أن المسيح مات وقام أيضا كممثل عنا . ما معنى هذا (ص ٣٢٠) ؟

٤ اقرأ رومية ٦:١-١٤ . يستخلص بولس النتائج العملية المترتبة على موت يسوع بصفته ممثلا عنا وبديلا. ما هي هذه النتائج وكيف تنطبق عليك (ص ٣٢٠ ت.) ؟

٥ والآن نسأل ماذا يجب أن يكون موقفنا من الذات الجديدة التي نملكها بفضل

موت يسوع وقيامته . ماذا يقترح المؤلف (ص ٣٢٢) ؟ ولماذا ؟

٦ " ليس نكران النفس أن ننكر على أنفسنا وسائل الترف كالشوكولاتة والكعك ولفافات التبغ الكوكتيل ..." (ص ٣٢٣) . فما هو إذا ؟

٧ يمكن أن نجد في كتابات بولس ثلاثة أنواع من الموت والقيامة . فما هي وما هي أهمية التمييز بينها (ص ٣٢٣ ت ت.) ؟

٨ ما الفرق بين توكيد الذات ومحبة الذات (ص ٣٢٤) ؟ على أي أساس يمكن أن نقف موقفا إيجابيا من أنفسنا (ص ٣٢٤ ت ت.) ؟

٩ كيف نستطيع أن نَحُلَّ التوتر الكتابي القائم بين تقييم أنفسنا وإنكار أنفسنا في الوقت نفسه (ص ٣٢٦ ت ت.) ؟

١٠ إن فدائنا بوساطة المسيح " يعطينا شيئا إضافيا نؤكده وشيئا إضافيا ننكره" من جهة أنفسنا (ص ٣٢٨) .فماذا يقصد المؤلف (ص ٣٢٨ ت ت.) ؟ ما التطبيق العملي الذي يقودك إليه ؟

١١ " ينبغي أن يؤدي فهم الذات إلى بذل الذات ... فإلى هذه [المحبة المضحية بالذات] يدعونا الصليب بصورة ثابتة وبإصرار" (ص٣٣١ ت ت.). إقرأ مرقس ١٠:٣٥-٤٥. ماذا كان في يعقوب ويوحنا يتعارض مع طريق الصليب (ص ٣٣٢ ت ت.) ؟ ما الأوجه المشتركة بينك وبينهما .

١٢ كيف يجب أن تُرَى طريق الصليب بأسلوب عملى في (أ) البيت المسيحي (ب) الكنيسة (ص ٣٣٥ ت.) ؟ كيف يجري ذلك في بيتك *أنت* و كنيستك *أنت* ؟

١٣ " إذا كان من الضروري أن يميز الصليب حياتنا المسيحية في البيت وفي الكنيسة ، فينبغي أن يميز، وبدرجة أشد ، حياتنا في العالم " (ص ٣٣٦). ما الطرق التي يتحقق فيها ذلك (ص ٣٣٦ ت ت.) ؟

١٤ " كان هناك تبذير بلا حساب تقريبا في حساب محبة المسيح على الصليب ؛ وهو يتحدى برودة محبتنا الحذرة "(ص ٣٣٩) . هل تقوم محبته بذلك التحدي ؟ كيف ؟

الجلسة الثانية عش

الفصيل ١٢ : محبتنا لأعدائنا (ص٣٤٢-٣٥٩)

" ' إن العيش تحت الصليب ' يعني أن كل جانب من جوانب حياة الجماعة المسيحية يوجه بالصليب ويتلون به " (ص ٣٤٢). وهذا يشمل سلوكنا تجاه أعدائنا، الذي هو موضوع هذا الفصل .

١ ما هو الفرق بين صنع السلام والتهدئة (ص ٣٤٢ ت.) ؟ ما الجانب غير المرضي في التهدئة ؟

٢ " إن العدالة التي بدون رحمة عدالة شديدة الصرامة ، والرحمة التي بدون عدالة رحمة شديدة التساهل " (ص ٣٤٤) . كيف يجب تطبيق ذلك (آ) في البيت المسيحي و (ب) في الكنيسة ؟ هل يحدث ذلك في بيتك *أنت* وفي كنيستك *أنت* ؟

٣ ننتقل الآن إلى تحقيق العدالة من قبل الدولة ومسألة ما إذا كان استخدام القوة من قبل الدولة يتوافق مع الصليب . تأمل في رومية ١٢:٩ ثم في رو ١٢:١٤-١٣:٧ إشارات بولس الأربع إلى الخير والشر .

٤ مع أن الله ، كما يوضح بولس ، سوف يعاقب الشر في يوم الدينونة ، فإن غضبه على الشر يعلن الآن أيضا. من أي نواح يصدق هذا

(ص ٣٥٠ ت ت.) ؟

٥ " مقابلة الأذى بمثله ليست أمرا خاطئا ..." (ص ٣٥٢) . لماذا ؟

٦ يلخص المؤلف تعليم بولس تحت أربعة عناوين (ص ٣٥٣ ت ت.) . فما هي هذه العناوين ؟ ما الحدود المفروضة على سلطة الدولة ؟

٧ تحت أي ظروف يكون من الصواب عصيان القانون (ص ٣٥٦ ت.) ؟ هل يمكن مطلقا تبرير الثورة المسلحة ضد الدولة ؟

٨ إن الله " لم يتغلب على الشر برفض معاقبته ، بل بتقبل العقوبة بنفسه " (ص ٣٥٨). كيف يجب أن يؤثر هذا في الطريقة التي نعامل بها أعداءنا ؟

الجلسة الثالثة عشر

الفصل ١٣ : الألم والمجد (ص ٣٦٠ - ٣٩٢)

" لا شك أن حقيقة الألم تشكل التحدي الأعظم للإيمان المسيحي " (ص ٣٦٠). مع أن الكتاب المقدس يلمح إلى إجابات لمشكلة الألم الفكرية (راجع ص ٣٦٠ ت ت.) ، فإن اهتمامه الرئيس اهتمام عملي ، يمكننا من أن نتغلب على الألم . غرض هذا الفصل هو أن نتأمل كيف يساعدنا الصليب في هذا الأمر.

١ أقرأ ١بط ١٨:٢ ـ ٢٣. ماذا يعلمنا هذا المقطع عن العلاقة بين ألمنا وألم المسيح (ص ٣٦٤ ت.) ؟

٢ اقرأ عبرانيين ١٠:٢ و ٨:٥-٩ . بأي معنى احتاج يسوع ألى أن "يكمل" (ص ٣٦٦) ؟ أقرأ يعقوب ٢:١-٤. ما الفائدة الإيجابية التي يمكن أن يجلبها الألم ؟ كيف اختبرت هذا ؟

٣ تستخدم ثلاث صور مجازية في الكتاب المقدس لتوضح كيف يستتخدم الله الألم في حياتنا. ما هي هذه الصور، وماذا تعلمنا (ص ٣٦٦ ت ت.) ؟

٤ " ليس الألم ملازما للخدمة فحسب ، ولكنه ضروري للخدمة المثمرة أو الفعالة " (ص ٣٧١). ما سبب هذا ؟ من أي نواح وجدت هذا الأمر يحدث بصورة عملية ؟

٥ أقرأ عبرانيين ١٢:٢ . ما الذي تشير إليه هذه الآية بشأن حصول يسوع على دعم في وسط تألمه (ص ٣٧٣ ت.) ؟

٦ " النظرة ألأساسية التي يجب أن نطورها هي أن قصد الله الأزلي هو أن يجعلنا قديسين أو شبيهين بالمسيح" (ص ٣٧٤). هل تنظر إلى الألم بهذه الطريقة ؟

٧ هل يقود كل ألم بشري إلى مجد ؟ ما هي نظرة العهد الجديد الأساسية إلى هذه المسألة (ص ٣٧٥ ت ت.) ؟

٨ ننتقل إلى أيوب ، وهو رجل غمرته البلية من دون سبب ظاهر. ماالموقف الذي اتخذه تجاه الألم (ص ٣٧٩). كيف حاول أصدقاؤه أن ساعدوه ؟

٩ عندما انتهوا من كلامهم ، تكلم الله . اقرأ أيوب ٤٠:١-٩.على أي أساس كان ينبغي على أيوب أن يثق بالله (ص ٣٨٠) ؟ اقرأ رومية ٣٢:٨ ما السبب الإضافي الذي يجعلنا نحن نستمر في الثقة بالله في وسط الألم ؟

١٠ " إن شوكة التألم الحقيقية هي ... ترك الله الظاهري للمتألم " (ص ٣٨٠ ت.) . كيف يساعدنا الصليب في هذا الموقف ؟

١١ لماذا وجد بعض المسيحيين أنه من الصعب عليهم أن يؤمنوا بأن الله نفسه يستطيع أن يتألم (ص ٣٨٢ ت.) ؟ ماذا يقول الكتاب المقدس ؟

١٢ فكيف يتكلم الصليب إذا بشأن الشرور، كالمجاعات العالمية و المَحْرقة النازية (ص ٣٨٦ ت ت.) ؟

خـاتمة

الجلسة الرابعة عشر

التأثير المعمم للصليب (ص ٣٩٣ - ٤٠٩)

التشديد الختامي للمؤلف هو أننا " لا نستطيع أن نحذف الصليب من أي جانب من جوانب تفكيرنا أو حياتنا " (ص ٣٩٤). وليؤكد هذا يتأمل في سبع توكيدات بشأن الصليب بَيَّنَـها بولس في رسالته إلى الغلاطيين .

١ الصليب والخلاص . اقرأ غلاطية ١:٣-٥ . ماذا تعلمنا هذه الآيات عن صليب المسيح (ص ٣٩٥ ت.) ؟

٢ الصليب والخبرة . اقرأ غلاطية ٢:١٩-٢١ . ماذا عنى بولس بالضبط عندما ادعى بأنه "صُلب مع المسيح" (ص ٣٩٦ ت.) ؟ هل تستطيع أن تقول ما قاله بولس هنا ؟

٣ الصليب والكرازة . اقرأ غلاطية ٣:١-٣ . ماذا يعلمنا هذا المقطع عن مكانة الصليب في الكرازة بالإنجيل (ص ٣٩٨ ت ت.) ؟

٤ الصليب والإبدال . اقرأ غلاطية ٣:١٠-١٤ . ما الذي يبدو لنا في هذا المقطع "مذهلا ويصيب بالصدمة تقريبا" ؟ ماذا يعني هذا (ص٤٠٠ ت.) ؟

٥ الصليب والاضطهاد . اقرأ غلاطية ٥:١١ و ٦:١٢ . " لا يمكن أن نكون أمناء ومحبوبين في آن واحد" (ص ٤٠٤). و لماذا لا ؟ إلى أي مدى تتعرض للإغراء بأن تعميّ رسالة الصليب بالطريقة التي توصل بها الإنجيل إلى الآخرين ؟

٦ الصليب والقداسة . اقرأ غلاطية ٥:١٩-٢٦ . كيف نستطيع أن " نضمن سيطرة رغبات الروح على رغبات الجسد" (ص ٤٠٥) ؟ كيف يمكن أن يتم هذا في الواقع العملي ؟

٧ الصليب والافتخار . اقرأ غلاطية ٦:١٤. "...أما بولس فكان المسيح وصليبه هما اللذان يستحوذان عليه" (ص ٤٠٦) . لماذا ؟ إلى أي مدى تشارك بولس موقفه ؟

٨ " ... يقول العالم لكل واعظ : ما لم أر في يديك آثار المسامير لن أؤمن" (ص ٤٠٩) . ماذا يعني هذا القول ؟ ما مدى انطباقه عليك ؟

Dar El-Thaqafa

JOHN STOTT

the cross of christ